

مركز القطاع الثالث للاستشارات
والدراسات الاجتماعية
(قطاع)
(الكتاب الخامس)

رحمه الله

عبدالله بن سليمان بن ناصر السلومي

١٣٤٥ - ١٤٣٤ هـ
(تجارب تطوعية مبكرة)

قدمه الدكتور / مصطفى بكرى السيد
و كتبه / محمد بن عبد الله بن سليمان السلومي



التنفيذ الفني والإخراج
وجوه للإنتاج الإعلامي



دار وجوه للنشر والتوزيع
Wajoooh Publishing & Distribution House
www.wajoooh.com

المملكة العربية السعودية - الرياض
ت: ٤٥٦٢٤١٠ ف: ٤٥٦١٦٧٥

للتواصل

info@wajoooh.com
www.facebook.com/wajoooh

محمد بن عبدالله بن سليمان السلومي
عبدالله بن سليمان بن ناصر بن سليمان السلومي - رحمه الله -
(تجارب تطوعية مبكرة)

د. محمد بن عبدالله بن سليمان السلومي
الطبعة الأولى
منشورات 2014 - 1435

ح - محمد عبدالله السلومي، ١٤٣٥ هـ
فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السلومي، محمد عبدالله
عبدالله بن سليمان بن ناصر بن سليمان السلومي ١٣٤٥ هـ - ١٤٣٥ هـ
(تجارب تطوعية مبكرة) /
محمد عبدالله السلومي - الرياض، ١٤٣٥ هـ
٣٧٦ ص؛ ١٧ سم X ٢٤ سم
ردمك: ٩ - ٥١٥٠ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - السلومي، عبدالله سليمان بن ناصر بن سليمان، ت ١٤٣٥ هـ
٢ - التراجم الذاتية ٣ - العمل التطوعي أ. العنوان
ديوي ٩٢٠ ٤٤٣٨ / ١٤٣٥
رقم الإيداع: ٤٤٣٨ / ١٤٣٥
ردمك: ٩ - ٥١٥٠ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»

مسند الشهاب (١٢٣٤) صححه الألباني الأحاديث الصحيحة رقم (٩٠٦)
(الجامع الصغير (٣٢٨٩)).

الناس في الدنيا ثلاثة :

«ميت قبل أن يموت،

وآخر يموت يوم يموت،

وثالث يحيا بعد أن يموت».



الإهداء

- ◀ إلى الذين سبقونا بالإيمان والدعاء لنا، وقد أصبحنا ثمرة من ثمرات تربيتهم وإخلاصهم ودعائهم.
- ◀ إلى رواد كتابة التاريخ والتراجم نقدم {تجربة حياة} لصورة من حياتنا الاجتماعية وما فيها من القيم التطوعية والأعمال الاجتماعية التاريخية التي أسهمت في التكامل مع الخدمات الحكومية.
- ◀ إلى جميع الأجيال ليكون الاقتداء والاستفادة من (التجارب التطوعية المبكرة) للسابقين مرتقى هممتها وموضع اهتمامها.
- ◀ إلى مؤسسات البذل التطوعي في بلادنا المباركة (المانحة والممنوحة) لرصد تجارب التطوع قبل نمو مؤسساته وجمعياته .
- ◀ إلى الإمام الذهبي ونحن نقدم صفحة معاصرة إضافية من (سير أعلام النبلاء) إهداء من المقدم للكتاب د. مصطفى السيد.





فهرس المحتويات

رقم الصفحة	المحتويات
١٣	تقديم د. مصطفى بكري السيد
١٣	اقتضاء العلم العمل (تطوع عبدالله السلومي أنموذجاً)
٢١	تمهيد
٢٧	المقدمة
٣٩	المبحث الأول: الإطار المكاني المباشر (الشنانة في التاريخ)
٤٠	الأهمية التاريخية للشنانة
٤٠	الشنانة (الموقع والأهمية)
٤٢	سكان الشنانة بين القديم والحديث
٤٥	عائلات الشنانة بعد قَطْعَة الشنانة
٤٦	أبيات تختصر الأدوار
٥١	المبحث الثاني: الشيخ عبدالله بن سليمان بن ناصر السلومي (السيرة الذاتية)

المحتويات	رقم الصفحة
ميلاده ونسبه ونشأته	٥٢
زوجاته وأولاده (بنين وبنات)	٥٤
مصادر عيشه	٥٧
صفاته الشخصية	٦٠
الدعابة العاطفية في شخصيته	٦٩
المزاح في شخصيته	٧٩
حوادث في حياته (ذات عبرة)	٨١
زهده وورعه	٨٣
الحكمة والحنكة في شخصيته	٨٧
كرمه	٩٣
المبحث الثالث: السيرة العلمية والدعوية	٩٩
مكانته الاجتماعية	١٠٠
الشيخ بين مرحلتين	١٠٢
ملامح من شخصيته العلمية والخيرية	١٠٩
نماذج من صفاته الدعوية	١١٥
التقييم الدعوي في شخصيته	١٢١
تربيته لأولاده	١٢٤
المبحث الرابع: تنبيهات علمية وأعمال احتسابية	١٣٩
الحسبة والاحتساب عند الشيخ	١٤٠
التلازم بين الحسبة والابتلاء	١٤٤

رقم الصفحة	المحتويات
١٤٩	الاحتساب صمام أمان
١٥١	علمه ودعوته وفقهه
١٥٦	لفتاته العلمية
١٦٣	التنبيهات المعرفية
١٦٧	رؤيته في الصناعات الحديثة وأشراف الساعة
١٧٤	السلطان والقرآن
١٧٩	رسالة العلماء
١٨١	المدارة والمداينة
١٨٤	رؤيته عن (دور الحسبة في قيام الدولة السعودية)
١٨٩	المبحث الخامس: قهوة أبي سليمان (أسماء ومسميات)
١٩٠	قهوة أبي سليمان (أسماء ومسميات)
١٩٣	(١) قهوة الحرية
٢٠٣	(٢) القهوة المفتوحة
٢١٠	(٣) قهوة الحسبة
٢١٤	(٤) قهوة أبي صالح
٢١٨	(٥) قهوة أبي سليمان
٢١٩	(٦) قهوة مطوّع الشنانة
٢٢٢	(٧) قهوة الخيرية
٢٢٦	(٨) قهوة ابن قيم الشنانة
٢٢٩	لمحة عن ابن القيم الذي نسبت القهوة إليه

المحتويات	رقم الصفحة
ابن تيمية في قهوة ابن قيم الشنانه	٢٢٩
المبحث السادس: أنموذج من الأعمال التطوعية والتعاونية	٢٣٩
الحج ونوافذ التطوع	٢٤٠
حملة الحج (التعاونية الخيرية)	٢٤١
تجارب عملية ميدانية	٢٤٥
دروس مستفادة	٢٥١
التربية والاختبار في الحج	٢٥٦
المبحث السابع: جوانب من رسالته الخيرية	٢٥٧
الشيخ والمسجد	٢٥٨
نماذج من أعماله الخيرية	٢٦١
أصحابه وأحبابه من المشايخ وطلاب العلم وبعض محبيه	٢٦٨
تلاميذه والمحتسبون معه (الجيل الأول)	٢٧٢
تلاميذه من (الجيل الثاني)	٢٧٤
السلومي في عيون محبيه	٢٧٦
الأستاذ محمد الخزاري بعنوان: (من شيوخ الإحسان والعطاء)	٢٧٦
الشيخ عبدالعزيز اليحيى بعنوان: (أبيات عن الماضي والحاضر)	٢٧٧
الشيخ الأستاذ محمد الشهري بعنوان: (من ذرى الأزدي إلى ربي نجد)	٢٧٨
الشيخ فريح العقلا بعنوان: (المحبوب والمحَبَّ)	٢٨٠
الشيخ الدكتور علي الأهدل بعنوان: (الأخيار والغيث)	٢٨٠
الشيخ رشيد الحربي بعنوان: (قهوة لم تتغير)	٢٨٢

المحتويات	رقم الصفحة
الشيخ محمد المجاهد الخليفة بعنوان: (تجربة يجب أن تُكرر)	٢٨٣
الشيخ صالح الزامل بعنوان: (رجل يذكرني بالصحابة)	٢٨٤
الشيخ عبدالعزيز العقل بعنوان: (رحلة طيبة)	٢٨٦
الشيخ الأستاذ محمد الشهري بعنوان: (منتدى السلومي)	٢٨٨
الشيخ الدكتور عبدالله الحمود بعنوان: (من حواضن الدعوة)	٢٨٩
الشيخ عبدالرحمن الرثيع بعنوان: (رجل افتقدناه)	٢٩٠
مرضه ووفاته	٢٩١
رثاؤه	٢٩٢
ما قبل الخاتمة والخاتمة	٢٩٧
ما قبل الخاتمة (التاريخ بين الاجتماعي والسياسي)	٢٩٨
الخاتمة: (دروس وعبر)	٣٠٥
أولاً / التطوع قيمة كبرى	٣٠٥
ثانياً / حرية قيم التطوع	٣٠٦
ثالثاً / السياق التاريخي العام	٣٠٧
رابعاً / الإصلاح	٣٠٨
خامساً / الزهد	٣١٠
سادساً / الوهم	٣١١
سابعاً / صناعة القيادات	٣١١
ملاحق الكتاب	٣١٥

المحتويات	رقم الصفحة
الملحق الأول: ترجمة عبد الملك السلومي (حفيد المترجم عنه) - رحمهما الله -	٣١٦
الملحق الثاني: الرسم البياني لنسب المترجم عنه	٣٤٤
الملحق الثالث: صور من فن حياكة المصاحف	٣٤٦
من الملحق ٤ إلى الملحق ٢٠: صور ووثائق معظمها بخط يده	٣٤٧
المصادر والمراجع	٣٦٧
خاتمة الخاتمة	٣٧٣
كتب للمؤلف	٣٧٥





(١) تقديم د. مصطفى بكري السيد

اقتضاء العلم العمل (تطوع عبدالله السلومي أنموذجاً)

لم يَعتَل منابر الفضائيات أكثرها وجعجة بعضها، قبلها كان وبعدها سيظل، وعندما تَمَل أو تُمَل، ولن يبقى منها إلا رجع الصدى، ورماد معارك الوهم، ومتكلمو الفضائيات جُلَّهم تذرّوا بالأكاديمية، وتجلّبوا بالسلفية وارتدوا بجاد الحداثة وبرد الديمقراطية كانت الأرض يباباً^(٢) قبلهم، ثم انتهت سرايا بقية يحسبها الظمان معرفة وهي لا تعدو أن تكون ما يطلبه الممولون، ليُجلّد به السامعون، وتبقى الأمة تنتظر غيث القرآن وعطاءات السنة، فلا تجد ذلك إلا نادراً مع كثرة القراء والكتب، وتوافر المعرفة وشبكة المعلومات (الانترنت).



(١) كاتب هذا الموضوع هو أبو محمد مصطفى بكري السيد اللبناني بلداً (القصيمي موطناً)، وهو من رواد قهوة أبي سليمان ما يزيد عن أربعين (٤٠) عاماً، وهو أستاذ سابق في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأستاذ اللغة والأدب في جامعة القصيم بعد ذلك، وقد كتب هذا بتاريخ ٤ / ٧ / ١٤٣١ هـ، الموافق ١٤ / ٦ / ٢٠١٠، وذلك مبادرةً ووفاءً منه للشيخ عبدالله السلومي، وكتبها بعاطفته الجياشة وأسلوبه الأدبي الرفيع.

(٢) اليباب بمعنى الخراب - أرض يباب: أرض خراب.

أبو سليمان عبدالله بن سليمان السلومي، الرجل الأمة، الرجل المؤسسة، موظفوه قلبه وعقله وإسلامه، من خلاهم يُقدّم للناس الحق والحقيقة مبرأة من الزيف، منزهة عن الحيف، مجلسه كتاب مفتوح مصدره الكتاب والسنة، وجهده متصل لخدمة مصالح الأمة، الدليل قبلته، والمسلمون الفاعلون قبيلته، بلا حدود، كان معجباً و(عاملاً) بالمصطلح النبوي (نزاع القبائل)، أي الناس الذين لا رابط بينهم إلا عقيدتهم، ترك الثثرة على المصطلحات، وقبّل الجد وجهه ولّى، ولكل وجهة هو مؤلاًها (وكلّ ميسر لما خلق له)^(١).

على الأرملة يسعى، وللمدين يفرع، ولطالب الزواج يُصغى، ودّاً لا يبقى عزب أو عزباء، الزواج حصن المجتمع كان يرى، وللسعي لتحقيق ذلك كان يعمل، يندفع الناس إلى مجلسه لدوافع شتى، يجدون من لدنه وجهاً مرحباً، وحديثاً محبباً، إن الكلام جانبٌ من القرى، لا ينقلب زائره إلى أهله إلا بزاد من نقد بناء، وطعام بسيط لا ينقطع يقدمه للناس، أو صدمة فكرية تعيده إلى الجادة، لا ينقطع عن الحرمين الشريفين حاجاً أو معتمراً، وفي رحلاته تلك يذكرني برحلة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله إلى الحج التي قطع فيها أفريقيا من الغرب إلى الشرق لا يترك بلداً يتوقف فيه إلا هطلت عليه -بفضل الله ثم علمه- سحائب المعرفة، كذلك أبو سليمان يتحف الركب من الشنّة إلى الحرمين ذهاباً وجيئة، بأي من القراءان وقبسات من السنة وأقوال السلف، لتغدو رحلاته دورات تربوية، وفصولاً دراسية، يعود منها الرجل فلا يدري أكان الحج والعمرة أكبر الزاد، أم أخلاق الرجال أكثر ما استفاد، أم العلم بالأنسك والدين أعظم ما تحصل عليه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية طبعة الراجحي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ٢، ص ٢٩٩، ورد في كتاب شرح الطحاوية - طبعة دار السلام، باب الميثاق الذي أخذه الله تعالى، ج ١، ص ٢٤٨.

جاءه مرة صاحب سيارة (جيمس) قبيل الحج طالبا منه إن كان يعرف حجاجاً من المواطنين كي يذهب بهم إلى الحج بأجرة معلومة، قال صاحب السيارة (الجيمس) كلمني بعض المتعاقدين، ولكن أنا أريد من المواطنين.

قال أبو سليمان: «إن بعض المتعاقدين قد يكونون خيراً منا»، إن هذا الأفق الرحب قد يُفتقد عند رجال هم جبال من المعرفة، ولكن غُطِّيَتْ قممهم بالتعصب أحياناً. يدعو دائماً إلى الطعام فيُجاب، ويُدعى من أقل الناس شأناً فيُجيب، يجعل المائدة جسراً إلى التعارف، ويجعل الحديث بعدها هدفه وغايته، فلا ينتهي مجلسه بغير غُرر الفوائد، وغزير العوائد، دون أن تغيب النكات والطرائف عن مجلسه وجلسائه يسمعها برحابة صدر، ويُفسح لها ولرواتها حتى لا يكون مجلسه جدّ مبالغ فيه لا تطيقه بعض النفوس.



وقبل أن ينتقل إلى بيت بُني من الإسمنت المسلّح كان يقيم في بيت من الطين أو شك أن يكون مثابة للناس في حين كان بعض المنتسبين للعلم الشرعي من قضاة وأمثالهم يتناولون في البنيان، ويتقاصرون في الفضل ونشر العلم والرأفة بالناس لاسيما العامة والخاصة وما بينهما، هؤلاء وأولئك يؤمّون بيت الطين بحثاً عن طمأنينة لم يجدوها في بيوت أذن الله أن تعمار بالحجر، ولكن قلوب سكانها أنكرتهم وأنكروها أحياناً، فكانت أقدامهم تحملهم رغماً عن إرادتهم إلى بيت أبي سليمان يبحثون عن سعادة مفقودة، لأنهم كانوا يحسبون السعادة امتلاكاً، أما أبو سليمان فيعدها اعتقاداً ولم يكن قاصدو أبي سليمان يبحثون عن طمأنينة القلب فحسب، بل عن غذاء العقل أيضاً فهم يشعرون دون إرادة أن كلامه بات مرجع عقولهم ومصدر معرفتهم، لقد سمعت الكثيرين من رواد مجلسه يحملون رؤيته ويحلمون بتحقيق مشروعه الذي يقوم على الثقة المطلقة بالإسلام

وانتصاره حتى لو كانت الإمكانيات المادية متواضعة، وكان سلوكه خير شاهد على ذلك، وكانت النماذج المثلى للأب وللرجل التي يحكيها بمثابة أطواق النجاة لبعض الآباء والرجال الذين جعلوا أبا سليمان يستشهد بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣).

مدللاً على تراجع دور بعض الآباء والرجال والأزواج، مبيناً غربتهم وعجزهم أمام النساء والأولاد والمجتمع، ولأنه يراهم ضحايا ثقافة خُلِبَ^(١)، فقد عمل على ضخ ثقافة ﴿حُذِ الْأَكْتَبَ يَقُوقَ﴾ (مريم: ١٢)، و(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)^(٢).

في بيت الطين وفي مجلس استقبال الضيوف، وهو ما يُسمى القهوة حيث (القهوة الطينية) احتفى الشيخ بكل مدارس الدعوة من رسميين ومتطوعين وما بينهما، يسمع للجميع ويسمح لكل الرؤى، ولكنه يُعَقَّب بحزم في المضمون، ولين في الأسلوب، ويأبى أن يكون شاهداً محايداً، بل شريكاً، واضعاً سلامة المعتقد وأمن الناس الفكري فوق كل مطلب، فعل ذلك مبكراً، ولم يقله تزلفاً أو تنطعاً.



-أحسبه ولا أزكي على الله أحدا- لم يسع لأي مطلب شخصي، أو مكسب مادي أو تجمع حزبي، حزه المسلمون أنى كانوا وأين حلُّوا، مشروعه الإنسان الذي يطمح أن يبلغه كلمة التوحيد.

ولما كان يترامى إلى سمعه من تراجع في العفة والفضيلة، فقد رأى أن الزواج

(١) الخُلِبَ: السحاب غير المطر وهو كناية عن ضحالتهم الثقافية (البرق الخُلِبَ الذي لا غيث فيه كأنه خادع وميض) لسان العرب طبعة دار المعارف، القاهرة- مصر، ج ٢ ص ١٢٢٠.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، حديث رقم (٢٦٦٤) ص ١٠٦٩.

هو مقبرة الفجور، وطريق العبور إلى عالم يمنح الاستقرار النفسي الذي يقوم عليه كل استقرار، شجع على الزواج مادياً ومعنوياً، زوج الكثير وتزوج امرأتين فقط.

لم يثرثر عن الفضيلة بِمَبْعَدَةٍ عن أهم منابعها وهو الزواج، بوجه طليق يلقى به مرتاديه، لم يعرف العبوس وجهه كما هو معروف عن بعض الناس - وفقهم الله إلى الخير - ولم يُقْبَل في مجلسه على الكبار فقط، بل يُداعب الصغار، ويسأل عن زواجهم بوصفه مستقرّ أنفسهم ومطمأن قلوبهم، ويأخذ الباكستاني والبنغالي وغيرهم من العرب والعجم في مجلسه خطأً من الاهتمام لا يقل عن حظ أي مواطن أو مقيم، لم يتل الآيات ويرفع الرايات ويتعثر بالسلوك بل أوشك أن يكون (خلقه القرآن)، أما إذا اقتضى حكم شرعي تبين آية فنجدته يتلوها كاملة دون تعثر أو تلثم أو خطأ، وكذلك صنيعه مع الحديث الشريف، ولا أنسى مرة ذكرتُ حديثاً أمام أحد أبنائه العلماء، فقال ابنه العالم: ما مصدر هذا الحديث؟ فقلت: سمعته من الألباني - رحمه الله - فهم أن يكتبه فقال أبو سليمان: تجده في رياض الصالحين!، أما التسبيح والذكر فكان ديدنه، ما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، مطرنا بفضل الله ورحمته، يقوّلها لمن زاره على غير توقع.

لا ضير أن اعترف بأبوتِه الفكرية، بل ذلك شرف لي، ولئن كانت أبوة النسب رابطة أبنائه به، فأنا من أبنائه فكراً وسلوكاً.



وفي ختام مقالتي عن شيخي ومدرستي العلمية أبي سليمان أقول: إن هذه الشخصية تدل على عظمة الإسلام، وقدرته غير المحدودة على صنع رجل بمكان ومكانة أبي سليمان، فهو لم يصل إلى ما وصل إليه بهال جمعه، أو نسب

رفعه عن بقية الناس لقد كان من أوسطهم نسبا وأقلهم مالا، ولكن الإيمان الذي وقر في قلبه، والرؤية التي زرعها فيه أبوه -رحمه الله- جعلاه في صميم اهتمام المجتمع، لأن التدين أهم صفة يتميز بها المجتمع السعودي، وأكثر صفة يُجمع عليها السعوديون، ولا سيما عندما تكون من الناس وإليهم كما مثلها أبو سليمان، دون تظهير إعلامي وعندما وجد رواد قهوته غذاء قلوبهم وقوام عقولهم في كلماته التي كانت تطرق مسامعهم لتستقر في أعماق أفئدتهم، هذا ما كنت اشعر به في كل زيارة للقهوة -أجد الكلام طازجاً وصادقاً- ولعل مما رسّخ منزلته في نفوس محبيه وعارفيه، أنهم لم يشعروا أنه يعمل لذاته أو يصرف الوجوه لشخصه، بل وجدوا النص دون الشخص والعام وليس الخاص، والمؤبد دون المؤقت هدفه هذه الأمور لأن إيمانه بالله وراء حراكه كله، أحسبه كذلك ولا أزكي على الله أحدا.

لم يكن أبو سليمان مُطلعاً على مصطلحات مثل المجتمع المدني، والعمل المؤسسي والرأي العام، والتنسيق مع الإعلام، ولكنه يحقق ذلك جله دون أن تكون أسماء بلا مسمى، ولعل الدليل الأبرز على ما أقول، أن تجد لقهوته في بلدة صغيرة حضوراً فاعلاً وعملياً، وحضاريةً لا تجدها لمثيلاتها في المدن الكبرى والمتوسطة وذلك كما قلت يعكس عظمة التفاعل بين المسلم والنص الشرعي، لتوظيف ذلك في خدمة المجتمع وقضاياه، لا لإثارة الجدل والنقاش حول قضايا تؤخر ولا تقدم، وتفرق ولا تجمع، وإذا كان ما سبق يعكس عنوان المقال فإن أعمال الشيخ في الوقت ذاته تعكس أنموذجاً للتطوع في زمن غابت فيه مؤسسات المجتمع الأهلي التطوعية فكان الشيخ وأمثاله نماذج حية عملية في التكامل مع مؤسسات الدولة.

غفر الله للشيخ ورحمه وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا، وبارك في ذريته وأحفاده، ورزق المسلمين

أمثاله، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلى على سيدنا محمد وآله
أجمعين».



تمهيد

إن تدوين المعلومات التاريخية مهما كانت قليلة، أو كتابة المواقف أو الترجمات الشخصية لبعض الناس أو تدوين القضايا الفكرية والثقافية عند بعضهم الآخر يُسهم كثيراً في صُنع الصور الذهنية الواقعية عن تاريخ المجتمعات السابقة، ويُكْمِل الصور التاريخية للأمم والمجتمعات المنصرمة، وقد أثبتت الأحداث أن مثل هذا التدوين يكون له أثر كبير في حياة الأجيال اللاحقة المتطلعة للنهوض والتقدم، والتاريخ بهذا ليس هو الجانب السياسي للحكومات والدول فحسب، بل هو كل أنشطة الأمم الفكرية والثقافية والاجتماعية والعسكرية ثم السياسية، كما هو عنوان كتاب تاريخ الإمام الطبري - رحمه الله - (تاريخ الأمم والملوك)، ثم كما دوّن محمد بن سعد في كتابه (الطبقات الكبرى) عن التراجم والسير، وليس عن الدول. والتدوين عن الرجال هو منهج شرعي تعبدي عند كثير من المؤرخين المسلمين من أمثال شمس الدين الذهبي في كتابه القيم (سير أعلام النبلاء)^(١) وغيره من كتب التراجم لرجال هذه الأمة ونسائها حفظاً للتراث واعتزازاً بالتاريخ، ونصحاً

(١) انظر العنوان الالف للذهبي: سير أعلام النبلاء طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ، وانظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر، دار الجيل، بيروت - لبنان.

وإرشاداً للخلف من هذه الأمة، فقد كانوا (رحمهم الله) يقومون بكل ذلك إيماناً منهم بأن التدوين على هذا النهج هو التاريخ الحقيقي للأمم، وأنه حق من حقوق الأجيال اللاحقة على الأجيال السابقة، ليتعلموا من تجارب السابقين ما ينقلونه إلى اللاحقين، بل هو من حقوق الإنسانية كلها.

إن من حقوق المصلحين والمتطوعين على أمتهم تدوين سيرهم، وتسجيل مآثرهم الإيجابية مهما كانت قليلة، والإخلال أو التقصير بـ(فرض الكفاية هذا) قد يلحقُ التقصير بالأمة كلها، لذا فالقيام بهذا الفرض يرفع التقصير المذموم، وقد يكون من آثار هذا التقصير بفرض الكفاية تفريط الأولاد (بنين وبنات) في تدوين سير آبائهم وأجدادهم العطرة والمؤثرة، وهذا قد يعد نوعاً من أنواع العقوق، لأن كتابة التاريخ والسير والتراجم ليست ملكاً لهم وحدهم بل هي ممتلكات للأمة. كما أن من الأمانة التاريخية وأداء المسؤولية إعادة قراءة وكتابة ما دُوِّن سابقاً في كتب التراجم من زوايا متعددة وجوانب متنوعة تخدم حاضر الأمم والشعوب والمجتمعات ومستقبلها -وهو نوع من الحداثة والتحديث-، وهذا موضوع آخر كبير ليس هنا محل بحثه.



إن تدوين حقائق التاريخ والترجمة لرجاله ونسائه كفيلاً بإحياء الأموات بعد موتهم بالذكر الحسن، ومضاعفة حسناتهم، بل والاستفادة من تاريخهم وسيرهم، من خلال نشر علمهم وحسبتهم ومآثرهم الطيبة، وكم مرة سمعت مشافهة من والدي وهو -المعني بالترجمة هنا في هذا الكتاب- يقول عن شيخ الإسلام: «انظروا إلى ابن تيمية -وقد حُورب فكره وصُودر في زمنه- كيف رفع الله ذكره بعد مماته، فعلمه وفقهه وفتاواه وكتبه وسيرته ومواقفه عُرفت بعد موته، وانتشرت أضعافاً مضاعفة آلاف المرات عن زمن حياته والواقع شاهد بذلك» وبعد سماع

هذا القول من شيخي وأنا أبحث في تخرجات بعض أقواله واستدلالاته وجدت كلاماً نفيساً يصدّقه ويُعزّزه لـ (شهاب الدين أحمد بن مُرّي الحنبلي)، حيث يقول في رسالته إلى زملائه تلاميذ شيخ الإسلام بعد موته رحمهم الله: «ووالله، إن شاء الله ليقimen الله سبحانه لنصر هذا الكلام - يقصد كلام ابن تيمية - ونشره وتدوينه وتفهمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائب رجالاً هم إلى الآن في أصلاب آبائهم، وهذه سنة الله الجارية في عباده وبلاده والذي وقع من هذه الأمور لا يُحصى عدده غير الله تعالى^(١)، وقد برّت يمين ابن مُرّي - بحمد الله ومنّته - ورأينا ذلك يتحقق، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر (قيام دولة الإسلام في نجد قبل ثلاثة قرون فإن هذه الدولة قامت على تراث المجدد ابن تيمية بالتعاون بين شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود - رحمهم الله تعالى - ومن صور إحياء الحق وانتصار الحقيقة بحفظ الله لها - كأنموذج - ما قام به الشيخ عبدالرحمن بن قاسم (ت ١٣٩٢ هـ) بمساعدة ابنه محمد^(٢) (ت ١٤٢١ هـ) بعد نحو ستة قرون من وفاة ابن تيمية بمهمة جليّة في خدمة نشر (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣)) وذلك لأول مرة، وابن تيمية كما وُصف: «هو غرّة في جبين الدهر، زينة لأهل الإسلام، لسان صدق للعلماء، عمدة للباحثين، نفع الله به أقواماً بعد آخرين، وقد انتشر في العالمين انتشار العافية، وكتب الله له من القبول والانتشار ما يعزّز نظيره في جهود المتأخرين^(٤)»، وأقول: إن كتب ابن تيمية مازالت

(١) قطعة من مكتوب الشيخ الأمام الزاهد شهاب الدين أحمد بن مري الحنبلي، انظر: مقدمة الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية دراسة وتحقيق حمد بن عبدالمحسن التويجري، ص ١٨، طباعة دار الصميعي الطبعة الأولى، عام ١٤١٩ هـ.

(٢) هو محمد بن عبدالرحمن بن قاسم (١٣٤٥ هـ - ١٤٢١ هـ) وهو ممن تعرف على الشيخ عبدالله السلومي والتحق معه في حملته الخيرية للحج عدة سنوات بالمشاعر المقدسة، وكانت له حوارات علمية وفقهية في خيمة السلومي في منى خاصة عن تراث ابن تيمية ومسائله الفقهية وفتاواه.

(٣) انظر: (المداخل لأثار ابن تيمية) طبعة دار عالم الفوائد، مكة المكرمة - السعودية، بكر أبو زيد، ص ٩٢.

(٤) المرجع السابق «ص ٩٣».

مصدر المتكلمين ومرجع المنظرين عند معظم الحركات الإسلامية المعاصرة بل هي مصدر من مصادر التجديد للعقل المسلم، وهي بالتالي من المصادر الفكرية لنهضة الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان.

ومن المعلوم أن البخاري مع جلالة قدره أُخرج طريداً، ثم مات بعد ذلك غريباً، وعوضه الله سبحانه عن ذلك بما لم يخطر في باله، ولا مرّ في خياله، من عكوف الأمم على كتابه، وشدة احتفائها به وترجيحها له على جميع كتب السنن، وذلك لكمال صحته، وعظمة قدره، وحسن ترتيبه وجمعه، وجميل نية مؤلفه، وغير ذلك من الأسباب...»^(١) قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (الرعد: ١٧).

وبالإضافة لكل ما ذكر من أهمية عن التدوين التاريخي ففوائد التدوين عن المصلحين والمتطوعين ومبادرات التطوع تتعدى ذلك إلى: التذكير بالدعاء لهم والترحم عليهم عبر العصور والأزمان، كما أن تناقل الأحفاد والأسباط سير آبائهم وأجدادهم يُعد من وسائل الاعتزاز المشروع والاقتداء الحسن بمن سبق، والذي من شأنه شحذ العزائم، وإعلاء الأمم والهمم.



إن التاريخ لو نطق لقال: حياة هؤلاء وأمثالهم تجربة تستحق التدوين، ففي تاريخ الرجال والنساء من وطننا المبارك تجارب ثرية وقصص كثيرة تسهم في تشكيل الصورة التاريخية للحياة الاجتماعية في زمن كان التدوين فيه عن الحياة الاجتماعية ضعيفاً أو نادراً، وإذا كان هذا التدوين التاريخي مندوباً أو واجباً بحق الوطن أو ساكنيه من جميع فئات الناس والصالحين منهم بشكل أخص فهو بحق الأيوين

(١) انظر: «رسالة شهاب الدين المري» ص ١٠٢ في الجامع لسيرة شيخ الاسلام ابن تيمية لكل من: (محمد عزيز شمس، وعلي بن محمد العِمْران إشراف بكر بن عبد الله ابو زيد).

والأقربين أوجب وأدعى، ولا شك أن هناك تجارب في التاريخ الاجتماعي مهمة وكثيرة تحكي حياة كثير من الناس، وقد تكون أكثر أهمية وإثراء من هذه الترجمة في هذا الكتاب، لكن كثيراً منها - مع الأسف الشديد - لم ينل حظه من التدوين - كما سبق - .

إن هذه الترجمة وما يماثلها أو يفوقها يؤكد من جانب آخر على أهمية التطوع وآثاره البالغة في حياة الأمم وبناء المجتمعات والدول، وبالتالي على قوتها على مستوى (الحكومات والشعوب) وانعكاس ذلك متانةً في العلاقة بين الحاكم والمحكوم من خلال الشراكة في بناء الدولة والولاء للدين وحب الوطن حيث التطوع والتبرع من أبرز قيم تعزيز الوطنية الحققة، وهذه هي القيمة الكبرى للتطوع. إن إحياء تاريخ التطوع والاحتساب بالتدوين ليس ترفاً فكرياً وهوامش على المتون، بل استعادة للوجه المضيء لهذه الفئة وللتاريخ المشرق لمن أرادوا بناء وطن لا يُفَرِّط بالهوية، ولا يُفَرِّط في اجتنب الحداثة اجتنباً يضع البلاد في عنتٍ مع الحياة وتوتر مع الاحياء. وأمة بلا تاريخ شامل مكتوب ومقروء تعتز به لا تستحق أن يكون لها وطن تنتمي إليه، والله الموفق.



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله وصفيه من خلقه نبينا محمد بن عبدالله الذي جعل من قيم التطوع والعطاء عقيدة وعبادة وتشريعات خالدة إلى يوم الدين، وفي هذه أسمى صور ما يُحقق العدالة الاجتماعية ويُقوي العلاقات الإنسانية ويُلبي الحقوق، ففي كل كبد رطبة أجر سواء للإنسان أو الحيوان، بل وللمسلم وغير المسلم، وعلى حدٍ سواء للسائل والمحروم وأما السائل فلا تنهر، وردوا السائل ولو بشق تمرة، وتتجاوز قيم الإسلام في العطاء للآخرين العطاء المادي إلى المعنوي ففي تبسمك في وجه أخيك صدقة، كما أن تلك القيم تكبح جماح الأغنياء وتهذب نفوسهم تجاه الآخرين، حيث الزكاة تؤخذ من الأغنياء فتدفع للفقراء وغيرهم بأصنافهم الثمانية، كما أن تشريعات العطاء تمنح جميع شرائح المجتمعات المسلمة فقيرها وغنيها كامل الحقوق، كما شرع المصطفى ﷺ بقوله عن سبق درهم مائة ألف درهم، وفي هذا تشريع عظيم في حق البذل التطوعي من الفقير قبل الغني، بل وبركة العطاء من الفقير ومضاعفته على عطاء الغني عند الله، مما يؤكد على أن الشراكة المجتمعية في التطوع والتبرع حق من حقوق الجميع المانح والممنوح والغني والفقير، وفيما سبق قليل من كثير عن تشريعات

العطاء والحقوق قبل أن تعرف البشرية في عصرها الحاضر قوانين حقوق الإنسان بمئات السنين، وقد جاءت قيم العطاء والتطوع في الشريعة الإسلامية رحمة من رب العالمين للناس أجمعين إلى يوم الدين.



التطوع بالنفس أو الوقت أو المال لا يُقدر بثمن لدى الأمة الإسلامية من خلال تشريعات دينها التي جعلت من المسلم ذكراً كان أم أنثى صغيراً كان أم كبيراً متطوعاً ومتبرعاً ومحسناً وموقفاً، والتاريخ شاهد على أمة قامت وتوحدت فنافست بأوقافها الحضارات الأخرى، كما أن التطوع والبذل التطوعي لدى الدول المتقدمة مادياً في عصورها المتأخرة أصبح معياراً من معايير التقدم ومقياساً من مقاييس الحضارة، يقول الشيخ صالح الحصين -رحمه الله-: «ما فتى الخبراء منذ العقود الماضية يُبدون عدم اقتناعهم بكفاية (دخل الفرد) معياراً للتقدم الحضاري، ولذلك راحوا يبحثون عن معايير أكثر دقة وصدقاً، فأتجهوا إلى المعيار (الإنساني) الذي يعني أنه كلما كانت البلد أنصع سجلاً في حماية حقوق الإنسان، وأكثر اهتماماً بالمصلحة العامة (والبذل التطوعي) كلما وجب اعتبارها أكثر تقدماً في السلم الحضاري، ولذا اعتبروا السويد البلد الأكثر تقدماً ورُقياً في أوروبا»^(١).



لقد حظيت الجزيرة العربية عموماً وبلاد نجد ومنطقة القصيم بشكل خاص - بفضل الله ثم بدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بدور ظاهر وبارز للعلماء وطلبة العلم والأئمة وما يصحب ذلك عادةً من مبادراتهم التطوعية

(١) من كلمة الشيخ صالح الحصين التي ألقاها ضمن فعاليات الندوة التي عقدها مركز الرحمانية الثقافي بالغايط في ١٩/١١/١٤٢٨هـ.

في معظم المجالات، وبرز ذلك في المعاجم وكتب السير والتراجم التي تُرجمت لعلماء و(مطاوعة) القصيم وبلداته^(١)، حيث تميزت واشتهرت بالعلم الشرعي والدعوة والتعليم بشكل مبكر عن غيرها من المناطق، لتصبح المنطقة الثانية -بعد الرياض- في صدارة القيادة العلمية، بل وموطناً للعلماء ومصدراً لإرسال القضاة والمطوّعين (المطاوعة)^(٢) والمرشدين إلى سائر الهجر والقرى، وتوجيه القضاة إلى سائر بلاد الحرمين بعد أن منّ الله عليها بوحدة الفكر في سياق وحدة العقيدة والشرعية، ولذلك فقد تميزت القصيم بأعمال فذة وفريدة في الدعوة والحسبة والإمامة وتحفيظ القرآن الكريم ومدارس التعليم الخيرية، وبرزت جهود المطاوعة فيها بالتطوع بأنفسهم وأوقاتهم لمجتمعاتهم وقراهم وبلداتهم، فوطّئوا القلوب ورسخوا العقيدة، وأخضعوا الأفكار والضمائر لهذا الدين العظيم، وبالتالي فقد أسهموا في وضع الأسس للوحدة الفكرية التي أثمرت بناء الأمن الفكري والاجتماعي ليكون ذلك منطلق وحدة الدولة والشعب، حيث أسهمت

(١) انظر كتاب (علماء من الرس) ومؤلفه حمد بن إبراهيم الحريقي، طبعة الذهبية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ومن الكتب التي ألفت عن علماء القصيم كتاب (آل سليم وتلاميذهم جزئين) ومؤلفه صالح بن سليمان العمري، مطابع الإشعاع، الرياض - السعودية.

(٢) جمع «مطوّع»: اسم فاعل بمعنى يطوّعون الناس للدين، وجمعها مطوّعون أو مطوّعة حسب كتابات الغربيين، و«مطوّع» اسم مفعول بمعنى طوّعه الدين، وهذه الأخيرة جُمعت بالعامية (مطاوعة) وهي الشائعة بين عامة الناس، وكلا التسميتين معبرتان عن حقيقة دور المطوّع ولكن الأولى اسم الفاعل أقرب إلى الصواب، وأطلقت هذه الكلمة في نجد وما حوّلها على الذين يشتغلون بالدعوة وتطويع الناس لسلطان الدين، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...} سورة التوبة من الآية ٧٩، بتشديد الطاء «المطّوّعين» بسبب إدغام التاء في الطاء بمعنى الذين يتطوعون، والمطوّعة: الذين يتطوعون بالجهاد - قال ابن الأثير: أصل المطويع المتطوع فأدغمت التاء في الطاء، وهو الذي يفعل الشيء تبرعاً من نفسه. (أنظر ابن منظور، لسان العرب، الجزء ٥، ص ٢٧٢٢، طبعة دار المعارف)، وكتب الدكتور سليمان ابن إبراهيم العايد بعد مراجعته مسودة هذا الكتاب تعليقاً فرّق فيه بين العالم والمطويع والمحِب، فيما قال فيه عن المطويع: «الغالب فيه أن يكون محتسباً، ويكون المرجع في القرى والهجر، وعلمه لا يتجاوز -في الغالب- رسائل الدعوة، ومختصراتها، وبعض الكتب التي تعنى بالسلوك والتربية؛ مثل مختصر منهاج القاصدين، وتبليص إبليس، والتبصرة، وحادي الأرواح، وكتاب الكبائر، وما كان من هذا الباب، ونحوها. وليس بالضرورة أن يكون لديهم القدرة على الاجتهاد، والفتوى. وليس بالضرورة أن يكون الداعية أو المحتسب مجتهداً في العلم، أو مقدّماً فيه، فكم من مقدّم في العلم جانب الاحتساب عنده ضعيف، فحسابات الاحتساب والتطوّع قد تختلف عن غيرها».

هذه الوحدة الفكرية بشكل مباشر وغير مباشر في توحيد المملكة العربية السعودية سياسياً بعد توحيدها منهجاً وفكراً بالمنهج السلفي.

وفي السياق نفسه عن التطوع وأبطاله ورموزه فقد انحصر التطوع إلى حد كبير في بدايات بناء الدولة السعودية الثالثة على فئات معينة يأتي في مقدمتها فئة المطوّعين (المطاوعة) من أئمة المساجد والعلماء فتراهم معلمين ومرشدين ومحتسبين ورجال دعوة وعُمال إغاثة ومساعدات بوصفهم وسطاء خير بين الموسرين والمعسرين، بل وسعاة إلى التوفيق بين الأسر في الزوجات وتوثيق عقودها، والإصلاح بين الناس، وكفالة الأيتام، وتغسيل الموتى، وحفر القبور، بل وبناء المساجد والمدارس الخيرية وغير ذلك من الخدمات الاجتماعية، وكفى أن الترسيم والمأسسة لتلك الأعمال - بعد استخراج النفط ومضاعفات الثروة والوفرة - أصبحت المراكز الحكومية المعنية بالخدمات العامة والبلديات والهيئات الرسمية والجمعيات الخيرية والمؤسسات الأهلية مجتمعة مسؤولة عن القيام بتلك الأعمال والخدمات، مما يكشف عن حجم الإسهامات الكبيرة التي قام بها المتطوعون في فترات تاريخية مضت.

وإضافة إلى ما سبق فقد كانوا مرجعيات شرعية فقهية واجتماعية لدى مجتمعاتهم، ومقصداً لهم من عموم المجتمع، ولقد كان المطوّعون متطوّعين بكل ما يستطيعون من أفعال وأقوال.



لقد كان أحد هؤلاء المتطوعين في هذا الوطن المبارك والدنا وشيخنا عبدالله بن سليمان بن ناصر السلومي^(١) أحد الأعلام والأشخاص المؤثرين في مجتمعاتهم لاسيما بأعماله التطوعية المبكرة مما تطلب الكتابة عنه.

(١) هو المعروف (بالشيخ) على حد وصف بعض العلماء والمشايع له من خارج الرس، و(مطوّع الشنّة) كما يصفه آخرون.

إن من دواعي تدوين تجربة الشيخ في أعمال التطوع والحسبة والبرامج الدعوية هو أهمية عرض أنموذج مبكر من التطوع من خلال ترجمة متطوع، لاسيما معرفتي بحقيقة دوره، فقد عشت في كنفه وتربيت في ظلاله، والكتابة عنه من شخص عارف به ومطلع على أحواله وسيرته مدعاة في التوثيق للمعلومات، حيث المعاشية والمشاهدة بالكتابة في التراجم عنصر قوة في التوثيق، وذلك مما يسهم في توضيح الصورة التاريخية والاجتماعية لحقيقة دور المطاوعة والتطوع في تاريخ بلادنا المباركة، بل وأثر التطوع في قيام دولة التوحيد الناشئة -الدولة السعودية الثالثة- في فترة التأسيس، ثم في مرحلة البناء التالية لها.

وإضافة لما ذكر من بواعث الترجمة والكتابة عن الشيخ عبدالله السلومي أن كثيراً من محبي الشيخ المطوع العارفين ببعض أحواله طلبوا مني شخصياً الكتابة عنه وتدوين تجربته الدعوية والتربوية والتطوعية وتسجيل كلماته وحكمه ومواقفه الاحتسابية، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: فضيلة الشيخ صالح الحصين -رحمه الله- الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي -سابقاً-، عضو هيئة كبار العلماء والذي قال لي شخصياً عدة مرات: «والدكم صاحب (تجربة فريدة) من الخسارة أن تُنسى، وأن لا تبقى للأجيال، والدكم ليس شخصاً عادياً من ناحية همّته ومن ناحية فكره ومن ناحية خبرته وتجربته في الحياة»، وقال مرة أخرى مذكراً بوجوب تدوين الترجمة عنه: «إن الوالد شخصية يجب أن لا تُنسى، وحسب ما سمعنا عن والده فالعائلة سلسلة ذهبية من والدهم سليمان إلى أبنائه وأحفاده»^(١) ومن هؤلاء أيضاً فضيلة الشيخ صالح بن سليمان الهبدان^(٢) الذي قال لي شخصياً

(١) هذا الكلام مما قاله الشيخ صالح الحصين عام ١٤٢٦ هـ، وأكد هذا القول عدة مرات، ومن ذلك تأكيده بتاريخ ١٤٣١/٥/٢٦ هـ أمام فضيلة الشيخ عبدالله المنيع عضو هيئة كبار العلماء، وكذلك تكرار التأكيد بالرياض بتاريخ ١٤٣١/٦/١ هـ.

(٢) الشيخ صالح بن سليمان الهبدان من أمناء وقف الشيخ سليمان الراجحي، وهو إمام وخطيب مسجد الراجحي بالرياض، وكان ذلك بتاريخ ١٤٢٥ هـ.

«سجلوا تجربة والدكم فالأيام تمضي»، وقد ذكر النتائج الإيجابية لتدوين بعض الجوانب من تجربة الشيخ سليمان الراجحي، وكذلك كانت مشورة أبرز الوعاظ المرشدين وهو الشيخ الواعظ المرشد عبدالعزيز بن صالح العقل^(١) من بريده، وكذلك الشيخ عبدالعزيز بن عبد الرحمن اليحيى^(٢) رجل الحسبة والدعوة الذي حرص منذ زمن طويل على أن يكتب بنفسه تدوين تلك التجارب الاجتماعية التاريخية عن عبدالله بن سليمان السلومي ووالده، إضافةً إلى غير هؤلاء من أصحاب الكلمة الصادقة وأنصار المواقف الاحتسابية المتميزة لاسيما الحريصين على تدوين الحقائق التاريخية خدمة للدين، ونصرة لتاريخ التطوع والتبرع في بلاد الإسلام (بلاد الحرمين).

ثم إن الكتابة عن (الوالدين) وأمثالهما من البر والإحسان، وهي مما يؤكد الواجب الملقى على الأولاد والأحفاد في الكتابة عن والديهم كل على قدر استطاعته ومقدرته في ذكر محاسنهم ومحامدهم للاستفادة من تجاربهم الثرية، فالاهتمام بنشر ثقافة الوعي بالقدوات مطلب شرعي.

كما أن هذه الكتابة تحقق رغبتي الشخصية وآمال معظم إخواني وأسرتي، ولعل ما سبق من الدوافع والأسباب كافٍ وموجب للكتابة عن أحد رموز التطوع وتلك مسؤولية كبيرة تجاه هذا المشروع المتعدي نفعه.

(١) الشيخ عبدالعزيز بن صالح العقل من مواليد عام ١٣٦٠هـ، من الدعاة المحسنين والمتطوعين في منطقة القصيم، واشتهر بالجلولات الدعوية على مستوى المملكة واعظاً محسباً، ثم أستاذاً محسباً في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود بالقصيم، ثم جامعة القصيم، وهو من خيرة أصحاب وأصدقاء المطوع الشيخ عبدالله السلومي الذي شاركه في بعض جولاته الدعوية.

(٢) هو الشيخ عبدالعزيز بن عبد الرحمن اليحيى من طلاب العلم والمحسبين في بريدة من مواليد عام ١٣٧٣هـ، وقد تقلد مناصب كثيرة منها رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بريدة، ثم شغل رئيساً مكلفاً للهيئة في الحرم المكي الشريف فترة من الزمن، ثم رئيساً للهيئة في منطقة نجران، ثم رئيساً للهيئة في المنطقة الشرقية، ليكون بعد ذلك من الدعاة المتفرغين التابعين لوزارة الشؤون الإسلامية في منطقة القصيم.

وذلك ما أوجب عليَّ شخصياً أن أستعين بالله وأبدأ باستكتاب بعض محبي المعني بالترجمة ورواد مجلسه (القهوة)، أو ممن عرفه وتعامل معه ممن لا يزال حياً من بعض أقرانه، أو من تلاميذه وكان عملي في معظم ما كُتِبَ النقل عمن كُتِبَ، أو النقل عما سمعته بنفسي منه شخصياً أو سمعته غيري منه، ولم أقصد باستكتاب هؤلاء الثناء عليه أو المديح على وجه الخصوص، لكنني وجدت أن لكل من هؤلاء تجربته أو ذكرياته مع الشيخ المطوع وله أن يسجلها بطريقته الخاصة، ولهذا الاعتبار لم أحدد معهم نقاطاً معينة أو طرقاً خاصة للكتابة، بل لكل واحد حقه في المشاركة بما يتعبد الله به، فكانت مشاركة من بعضهم ومبادرات من آخرين أدركوا أهمية التدوين عن هذه الترجمة وما فيها من تجارب ثرية، مع الحرص على إبعاد كل ما يؤثر على الحياد والمنهجية العلمية من ثناء الولد على والده، حيث الثناء من الأولاد قد يعطي شعوراً بالمبالغة أو انطباعاً غير مقصود، ومع هذا فإنني لا أستطيع أن أبرئ نفسي من العاطفة الملازمة فطرياً للأبناء تجاه آبائهم.

مع العلم أن بعض الأقوال التي تفيض حباً وثناءً على (الوالد) لم أحرص على إضافتها، لرغبتني في المحافظة على تحقيق هدف ارتباط الترجمة بالدروس والعبر من خلال (تجربته التطوعية الاحتسابية الخيرية)، وليس تسجيل مآثر شخصيه فحسب، والذي سجلته هنا كان نزولاً عند رغبة بعض الأوفياء والمحبين لشيخهم من تلاميذه ورواد مجلسه أو ديوانيته (القهوة)، وبالرغم من الحرص على أن تكون طبيعة هذا الكتاب بعيدة عن المآثر والمحامد، مُركّزة على جوانب الاستفادة من (تجاربه) في حياة الدعوة والاحتساب، إلا أنها قد تكون جمعت بين الأمرين، وفي هذا المقام فإني اعتذر من قراء هذا الكتاب عن ما رود فيه من تكرار أو استطراد عن بعض الصفات نتيجة تعدد أقوال المشاركين في الكلمات وتشابهها أحياناً.

وأنا أكتب في هذه الترجمة لمست عملياً سنة الله في حفظ حقوق عباده فلكل إنسان مكانته ومنزلته عند ربه، وبالتالي عند خلقه^(١) كما ورد من حديث طويل وفيه قال ﷺ: (مَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ)^(٢).

وفي هذا المقام فإن ما كُتِب من مسودات هذا الكتاب في حياة المعني بالترجمة لم يطلع عليه ولم يُخبر به لاعتبارات معينه عند المؤلف، علماً أن الكتابة في السير والتراجم ملكٌ للأمة وليست ملكاً للمترجم لهم^(٣) لاسيما في حالة علمهم ورفضهم لذلك^(٤).



وعن منهجي في التدوين: فقد حرصت على اتباع المنهج العلمي في الكتابة الشاملة لما عُرف من أعمال مربينا وشيخنا، فلم أُغفل أو أتجاهل تسجيل بعض

(١) لمست ذلك جلياً أن الحق وكلمة الحق لا تضيع، فقد وَجَدْتُ -على سبيل المثال- خطابات مكتوبة بخط يد والد المترجم عنه هنا، وهو سليمان بن ناصر السلومي -رحمه الله- وكانت تلك الخطابات موجهة منه لبعض القضاة، وذلك بعد مرور حوالي سبعين عاماً على كتابتها، ولم يكن الحفظ لها في السابق ممنهجاً بهدف الحفظ، ولكن الله خير حافظ للحق وكلماته وقد وُضعت في موضعها في كتاب عن سليمان بن ناصر السلومي (ترجمة مستقلة).

(٢) صحيح مسلم، الجزء الخامس ص: ٤٦، باب (بَابُ فِيمَنْ يُتَنَبَّأُ عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى).

(٣) كتابة التاريخ بأحداثه وتدوين التراجم يُعد حقاً عاماً، ولو كان حقاً خاصاً لما وَجَدْتُ كتب التاريخ والتراجم، وعلى سبيل المثال فابن سعد في طبقاته، والذهبي في سير أعلام النبلاء وغيرهم كثير لم يَسْتَأْذِنُوا من كتبوا عنهم.

(٤) يلاحظ أن بداية الكتابة كانت قبل وفاة المعني بالترجمة، وتم الاكتفاء بالقراءة على الشيخ قبل وفاته بثلاث سنوات بعض ما يتعلق بموضوع مجلسه أو ديوانيته المسماة (القهوة) من هذا الكتاب وهو المبحث الخامس: (قهوة أبي سليمان) وما ارتبط بها من بعض القضايا العلمية من المعاني والمفاهيم الخيرية وحرية الحسبة التي انطلقت منها، وكانت القراءة عليه تحت مسمى تكملة ما كتبه الدكتور / مصطفى السيد عن القهوة كتجربة علمية تطوعية، وهدفي من القراءة أملاً في التصحيح لما كتبه والزيادة عليه، لاسيما أن عمر هذه (القهوة) طويل تمتد لأكثر من ستين عاماً وهي ثرية بكثير من التجارب التطوعية، ولم أستطع معاشتها في كل أطوارها ومراحلها بالرغم من أنني أحد أبنائه، فنشأتها المبكرة وظروف الدراسة والعمل بعيداً عن القهوة كانت من العوائق عن المعاشة الكاملة لها.

الاجتهادات -المأجورة إن شاء الله - التي قد تبدو غريبة أو مثار جدل^(١) لاعتقادي أن تدوين كل شيء -حتى لو كان في ظاهره سلبياً- مما تقتضيه الأمانة التاريخية وأخذ العبر والدروس، وقد تكون تلك الاجتهادات خاطئة -عند البعض- لكن قد يراها آخرون صحيحة عند ربطها بواقع ذلك العصر أو ملاسبات الحدث مما سوف يرد في المبحث (الثالث) من هذا الكتاب بعنوان: (الشيخ بين مرحلتين).

كما حرصت أن تكون الترجمة غير تقليدية، لاعتبارات علمية، ومقتضيات تاريخية، يؤكد لها تفاعل وتداخل العلاقات القوية بين كل من الاجتماع والسياسة والدين، فالانتفاع بمثل تجارب هؤلاء يقتضي تجاوز الحياة الشخصية وربطها بالجوانب العلمية مع الحياة الاجتماعية والدينية العامة، والأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي للمجتمعات في تلك الفترة الزمنية.

وقد اجتهدت في تحري دقة المنهج الصحيح في التدوين صحة النقل عن الآخرين، وأهمية معاشيتهم ومعاصرتهم له -رحمه الله-، فإن كان ذلك صواباً فهو خير وفقني الله إليه، وإن كان غير ذلك من خطأ غير مقصود فاستغفر الله مع تقديري لمن دلني على الصواب في أية معلومة احتاجت إلى تصحيح أو إضافة.

كما قمت بتخريج الأقوال الواردة من الأقوال أو الاستدلالات أو اللفظات العلمية في الكتاب من مصادرها ومراجعها، ولا سيما ما ورد عن ابن القيم وابن تيمية، وذلك لتحقيق المنهجية العلمية اختصاراً على القارئ، وتحقيقاً للفائدة المرجوة،

(١) الاجتهادات الصغيرة قد تكون مثار جدل في حياة المطوع (الشيخ)، وهي أمر يسير في خضم كثير من الإيجابيات -حسب سنن الله في خلقه- كما هو حال معظم البشر، والخطأ عند المخلصين يقود للصواب، فهو مثل الهزيمة التي تقود للنصر، والمجتهد مأجور على أية حال، مادام قصده فعل الخير، وكما قيل: ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تُعد معاييه.

[نسب بيت الشعر إلى عدة شعراء منهم: يزيد المهلب، وعلي بن الجهم، والصنوبري وقيل بشار بن برد وقيل غير هؤلاء وانظر: أحمد الجراوي ت (٦٠٩) في كتاب مختصر صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب الجزء الثاني ص ١٢٤٧].

وذلك ما تطلب جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً لم يقل عن الجهد المبذول في جمع وتأليف المادة العلمية التاريخية عن الترجمة.



اشتمل هذا الكتاب على تمهيد عن أهمية التدوين في كتابة التراجم وأهمية إبراز التاريخ الاجتماعي التطوعي على وجه الخصوص، ثم تلا ذلك مقدمة أبرزت فيها أهمية التطوع في التاريخ الإسلامي، وأثره على تطور الأمم والدول المعاصرة، ثم عن دوافع كتابة هذه الترجمة ومنهجية البحث والكتابة عن الترجمة، وشمل الكتاب سبعة مباحث، اخترت أن تكون البداية عن البعد المكاني للمترجم عنه في (المبحث الأول) نظراً لأهمية تكامل الصورة الذهنية التاريخية للترجمة، ويُعدُّ هذا المبحث مدخل لبقية مباحث الكتاب وذلك ما يقتضي الإيجاز في عرض معلوماته. وكان (المبحث الثاني) عن سيرته الذاتية ومكانته الاجتماعية، و(المبحث الثالث) عن بعض الملامح الخيرية والدعوية من سيرته العلمية والدعوية، ومراحل حياته العلمية والدعوية، كما تم إفراد (المبحث الرابع) عن لفتاته العلمية وتنبيهاته الفقهية وحسبته واحتسابه، وخُصِّص (المبحث الخامس) للحديث عن مجلسه أو ديوانيته (قهوة أبي سليمان) نسبة إلى تجهيز القهوة من داخلها التي هي قهوة الحسبة وحرية الكلمة، وهي المسماة بـ(قهوة ابن قيم الشنانه) وقهوة الخيرية... الخ من مسمياتها التي أسهمت في إثراء الكتابة عنها، ونظراً لأهمية تلك القهوة لصاحب الترجمة ولأنها مشروع أبي سليمان ومبادرته، ولأنها ركن من أركان شخصيته - كما سيأتي - تم إفراد هذا المبحث الخاص عنها بشكل مستقل، بل إن هذا المبحث قد يكون العمود الفقري العلمي للكتاب، والقهوة تجربة فريدة - في نظري - تستحق أن تُدرس بتأمل وعناية، وما كُتِبَ عنها كان اختصاراً شديداً عن دورها وأثرها، وكان إفراد (المبحث السادس) عن أبرز أنموذج من الأعمال التربوية

التطوعية وهي (حملة الحج الخيرية التعاونية) وجاء (المبحث السابع) عن رسالته الخيرية في مسجده ومع تلاميذه من الجيلين، وقد اقتضت متطلبات تلك المباحث (السبعة) الكتابة عن أهم النتائج في هذا البحث الاجتماعي وقد أسميته: التاريخ بين الاجتماعي والسياسي تحت عنوان: (ما قبل الخاتمة) ثم (خاتمة) تَوَجَّتُ بها نتائج البحث وأهم دروسه وعبره وتوصياته.

لقد كان التعاطي مع تأليف مادته العلمية على أنه مشروع علمي بمكوناته ونتائجه وثمراته يخضع للمنهجية العلمية في التأليف.

كما عَرَضْتُ بعض مسودات هذا الكتاب بين حين وآخر على بعض أولاد الشيخ عبدالله السلومي فعَدَّلُوا وأضافوا، وقد راجعه واستدرك عليه معالي الشيخ صالح الحصين - رحمه الله - في مسودته الأولى عام ١٤٣٠ هـ فكان توجيهه بملاحظات علمية أساسية وجوهرية أسهمت في دعم وجهة الكتاب العلمية ورسالته التطوعية، فكان الحذف وكانت الإضافات المطلوبة فيما بعد ذلك، كما راجعه ودَقَّقَ بعض معلوماته مجموعة من طلاب العلم من أصحاب الشيخ أو رواد قهوته، إضافة لآخرين متخصصين في العمل الخيري والاجتماعي، أو الجانب التاريخي والقانوني، وكان للمتخصصين في الجوانب اللغوية والعلمية نصيب وافر.

وفي ختام هذه المقدمة أسجل شكري وتقديري لكل من أسهم في المشاركة المكتوبة، ومن أبرز هؤلاء الشيخ عبدالله بن محمد بن صالح الخليفة، كما أثني بالشكر والتقدير لكل من أسهم بالمراجعة والتصحيح وعلى رأس هؤلاء الدكتور مصطفى بكري السيد، والدكتور علي بن ابراهيم النملة، والشيخ محمد بن صالح الزيدي، والشيخ محمد بن عائض القرني، والدكتور عبدالله بن حماد القرشي، والدكتور منصور بن محمد بن سعيد الغامدي، والدكتور محمد بن سعيد القحطاني، والدكتور سليمان بن ابراهيم العايد، والدكتور محمد بن ناصر الكثيري، والأستاذ علي بن صالح الزيدي، والدكتور أحمد بن علي الضلعان، والشيخ خليفة بن بطاح

الخزي، والأستاذ محمد بن ضيف الله الحزاي، والدكتور عبدالله بن سالم الخلف، والشيخ عبد الرحمن بن علي بن جمعة الرثيع، والدكتور عبدالله بن صالح الحمود، والدكتورة اسماء بنت محمد السلومي، وغيرهم ممن راجع بعض مباحث الكتاب أو بعض موضوعاته.

وفي هذا المقام أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتغمد ابني الفقيه عبد الملك بواسع رحمته فقد شارك في تصحيح بعض مباحث هذا الكتاب عبر مسوداته المتعددة وكرر التصحيح لمقدمته عدداً من مرات المراجعة [انظر عن ترجمته وراثته الملحق رقم (١)].

ولقد كانت هذه المراجعات العلمية من هؤلاء الفضلاء للاستنارة بكل رأي وملاحظة علمية تخدم هدف الكتاب ورسالته، وادعو الله أن يجزي الجميع خير الجزاء على وفائهم وما قدموه من كتابات ومشاركات وتصحيح.

والله أسأل أن يتقبل عملاً أريد به وجه الله من برٍ ووفاء، ونشر لسير وتراجم القدوات في عصر عزّت وقلّت فيه تلك النماذج التي نذرت نفسها ووقتها وتطوعت بجهدهما وما تملك لله والنفع لعباده، متمثلة بقول باريها سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

والله موفق والهادي إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم على نبينا وقدوتنا وسيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد بن عبدالله السلومي

بتاريخ ١٤٣٥/٤/٢٩ هـ

info@the3rdsector.org

1

المبحث الأول



الإطار المكاني المباشر: (الشنانة في التاريخ)



لدى (الشنانة) قد أودعتُ وجداني وفي رُبي (الرس) أصحابي وخلاني
وقلتُ مستنزلاً سُحِبَ السَّما مطراً على (الشنانة) من آنٍ إلى آنٍ
(الشاعر: محمد الشهري)

الأهمية التاريخية للشنانة:

الحديث هنا ليس عن تاريخ الشنانة بصفة كاملة، وحققها أكبر من هذه الإشارات السريعة، لكن الترجمة لواحد من رجالها يقتضي إضافة بعض المعلومات المختصرة والمهمة المرتبطة بموضوع الترجمة في هذا الكتاب، حيث أهمية البعد المكاني أو الجغرافي للترجمة، لإضفاء التكامل مع محتويات هذا البحث، ولتحقيق السياق التاريخي الاجتماعي والديني لهذه الترجمة، وتأقي أهمية الشنانة والرس من خلال الأهمية الجغرافية لموقعها كبوابة غربية لنجد، وهما من أول البلدات التي تقع غربي منطقة القصيم أمام الغزاة القادمين من الغرب خاصة ولاية مصر^(١)، وبالتالي كانت الأهمية التاريخية السياسية للشنانة والرس كأول خط دفاع عن القصيم بشكل خاص ونجد بشكل عام، كما أن الأهمية تتأكد من خلال أحداث الشنانة وهي الوقعة أو المعركة المعروفة باسمها والتي سجّل التاريخ فيها انتصاراً ضد أبرز خصوم الدولة السعودية الثالثة عند تأسيسها، وبهذا الدور وأدوار أخرى للرس تتكامل فيها الأدوار التاريخية للوطن والمواطنين في السياق التاريخي العام لتأسيس الوطن وحمايته^(٢).

الشنانة (الموقع والأهمية):

بكسر الشين المشددة، ونونٌ مفتوحة، فألف ثم نون ثانية فهاء بصيغة النسبة إلى (الشنان) والشنان شجر من شجر الحمض عندهم^(٣).

(١) يلاحظ أن الجنود المصريين الغزاة قد عسكروا أكثر من مرة في الشنانة ولعدة أشهر، بل إنهم أطلقوا على مكان معسكرهم (حزم النظام) ولا زالت هذه التسمية معروفة حتى اليوم، والموقع هو: شمال مزرعة العميري وغرب الخط الدائري الغربي للرس.

(٢) انظر معلومات إضافية عن الرس والشنانة كتاب تحت التأليف للمؤلف بعنوان: (الرس والشنانة ودورها التاريخي).

(٣) انظر: محمد ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، الجزء الثالث (خ - ش) الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

وهي بلدة أو قرية من قرى الرس الهامة يدل على ذلك مرقبها الهائل الارتفاع بالنسبة إلى ما يماثلها من مباني طينية آنذاك، والذي لا يزال قسم منه باقياً شاهداً على ما بلغته تلك البلدة من تاريخ وقوة في الماضي - كما سيأتي -.

وكان آخر عهدها بالعمران والازدهار عندما نزلها عبدالعزيز بن متعب بن رشيد إبان منازلته للملك عبدالعزيز بن سعود ومن معه من أهل القصيم - رحم الله الجميع - في عام ١٣٢٢هـ إذ عمد إلى نخيلها فقطعها بغية التدمير ولأجل أن يأكل جنوده جُمارها^(١). وقد هُجرت البلدة القديمة من ذلك الوقت، وأُنشئت بعدها نخيل ومساكن إلى الجنوب منها.

وتقع الشنانة على الضفة الجنوبية لوادي الرُّمة على بعد حوالي ٦ أكيال منه وعلى مجرى وادٍ يسمى (شعيب الشنانة) يصب في وادي الرُّمة^(٢).

وهي على خط عرض ٨٠، ٢٥° وخط طول ٤٥، ٤٣^(٣)، وفي عام ١٤٣١هـ اخترق أراضي قرى الشنانة قديمها وحديثها الدائري الغربي للرس، لتصبح الشنانة من أطراف أحياء مدينة الرس وملاصقة لمخططاتها البلدية.

وقد كانت الشنانة القديمة بلدة هامة تضم أسراً وعشائر متعددة، وتوصف بالديرة، كما كان يصفها البعض من القدامى بـ (البصرة) لكثرة نخيلها، وأُطلق عليها هذا الوصف بعض الناس تشبيهاً لها بالبصرة العراقية بصيغة التصغير، لكثرة النخيل فيها، بل كانت الشنانة مُصدِّرةً للتمور (الرطب)، وهو ما يُسمى (الخراف)، وكان الشيخ عبدالله السلومي ممن يتولى إيصال بعض هذه التمور إلى بعض أعيان الرس وتجارها كمهنة سابقة لوالده، ثم مهنة له فيما بعد ذلك، كما

(١) جمار النخل هو قلبها.

(٢) انظر: محمد ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض - السعودية الجزء الثالث (خ - ش) الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٣) عبدالرحمن بن عبدالعزيز الصويان، صفحات مطوية من تاريخنا الشعبي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية، ص ١٣.

اشتهرت الشنانة بنوعية رمانها الجيد الذي كان مطلوباً في أسواق الرياض وبريدة بعد أسواق الرس لتمييز نوعيته وطيب مذاقه.

سكان الشنانة بين القديم والحديث :

يذكر الشيخ عبدالله السلومي وأخوه صالح وهم من مواليد الشنانة وسكانها: «أن من سكان الشنانة الأصليين القدامى الشارخ من العجمان وهم الذين أسسوا ظلماً، وأقطعوا خليفة بن منيع جنوبها حينما قدم من أشيقر، ومن سكانها البلاع من الصيخان، والشايح والبغيليل، والصويان، وهم معروفون ومزارعهم معروفة، والراقي (وهم غير معروفين الآن بالقصيم)، والجديعي وهم معروفون ولهم الآبار المعروفة (قلبان الجديعيات) جنوب شرق ظلماً في الشنانة القديمة^(١)، والبريثني (وهؤلاء غير معروفين الآن)، ومن عوائل الشنانة القديمة الظواهر من حرب، والطاسان، والمعثم، والمساعد من المشرف من بني تميم، والمسعودي من شمّر، والدهلاوي من شوارخ العجمان، وغيلان العنزي وكان ممن سكن قصر ابن عقيل وهو ممن باع بعض الأملاك على أولاد خليفة بن منيع، والعنزي يعد من أوائل من أحيا وأسس بعض القلبان (آبار) بالشنانة، وزرع بعض الأراضي بها، وله قلبان معروفة من أشهرها قليب غيلان بين برج الشنانة (المرقب) والرشيديّة، وكذلك من العوائل المشهورة في تاريخ الشنانة القديم البواهل وفي أرضهم بني مرقب الشنانة، وعائلة المهنا من المساعيد، وكانت أملاك الشنانة ومزارعها ويوتها مشاعة بين هؤلاء وغيرهم، ويُعد هؤلاء ممن أسسوا الشنانة القديمة، وقد تحول معظمهم إلى الرس وبعض هؤلاء باعوا أملاكهم على بعض رجال الخليفة أو أقطعوهم مثل مزرعة (ظلماً) من الشوارخ - كما سبق -».

(١) تقع على طريق الرس - الشنانة العام في مفترق طريق مرقب الشنانة.

سليمان بن عبدالله العميري^(١) وهو من سكان ومزارعي الشنانة القديمة، ولديه معرفة كافية عن السكان الأصليين للشنانة وأملاكهم، عدَّ وأحصى مزارعهم المعروفة بأسمائهم فقال: «كانت مزارع الشنانة معروفة بأصحابها وهي كالتالي: مزرعة فوزة للصويان، مزرعة الرشيديّة والمالّكين لها هم الرّشيد (وليس الرّشيد)، مزرعة الجنيزرية وفيها بُني مرقب الشنانة وهي ملك للبواهل^(٢)، مزرعة ظلما للشوارخ ثم بعد ذلك لخليفة بن منيع وأولاده الأربعة، وفوقها من الجنوب الشرقي قلبان البريثنيات، مزرعة الظاهرية للظواهر، مزرعة المانعية للمنيح من الخليفة، مزرعة العلاقية، مزرعة الصويانية للصويان، ومقاطير المساعيد (مساعيد المطية)، مزرعة محل الكرشان من المفيز مزرعة محل العيص من الرميح المفيز، مزرعة الوسيط للشوارخ، ثم أصبحت وقفاً للمسجد في الشنانة الوسطى (العلوة)، مزرعة البغيليل من الزهير، مزرعة محل العوفان (جد عوفان أبو مروة)، مزرعة محل الرشيد لعائلة الرشيد، مزرعة العلوانية للعلوان وهم من المفيز، مزرعة المصرقيّة للعميري والأصل للشوارخ، مزرعة القريشية للقريش، مزرعة مقطر الصويان للصويان، مزرعة الراقية ونفجة للعميري، مزرعة الخطيبية للعميري (من أهل عنيزة الآن)، مزرعة الرشيديّة للدباغ والخليفة، مزرعة الدهلاوي للدهلاوي وهم من العجمان، مزرعة الحنّينية لابن زايد، مزرعة محل الطاسان للطاسان تحت أرض الرشيدية، مزارع أبو مروة للصويان، مزرعة العبّوش بجوار الرشيدية، مزرعة العميري للعميري، مزرعة المعثم للمعثّم، وماسبق يُعدُّ من أبرز عائلات الشنانة القدامى، وأملاكهم معروفة في الشنانة القديمة، ثم تحولت بعض

(١) سليمان بن عبدالله العميري من مواليد عام ١٣٤٠هـ، وهو مزارع قديم مع والده في الشنانة السفلى، ولديه معلومات دقيقة عن أسر الشنانة القديمة، وتوفي - رحمه الله - في عام ١٤٣٣هـ.

(٢) كون المرقب بُني في أملاك البواهل قد يساعد في البحث التاريخي عن الباني الحقيقي والممول لبناء المرقب زمن تشييده، وتاريخ بنائه المختلف عليه.

الأملاك، وظهرت بعد ذلك أملاك أخرى بالشنانة الوسطى (العليا)، ومن ذلك مزرعة المقطر للرشييد مشترة من سليمان الخليفة، مزرعة محل السعودية مشترة من العميري للحوثل من الخليفة، مزرعة العلو للحوثل كذلك، وكذلك طلعت مقاطر البلطانية للبلطان وهم من (العجمان) وهم أول من أسس البلطانية، ثم مقطر نخيل للمحسن من عائلة الخليفة وهو أكبرها، ومقطر ثاني لخليفة المنيع، ثم مقطر الحسين من الخليفة، وكانت البلاعية التي قطعها ابن رشيد لابن بلاع وهم من الصيخان من بني خالد، وأعلاها جنوباً مشترة للخليفة المحمد من غيلان العنزي وهي الشنانة العليا وتسمى حالياً البلاعية، والكرشان شمال البلاعية عند الصُفِيَّة، مزرعة السباطي من الخليفة، مزرعة المحمد وهي على الشعيب الشرقي قبلة برزان لفرع المحمد من الخليفة، مزرعة برزان للسليمان من الخليفة (بعد ظلم)، مزرعة المنيعية للمنيع من الخليفة ثم السلومي بعد ذلك، مزرعة مزعة لعلي عبدالله الخليفة (الحوثل)، ثم لقطيان من الخليفة (بعد قطعة نخيل الشنانة)، محل حزم النظام^(١) لغيلان العنزي (غرب مزرعة العميري)، وشغية مسعود (مقطر المسعودي)، وكثير من أملاك الشنانة كان مؤسس قلبانها غيلان العنزي، ومن بعده ابنه صالح بن غيلان، وباعها على الصويان وعائلة خليفة وغيرهم^(٢) انتهى. ويقول الصويان عن ديرة الشنانة وسكانها يوم قطعها ابن رشيد عام ١٣٢٢هـ: «مكاننا مكان الصويان... والله إنها سبعمائة جذع... سبعمائة نخلة... كانت حوالي نصف الديرة (الشنانة)... عليها أربع قلبان كلها للصويان...، الصويان أربعون

(١) يلحظ تسمية (حزم النظام) أن أصل التسمية أطلقت من قبل جيش طوسون باشا الذي عسكر بعساكره المنظمة غرب الشنانة حوالي خمسين يوماً وذلك في عام ١٢٣٠هـ، وقد آل الموقع المذكور لغيلان العنزي، وابنه صالح من بعده.

(٢) تم السماع والاستقصاء عن هذه المعلومات السابقة من المذكور عدة مرات مشافهةً منه في شهر رجب ١٤٣٠هـ، وفي أعياد رمضان عامي ١٤٣١هـ، ١٤٣٢هـ بحضور ابنه عبدالله، وعبدالرحمن بن سليمان السلومي وغيرهما.

نفساً» والمؤلف الصويان بهذا التوصيف لسكان الشنانة يضع من عائلة الصويان ومزارعهم أنهم أكثرية سكانها زمن غزو ابن رشيد لها، بمعنى قبل حوالي (١١٤) سنة فقط من إعداد هذا الكتاب^(١)، وهذا ليس استقصاءً كاملاً لملاك وسكان الشنانة القدامى أو الأصليين، ولكنه عن أبرز العائلات التي أسست الشنانة قديماً.

عائلات الشنانة بعد قَطْعَة الشنانة:

يلاحظ أن الشنانة بعد قطع نخيلها من قبل عبدالعزيز المتعب الرشيد فيما عُرف بـ (قَطْعَة الشنانة) التي تلتها معركة الشنانة عام ١٣٢٢هـ، رحل معظم أهلها إلى مدينة الرس آنذاك وغيرها من المدن، وعُمِّرت الشنانة مرة أخرى بمزارع ومساكن أخرى جديدة في جهتها الجنوبية، وعن أبرز عائلات الشنانة فيما بعد تاريخها القديم قال الشيخ عبدالله السلومي بشيء من التفصيل: «قدم جَدُّنا هويشان وخليفة بن منيع من أشيقر - رحمهما الله - كما هو معروف عند العائلتين، وكانت الشنانة السفلى (القديمة) عامرة ببعض العائلات المشهورة آنذاك^(٢)، ووصل خليفة بن منيع إلى الشنانة فيما بعد ذلك، وكان الشوارخ مالكين لأرض (ظلم) شرق وادي الشنانة الشرقي، وظلما من الأراضي المجاورة للشنانة السفلى، وقد أقطع الشوارخ قبالة (ظلم) يعني جنوبها لخليفة بن منيع، وحدث نزاع بين خليفة والشوارخ على ظلم أدى إلى رحيل الشوارخ إلى أرض ما سمي بعد ذلك (المطية) التي استقر بها الشوارخ وزرعوها واستوطنوها، وأوصى خليفة بعد ذلك بظلم لأبنائه الأربعة، وكانت أربعة حيطان بأربع أبار (قلبان)، ثم صارت بعد ذلك، لعقبهم يعني آلت إلى (ذريتهم)^(٣)، وأبناءؤه هم الذين عُرفوا بعد ذلك بفروع

(١) انظر للمزيد عن الصويان المؤلف عبدالرحمن الصويان، (صفحات مطوية من تاريخنا الشعبي) ص ١٨.

(٢) سبق ذكر أبرزهم في كلام العميري سابق الذكر.

(٣) رغم وفاة أحد أبنائه وهو منيع قبل أبيه.

عائلة خليفة بن منيع، وهم أربعة حسب تسلسل أعمارهم: (المنيع)، و(العبدالله)، و(المحمد)، و(السليمان).

وكان قدوم جد الخليفة (خليفة بن منيع) وجد السلومي (هويشان) من (أشقر) بعد حروب حدثت بين المشارفة من تميم حوالي عام ١١٨٥هـ (منتصف قيام الدولة السعودية الأولى تقريباً)، ومما يؤكد تاريخ هذا القدوم تواريخ حروب المشارفة، وكذلك السنوات العمرية للأجيال، ووثيقة سليمان بن ناصر السلومي عن قدوم جده هويشان وخليفة بن منيع^(١)، ثم ما ورد في وثيقة نسب خليفة بن منيع ومُستراه للشنانة من آل غيلان بأنه ١٢٠٠هـ تقريباً، وكذلك ما ورد في الوثيقة السابقة عن مقتل ابنه منيع بن خليفة بن منيع في الدرعية، وكان سقوطها على يد إبراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ وكل ذلك أو بعضه مما يحدد تاريخ قدوم العائلتين.

أبيات تختصر الأدوار:

لقد كان لأهالي الشنانة والرس أدوار تاريخية يحسُن الرجوع إليها في مواضعها من كتب التاريخ والمعاجم الجغرافية سواءً في البطولات أو في مشاركة بعض علمائها ومطوعيهما في التوطين الفكري للعقيدة في نجد وغيرها بين قبائل البادية والحاضرة.

وهذه بعض الأبيات الشعرية التي فاضت بها قريحة أحد الشعراء وعاطفته فدعا للشنانة ولساكنيها، كما دعا لأهالي الرس، وأشاد بأدوار الجميع التاريخية، وكانت القصيدة بركاناً من المشاعر تجاه الشنانة والرس، وذلك على حد وصف أحد الشعراء المعلقين على تلك القصيدة الطويلة المتعلقة برثاء المطوّع سليمان بن ناصر

(١) انظر كتاب: (سليمان بن ناصر السلومي - الشخصية والرسالة) للمؤلف، من إصدارات مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع) الطائف - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ ص ٦٨، ص ٢١١.

السلومي، وفيها قال الشاعر^(١) قصيدته بعنوان: (تحية إلى الرس: على الشنانة من
آن إلى آن)^(٢)

- ١ - لدى (الشنانة) قد أودعتُ وجداني
وفي رُبي (الرس) أصحابي وخِلاني
- ٢ - أرض يهيم بها قلبي إذا ذُكرتُ
وإن بُعدتُ أثارَ البُعدِ أشجاني
- ٣ - فيها الأُحبةُ خِلالَ الوفاءِ بهم
تزهُو الديارُ ويسلو قلبُ هيمان
- ٤ - سعوا إلى النهضةِ الكبرى بلا كَلَلٍ
لوَحدةِ الصَّفِّ خَلَفَ القَائِدِ الباني
- ٥ - منهم دُعاةٌ وأجنادُ مجنَّدةٌ
مع المؤسسِ خاضوا كُلَّ ميدان
- ٦ - وقد محَضَّتْ (لسلومي) عاطفتي
بني (سليمان) ذاك الوالدِ الحاني

(١) الشاعر هو الشيخ محمد بن عبد الله بن ناشع الشهري، وهو الشيخ المري، والشاعر المعلم، مدير تعليم محافظة النماص سابقاً، من أصدقاء محبي سليمان السلومي رحمه الله. وقد وصفها الشاعر الشيخ محمد بن عائض القرني بعد مراجعته لها بأنها بركان من المشاعر، تلك القصيدة التي فاضت بها قريحة الشاعر محمد الشهري تجاه (الرس والشنانة) التي أنجبت المعنى بالقصيدة وأمثلة من الرجال، وكان للبلدين أدواراً تاريخية في إرسال المطوعين للهجر والقرى، كما سجّل التاريخ لتلك البلدين صفحات جهادية وبطولية مشرقة.

(٢) أصل هذه القصيدة كاملة مئة واثنتان وثلاثون (١٣٢) بيتاً من الشعر، وهي من عيون الشعر في المبحث الأخير من الكتاب المعني بترجمة (سليمان بن ناصر السلومي - الشخصية والرسالة - دور المطوعين في الوحدة الفكرية) المتوفى عام ١٣٩٩ هـ (عميد أسرة السلومي) تأليف محمد السلومي، والمذكور هنا اختيارات من القصيدة عن رثاء المطوع والمعلم الداعية المعروف في بلدة الشنانة من القصيم، المساهم في التوطين الدعوي في بلدة مسكة، ثم في الشنانة، ومن بعدها ضرية، ثم مهد الذهب ونسبه كالتالي: سليمان بن ناصر بن سليمان (السلومي) بن محمد بن هويشان، من آل مشرف من الوهبة من تميم، والكتاب معني بالترجمة عن المذكور.

- ٧- أَنْعَمَ بِجِدِّ سَعَى فِي الْخَيْرِ مُجْتَهِدًا
يَسِيرُ بِالنَّصِيحِ لِلْقَاصِي وَلِلدَّانِي
- ٨- دَعَا إِلَى اللَّهِ فِي صَدَقٍ وَكَانَ لَهُ
حُسْنُ الْقَبُولِ بِتَوْقِيرٍ وَعِرْفَانٍ
- ٩- مِنْ (الْقَصِيمِ) إِلَى (الْمَهْدِ) الَّذِي حَفَلَتْ
سَمَحَ الْمُحْيَا لِإِخْوَانٍ وَجِيرَانٍ
- ١٠- وَقُلْتُ مُسْتَنْزِلًا سُحْبَ السَّمَاءِ مَطَرًا
عَلَى (الشَّنَانَةِ) مِنْ آنٍ إِلَى آنٍ
- ١١- غَيْثًا مُغِيثًا عَلَى أَرْجَائِهَا غَدَقًا
يَسْقِي النَّوَاحِي بِصَافِي الْوَبْلِ هَتَانٍ
- ١٢- يَرُودُهَا ضَاحِكًا يَغْشَى مَنَازِلَهَا
يَرِيضُ فِيهَا عَلَى نَخْلٍ وَرُمَّانٍ
- ١٣- عَلَى رُبَاهَا وَفِي آفَاقِهَا دَرَجَتْ
سُيُوهُ عَبْرَ وَاحَاتٍ وَوُدَيَانٍ
- ١٤- بِهَا النَّخِيلُ الَّتِي تَزْهُو بِقَامَتِهَا
تُمِدُّ قَاصِدَهَا جُودًا بِقُنُونٍ
- ١٥- حَدَائِقُ النَّخْلِ وَالرُّمَّانِ بَاسِقَةٌ
بِحُسْنِهَا الْجَمِّ فَاقَتْ حُسْنَ بَطْحَانَ^(١)
- ١٦- فَرَحَهُ اللَّهُ تَغْشَاهَا وَسَاكِنَهَا
وَسَاكِنَ (الرَّسِّ) فِي رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ
- ١٧- سَيَرَ الْكَسِيرِ الَّذِي قَدْ عَاقَهُ سَبَبٌ
عَنْ عَادِيَاتٍ وَعَنْ طَيْرٍ بِجَنْحَانٍ

(١) بطحان وادي مشهور بالرمان الفاخر في بلاد زهران جنوب المملكة، وقد تفوقت الشنانة قديمًا على وادي بطحان بحسن رمانها.

- ١٨- وفي الحِثَامِ أَحْيِي (الرَّسَّ) كَمْ صَنَعَتْ
مَجْدًا، وَكَمْ نَسَرْتُ نُورًا لِحَيْرَان!
- ١٩- كَمْ قَدَمْتُ لِحِمَى الْأَوْطَانِ مِنْ بَطْلٍ
مُدَرَّبٍ غَيْرِ هَيَّابٍ وَلَا وَانِي
- ٢٠- يَا سَائِلِي عَنْ أَسْوَدِ (الرَّسِّ) مَا صَنَعَتْ؟
خُذِ الْجَوَابَ بِتَحْقِيقِي وَبُرْهَانِ
- ٢١- (الرَّسُّ) قَدْ وَضَعَتْ فِي الْمَجْدِ بَصْمَتَهَا
حَتَّى أَقَرَّ لَهَا الْقَاصِي مَعَ الدَّانِي^(١)
- ٢٢- و(لِلشَّنَانَةِ) مِنْ بَيْنِ الْقُرَى شَرَفٌ
فَاسْتَشْهِدِ الْكُتُبَ عَنْ وَعْيِي وَإِتْقَانِ^(٢)
- ٢٣- كَمْ صَاحَبَتْ فِي مَسَارِ الْمَجْدِ رَحْلَتَهُ
عَلَى تَعَاقُبِ أَحْدَاثٍ وَأَزْمَانِ
- ٢٤- تَرَعَى حَنِيفِيَّةَ الْإِسْلَامِ كَوَكَبَهُ
هُمْ لِلْمُوَحِّدِ كَانُوا خَيْرَ إِخْوَانِ
- ٢٥- وَحِينَ لَا حَتَّ بُرُوقِ النَّصْرِ سَاطِعَةً
تُشَاكِسُ الْمَوْتَ فِي تَوْحِيدِ أَوْطَانِ
- ٢٦- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَسْتُ أُسْتَرُهُ
عَنِ الْعُدُولِ وَلَا عَنْ مُشْرِكِ شَانِي
- ٢٧- وَأَلْفُ أَلْفِ سَلَامٍ اللَّهُ مُتَّصِلًا
مَدَى الْحَيَاةِ عَلَى مَثْوَى (سَلِيحَانِ)

(١) يرمز الشاعر إلى بصمة الرس التاريخية في هزيمة جيش إبراهيم باشا، وقد تميزت بذلك عن سائر البلدان.

(٢) يبحث الشاعر القارئ على الرجوع للمصادر والكتب التاريخية لقراءة دور معركة الشنانة في انتهاء أبرز خصوم الدولة السعودية الثالثة (آل الرشيد)، وذلك فترة التأسيس وتوحيد الوطن السعودي.

٢٨- وَأَلْفُ الْفِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا سَجَعْتُ

وَزُقُ الْحَمَامِ عَلَى دَوْحٍ وَأَغْصَانِ

٢٩- عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى أَرْكَى الْخَلِيقَةَ مَنْ

طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ مِنْ نَسْلِ عَدْنَانَ

ولعل في هذه الصفحات السابقة المختصرة جداً بمعلوماتها الموجزة ما يفيد عن البعد المكاني لصاحب الترجمة بما تقتضيه الترجمة ذاتها، ففي هذه البيئة تتحدد معالم شخصيته، حيث نشأ الشيخ عبدالله في بيئة دينية محافظة، وأسرة متدينة، وهذه البيئة زراعية حرفية قائمة على التعاون الاجتماعي، كما أن البيئة المجتمعية لها تاريخ من الشجاعة والكرم، والعمل التعاوني الخيري، مكتفياً بهذا عن الشنادة والرس ليكون فيما بعد ذلك بحثاً مستقلاً. -إن كتب الله في العمر بقية- ليضيف بعض المعلومات التاريخية وما تتطلبه الكتابة من تفسير للأحداث والوقائع التاريخية في كتاب تحت التأليف.



2

المبحث الثاني



الشيخ عبدالله بن سليمان بن ناصر السلومي (السيرة الذاتية)



لولا العزاءُ بِـ (عَبْدَ اللَّهِ) حِينَ سَعَى لِيُكْمَلَ السَّيْرُ فِي عَزْمٍ وَإِتْقَانٍ
يَخْطُو إِلَى الْمَجْدِ فِي آثَارِ وَالِدِهِ وَالْمَجْدُ لَا يُبْتَنَى مِنْ غَيْرِ أَرْكَانٍ
ابْنُ مَضَى لِمِرَاقِي الْعِزِّ بَعْدَ أَبِي فَقَامَ فِيهِمْ مَقَامَ الْوَالِدِ الثَّانِي

(من شعر محمد الشهري في مرثيته لوالد عبدالله السلومي)

ميلاده ونسبه ونشأته:

هو الشيخ عبد الله بن سليمان بن ناصر بن سليمان (السلومي)^(١)، والسلومي هنا هو لقب لسليمان بن محمد بن هويشان^(٢) من آل منيع، من آل مشرف، من آل وهيب (الوهبة) من تميم^(٣)، والسلومي ليس لقباً في نهاية النسب المعروف، فهذه الألقاب المستحدثة في الأنساب هي واقع كثير من العشائر والقبائل، [انظر عن النسب الرسم التوضيحي الملحق رقم (٢)]^(٤) وكان ميلاده في الشنانية سنة فتح الملك عبدالعزيز للحجاز عام ١٣٤٥ هـ^(٥)، وكان فطيمًا سنة السبله ١٣٤٧ هـ كما قالت له والدته سارة بنت منيع البليهد^(٦).

وإذا كان والده سليمان يُعد عميد أسرته حيث عُرفت الأسرة به، فإن الابن عبد الله يُعد شيخ أسرته حيث رسخ لأسرته مكانتهم حاضراً ومستقبلاً فيما بينهم في العلم والدعوة والاحتساب.

وكان الجدُّ الأول للعائلة هويشان قدم من (أُشيقر) مع جد عائلة الخليفة ليستقر الجميع في الشنانية، ويصبحوا فيما بعد أهلها الأصليين لاسيما بعد رحيل أهلها القدامى، وكان يسميه البعض (المطوَّع) كعادة أهل نجد لكل من تطوع في إمامتهم في الصلاة

(١) عن شهرة اسم عائلة (السلومي) المتأخرة، وعدم النسبة إلى عائلة (هويشان) انظر كتاب ترجمة سليمان بن ناصر بن سليمان السلومي (الشخصية والرسالة).

(٢) عن هويشان بحرف الشين، أو هويسان بحرف السين، انظر ترجمة سليمان بن ناصر السلومي.

(٣) سرد هذا النسب هو ما يتناقل مشافهة عند عائلة السلومي وما أشارت اليه وثيقة نسبهم، انظر ترجمة سليمان بن ناصر بن سليمان السلومي.

(٤) يلاحظ أن الرسم التوضيحي الوارد في الملحق رقم (٢) تم إيراد في هذا الكتاب تصحيحاً للخطأ المطبعي الوارد في ترجمة كتاب والده سليمان بن ناصر السلومي.

(٥) ما ورد أعلاه عن تاريخ الميلاد هو الصحيح لأن الوالد الشيخ يذكر ذلك عن والده، والمعروف أنه ولد بنفس اليوم الذي ولد فيه صالح بن محمد الحسحوس الخليفة، بالرغم من أن المسجل في حفيظة النفوس الخاصة به عن ميلاده عام ١٣٤٧ هـ وهو خطأ.

(٦) انظر: ترجمة والده سليمان بن ناصر السلومي معلومات وافية عن والدته سارة بنت منيع البليهد، وأخرى عن أختها فاطمة البليهد وزوجها فوزان المحمد الزامل ص ٥٥.

وإرشادهم، وهو الثالث حسب ترتيب الذكور من أولاد سليمان بن ناصر السلومي. وعاش الشيخ -كغيره من الناس- قبل انتشار السيارات والمحركات الأخرى حينما كانت وسائل النقل مخلوقات الله من الدواب مثل الحمار والناقة، فنقل التمور عليها من الشنانة إلى بعض أعيان الرس، وجلب الأعشاب كذلك عليهما من البراري، كما سنى على الإبل لرفع الماء وسقيا المزارع من الآبار (القلبان) قبل وصول -مكائن رفع المياه-^(١)، وركب الدراجة العادية الهوائية (السيكل)^(٢) في أول ظهور لها فترة طويلة من الزمن للتنقل بها بين حيطان النخيل أو المزارع لمزاولة مهنة التأبير فيها، وكان معروفاً بالسرعة الفائقة ومشهوراً بها، ثم ركب الدراجة النارية (الموتور سيكل)^(٣) المسماة (الدباب) وقد استخدمها لنقل التمور في موسم جني^(٤) التمر بين الشنانة والرس، وذلك لتوصيل (التمر) لبعض أهالي وأعيان الرس، واستخدم الأخيرة كثيراً في زيارته لإخوانه من تلاميذه وأحبابه في القرى المجاورة للشنانة، ولم يتعلم قيادة السيارة، لأن أبناءه كباراً وصغاراً قد كفوه مؤونة التنقل أو السفر. كتب الشيخ عبدالله بن محمد الخليفة مشاركته عن الشيخ عبدالله بن سليمان السلومي فقال عن نشأته وبعض ما تميز به: «نشأ الشيخ عبدالله مع شباب قرية الشنانة في بيئة فلاحين، ويشغل أهل البلدة كبارهم وصغارهم في أعمال الفلاحة وما يتعلق بها من رعاية أغنامهم وإبلهم التي يستخدمونها في سقي مزارعهم، وحيث كان والده

(١) كان أول وصول لمكائن رفع المياه للرس بالجنديلية لعائلة البطاح، وأم دباب لابن سليمان عام ١٣٦٨هـ، وأول وصول للمكائن للشنانة هي المكائن المسماة الرستن المشبوكة للرداحي والحيزي، ثم وصلت الرستن النائم للحويس والفهد في البلاعية من قرى الشنانة وذلك عام ١٣٦٩هـ حينما كان أحد التجار المشهورين يوردها ويبيعها بالدين على المزارعين، وكان من أهالي بلدة رياض الخبراء بالقصيم واسمه عبدالرحمن الميمان.

(٢) يذكر العم صالح بن سليمان السلومي المستورد للدراجات الهوائية للقرية، والمسوق لبيعها، أن أول وصول لها حوالي عام ١٣٧٣هـ.

(٣) يذكر العم صالح بن سليمان السلومي المستورد للدراجات النارية للقرية، والمسوق لبيعها، أن أول وصول لها حوالي عام ١٣٨٥هـ.

(٤) وتُسمى بالعامية خَرَافَها ويطلق على التمر في أول موسم نضجه (خَرَافَ).

سليمان - يرحمه الله - مطوع مسجد البلاءية بالشنانة وخطيبها فيما بعد ذلك، وكان متفرغاً لهذا العمل، ويُعلِّم أبناء القرية القراءة والكتابة والقرآن في أوقات فراغهم من أعمالهم الزراعية، وكان ابنه عبدالله متفرغاً من الارتباطات إذ ليس لوالده مزرعة، فكان متفرغاً وملازماً لأبيه، وقد حفظ القرآن مبكراً، وقد درّبه والده على الإمامة في هذا المسجد وعمره لم يتجاوز الخامسة عشر عاماً، بل كان والده يجبره على إمامة جماعة المسجد في صلاة التراويح حفظاً من دون مصحف، ثم الصلوات المفروضة فيما بعد ذلك، فأكسبه ذلك التدريب جرأة فاق بها أقرانه، ولهذا فقد أصبح إماماً منذ صغر سنه، وكان لذلك الأثر الواضح على أقرانه من شباب الشنانة».

وحينما رحل مع والده من البلاءية إلى البلطانية من قرى الشنانة (١٣٦٣هـ - ١٣٧١هـ) كان يخلف الإمام في مسجدتها، كما أنه صلى إماماً بعض الجمع والعيدين بمسجد الشنانة الوسطى المسماة (العلوة) قبل انتقاله لمسجده الذي أسسه في الجديدة من قرى الشنانة.

ومما هو معلوم أن حفظ القرآن آنذاك أو إجادته تلاوته كان محدوداً بأفراد معدودين جداً من المجتمع قبل انتشار التعليم ووجود جمعيات تحفيظ القرآن، فقد سافر الشيخ عبدالله عامي ١٣٧٠هـ و١٣٧١هـ إلى مهد الذهب ليكون إماماً للتراويح ومساعداً لوالده في إمامة المسجد هناك، ثم رجع ليؤسس مع جماعة مسجده (مسجد الجديدة بالشنانة) - كما سيأتي -.

زوجاته وأولاده (بنين وبنات):

تزوج من زوجته الأولى^(١) -رحمها الله-، وهو في أوائل العشرينيات من عمره، حوالي (٢٣) عاماً، وكان له منها سبعة من الذكور وخمس من الإناث، توفي أحد الذكور (أحمد)

(١) هي نورة بنت عبد الله بن صالح العضب الشارخ، والشوارخ من قبيلة العجمان، والعجمان من عشائر الرس القدامى، وانظر عن ترجمتها كتاب بعنوان: أمي مدرستي إعداد محمد بن عبدالله السلومي، وللحصول عليه إلكترونياً على الرابط التالي: <http://3rdsector.org/catplay.php?catsmktba=602>.

- رحمه الله - بعدما بلغ السابعة عشر من عمره بحادث مروري في الحجاز حيث كان مقيماً عند أحد إخوته في جدة، وتزوج الوالد زوجته الثانية أم خالد^(١)، وكان في أوائل الستينيات من عمره، ورزقه الله منها باثنين من الذكور وخمساً من الإناث ليكون له من الذرية جميعاً في آخر مولود له عام ١٤١٨ هـ ثمانية من الذكور وعشر من الإناث، وقد رباهم جميعاً على طاعة الله ورسوله ثم طاعة والديهم فأصبحوا قرة عين لوالديهم، وكان والدهم راضٍ عنهم جميعاً، ويدعو لهم بالهداية والصلاح والتوفيق طيلة عمره - تقبل الله دعاءه وأقر عينه بصلاحهم جميعاً إنه سميع مجيب -.

أولاده:

له من الأبناء تسعة وهم حسب التسلسل الزمني للذكور كالتالي:

١ - الدكتور سليمان بن عبدالله السلومي من مواليد ١٣٧١ هـ^(٢).

٢ - الدكتور محمد بن عبدالله السلومي من مواليد عام ١٣٧٣ هـ^(٣).

(١) هي: لولوه بنت عبدالله بن عبد العزيز (الحسحوس) الخليفة، والدها صديق خاص للشيخ السلومي، وتلميذ من تلاميذه تعلم وقرأ القرآن على يديه، وكان زواجه هذا بعد وفاة أبيها، وكانت لولوه زوجة للشيخ عبدالعزيز بن صالح العقل على حياة والدها - رحمه الله - وقد أنجبت له ابناً وبتناً، ثم تزوجت من الشيخ عبدالله السلومي لتكون ساعداً آخر من سواعد الخير والبر لزوجها أبي سليمان وقهوته سواء في أواخر عمر زوجته الأولى أم سليمان، أو بعد وفاتها.

(٢) أستاذ سابق في كلية أصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ومتخصص في دراسات (الباطنية، وأصول الإسماعيلية) كرسائل ماجستير ودكتوراه، رسالة الماجستير كانت بعنوان: (القرامطة) ورسالة الدكتوراه بعنوان: (أصول الإسماعيلية دراسة ونقد وتحليل)، وهو من المؤسسين لمكتب توعية الجاليات بمكة المكرمة، يعمل حالياً في برامج الفتيا في الحرم المكي الشريف.

(٣) أستاذ سابق في جامعة أم القرى، ومتخصص في التاريخ الإسلامي: رسالة الماجستير بعنوان: (دراسة عن ابن سعد وطبقاته (المؤرخ والراوي)، ورسالة الدكتوراه عن النقص في المطبوع من طبقات ابن سعد بعنوان: (الطبقة الثالثة من المهاجرين والأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها منهم من المهاجرين ممن أسلم فيما بين الخندق وفتح مكة)، جامعة ويلز - لامبتر - بريطانيا، له مشاركات وعضوية في بعض المجالس واللجان والجمعيات الخيرية داخلية وخارجية ومنها مؤسسة الوقف (هولندا - الرياض)، عضو مجلس نظارة وقف الملك عبدالعزيز للعين العزيزية (دورتين)، عضو مجلس إدارة المركز الدولي للاستشارات والدراسات الاجتماعية (مداد)، عضوية إدارة مجلس الصندوق الخيري الوطني (دورتين) وله عضوية في عدة جمعيات متخصصة بالتاريخ والآثار منها: جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومنها الجمعية التاريخية السعودية، وباحث في دراسات العمل الاجتماعي والخيري، ومن الكتب المنشورة له: (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب)، (ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب) (عشر لغات)، (القطاع الثالث

- ٣- الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله السلومي من مواليد عام ١٣٧٥هـ^(١).
- ٤- الدكتور ناصر بن عبدالله السلومي من مواليد عام ١٣٧٩هـ^(٢).
- ٥- الأستاذ عبدالرحمن بن عبدالله السلومي من مواليد ١٣٨٥هـ^(٣).
- ٦- صالح بن عبدالله السلومي من مواليد عام ١٣٩٢هـ^(٤).
- ٧- احمد بن عبدالله السلومي من مواليد ١٣٩٩هـ^(٥).
- ٨- يوسف بن عبدالله السلومي من مواليد عام ١٤٠٢هـ^(٦).
- ٩- عبدالحميد بن عبدالله السلومي من مواليد عام ١٤٠٧هـ^(٧).

بناته:

له من البنات عشر، وهن حسب تسلسل العمر الزمني الخاص بالبنات كالتالي: سارة، ومنيرة، وهيا، وفاطمة، وزينب وهن من الزوجة الأولى، وميمونة وصفية وحفصة، وعائشة، وأسماء وهن من الزوجة الثانية، وقد حرص على تسمية بناته

والفرص السانحة - رؤية مستقبلية)، (أمي مدرستي)، (سليمان بن ناصر السلومي - الشخصية والرسالة).
 (١) أستاذ في الدراسات العليا في جامعة أم القرى، ومتخصص في التاريخ والحضارة الإسلامية ورسالة الماجستير بعنوان: (ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون)، ورسالة الدكتوراه عن النقص في المطبوع من طبقات ابن سعد بعنوان: (الطبقة الرابعة من طبقات ابن سعد دراسة وتحقيق) وله من الأبحاث العلمية تحقيق مخطوط بعنوان: (الفروسية: السيوف وجواهرها) وله عضوية في عدة جمعيات متخصصة بالتاريخ والآثار منها: جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومنها: الجمعية التاريخية السعودية.
 (٢) أستاذ سابق في إدارة التعليم بمنطقة مكة المكرمة، ومدير حالي لإدارة مركز التدريب في إدارة التعليم حتى عام ١٤٣٤هـ، ورسالة الماجستير من جامعة أم القرى بعنوان: (الدروس النموذجية) والرسالة العلمية للدكتوراه بعنوان: (الاحتياجات التدريبية لمشر في التدريب التربوي بالملكة العربية السعودية) من جامعة أم درمان الإسلامية.

(٣) أستاذ سابق في إدارة التعليم بجده وحالياً موجه تربوي في الإدارة نفسها حتى عام ١٤٣٤هـ.

(٤) موظف حكومي (منطقة القصيم).

(٥) كان طالباً في الثانوية (توفي في حادث مروي في طريق جدة/ مكة السريع بتاريخ ٢٣/٥/١٤٢٠هـ) -رحمه الله-.

(٦) موظف حكومي (منطقة القصيم) حتى عام ١٤٣٤هـ.

(٧) موظف حكومي في كتابه العدل في الرس ابتداءً من نهاية عام ١٤٣٣هـ.

بأسماء أمهات المؤمنين كما كان يقول.

مصادر عيشه:

لم تكن مصادر العيش للمجتمعات السعودية قبل تدفق النفط سوى نتاج جهودهم ومحاصيلهم الزراعية، إضافة إلى منتوجات أبقارهم وأغنامهم المنزلية، ولقد كانت تلك المجتمعات تقوم حياتها على التعاون في معظم الاحتياجات، فقرى الشنانة مثل غيرها من القرى قامت على المجهودات التعاونية لأهاليها، وقد بنى الوالد ومجموعته كامل القرية (رجالاً ونساء) وبنوا مسجدتها ومدرستها الطينية الحكومية المستأجرة بعد مدرسة أبو سلوم الخيرية (مدرسة البلاعية - الشنانة)، وقد عاش المجتمع السعودي هذه الحياة التعاونية، ويذكر المعني بالترجمة أمثلة عن قيمة العمل التعاوني وحجم الإنتاجية بين الناس في ذلك الزمن، فمثلاً على مستوى جلب الحطب المستخدم للطبخ والتدفئة - قبل الغاز والكهرباء - قائلاً: «في موسم واحد دخل للشنانة (٦٠) شحنة حطب من شجر الرمث على سيارة (قلاي الحسحوس) وسيارة (قلاي الرداحي) كلها بالتعاون فيما بين الجماعة، وقس على هذا التعاون بناء بيوت الطين وبقية أمور الفلايح والزراعة والعناية بالتمر وغير ذلك».

وعلى مستوى العمل التعاوني في بناء المنازل يقول الشيخ: «فمعظم بيوت الشنانة الطينية (الجُدَيْدَة) بُنيت بعمل تعاوني وأحياناً قليلة بالأجرة بعمالة محلية، ويذكر عن نفسه أنه ومعه مجموعة من جيرانه بنوا ثلاثة مباني (بيوت طينية) في صيف واحد عام ١٣٨١هـ وهي بيت بطاح الخزي - رحمه الله - في ١/٥/١٣٨١هـ حسب ما هو مكتوب في أحد عروق الطين إلى اليوم في مبنى قهوة بطاح، وكذلك بنى مسجد المطية (القبلية) بخلوته ومنارته، وبيت الغفالي بالمطية، وكان إنجازها جميعاً بالعمالة المحلية، وكانت الأجرة اليومية لكل واحد سبعة

ريالات، وكان ذلك قبل معرفة العمّال والعمالة الوافدة.

وحينما بدأت بعض الوظائف العمالية المهنية للسعوديين سافر الشيخ كما يذكر عن نفسه إلى الظهران مع بعض أقرانه من المنطقة للعمل في شركة أرامكو بعد تدفق النفط الذي بدأ في عام ١٣٦٠ هـ الموافق ١٩٤٢ م، وكانت رحلته حسب قوله في أول عام ١٣٦٧ هـ ليحصل مثل غيره على مصدر عيش كريم من كسب يده، وقد تم اختياره أميناً من أمناء مستودعات السكر في الشركة، ولكنه رجع بعد حوالي تسعة أشهر من سفره ولم يواصل كغيره بسبب قناعته بأن هذا العمل ليس مناسباً له، وقد اكتفى بما حصل عليه من دراهم معدودة وكسب معرفي، وبعد رجوعه تزوج ثم بنى مسجد قريته (الجديدة) بالشنانة ليصبح إماماً متطوعاً محتسباً من عام ١٣٧١ هـ، ومع تحسن الظروف الاقتصادية للدولة وافتتاح مكاتب لإدارات الأوقاف والمساجد^(١) وبالتالي صرف مكافآت للأئمة والمؤذنين، وكان أخوه (صالح السلومي)^(٢) مندوباً لإدارة أوقاف عنيزة في الرس حيث كانت تابعة لها، فبادر من نفسه لتوظيف أخيه، يقول أخوه صالح: «إنه عمل على توظيف أخيه عبدالله إماماً رسمياً بعد فترة طويلة من احتساب الإمامة، فاستخرج له (حفيظة النفوس) من الأحوال المدنية بعنيزة عام ١٣٨٧ هـ^(٣) ووظّفه بموجبها بإدارة أوقاف عنيزة قبل أن يكون في الرس إدارة للأوقاف، وذلك بدون علمه

(١) افتتاح مكتب إدارة الأوقاف والمساجد في عنيزة عام ١٣٨٥ هـ، وافتتح مكتب إدارة الأوقاف والمساجد في الرس عام ١٤٠١ هـ.

(٢) صالح بن سليمان السلومي الساعد الأيمن لأخيه عبدالله وهو من الملازمين للمسجد قبل الأذان، وعرف عنه أنه يحتم القرآن في الأسبوع مرة واحدة، وفي رمضان يحتم القرآن عشر مرات، وفي السنوات الأخيرة كان ينوب أحياناً عن المؤذن في المسجد بصوت شجي وجميل، -جعل الله ذلك في موازين حسناته- وهذا عمل مبارك لنفسه وأخيه خدمةً لمسجده ولمجتمع قريته، وقد لازم الحملات الدعوية الخيرية في منتصف عمره مع أخيه عبدالله، كسائق سيارة مع الدعاة القادمين من خارج مدينة الرس ومع أخيه عبدالله المنظم لتلك الحملات لاسيما الحملات الدعوية للشيخ عبدالعزيز العقل، وله ترجمة مستقلة في كتاب والده.

(٣) حفيظة النفوس عدد ٢٤٩ / ١٣، ٩٠، محل الإصدار عنيزة، تاريخ الإصدار في ٢٣ / ٤ / ١٣٨٧ هـ، بدل مفقود.

أول الأمر، حيث لم يخبره بما فعل سوى أنه كان يتعهده بين حين وآخر ببعض المال ويفيده بأن ذلك مكافأة من إدارة الأوقاف»، والواقع أن الشيخ استوعب هذا الأمر وقبل به بالرغم من قناعته بأن الإمامة في المسجد رسالة وليست وظيفة، أما وقد جاءت الثانية مع الأولى فلا مانع من ذلك.

ومن مصادر معيشته عمله في تأبير النخيل وجني ثمرتها من التمور حيث تُعد من مصادر كسبه وعمل يده التي استغنى بها عن الجميع فأغناه الله، وتوكل على خالقه وبارئته فكفاه.

ومما يُعد من مصادر معيشته الكريمة أن وفقه الله بأخيه صالح وله من اسمه نصيب، فقد كان الاثنان مع والدتهما وأولادهما يسكنون بيتاً طينياً واحداً - كما هو واقع الأسر في ذلك الزمن - فكان أخوه صالح شريك ومساعد على تحمل بعض مسؤوليات ونفقات واحتياجات البيت - لا حرمه الله أجر ذلك كله - حينما كان ساعداً أيمن لأخيه المطوّع عبدالله فترة طويلة من الزمن، بل كان خليفة لأخيه في قهوته في سنيها الأولى حين غياب صاحبها، ولا شك أنه أصبح من خريجي قهوة أخيه في وعيه وفهمه لبعض الأمور العلمية، وحرية تفكيره وكرمه مع الآخرين، والسخاء وحُسن الأخلاق.

وكانت المنازل العائلية الكبيرة هي النمط السائد في سكن الأسر في ذلك الزمن حيث كان التآلف بينها قبل أزمة الاستهلاك وسلبياتها، وبعدما كثر الأولاد للشيخ عبدالله وأخيه صالح، ومع تغيّر ظروف الحياة خرج صالح بيت مستقل ليضع هو أيضاً قهوة أخرى مفتوحة طوال العام في الصباح والضحي كأوقات ثابتة، وروادها من كل محبيه يتواصلون فيها، ويستأنس بعضهم ببعض عنده، كما يلتقي فيها آخرون من أرحامه وأصهاره - فجزاه الله خيراً على كل ذلك -.

كما تعلّم الشيخ عبدالله من والده فن حباكة المصاحف (تجليد وخياطة) حيث يبقى المصحف لقارئه أو صاحبه مدى حياته محفوظاً بهذه الطريقة من التجليد

[انظر الملحق رقم (٣)]، وتعلّم من والده أيضاً ما يحتاج إليه هو وغيره من جيرانه في حياتهم الخاصة من أعمال النجارة المرتبطة بأدوات الحرث والزراعة وتأثير النخيل ولم تكن تلك مهنة له أو لوالده من قبله ولكن الاعتماد على النفس والشعور بالمسؤولية من دوافع الإنتاج في هذه الأشياء وأمثالها، وكان أبرز مهنة له تعلمها من والده تأثير النخيل والعناية بها، وفي موسم الجداد للتمور يقوم بجني (جداد) التمور طيلة الموسم في المزارع (الحيطان) المجاورة مصطحباً زوجته وأبناءه وبناته للقيام معه بهذه العملية، ليقدم أصحاب (الحيطان) بعد ذلك ما تجود به نفوسهم من التمور أجرة غير مشروطة من الطرفين، فالتمور مع الحبوب وتخزينها هما القوت السنوي لتأمين المعيشة، وهما الرصيد السنوي لأي فرد بلغة العصر، وهذا واقع جميع المنازل في حقب من الزمان مرت وسنوات انقضت قبل صدور العملات النقدية الورقية وغزو الأسواق الاستهلاكية للحياة الاجتماعية الأسرية المعاصرة.

صفاته الشخصية:

عُرف عن الشيخ أنه عاش طوال عمره (زاهداً بسيطاً) متواضعاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه، وكانت البساطة معشوقته فهو يستمتع بها، ويمتّع الآخرين بها، أو قد يدرّبهم عليها من خلال قهوته المتواضعة. ومن صفاته الشخصية التي عُرفت عنه من كثير من أقرانه وأولاده (قوة إرادته) وشدة عزيمته التي لا تنهزم بالشدائد أو المعوقات والتحديات، وكان يرى أن تعب الجسم فيه راحة للنفس إذا كان على خير ولعمل الخير وأن التعب الحقيقي هو تعب القلب - كما كان يقول -، وعُرف عنه أنه صاحب همّة كبيرة لم يستطع أولاده مجاراته أو اللحاق به في تحقيق كل طموحاته الاحتمالية والدعوية التي يريد فعلها سواء بنفسه أو بأولاده، ولم يتمكن أولاده مجتمعين من تغطية كل متطلباته

الدعوية والخيرية والاحتسابية، وبالعامة يقال (ما نلحَقْ عليه) أي لا نستطيع اللحاق به، وقد قال عن قوة إرادته صاحبه وتلميذه أبو شلال محمد بن شلال الشيباني الذي قال عنه^(١): «مطوَّعنا السلومي لا يهमे التعب؟ هو يدوِّر (يبحث عن) التعب أحياناً، وللتدليل على ذلك فقد كنت أنا وإياه في رحلة صيد الأرانب والضبان يوماً من الأيام وقد صوّبت ضباً ودخل جحره فأبت نفس المطوع إلا أن يحفر ويبحث عن الضب المصاب، وأنا أقول له: الخير كثير يا أبا سليمان، ويقول لي: نترك نعمة ربي تفسد في جحرها، ويكرر معي الكلام بقوله: التعب ليس تعب البدن، والإسراف لا يجوز مع قلة النعمة أو توفرها».

وكما قال الشيخ عبدالله بن حمد الجلالي^(٢) فيما كتبه عنه: «إنه لا يستعظم أي أمر من الأمور وكلمته السائدة المعروفة دائماً (هذا الأمر سهل لا إشكال فيه)، فقد عهدت فيه هذا الأمر يتكرر في كل مناسبة حتى لو كان الأمر صعباً».

وفي هذا السياق يقول رفيقه وصديق دربه في مرحلة الشباب علي بن محمد الهندي^(٣) عن جانب قوة الإرادة والشهامة والتضحية بالنفس لخدمة الآخرين عند السلومي: «كُنَّا زارعين مع والدي (مزرعة الجنبه ١٣٧٣ - ١٣٧٥ هـ)، وكنت يومها في الرس بعيداً عن والدي حينما تعطلَّت (ماكينة الماء)، وكان ذلك على زمن أول وصولها

(١) محمد بن شلال بن عويض بن شلال الشيباني من مواليد عام ١٣٣٧ هـ، وهو من أقران شيخه في السن، ومن جبرائه فترة من الزمن بالشنأة، ومن تلاميذه الذين تعلموا عليه كامل القرآن ولازموه، وكان من رجال الخير والصلاح، عمل في أمانة محافظة الرس، وعاصر الأمير عساف وحسين ومنصور ومحمد أبناء عساف، واشتهر بقدراته ومهاراته القوية في الصيد.

(٢) هو الشيخ الدكتور/ عبدالله بن حمد الجلالي من أهالي عنيزة، من مواليد عام ١٣٥٧ هـ عرف بالدعوة والخطابة والمحاضرات وبعض المواقف الاحتسابية، وتميز بدروس التفسير، كما عُرف ببعض الأعمال والمشاريع الخيرية خارج المملكة.

(٣) كان علي بن محمد الهندي صاحباً خاصاً للشيخ زمن الشباب، ولفترة طويلة من الزمن، ومن مواليد عام ١٣٥١ هـ، وقد عملاً جميعاً بالمزارع والسواني خاصة فيما عُرف باسم (الجنبه)، وقد تقلَّد المذكور فيما بعد ذلك بعض الوظائف الحكومية، كان آخرها مستشاراً في مكتب وزير الشؤون البلدية والقروية، وكان برتبة وكيل مساعد بالمرتبة الرابعة عشرة، ثم حصل على التقاعد (المعلومات أعلاه من المذكور بتاريخ ١٥ / ١٢ / ١٤٣١ هـ).

للقصيم وكانت الدنيا شتاء، وعلينا مطر وبرد، ووادي الرمة يمشي من السيول، وكما هو معلوم فالوادي يفصل بين المزرعة من جهة وبين الشنانة والرس من جهة أخرى، وكان بالمزرعة المذكورة مجموعة من الجماعة مع والدي، منهم أبو هضيبان وعبيد السليمان الحسحوس، وقال والدي محمد الهندي: أنا سوف أذهب إلى الشنانة لإحضار ولدي لإصلاح الماكينة؟ (وكنت ماهراً بإصلاح مكائن الديزل آنذاك)، لكن حبيبنا وصديقنا عبدالله السلومي بادر قائلاً بإصرار بالغ ويمين: والله ما تروح، أنا أروح وأجيب ولدك عليّ من هناك، وبالفعل ذهب ليلاً إلى الشنانة (الريدين) ولم يجدني، ثم واصل إلى الرس فوجدني هناك، وذهبنا سوياً إلى المزرعة، ولم أنس هذا الموقف الطيب بعد أن تجاوزت الثمانين عاماً بحمد الله.

ومن قوة إرادته وعزيمته حرصه على مواصلة الحج حتى بعد أن أقعد، حيث أصرَّ على أولاده بأن يحج بالرغم من حالة إقعاده على الكرسي، فحج عام ١٤٣١ هـ وكانت الأخيرة من حجاته، وقد حاول طبيب قريته الشنانة أن يشي عزمه عن الحج لاسيما بعد علمه بأنه حجٌّ لأكثر من ستين مرة قائلاً له: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فرد عليه: من يضمن لي قبول واحدة منها فاستريح.

يقول محمد بن ضيف الله الحزابي^(١) معدداً بعض صفات الشيخ السلومي: «نحسبه والله حسيبه ولا نزكيه على الله، فأخلاقه ظاهر في جميع أعماله وأقواله».

والكرم والسخاء والبذل والعطاء من صفاته فهو كريم وسخي، ومن كرمه أنه لا يرد سائلاً أياً كان، وقد كلمته مرة في واحد من المتسولين يتردد عليه دائماً فقلت له إن هذا أخذها مهنة يتسول في كل مكان، وأنا أعرفه فقال لي: «(وأما السائل فلا

(١) الشيخ محمد بن ضيف الله الحزابي من مواليد عام ١٣٧٨ هـ، وهو خريج كلية العلوم الاجتماعية قسم التاريخ وأستاذ تربوي في التعليم العام، محب للعلماء والدعاة ومنظم لبعض محاضراتهم خاصة في قرى البادية، وهو من العاملين في العمل الخيري وبناء المساجد، وله جهود مباركة مشهودة في ميدان العطاء للمحتاجين، وانظر تكملة مشاركته في عدة مواضع من هذا الكتاب.

تنهر) فكان لا يرد أحداً ودائماً يحسن الظن في الناس».

يقول محمد الحزابي عن قوة العزيمة والإرادة، وعن محبته لخدمة الآخرين: «السلومي يقوم دائماً بخدمة الآخرين حتى لو كانوا أصغر سناً منه، فتجده يقوم بخدمتهم في السفر والحضر، مثل تقديم الشاي والقهوة وإعداد الطعام وكان بارعاً في ذلك، ومما أذكره عنه هذه القصة في حُسن الخدمة والضيافة فقد حدث ذات مرة أنه استضاف أكثر من ستين (٦٠) شخصاً معظمهم إن لم يكن جميعهم من طلاب الثانوية، وكانوا قدموا من مكة إلى القصيم في طريقهم إلى الخرج بإشراف الشيخ عبدالله بن محمد الخليفة مدير ثانوية الخرج آنذاك وصنع لهم فطوراً من دقيق البر كفاهم جميعاً وهو (قرص كبير)، وهو المسمى (مجمار)، وتلك الضيافة كانت في شعيب الشنانة بجوار المرقب (برج الشنانة)».

أقول تذكرت أن من كلمات والدنا وشيخنا السلومي لأولاده حينما يظهر منهم التذمر من العمل الجسدي الشاق في بناء بيوت الطين أو غيره من الأعمال الشاقة: «الجسد لا يتعب إذا كان قلبك عامراً وحيّاً»، وهناك كلمة من جوامع الكلم منسوبة لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز تقرر حقيقة التعب بين الروح والجسد، حيث قال رحمه الله: «إذا كانت الروح تعمل فإن الجوارح لا تتعب».

ومن صفاته الشخصية أنه (مستقل التفكير)، وهو بهذا شخصية نقدية، بل إنه أستاذ يربي الآخرين على نقد الذات وغيرها، ولا يرضى للمسلم أن يكون إمعة، إن أحسن الناس أحسن، وإن أساء الناس أساء، ولا بد أن يكون كَيِّساً فطناً، بل كان يُردد أمام تلاميذه وأبنائه واصفاً حال بعض الناس قائلاً عبارة ذات معنى عميق: (بعض الناس يُدهدر رأسه ولا يدري عن شيء) وهذا القول فيه كناية عن طأطأة الرأس وعدم الانتباه أو الإحساس بما يدور حوله من أحداث.

ومن صفاته الشخصية كراهيته (للاستهلاك) وما فيه من تبذير وإنفاق للمال في غير محله، ولأجل هذا ركب النقل الجماعي كثيراً رغم توفر البديل له من

الطائرات، ووجود سيارات أولاده الخاصة، وكان مُباركاً ومُشجعاً هذه الخدمة وما فيها من توفير اقتصادي خاص وعام، قائلاً عن هذه الوسيلة من النقل العام: وسيلة مباركة توفر حركة الكم الهائل من السيارات الخاصة، وبأجرة معقولة، وكان يقول عنها: «النقل الجماعي العام النعمة المجحودة في بلادنا».

ومن صفاته الشخصية التي تميز بها وعُرفت عنه (رفع صوته) بالتكبير (الله أكبر) بصوت جهوري حينما يسير في الشارع أو في منزله لدرجة تلفت نظر بعض الناس، وكذلك الشهادة بصوت جهوري (لا إله إلا الله) حينما يستنكر حالة معينة أو واقعاً معيناً في بيته، أو خارج منزله، ويقول كذلك بصوت جهوري: «الله أكبر، سبحان الحكيم العليم»، كما أن كلمة (ما شاء الله تبارك الله) من كلماته التي يرددها كلما رأى شيئاً يعجبه أو يسره.

وكان الشيخ دقيق الملاحظة وصاحب (فراصة) قوية عُرِف بها عند كثير من الناس، ساعدته كثيراً هذه الفراصة في معرفة المُحَقِّق من المُبْطِل في أمور الصلح والإصلاح بين الناس، وأمور المعروف والمنكر، وكان الشيخ المطوَّع (مهيباً) فبمجرد وجوده أو سماع صوته يكون انفضاض أي اجتماع لا يتفق مع قيم المجتمع والتزامه الأخلاقي، مثل لعب الكره أثناء وقت الصلاة، وقد وصفه بعض الناس بأن وجوده فقط أو كلامه يُضفي الهيبة، وقد يزرع الرهبة في قلوب المخطئين من أبنائه أو غيرهم.

وكان يقوم بتأديب معظم أولاد الجيران والقرية، بل ويوصيه ويفوضه جميع أولياء الأمور بذلك ثقة به دون غيره.

وكان مع ذلك (لطيفاً) معهم، يُهدي لهم كل يوم من أيام جني التمر (الخرف) رطباً جنياً، حينما يأتي من الحيطان خاصة في أول موسم (الخرف)، وكانوا ينتظرونه على مشارف القرية، وكان ما يوزعه على بعض أولاد القرية أحلى من شوكلاته العصر الحاضر، ولا زال بعض هؤلاء يتذكرون لذة تلك الأيام، ولذة هدايا الرطب.

كان الشيخ (متواضعاً) لا يحب الشهرة أو الجاه أو السلطة، ولم يرغب أو يطلب

الوظيفة الحكومية أو الاشتغال بأي عمل تجاري لزهده في الدنيا ومتاعها، كما أنه يرى أن الوظيفة الرسمية من أضيق أبواب الرزق للخلق، - كما كان يقول - أنها في الغالب تصادر شيئاً كثيراً من حرية الإنسان ووقته.

وكان يقول: «الناس يطلبون زيادة المال للسعادة، ويسعون للمال لها بأكثر من احتياجهم، والسعادة الحقيقية تتحقق في التخفف من المال - كفانا الله شره -». أقول: وهذا ما كان يراه ويردده الشيخ صالح الحصين - رحمه الله - عن المعنى الحقيقي للسعادة.

حيث كان يرى أن الناس في جميع أمور حياتهم يبحثون عن السعادة، لكنهم لا يدركون أن السرف في السعي للدنيا وكمالياتها في غالب الأحوال يُحقق لهم عكس المراد، سمعت هذا منه مراراً - رحمه الله -.

وكان الشيخ السلومي محباً لـ (الزيارة والزائرين له) فبرنامج الضحى في الغالب لزيارة تلاميذه وأحبابه في مزارعهم، وكان يفرح بزواره، أو المتصلين عليه بالهاتف - بعد وجود هذه الخدمة - فيبادر المنشغلين عن الزيارة أو منقطعي الاتصال به بقوله لهم: (أُمطرنا بفضل الله ورحمته) كناية عن الفرح والسرور بهذا الاتصال أو التواصل، وكثيراً ما كان يقول ذلك حين يهاتفه الشيخ الدكتور/ محمد مطر الزهراني^(١) - رحمه الله - بشكل خاص حيث كان متواصلاً مع الشيخ فترة ليست بالقصيرة.

وكان الشيخ يمارس (الرياضة اليومية) الإنتاجية، والرياضة السليمة بحد ذاتها تبعث السعادة والراحة النفسية، وكان من صورها ممارسة العمل اليومي في خدمة النخيل وتأبيرها والعناية بها، أو العمل في المزارع وما يصحبها من السباق

(١) الشيخ الدكتور/ محمد مطر الزهراني من علماء ومشايخ وأساتذة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة توفي عام ١٤٢٦هـ - رحمه الله -، ومن أشهر مؤلفاته (تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره)، و (علم الرجال نشأته وتطوره)، و (عبدالله بن المبارك العالم المجاهد)، و (سفيان بن سعيد الثوري العالم الرباني)، و (موقف أصحاب الأهواء من السنة النبوية ورواتها)، و (ما له حكم الرفع من أقوال الصحابة وأفعالهم)، و (من هدي السلف في طلب العلم).

للوصول إليها أو العودة منها مع أصحابه على الدراجات الهوائية (السيكل) عند أول وصولها للقرية، لكن الرياضة اليومية المحببة له كرياضة إنتاجية حينما كان يسقي حوش النخيل بالمنزل من (الحسو) وهو البئر الخاص بالمنزل، حوالي نصف ساعة لتوفير جميع احتياجات المنزل، وذلك خدمة لأهل بيته صباحاً ومساءً قبل النوم وبعده، وكذلك كان يفعل خدمة لحوش نخيل المسجد وتأمين الماء لرواد المسجد حينما كان (يزعب بالدلو) من بئر المسجد (الحسو) يومياً. ومن صفاته أنه كان يحب (الخلوة مع نفسه) بين حين وآخر في الضحى في خلوة المسجد أو في قهوته وقت فراغها من الضيوف، ويقول من لا يدع لنفسه ساعة خلوة بربه فقد ظلم نفسه، ومن لا يحس بأنسه بربه فعليه أن يراجع نفسه، ويتمثل بقول الشاعر:

عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذِّئْبِ إِذَا عَوَى
وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ^(١)

ومن صفاته أنه يحب (الأشياء الطبيعية) ولا يحب مُعطيات الصناعة الحديثة من المكيفات والتدفئة والتبريد وغير ذلك، وقد استمتع بقهوة الطين وأسعد زواره ومحبيه معظم سنين عمره وعمرها حتى انتقل منها إلى غيرها بعد أن تجاوزت أكثر من أربعين عاماً، لأنها -كما هو الواقع- دافئة شتاءً باردة صيفاً وذلك كما كان يقول عنها، ولم يقتنع بالانتقال إلى غيرها إلا بعد أن تأكد له أن القهوة الجديدة تتصف بنفس صفات سابقتها، وكان هذا هو الواقع بحكم العوازل الحرارية للقهوة الجديدة. ومن صفاته الشخصية معظم سني عمره أنه لا يشرب ماء البرادة، أو الماء المبرد

(١) البيت منسوب للأخميم السعدي، وهو شاعر من مخضرمين الدولتين الأموية والعباسية.

في الثلجات قناعة منه أن الماء الطبيعي هو ما يروي الظمأ ولا يؤثر صحياً على الجسم، وعُرف عنه أنه لا يجلس عند المكيف أو ينام بغرفة مكيفة، ويؤمن بأن تعرُّق الجسم هو الوسيلة المثلى لتبريده في الصيف، وتدفتته في الشتاء، وتعرُّق الجسم يُعدُّ إفرازاً طبيعياً يجب أن يأخذ دورته الطبيعية من الجسم، ولذلك يشب (يوقد) النار صيفاً وشتاءً وذلك في كل صباح ومساء.

والمكيف الذي وُضع مؤخراً في قهوته لإكرام ضيوفه، وإعطائهم شيئاً من الارتياح في أوقات الحاجة، وهي أوقات معينة ومحدودة فترة شدة الحر وذلك بعد انطفاء شعلة النار في القهوة.

وهذه الخدمة التي وُجدت متأخرة جاءت بعد أن أصابت معظم الناس -إن لم يكن كلهم- الرفاهية المفرطة وأصبح التكييف ضرورةً خاصةً في أشهر الصيف.

ومن صفاته أنه كان محباً لـ (النخلة)، بل كان شغوفاً بخدمتها ويتلذذ بالعناية بها فكانت محبوبته ومعشوقته في منزله وحيطان أصحابه وأحبابه، بل إنه يتألم جداً من رؤيتها ببعض الشوارع وقد جُردت من زيتها، ولم يبق فيها سوى قلبها حينما يَقْصُ العمال الوافدون كل جريدها وسعفها، والمصيبة أنهم بهذا العمل لا يعرفون قيمتها ولا حقوقها ولا جمالها حسب تعبيره.

وكان من طباعه وصفاته محبته (الاستقلالية عن الناس) في بعض عاداتهم وتقاليدهم العادية، فلا يحب الاندفاع مع الناس لأي أمر من أمور الحياة العادية، وكذلك كان يفعل مع بعض العبادات فهو مثلاً كان لا يذهب للعمرة وقت ذهاب الناس وزحامهم^(١).

كان المطوع الشيخ (صبوراً) يتحمل الألم والمرض ولا يخبر بهما أحداً ولا يعرف

(١) توقف عن أداء عمرة رمضان والبقاء في مكة لصيام الأيام الستة من شوال حينما أصبح الزحام شديداً مما يُضعف الجو الروحاني للصائم والعابد -كما كان يقول- وهذا اجتهد قد يوافق عليه وقد لا يوافق.

زيارة الأطباء أو المستشفيات معظم سنيّ عمره.

وعن (خدمة الآخرين) وبعض أعمال الخير والبر كتب محمد بن عبدالرحمن بن مجاهد الخليفة^(١) ومما قال: «كان يعمل على حبك المصاحف حبكاً يحفظها من التلف قد لا يوجد بأفضل المطابع، وكان بناءً وأستاذاً ماهراً في بناء بيوت الطين القديمة، فهو من المؤسسين لبيوت الطين في قرية الشنانة والمطية، وكان متعاوناً مع الجميع في هذا المجال وغيره، وكان يعمل ألواحاً لحمل المصاحف عليها في المسجد، كما يعمل مفاتيح أبواب الخشب القديمة، ويعمل من الأخشاب ما يستعمل لغسيل الموتى، والنعش لحملهم، وله باع طويل وجهد كبير في مجال حفر القبور تبرعاً - جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً - فكان يمضي الساعات الطوال هو وأبناؤه في حفرها ولا يوجد من الأجرة غير قول الناس: شكر الله سعيه، وكان حليماً حكيماً، وله مجال واسع في الرقية الشرعية احتساباً لله».

ولعل مسك الختام في صفاته ما جادت به قريحة الشيخ محمد بن عبدالله بن ناشع الشهري^(٢) حينما قال عنه بعض الأبيات الشعرية في مراثية والده سليمان السلومي وفيها قال:

(١) من مواليد عام ١٣٧٩ هـ، وهو خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأستاذ في وزارة التربية والتعليم، وإمام جامع الشنانة (البلاعية)، وقد حفظ القرآن كاملاً على شيخه عبدالله السلومي، وسوف يرد ذكره في مواضع متعددة من هذا الكتاب باسمه المشهور محمد المجاهد الخليفة.

(٢) الأستاذ الشيخ محمد بن عبدالله بن ناشع الشهري (ولد ١٣٥٥ هـ في قرية صعبان بالناص)، ويُعد من الشخصيات البارزة في العلم والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والفقه والشريعة، والشعر والشعراء، وهو من الشخصيات العلمية والاعتبارية في المنطقة، وهو من أساتذة التربية والتعليم فترة طويلة من الزمن، توجت جهوده التعليمية والتربوية بتكليفه بأول إدارة للتعليم في محافظة الناص فترة من الزمن، وهو من الموسوعات العلمية في الحفظ والذاكرة، كما عرف عنه سعة العلم والمعرفة والدعوة وأعمال البر والخير - وفقه الله -، وانظر للمزيد عن ترجمته فايز بن سالم العميري الشهري، كتاب الوجيز في تاريخ وجغرافية بلاد بني شهر، الباب الخامس، ص ٢٦٠، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ الموافق ١٩٩٧ م، الناشر مركز حسن للطباعة والرياض.

لولا العزاءُ بِ (عَبْدِ اللَّهِ) حِينَ سَعَى لِيُكْمَلَ السَّيْرُ فِي عَزْمٍ وَإِتْقَانٍ
يَخْطُو إِلَى الْمَجْدِ فِي آثَارِ وَالِدِهِ وَالْمَجْدُ لَا يُبْتَنَى مِنْ غَيْرِ أَرْكَانِ
ابْنٍ مَضَى لِمِرَاقِي الْعِزِّ بَعْدَ أَبِي فَقَامَ فِيهِمْ مَقَامَ الْوَالِدِ الثَّانِي

الدعابة العاطفية في شخصيته:

اتصف الشيخ السلومي بالجرأة في مناقشة القضايا الاجتماعية وبعض الأمور السياسية التي تهم كل مسلم وذلك في قهوته وفي غيرها، كما عُرف عنه المبادرة في التعليق على أحاديث المجالس، وخاصة على الأحداث المحلية أو الدولية، وكثيراً ما تكون تعليقاته بأسلوب النكتة القوية التي تُضحك المجلس وتؤنسها، وحينما يكون بعض الغرباء في قهوته أو في مجالس أخرى كان يكسر واقع الصمت أحياناً بدعابته، لاسيما الحديث عن الحور العين والنساء والزواج وتعدد الزوجات فهو يرى أنها مفتاح للانفتاح النفسي وحينما يكسر الحديث عن مشكلة العنوسة كان كثيراً ما يردد القول: (يا ليتني فيها جَذَع)^(١) متمنياً عودة روح الشباب حتى يتزوج أكثر من اثنتين، ويسهم في تزويج الشباب والشابات وحل مشاكل العنوسة التي يتحسر على وجودها - مؤخراً - بمجتمعنا السعودي.

ومن دعابته مع جلسائه ما كان يردده أحياناً على مسامعهم بعض الأبيات من القصيدة الطويلة المعنونة نونية القحطاني، وهو عبدالله بن محمد الأندلسي السلفي المالكي وفيها:

عائق من النسوان كل فَتَيَّةٍ

أنفاسها كروائح الرياح

(١) أخرجه البخاري في صحيح البخاري، طبعة بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، طبعة الراجحي، الرياض - السعودية، ١٤١٩ هـ كتاب بدء الوحي، باب، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٣)، ص ٢١.

وقبلها قال:

لا تُفْنِ عمرك في الجماع فإنه
يكسو الوجه بَحْلَةً الْيَرْقَانِ

ولكنه لا ينسى أن يذكر ما ورد في مطلع النونية من الأبيات ومنها:
يا منزل الآيات والفرقان
بيني وبينك حرمة القرآن
أشرح به صدري لمعرفة الهدى
واعصم به قلبي من الشيطان^(١)

إضافة إلى ترداده بعض الأبيات الشعرية الواردة في نونية ابن القيم، ويذكر الشيخ أن ابن القيم قد استفتح في نونيته بأبيات يوضح محتواها الكبير كثيراً من القضايا الشرعية في العقيدة والعبادة، ولكن المقام هنا عن جانب الدعاة عند الشيخ حيث كان يقول عن النونية: «نونية ابن القيم عن النساء تثير الشبق عند الإنسان». ويقول: «نونية ابن القيم عجيبة في وصف الجنة وأهلها ونسائها، وتجعل السامع لها يسأل الله من فضله، وفيها العجب العجائب من دقة الوصف، وخاصة الأبيات الواردة عن وصف الحور العين»، وكان يقول معلقاً: «حينما تسمع تلك الأبيات لا تملك نفسك إلا أن تسأل الله من فضله، وتشمر للعمل للحصول على السلعة الغالية وهي الجنة وما فيها»، وكان الشيخ يردد في مجلسه ما ورد في الحديث الشريف: «إن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»^(٢) ومن تلك

(١) انظر: أبي محمد عبدالله بن محمد الأندلسي القحطاني باسم (نونية القحطاني) تصحيح وتعليق محمد بن أحمد، نشر سيد أحمد مكتبة السوادي، جده ط الأولى، سنة ١٤٠٩ هـ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة السجدة، باب {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}، رقم (٤٧٧٩)، ص ٩٣٢.

الآيات التي كان يترنم بها الشيخ في قهوته ومسجده قول ابن القيم في النونية:

يا خاطب الحور الحسان وطالباً لو صالهن بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت بذلت ما تحوي من الأثمان

والوصف طويل لتلك الحور، ومما ورد عن تلك الأوصاف مما كان يردده أبو سليمان:

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخوا العرفان
حمر الخدود تغورهن لآلىء سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها فيضيء سقف القصر بالجدران

ويستطرد ابن القيم في الوصف مبتدئاً من أعلى الجسد بما يمكن وصفه من صفات الرأس والوجه والصدر والخصر وغير ذلك، حتى يصل نزولاً إلى ما لا يمكن وصفه من المواقع فيقول رحمه الله:

وإذا انحدرت رأيت أمراً هائلاً ما للصفات عليه من سلطان

وأقول بعدما رجعت إلى نونية ابن القيم وجدته -رحمه الله- لم يلتزم بقوله: «ما للصفات عليه من سلطان» بل إنه وصف ثم وصف حتى اعتذر لنفسه من غيره بما عبّر به عن عدم سلطانه فقد وصف أجساد الحور العين بأوصاف دقيقة وحساسة، ويبدو أن ابن القيم لم يستطع التغلب على عواطفه البشرية، وحث الهمم إلى كل ما يقرب إلى حب الله وطاعته والفوز بجنته، وقد أحب لقاء الله وما عند الله، وابن القيم إذا كان قد أفرد عشرات الآيات عن موضوع وصف الحور العين فإن ملحمة الشعرية موسوعة علمية تضمنت آلاف الآيات في الجوانب العقدية والشرعية والفقهية وبلغت (٦٦٣٦) بيتاً من الشعر ومن قوتها أن التزم

بقافية واحدة هي (النون) - فرحمه الله رحمة واسعة وجمعنا وإياه في مستقر رحمته -^(١) ولذلك فإن ابن القيم لم ينس التفريق بين من يطلب الشهوات المحرمة، وشهوات الجنة فيقول في نونيته.

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن تفعل رجعت بذلة وهوان

وأخيراً يؤكد ابن القيم وتلميذه ابن قيم الشنانية على أن سلعة الله غالية، وسلعة الله الجنة وكثيراً ما يردد ذلك ويتغنى ببعض أبيات ابن القيم مؤكداً على أن الحصول على الجنة، وما فيها من نعيم وحرور عين ليس رخيصاً قائلاً:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن ليس ينالها في الألف إلا واحد لا اثنان
يا سلعة الرحمن ماذا كفوها إلا أولو التقوى مع الإيمان
يا سلعة الرحمن سوقك كاسد بين الأراذل سلفة الحيوان
يا سلعة الرحمن أين المشتري فلقد عُرِضت بأيسر الأثمان
يا سلعة الرحمن هل من خاطب فالمهر قبل الموت ذو إمكان

وكانت بعض هذه الأبيات مما يتغنى بها الشيخ مع نفسه وإخوانه في الله في مسجده وقهوته، وقد أحب مؤخراً سماعها من أشرطة التسجيلات^(٢)، كما أنها تُعد ملحمة شعرية، وتقع في مجلدين.

كما كان الشيخ يردد ويتغنى ببعض أبيات ميمية ابن القيم - (وهي غير النونية) - في مسجده وقهوته ومنها:

(١) ما ورد هنا نموذج من تلك القصيدة الطويلة وهي مطبوعة في مجلدين، انظر: الدكتور/ محمد خليل هراس: شرح القصيدة النونية (نونية ابن القيم الجوزية)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، المجلد الثاني، ص ٤٤١.

(٢) فعلى سبيل المثال محاضرة بعنوان: (ما يطلبه المستمعون) للشيخ: سعد البريك.

فحيَّ على جنات عدن فإنها
 منازلُ الأولى وفيها المخيم^(١)
 وحيَّ على روضاتها وخيامها
 وحيَّ على عيشٍ بها ليس يُسأم

لكن الشيخ كان يقرأ معها من الأبيات ما يوازن بين الترغيب والتحذير، ومن ذلك قول ابن القيم:

وَكُنْ مَبْغُضًا لِلْخَائِنَاتِ لِحُبِّهَا فَتَحْظَى بِهَا مِنْ دُونِهِنَّ وَتَنْعَمَ

كما كان يقول الشيخ إن ابن الجوزي أفاض في وصف النساء والحب، ويشك أن (كتاب أخبار النساء) الذي تُسبب لابن القيم بأنه من تأليفه، ويرجح أنه لابن الجوزي -رحمه الله-، وقد شاركه في ذلك بعض المحققين المتأخرين لكتب ابن القيم، وأسلوب الكتاب ليس أسلوب ابن القيم -كما يقول- ويقول عن ابن الجوزي -رحمه الله- كان واعظاً وهو آية من آيات الله بالوعظ وهذا أمره عجيب في الرقائق، له كتاب عجيب في المواعظ وهو كتاب التبصرة، وقصص الأنبياء، ثم يقول عن ابن الجوزي: إن تاريخه المتأخر يختلف عن المبكر لكن الحسنات يذهبن السيئات.

وكان الشيخ مع دعابته هذه يعترض على الذين يمدحون النساء مدحاً مطلقاً، أو يذمونهم ذماً مطلقاً، قائلاً لهم: الاعتدال في القول عن النساء وغيرهن مطلوب،

(١) انظر: شرح القصيدة الميمية (الرحلة إلى بلاد الأشواق) للإمام شمس الدين محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، ١٩٨٧م، وقال عنها الشارح لها مصطفى عراقي: «إن القصيدة بالمقاييس الفنية السليمة وبالمعايير الإنسانية السديدة آية في الفن، وساحة للجمال، ومعرض للأشواق ومشاعر الإنسانية السامية»، وقد أشار ابن القيم إلى قصيدته هذه في كتابه المشهور عن حب الجنة العمل لها (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح).

وليس هناك قاعدة عامة إلا لها استثناء، ويتمثل ببعض الآيات المتضادة التي تعكس -خطأ- نظرة الإنسان المأسورة بما يواجهه في هذه الحياة، ومن ذلك ما نقل عن أحد الشعراء في وصف النساء بأنهن رياحين، وآخر أنهن شياطين وذلك بلغة حوارية:

إن النساء شياطين خُلِقن لنا
نعوذ بالله من شر الشياطين^(١)

فرد عليه الآخر:
إنّ النساء رياحين خُلِقن لنا
وكلّنا نستهيئ شمّ الرياحين^(٢)

وفي مقام دعابته هذه كان الشيخ يُحذر إخوانه وجلسائه في كل مناسبة من إطلاق الرجل لبصره على النساء ويقول: «من يُطلق نظره على النساء فسوف يزهد بكل نعمة عنده ولن تشبعه نساء الدنيا»، ويذكر القول المأثور عن أحد السلف: «لو أطلقت العنان لبصري على النساء فلن تكفيني نساء البصرة»^(٣).

وكان كثيراً ما يُمازح أحد محبيه وهو الشيخ فريح بن علي العقلا في هذه الأمور، وهو من مؤسسي المشروع الخيري للزواج بجدة لاسيما حينما يلتقي الاثنان، وبين الاثنين قاسم مشترك حول الأحاديث والقصص العاطفية المباحة، والرغبة القوية عند كل الطرفين في حل مشكلات الشباب في الزواج ومشكلات العنوسة كما

(١) انظر: كتاب (اللطايف والظرائف في الأضداد) للثعالبي ونسبه للجاحظ.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) ورد أن هذا القول لابن الجوزي ولكن بهذه الصفة: (من أطلق العنان لبصره لن تشبعه نساء بغداد، وإن تزوجهن جميعاً).

وصفه الدكتور/ مصطفى السيد بقوله: (وَدَّ أَنْ لَا يَبْقَى عَانِسٌ أَوْ عَانِسَةٌ فِي الدُّنْيَا). يقول الشيخ فريح العقلا^(١): «وبحكم اهتمامي بقضايا الزواج والعنوسة وما يتعلق بها من تعدد الزوجات والزواج المبكر للجنسين وغلاء المهور والمشكلات الزوجية فقد رأيت في أبي سليمان اهتماماً وقدرة على تفهم المشكلات والسعي إلى حلها والرغبة في تيسير الزواج، بل إن الشيخ - حفظه الله - يتمتع بروح الشباب مع حكمة الشيوخ وتجاربهم في التعامل مع النساء وأسلوب إقناعهن وإدارة شؤون البيت والتعامل مع المستجدات وخاصة في أولئك الراغبين في التعدد الذين ربما يتخوفون من ذلك. وقد سمعته ذات مرة يقول عن بعض أقاربه وربما كان بعضهم حاضرين ما معناه (فلان مَقْدَام، وأما فلان وفلان وفلان) (فالأمر إليك) يشير إلى بلقيس ووزرائها عندما شاورتهم فقالوا لها: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣)، أي أنهم لا يستطيعون مخالفة زوجاتهم ويخافون».

ويقول الشيخ فريح أيضاً: «كما تميز - حفظه الله - بالدعابة، قابلته أحد الأيام فقال لي يا فحل المتزوجين: أعطنا من جميل أخبار الزواج قلت له: جاء في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها وقد رواه الطبراني بسند جيد (أن رسول الله ﷺ دخل عليها وهو مبترد (يعني من شدة البرد) فوضع وجهه بين فخذيها وأحنت عليه جسمها حتى دفعى وأقبل ما شاء من وجهه على جسدي،

(١) الشيخ فريح بن علي العقلا من مواليد عام ١٣٧٢هـ حسب حفيظة النفوس، ويذكر أن ميلاده الحقيقي ١٣٧٤هـ، وهو من خريجي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العلوم الاجتماعية، وقد تميز باهتماماته الخيرية عامة وفي خدمات التطوع في مجالات الأسرة والزواج بشكل خاص، إضافة لكونه كان معلماً تربوياً، وهو من أقدم رواد الفكرة الأولى للمشروع الخيري للزواج بالملكة حينما أسس مع مجموعة من المتطوعين (المشروع الخيري للزواج بجده) - لا حرمهم الله أجر ما عملوا - وعُرف الشيخ بمشاريعه الخيرية وبرامجه الاغاثية داخل المملكة وخارجها، ويُعد من رواد التطوع وأصحاب المبادرات التطوعية التجديدية في بلاد التوحيد، وهذه المشاركة أعلاه جزء من كلماته وذكرياته مع الشيخ عبدالله السلومي، والقسم الآخر من الكلمة مُدرجة في الكتاب بعنوان: (السلومي في عيون محبيه).

فقلت: إني حائض قال: «وإن»^(١) فسرَّ أبو سليمان بهذا الحديث وأصبح كلما قابلته يردده على مسمعي وهو مسرور».

وفي هذا المقام فمن ذكرياته التي كثيراً ما يرويها على مسامع جلسائه قوله: «كنا نجلس معشر القرناء في السن نبحت عن إمكانية وجود بنات بالغات في سن الزواج في قرى الشنانة والمطية فلا نجد أي واحدة، وكان كثيراً من الناس يُزوجون بناتهم عند البلوغ أو قبله، ويقول كناية عن ذلك (ما لحقن) يعني لم يبلغن سن الزواج، ويقول ومع ذلك يتزوجن ويصبحن أمهات وربات بيوت، بل إنه يروي أن إحدى زوجات عبدالله الرداحي الخليفة اعترضت على تزويج ابنتين صغيرتين لها لم تتجاوزا الثالثة عشرة والرابعة عشرة فرد عليها قائلاً: ما شفنا ولا سمعنا عن مقابر للصغيرات، وقد زَوَّجهن كما هو حال كثير من الناس في ذلك الزمان.

وأقول معلقاً على هذه الذكريات: أن نمط الحياة في القديم كان يقوم على تربية الأبناء والبنات على العمل والإنتاج والمسؤولية، فالزواج امتداد طبيعي لتلك المسؤوليات، وبنات الأمس من البيوت الإنتاجية ولسن من بيوت الاستهلاك كما هو الواقع في السنوات المتأخرة.

وعن دعابته الجادة في هذا الموضوع فكثيراً كان حديثه عن (تعدد الزوجات) وكثيراً ما كان يشجع ويدعو للتعدد حلاً لمشكلات العنوسة المؤرقة للمجتمع والأسرة، ولكنه لا يدعو كل واحد لهذا الأمر قناعةً منه بأن بعض الناس لا يصلح لهم التعدد، أولاً يحسن بحقهم التعدد لعدم أهليته لهذا الأمر، أو مخافة الفشل فيه كما كان يقول، ويقول إن من الناس من قد يجب بحقهم التعدد لاعتبارات متعددة ومعروفة، لكن ترغيب الشيخ في هذه المسألة والحض عليها دعته بقوة إلى التوجيه الدائم والقوي لبعض المفاهيم المرتبطة بذلك، ومن ذلك

(١) أخرجه أبو داود ٧٠/١ رقم ٢٧٠ والبيهقي في سننه ١/٣١٣/٥٥ حديث رقم ١٢٠ الحديث ضعيف. ضعفه الألباني في ضعيف الجامع ص ٢٦. وفي ضعيف الأدب المفرد ص ٣٠.

قوله: «الزوجة الأولى رأس المال الذي لا يفرط فيه، فهي أم الأولاد وهي الأولى»
التي قال فيها الشاعر:

نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهُوَى
مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ^(١)

وكان يتحسر ويتألم لحال كثير من الناس الذين يُعَدِّدون فيميلون كل الميل للثانية ويهجرون الأولى كما هو حال بعضهم، أو يطلِّقون الأولى كما هو حال آخرين نتيجة ردود فعلها الطبيعية تجاه زواج زوجها من أخرى، وكثيراً ما كان ينبه أولاده وغيرهم من أحبابه وأصحابه أن غيرة الزوجة الأولى من زواج زوجها بأخرى نتاج حبها له وغيرها عليه، وليس العكس، وكان يوصي بزيادة حسن التعامل مع الزوجة الأولى، واستيعاب المرأة وغيرها وغضبها وعدم مواجهتها خاصة في المرحلة الأولى من الزواج بالثانية.

ومن دعابته المتكررة في هذا الموضوع أنه يصف الناس الخائفين من التعدد، أو لمن يخاف من زوجته فيقول عنهم: «هذا من قوم والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين»، وحدث أكثر من مرة أن الشيخ المطوع السلومي قال للدكتور/ محمد سعيد القحطاني^(٢) أنت وابني سليمان كلكم من هذا الصنف، وذلك قبل أن يعدد الاثنان، ومرة كان ذلك في منزل سليمان بمكة المكرمة، ويبدو أن ابنه الدكتور/ سليمان مع زميله الدكتور/ القحطاني أصابتهما حالة من رد الفعل النفسي العنيف

(١) الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ ص ٧٦٤.

(٢) هو المحامي الشيخ الدكتور/ محمد سعيد القحطاني الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى سابقاً ومؤلف كتاب الولاء والبراء كرسالة ماجستير، ومحقق كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل رسالة دكتوراه، ويقيم في مكة المكرمة ويعمل رئيساً لمكتب محاماه باسمه، وكانت هذه المشاركة مبادرة منه ووفاء بتاريخ ١٤٣١/٧/١٥ هـ وبخطاب رقم ٣١/٣٧٢.

فتزوج ابنه وأكمل النصاب بأربع زوجات، وقد تزوج الآخر الدكتور/ محمد سعيد بثانية، وقد يكون ما بعدها والله أعلم.

ومن أقواله المفيدة في أمر تعدد الزوجات ما قاله عنه الشيخ محمد بن صالح الزبيدي^(١): «المعدد إذا دُلَّ زوجته الأولى أكثر من اللازم، وأراد الزواج بأخرى يكون هذا مؤثراً جداً على مستقبل الحياة الزوجية للمعدد».

وقد دَوَّن محمد سعيد القحطاني^(٢) بعض الطرائف عن الشيخ في ورقته التي سماها (ذكريات وذكريات) فقال: «ومن طرائفه معي -وهي كثيرة- أننا في إحدى السنوات حين انتهينا من طواف الإفاضة داعبني قائلاً: يا أبا ماجد إن هذا المخيم -وأشار إلى مخيم نسائه- فيه أربع عشرة بكرة كلهن أملكك أن أعقد لك على من ترغب منهن فهل لك عزم؟ فضحكت وتخلصت من هذه الورطة!!!».

وحين داعبته يوماً في بيت ابنه البار الدكتور/ محمد بالطائف وكان هذا قبل أن يعدد أحد من أبنائه ما عدا الدكتور/ عبدالعزيز قلت له: أولادك لماذا لم يعددوا مثلك؟ فقال: أنت وهم على مذهب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣)!!! مما جعل الحضور يغرقون في الضحك من سرعة بداهته وقوة حجته ورده.

إن العم عبدالله السلومي أعجوبة في حياته كلها، ولن يُعَدَم من يجالسه ولو ساعة من الزمن فائدة وسروراً وروعة مجلسٍ وفائدة في الدين أو الدنيا، أسأل الله أن يختم لنا وله بحسن الخاتمة، وأن يجمعنا وإياه في جنات النعيم، وأن يحشرنا نحن وإياه على منابر من نور حيث هي منزلة المتحابين في الله، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

(١) هو الشيخ محمد بن صالح الزبيدي الأستاذ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ومن أكثر الملازمين للشيخ عبدالله السلومي وقهوته حتى كانت إحدى تسميات القهوة -كما سيأتي- بكنيته (أبي صالح).
(٢) ورد التعريف عنه سابقاً.

المزاح في شخصيته:

يقول الشيخ محمد الزيدي: «ومن محبة شيخي للمزاح -رغم جديته وجدية حياته- إعطاء الفرص لبعض من أشتُّهروا بالدعابة والمزاح بالترحيب بهم في القهوة وتشجيعهم على بث روح المؤانسة النظيفة، وكان مجلسه لا يخلو بين حين وآخر من هذا النوع من الرجال، ومن هؤلاء من كان يحضر للقهوة في جميع مواسم الأعياد والعطل مثل صالح الحوشاني -رحمه الله- الملقب أبو فراس^(١).

ومن الملازمين للقهوة كذلك الشادي بصوته ومزاحه وهو أبو عبدالله وكنيته (أبو شادي) محمد بن سليمان القزلان العايد -رحمه الله-^(٢) فقد أسهم في تنشيط المزاح والدعابة والمؤانسة في قهوة شيخنا أبي سليمان فترة طويلة من الزمن، وله في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

ويقول الشيخ الزيدي^(٣): «كان شيخي يمازح أبا شادي رحمه الله الذي كان يُضحك المجلس، ويتيح له ولغيره إضفاء جو المرح والمزاح المباحين في القهوة، وهذا الخلق له دلالاته من السنة النبوية حيث ورد أن رجلاً كان يُضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وورد أن رجلاً من أصحابه الأنصار يُدعى نعيمان بن عمرو بن رافع، وهو من أهل بدر، وكان رجلاً كثير المزاح، طيب النفس، حلو الفكاهة، وكان كثيراً ما يمازح رسول الله وأصحابه، فمن مواقفه ما رواه الإمام أحمد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَى بُصْرَى قَبْلَ مَوْتِ النَّبِيِّ بِعَامٍ وَمَعَهُ نَعِيمَانُ وَسُوَيْبُ بْنُ حَرْمَلَةَ وَكَانَا شَهِدَا بَدْرًا، وَكَانَ نَعِيمَانُ عَلَى الزَّادِ وَكَانَ سُوَيْبُ

(١) من أهالي الرس وكان يعمل خبير أشعة في المستشفى العسكري بالرياض، وهو الذي توفي مع زوجته وستة من أولاده في وادي الدواسر بحادث مروري في: ١٤ / ٢ / ١٤١٢ هـ، وكان لصاحب القهوة دور في الشفاعة والعفو عن المتسبب في دفع الدية، وانظر عن هذا الموضوع في صفاته إصلاح ذات البين في هذا الكتاب.

(٢) عمل مدعياً عاماً في شرطة محافظة الرس، وتقاعد من العمل وأصيب بشكل مفاجئ بمرض السرطان وتوفي -رحمه الله- في شهر جمادي الأولى عام ١٤٣١ هـ.

(٣) ورد التعريف عنه سابقاً.

رَجُلًا مَزَّاحًا فَقَالَ لِنُعَيَّانَ: أَطْعِمْنِي، قَالَ: حَتَّى يَجِيءَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: فَلَا غِظَنَكَ، قَالَ: فَمَرُّوا بِقَوْمٍ فَقَالَ لَهُمْ: سُوَيْبُطٌ تَشْتَرُونَ مِنِّي عَبْدًا لِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّهُ عَبْدٌ لَهُ كَلَامٌ وَهُوَ قَائِلٌ لَكُمْ إِنِّي حُرٌّ، فَإِنْ كُنْتُمْ إِذَا قَالَ لَكُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ تَرَكْتُمُوهُ فَلَا تُفْسِدُوا عَلَى عَبْدِي، قَالُوا: لَا بَلْ نَشْتَرِيهِ مِنْكَ، فَاشْتَرَوْهُ مِنْهُ بِعَشْرِ قَلَائِصَ ثُمَّ أَتَوْهُ فَوَضَعُوا فِي عُنُقِهِ عِمَامَةً أَوْ حَبْلًا. فَقَالَ نُعَيَّانُ: إِنَّ هَذَا يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ وَإِنِّي حُرٌّ لَسْتُ بِعَبْدٍ. فَقَالُوا: قَدْ أَخْبَرْنَا خَبْرَكَ. فَانْطَلَقُوا بِهِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَاتَّبَعَ الْقَوْمَ وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْقَلَائِصَ وَأَخَذَ نُعَيَّانَ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى النَّبِيِّ وَأَخْبَرُوهُ. قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ مِنْهُ حَوْلًا^(١).

وورد كذلك عن مشروعية المزاح المباح ما رُوي عن نعيمان الأنصاري وكان لا يدخل المدينة فاكهة إلا اشترى منها، ثم جاء بها إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه نُعَيَّانُ يطلب بثمنه، جاء به إلى النبي، فقال يا رسول الله أعط هذا ثمن متاعه. فيقول النبي أولم تهده لي؟ فيقول: يا رسول الله إنه والله لم يكن عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله، فيضحك رسول الله ويأمر لصاحبه بثمنه^(٢).

يقول عبدالرحمن بن عبدالله السلومي: إن والده كثيراً ما يتحدث عن الولاء والبراء وكان صباح أحد أيام منى في الحج وبحضور مجموعة من حملته في مخيمه الخاص، ومن الحضور الدكتور/ محمد سعيد القحطاني، وكان الوالد يُعِدُّ الإفطار والقهوة وبجواره الصندوق الخشبي لأدوات القهوة (المعامليل) وكان خشب الصندوق مكتوب عليها (صنع في روسيا) فقال الدكتور محمد القحطاني مازحاً: أين الولاء والبراء يا أبا سليمان؟ وصندوق قهوتك صناعة الروس الشيوعيين، فرد الوالد الشيخ مازحاً بسرعة بديهة ودعابة واضحة قائلاً له: كتابك (الولاء والبراء) نفسه

(١) سنن ابن ماجه ٣٨٥١ ومسند أحمد ٢٧٤٤٤ وضعفه الألباني في سنن ابن ماجه ٣٧١٩.

(٢) تاريخ دمشق (ج ٦٢ / ١٤٦).

يحتاج إلى الولاء والبراء!! من أين أوراقه وأين صُنعت؟ فَعَلَّتْ أصوات ضحك الحضور حدود الخيمة.

ومن النكات المروية والمعروفة عنه في طفولته بكاؤه من الجوع في منزل والده بالبلاعية، وكان في المنزل أبو فلاح سليمان الفلاح زوج جدته هيا الشايع -رحم الله الجميع- وكان يردد (أنا شبعان من الجوع) مما أضحك أبا فلاح وتفطر قلبه من الضحك على العبارة التي جمعت بين المتناقضين.

ومن دعابته أنه حينما استأذنه أحد أبنائه ذات مرة في السنوات الأخيرة قائلاً له عن إذكك يا أبتني سوف أسافر خارج المملكة، فرد عليه والده: «وهل أقمت حتى تسافر!!» كناية أن الأصل أن تستأذن في الإقامة وليس للسفر، حيث كان يرى أن ابنه كثير الأسفار في تلك الفترة.

حوادث في حياته (ذات عبرة):

الحوادث والأحداث سمة من سمات الحياة الدنيا مع كل إنسان، لكنها حينما تتكرر وتتلازم معها السلامة فإن ذلك يستوجب بعض التأمل، ومن تلك الحوادث في حياته أنه كان بناءً (أستاذ كما يسمونه) لبناء بيوت الطين كعمل تعاوني مع جماعة قريته، وقد بنوا جميعاً قريتهم بأنفسهم، ووقعت له بعض الحوادث، حيث سقط مرات عديدة من فوق المباني الطينية حين البناء أو عند وضع خشب السقف العلوي للمباني الطينية، ولكن الله أنجاه في كل ذلك فلم يصب بكسور أو أذى جسدي -والحمد لله-.

وكان قد تعرض لحادث انقلاب سيارة جيب بين مقر السكن والعمل في السنة الوحيدة التي عمل فيها في شركة أرامكو بالظهران عام (١٣٦٧هـ)، وقد مات أحد الركَّاب، وأصيب سائق السيارة بكسور، وجرح بعض العمال وسلم آخرون، وكان الشيخ السلومي من هؤلاء الذين سلموا، بل إنه التحق في عمله في المستودعات في اليوم نفسه.

وفي إحدى رحلات الحج سقط من سيارة (حملة الحج) حيث كان يركب بجوار الباب مع السائق وانفتح الباب فجأة، وهي تسير بين مكة والقصيم في الطريق البري الرملي ليلاً وأنجاه الله.

كما سقط من ظهر سيارة أخرى في عام آخر وهو يرتب أغراض حجه ودخل في غيبوبة، ولكن الله أنجاه وسلم إلا من إصابات يسيرة أرقدته يوماً واحداً في المستشفى ما لبث أن سافر بعد ذلك للحج.

وقد سقط من أعالي النخيل عدة مرات فأنجاه الله من الكسور أو الإصابات، وفي هذا الصدد فإن من الغرائب في حياته مع النخيل أنه في أحد حيطان البلاعية في الشنانة صعد أعلى نخلة في حايط (بستان) سليمان الصالح الفهد الخليفة وكان صعوده كالمعتاد بواسطة (الكر) الذي عمله بنفسه لصعود النخيل خاصة الطويلة منها، ولم يكن أحد يتجرأ صعود تلك النخلة بسبب ارتفاعها وصغر حجم جذعها، وبعد أن قطع ثمرتها (جداد التمر) بساعتين جاءه الخبر عن سقوطها نتيجة تسوس في جذعها. ومن تلك الأحداث أن إحدى سيارات أصحابه^(١) دهسته في إحدى خرجاتهم للبر بجوار مرقب الشنانة، فأنجاه الله بأعجوبة حيث أصبح بين عجلات السيارة الخلفية، وبعد بضعة أيام استعاد كامل عافيته وصحته -والحمد لله-.

أقول: لم أجد تفسيراً لحماية الله له من تلك الحوادث سوى ملازمته للورد القرآني اليومي الذي يحفظ الله به عباده.

ومن الآثار الجانبية لهذه الحوادث أو الأحداث المتكررة أنها تركت آثاراً متعبة له في رأسه لازمت طول عمره وهو يعاني من آلام وضجيج في الرأس والأذنين، وضعف في أعصاب السمع تضاعفت الإصابة به في آخر عمره، إضافة إلى ضعف بصره الملازم له منذ الخمسينيات من عمره وقد زاد هذا الضعف بشكل كبير في آخر عمره، وكان يعالج نفسه بنفسه حيث كان صابراً محتسباً يحسب الأجر من الله ولا يشكو لأحد ما

(١) هو علي بن محمد الهندي، سبق التعريف به.

يصيبه، كما أنه لم يُعرف عنه التصبُّر من حوادث القضاء والقدر التي تصيبه كما تصيب أي إنسان، وكان يردد دائماً عند هذه الحوادث (هذا أمر مكتوب) وقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

زهده وورعه:

عُرف الشيخ بزهده في الدنيا ووظائفها وأموالها، كما عُرف عنه الورع عن ما في أيدي الناس، ولم يكن حريصاً على مجالس كبار المسؤولين خوفاً على نفسه الفتنة في الدين أو الدنيا رغم قناعته القوية بوجوب مجالسة العلماء الكبار للمسؤولين وولاية الأمر بغرض النصح والتوجيه والإرشاد، والتعاون فيما فيه مصلحة البلاد والعباد - كما كان يقول -.

وكان يُكرر كثيراً بعض الأبيات الشعرية التي تحث على (الزهد)، ومنها ما ينسبه إلى ما ورد في مقدمة كتاب رياض الصالحين من الأبيات ويقول عنها أنها الأبيات الوحيدة في ذلك الكتاب:

إِنَّ اللَّهَ عِبَاداً فُطِنَا
 طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
 نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عِلْمُوا
 أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطِنَا
 جَعَلُوهَا جُحَّةً وَاتَّخَذُوا
 صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفِينَا^(١)

(١) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - المحقق: إحسان عباس - الناشر: دار صادر - بيروت ج ٤ / ٢٦٢ والأبيات لأبي بكر الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد، وانظر: سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م، تحقيق: شعيب الارنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة ج ١٩ / ٤٩١ .

وأقول عن زهده: أخبرني أخي من الرضاع سليمان بن عبد الله الخليوي أن أحد أرحام الشيخ حرص على تسجيل اسمه ضمن قوائم المستحقين للضمان الاجتماعي فرفض الشيخ هذا الأمر رفضاً باتاً لأن الله مغنيه على حد قوله، كما أنه وجّه مبلغاً وصله مساعدةً من أمير الرس محمد العساف إلى أبرز محفظي القرآن آنذاك.

ومن الملاحظ أن الله أكرم الشيخ بقوة الحسبة والاحتساب، وهذا من ثمرات (الزهد) بما في هذه الدنيا من التنافس على حطامها والنزاع على فتاتها، وكثيراً ما يُردد بعض الأبيات الشعرية المنسوبة للشافعي وهي أبيات كثيرة، ومنها:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذاها
فان تجتنبها كنت سلماً لأهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها^(١)

ومن زهده أنه ورث عن أبيه شيئاً يسيراً من المال فتصدق به مباشرةً، وورث مع أخويه الأشقاء (صالح وعبدالرحمن) نصيبه من قيمة منزل أخته نوره (السلومية) عن بيتها المتواضع فوجهه إضافة إلى نصيب أخيه عبدالرحمن إلى بناء مسجد في أفريقيا محتسباً أجره لأخته - لا حرم الله الجميع الأجر والثواب -.

يقول الشيخ فريح بن علي العقلا^(٢): «الشيخ رجل زاهد في الدنيا مع أن زهده ليس من قلة ولكنه يتمتع بها تمتع الصالحين، وقد كان النبي ﷺ سيد الزهاد ومع ذلك يقول: (حُبُّ إِيٍّ مِنْ دُنْيَاكُمْ الطَّيِّبُ وَالنِّسَاءُ)^(٣).. وكثيراً ما يردد (شيخ الشنانة) هذا الحديث على مسامعنا، وابن المبارك كان من الزاهدين، وقد كان من التجار والمجاهدين في سبيل الله».

(١) البيت للإمام الشافعي، انظر: أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، دمشق - سوريا، (٨٢/٩ - ٨٣)، ومناقب الشافعي للبيهقي (٨٩/٢)، مكتبة دار التراث، القاهرة - مصر.

(٢) ورد التعريف عنه سابقاً.

(٣) انظر: ابن حجر العسقلاني: تلخيص الخبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - ٣/ ١١٨ - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ. ١٩٨٩ م.

ومما لفت انتباه كثير من الناس كثرة محبيه ورواد قهوته ومرتاديها بشكل فاق مرتادي بعض مجالس العلماء المشهورين، أو مكاتب بعض المسؤولين، ولعل هذا من ثمرات الزهد، وقد تساءل أحد الأفغان الذين زاروا قهوته قديماً قائلاً: هل أبو سليمان هذا أمير المنطقة هذه؟ والحقيقة أن الإنسان إذا زهد بما لدى الناس أحبه الناس، كما أن محبة الله لعباده تصنع الكثير من محبة العباد بعضهم لبعض، وأقول معلقاً على ما سبق: «لقد وجدت بعض الإجابة عن بعض التساؤلات عن أسباب حجم جاذبية الوالد ومحبة الناس في ديوانيته (قهوته) حينما كنت أقلب مقدمة كتاب (رياض الصالحين) بحثاً عن الأبيات التي ذكرها لي شيخنا عن الزهد وقال: إنها الأبيات الوحيدة في الكتاب المذكور»، وقد وجدتها كما قال، ولكني وجدت أيضاً ما أجاب عن تساؤلي السابق حيث وجدت قول الشيخ ابن فرج في الكتاب نفسه: «إن الشيخ محيي الدين النووي قد صار إلى ثلاث مراتب، كل مرتبة لو كانت لشخص لشُدَّت إليه الرحال: العلم، والزهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(١).

وأقول معلقاً: إن كل واحدة من النقاط السابقة على حدة أو مجتمعة تجربة عملية تستحق التأمل والاعتبار وأخذ الدروس والعبر منها، وواضح أن العلم والزهد مما يقوي الاحتساب.

وعن (زهده) وبعض صفاته وعبادته وقوته في الحق قال عنه الشيخ عبدالله الجلالي^(٢): «يندر أن ترى مثله في العبادة كما عهدته، ففي السفر ينام الناس وهو راکع ساجد في جوف الليل ولربما هذا ديدنه في أهله فهو سريع النوم سريع اليقظة فارغ قلبه من هموم الدنيا ومطالبها، لم أره يوماً يفكر فيها، بل ولم أسمع

(١) انظر: النووي مقدمة (مختصر رياض الصالحين)، طباعة مؤسسة الوقف، اختصار وترتيب الشيخ صالح الحصين.

(٢) ورد التعريف عنه.

له صوتاً في مجلس من مجالسه للخوض في أمور الدنيا حتى البيع والشراء الذي شغل الكثير من المجالس اليوم، ولربما لا يرتاح للخوض في هذه الأمور، فكان مشغولاً في أمور آخرته ومصالح المسلمين، ومحبتة وبغضه ورضاه وسخطه في الله سبحانه، أما في دعوته فإنه مثلٌ يحتذى قوة وصلابة واقتناعاً فلا يتقدم عنده شيء على خشية الله سبحانه في نفسه، ولا يقبل المساومة أو التنازل عن شيء من دينه ليُرضي به الناس، أحسبه كذلك والله حسيبه، سائلاً الله سبحانه أن يختتم لنا وله خاتمة السعادة».

يقول تلميذه الشيخ محمد الزيدي في زهده: «لقد تعلمت من شيخي من خلال منهجه في الحياة أن هناك سلفية صوفية وأنه اكتسب المعاني الحميدة من صوفية شيخه ابن القيم، وقد عرفت عنه أن قيام الليل جزءاً من حياته وشخصيته وصفاته وسلوكه اليومي، وكان الشيخ زاهداً ورعاً عن ما في أيدي الناس، وورعاً في أن يسأل أو يتطلع مثل بعض الناس إلى التزود من أمور الدنيا، أو يطلب شيئاً من حقوقه من بيت مال المسلمين، فلم يطلب شيئاً لنفسه، ولم يكن يحمل أي هم لجمع المال أو المتاع، بل حدث عدة مرات أن الناس من جماعة القرية وغيرها تسابقوا إلى تقسيم بعض الأراضي العامة بينهم حينما أصبح سوق العقار رائجاً في فترة من الزمن، فلم يشارك أحداً هذا الاهتمام، بل كان ناقداً لتلك الاهتمامات، وهذا ما عُرف عنه عند الجميع، حتى إنه احتاج في أواخر عمره إلى منزل حديث ليسكنه مع أولاده الصغار مثل غيرهم - كما قال لأولاده الكبار حسب علمي، فعوضه الله خيراً، حينما تبنى أبناؤه البارون بوالدهم شراء أرض مجاورة لقهوته الطينية وبناء منزل كبير له يشتمل على قهوة جديدة تتوافق مع مواصفات قهوته القديمة حيث الطين عازل حراري وعازل من البرودة، وقد مكثت تلك القهوة الطينية القديمة التي ألفها، كما ألفها الناس حوالي (٤٠) عاماً، ولم يكن الانتقال من القهوة القديمة أمراً سهلاً عليه، لكن إضافة بعض الخدمات الحديثة للقهوة

الجديدة بمواصفات القديمة ساعد على إقناع الشيخ بالانتقال من قهوة الطين فجزي الله أولاده خيراً».

ويقول الزيدي مكماً: «حسب علمي فقد ضم المنزل الجديد زوجاته وأولاده، وكان منزلاً يفوق - بحمد الله - كثيراً من المنازل المجاورة، وكان هذا المنزل الوحيد في كل القرية والقرى المجاورة الذي تم شراء أصل أرضه من البلدية - حسب ما هو معلوم - ليعيش عزيزاً ويموت عزيزاً كذلك إن شاء الله».

الحكمة^(١) والحنكة^(٢) في شخصيته:

كان صاحب (حكمة) وقوة إقناع وبعده نظر في أموره وتصرفاته، ومن ذلك موقفه من مقترح والده حينما كان إماماً ومحتسباً في (مهد الذهب)، ورغب انتقال عائلته إليه بالرحيل من القصيم يقول والدنا وشيخنا عبدالله عن هذا الموضوع: «أرسل الوالد سليمان خطاباً (خط) باسمي مضمناً هذا الطلب، وتأملت طلب والدي ثم رددت عليه قائلاً: إن مهد الذهب ليست بدار إقامة لنا أو لك، وإن موطننا الحقيقي هو مكان الآباء والأجداد والأصهار والأرحام، فما كان من والدي سليمان إلا أن قدّر هذا الرأي من قبلي، واستأذناً - على سبيل التقدير والاحترام - (نحن ووالدتنا) السماح له بالزواج من أخرى من مهد الذهب، فأذنت له العائلة بذلك، وحينما أكمل مهمته ورسالته، رجع أبو سلوم سليمان السلومي بعد غياب يزيد عن ستة عشر عاماً إلى موطنه الأصلي ليستقر في الشنانة والرس» ثم لم يسافر

(١) الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم، انظر لسان العرب - ابن منظور الجزء الثاني، طبعة دار المعارف، ص ٩٥٠.

(٢) الحنكة: السن والتجربة والبصر بالأمور، وحنكته التجارب والسن: هذبته وحنكته السنين إذا أحكمته التجارب والأمور، وحنكته الرجل أي استحكم، وفي حديث طلحة أنه قال لعمر رضي الله عنهما: «قد حنكك الأمور، أي راضتك وهذبك، ويقال رجل حنك إذا كان عاقلاً، انظر لسان العرب - ابن منظور، الجزء الثاني، ص ١٠٢٨.

بعد ذلك بل بقي حتى توفي رحمه الله كما ورد في ترجمته المستقلة عن هذه الترجمة. ومما يُعزز وصفه بأنه صاحب حكمة وقوة في الإقناع العقلي والمنطقي للآخرين بالحجة والدليل ما رأيته بنفسه وسمعتة أذناي: «فحينما كنت بمرافقة والذي في مدينة برشلونة الأندلسية الإسبانية عام ١٣٩٩هـ، وكان ذلك السفر بغرض علاج عينيه، وكان معنا سائق عربي مسلم يُدخن بشكل مستمر وبشراهة، وحاول الشيخ إقناعه بأن الدخان من الخبائث وليس من الطيبات بغض النظر عن حكمه في الإسلام سواء الكراهية أو التحريم التي يرفضها غالباً أي مُدخن، وقد كان المُدخن مجادلاً بمكابرة رافضاً الاستجابة للنصح في هذا الأمر، وقد خرج يوماً من دورة المياه مكماً سيجارة التدخين، ففاجأه الشيخ قائلاً بمزاح: ألا تستحي من نفسك تشرب الطيبات!! في دورة المياه؟ فردّ الأخ المُدخن: لقد بهتني، لقد بهتني بقولك هذا، وكررها مرتين أو ثلاثاً.

وفي هذا المقام فقد رمى أحد المدخنين في سوق الخضار بالرس عقب سيجارته وداسها بقدمه، وكان الشيخ يراه فتقدم إليه قائلاً له: ألا تخاف الله تدوس نعمة الله بقدمك!! ففوجيء المدخن وصمت قليلاً، ثم قال: إنها نعمة وبلوى وليست نعمة، فقال له: وكيف ترضى للبلوى أن تدخلها أغلى ما لديك وهو قلبك وصدرك؟ فوعد بمراجعة نفسه مظهراً العزم على ترك هذه العادة السيئة».

ومما يُعدُّ من حكمته وبعد نظره قصته مع بئر زمزم، ففي عام ١٤٢٤هـ^(١) تقريباً كانت توسعة المطاف بتغطية بئر زمزم، وكان يتلازم مع ذلك إجراء بعض الصيانة مع عمل بعض الأعمال الخرسانية المحيطة بالبئر، وصاحب ذلك محاولة نزع المياه المتدفقة بقوة حول البئر، فرأيت الشيخ متأثراً، ولم يصبر حيث كلم بعض المسؤولين عن ذلك الخطأ منبهاً لهم أن هذه الصبات الخرسانية حول البئر ستحرم البئر من

(١) انظر عن خبر توسعة المطاف صحيفة عكاظ على الرابط:

بعض موارده المائية فكان الرد أن المقاتل له دراساته ورأيه وقناعاته!! وقد صح توقع الشيخ فيما بعد ذلك حينما نزل منسوب مياه زمزم لسنوات معدودة - كما هو معلوم - لكن هذا الخطأ تمت معالجته - بحمد الله - فيما بعد ذلك بإزالة أسبابه، وقد استفسرتُ شخصياً من الشيخ صالح الحصين - رحمه الله - عن هذا الواقع فأكد لي حدوث الخطأ الذي تم تصحيحه فيما بعد ذلك.

ومن حنكته ما حدث مع بعض (المحققين) الذين أرادوا معرفة حقيقة الشيخ أكثر من مرة بسبب الوشائيات أو الكيد أو غير ذلك، فقد حدث ذات مرة أن جاء إليه أحد المحققين، وكانت معظم أو جميع الإجابات من الشيخ آيات قرآنية، حتى غضب المحقق من تلك الإجابات ظناً منه أن ذلك نوع من التهرب، ولكن المحقق بعد معرفة حقيقة الشيخ كان له موقف آخر انعكس على نتائج التحقيق.

وحدث مرة أخرى أن طُلب للتحقيق مع محقق آخر في إحدى الجهات الحكومية نتيجة التقاء واجتماع بعض مجموعات من جماعة التبليغ بمسجد الشيخ عدة مرات في فترات معينة من الزمن، حيث كان الشيخ لا يعترض سبيلهم، فكان سؤال المحقق عن رأي الشيخ في هذه الجماعة، فقال للمحقق: «أنت من رجال البادية حسب علمي»، فأجاب بنعم، فقال له: «أنت تعرف (السحيلة) كما يسميها أصحاب البادية، أو (السحلية) كما يسميها آخرون، فأجاب: نعم، قال الشيخ له: ألا ترى إلى نعومة ملمسها وأنها مسالمة؟ وليست عدوانية، كما أنها لا تؤذي أحداً!! ثم قال: (جماعة التبليغ في بلادنا من هذا النوع) لا يمكن أن يلحق منها ضرر على أحد فاطمئنا».

هذه المواقف مع المحققين مثلاً وإن كانت تتم بدعابة إلا إنها كانت ترمز إلى حكمته وحنكته، ومن الحكمة في مثل هذا الواقع التزام المطوع بالخلق النبوي من حسن التعامل والمعاملة الطيبة، فالمحقق في الأصل أنه ينشد الوصول للحق، والبحث عن الحقيقة هي وظيفته الأساسية، وهو بهذا ليس خصماً أو عدواً للحقيقة في

غالب الأحوال، ولذلك كان التعامل الحسن من الشيخ تجاه المحقق، ثم معه فيما بعد ذلك، والتثبت منهج شرعي، والمهم الأخذ به وبتأثيره، وهذا ما كان يؤمن به الشيخ السلومي ويردده على مسامع الآخرين ومنهم هذا المحقق ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ كَذِبِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

ومما يُعد من حكمته وقدرته على الإقناع ما تميز به الشيخ في (إصلاح ذات البين) بين المتخاصمين وتقريب وجهات نظر المختلفين، وثقة الناس بصلاح سيرته وعلايته جعلت جهده في هذا المجال مقبولاً، بل ومرغوباً لدى المتخاصمين.

وفي هذا الصدد فإن حادثة واحدة كافية للاستدلال وأخذ الدرس والعبرة من تجارب حياة المصلحين، يقول عبدالرحمن بن سليمان السلومي: «أنه قابل في عنيزة بمجلس الشيخ عبدالله الجلالي رجل يدعى أبو شجاع تركي القحطاني -وهو من وجهاء عشيرته في وادي الدواسر- انتدبته جماعته للبحث في الرس عن شخص يشفع لهم في دية ثمانية أنفس من عائلة الحوشاني من أهالي الرس، ماتوا بحادث مروري مع شاحنة يملكها أحد جماعة تركي القحطاني فقدم إلى القصيم من وادي الدواسر، وسأل بعنيزة في مجلس الشيخ عبدالله الجلالي عن رجل يُعينه في هذا الأمر فأشاروا عليه بالشيخ عبدالله السلومي، وقدم إلى الرس معنا لكن أخي عبدالله السلومي اشترط قبل اللقاء بولي دم صالح الحوشاني وعائلته، وهو عمه محمد الحوشاني وأخيه راشد، واشترط أخي ربط الشفاعة بالموافقة على طعام العشاء لتكون الشفاعة مع المذكور بعد ذلك، وقد تحقق ذلك، وتمت الشفاعة في اليوم التالي، بل وتعجب الوافدون من قحطان في تسهيل الأمور، ومبادرة السلومي بالمتابعة التلفونية مع رئيس المحكمة الشيخ محمد الصُّغَيْر حتى كان التنازل الرسمي في المحكمة بحمد الله وتوفيقه.

ومن حنكته حين استأذنه أحد أبنائه بالخروج من القهوة للراحة وأخذ (غفوة)

فردّ عليه قائلاً بسرعة بديهية: «الأمة الإسلامية كلها في غفوة» وذلك كناية عن واقع الأمة وأنها في غفوة أو غفلة من أمرها.

ومن حنكته وسرعة بديته أن أحد أبنائه قال له وهو في مسجده، وقد فرش بسجاد جديد: «ما شاء الله على السجاد الجديد في المسجد»، فقال بسرعة بديهية: «المهم الساجدين وليس السجاد، والمهم هنا الساجد وليس المسجد!!»، ثم أضاف قائلاً: انظر فتاوى ابن تيمية فقد سُئل عن الفرش في المساجد لأنه بدأ بالشام قبل بقية الأقطار فكانت إجابة ابن تيمية «ليس المهم توفر السجاد، بل المهم وجود الساجد»^(١)، وقال الشيخ مردفاً: «ولو كان خيراً لسبقونا إليه» كناية عن سلف الأمة.

ومن الحنكة وسرعة البديهة عنده حينما قيل له بأسلوب المواساة والمباركة بالعمري: ما شاء الله عمرك أصبح يزيد عن عمر الرسول وأعمار كل من أبي بكر وعمر وعثمان، فقال بإيجاز: «أولئك غفر الله لهم ما تقدم وما تأخر، أما نحن فوضعنا يختلف».

ومن حكمته وحنكته ما ذكره الشيخ سليمان المهوس عنه فقال: «من حكمته ومكانته عندما حصل إشكال بين بعض أهل الشنانة حول قضية من القضايا، ووصلت للشرع المطهر انتهى الإشكال بكلمة منه -رحمه الله- أمام رئيس المحكمة الشيخ محمد الصغير -رحمه الله- حينما قال في المحكمة: أنا المسؤول عن ذلك».

ومن سرعة بديته في التصحيح أو الإنكار أنه سمع أحد الناس يقول ببراءة عن فتاة مرتّ أمامه: «أشهد الله أنني أحبك»، فقال له الشيخ عبدالله مباشرة وبسرعة بديهية منكرّاً عليه: «وأنا أشهد الله أن في قلبك مرض».

يقول رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في محافظة الرس (سابقاً)

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دار العربية، بيروت - لبنان، ١٣٩٨ هـ، (١٦٣/٢٢).

رشيد بن عبدالمحسن الحربي^(١) عن حكمته وحنكته: «زارني الشيخ السلومي مرة في هيئة محافظة الرس في عام ١٤٢٧ هـ وكنت رئيساً للهيئة فسألني كيف أحوالكم في العمل وعسى ما تلاقون مشقة؟ فقلت له: أبداً الحمد لله، قال: الله يخلف علينا أجل ما عندكم شغل ولا تشتغلون، فضحكت وعرفت قصده لاسيما أن أبا سليمان قال مردفاً: يقول الله تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧)، فلا بد من المشقة وهي تتلازم مع العمل، والذي لا يشتغل لا يصيبه شيء ولا يحدث له مكروه.

لقد كان أبو سليمان صريحاً مع جلسائه واضحاً في الرد على أي تساؤل بكل صراحة، لا يجامل أحداً ولا يغضب من كلمة الصراحة، كان مطلّعا حتى تقول في نفسك لقد اطلع هذا الرجل على جميع كتب السلف بالذات مؤلفات ابن القيم وابن تيمية وغيرهم رحمهم الله.

وكان حاضر البديهة بحكمة عند الاستشهاد، حاضر الدليل عند القول، جيد الحفظ، وكان كثيراً ما يتسم عند الكلام يحس المتحدث معه بطرفته ولين جانبه، قال أحد جلسائه مرة المثل المشهور: «الذي ما يخاف من الله خَفَ منه» فقال: «يخسأ البعيد: اللي ما يخاف من الله لا تخف منه أبداً، وذلك كناية عن وجوب القوة وعدم الخوف ممن لا يخاف الله».

وقال أحد جلسائه مرة المثل المشهور: (من ذل سلم) فرد عليه قائلاً: «من ذلّ خسر، ومن خاف من ربه سلم، والذي يخاف الله لا تخاف منه، والذي لا يخاف الله ما يستاهل تخاف منه».

(١) رشيد بن عبدالمحسن الحربي، من مواليد عام ١٣٧٢ هـ، وهو من خريجي معهد المعلمين، وأستاذ سابق في التربية والتعليم، وأخيراً رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمحافظة الرس، وتكملة المشاركة موجودة في ثنايا الكتاب.

كرمه :

اشتهر الشيخ عبدالله السلومي بالكرم رغم إمكانياته المحدودة المباركة، ولا غرابة في ذلك فقد تربى على هدي النبوة وزاد المعاد، وورث صفة الكرم عن والده كما ورد في ترجمة والده.

يقول الشيخ الزيدي: «أما عن كرم شيخي معي فقد تعدى ما يقدمه لضيوفه من القهوة أو الشاي أو الحليب أو اللبن أو الإفطار وغير ذلك، حيث في حالات كثيرة أخرج من عنده وقد زوّدني ببعض التمر في مواسمه، أو اللبن وغير ذلك من الهدايا ليبيتي، وكان هذا الكرم ملاحظ عند بعض الناس عن شيخي عبدالله السلومي قائلين على وجه الاستغراب: «من أين له كل ما يقدمه ويبدله؟ لكنها بركة من الله»، وكان كرمه يتوافق مع القاعدة المشهورة: «قليل دائم ومستمر خير من كثير أو كبير منقطع»، فكرم الضيافة عنده جزء من شخصيته فقل أن يتناول غداءه أو عشاءه بلا ضيف، أو متسول محتاج في المسجد، أو صديق يستشير، وقريب يصل الرحم معه، وكان يُقدّم لهؤلاء وغيرهم من الضيوف طعامه المتواضع، بل وطعام أسرته مشاركين هؤلاء أولاده طعامهم المحدود خاصة في أول عمره، وكذلك يُقدّم للجميع من الأقارب والأرحام غداء الجمعة الأسبوعي طوال عمره، ولأنه لا يتكلف لأي أحد كائناً من كان فقد كان مقصداً لكثير من الزوار وعابري طريق الشنانة من محبيه وغيرهم».

ويقول الشيخ الزيدي: «ويتضح الكرم في فتح أبواب قهوته صيفاً وشتاءً طوال العام يوحد فيها النار صباحاً ومساءً طيلة عمره يتناول الجميع القهوة والشاي فيها مع ما يصاحبهما من التمر والحليب، وكثيراً ما يقدم طعام الإفطار وغير ذلك، وقد تكون بعض تلك الأوقات القديمة التي مضت يعز على بعض الناس الحصول على القهوة أو الشاي أو الظفر بجلسات مؤانسة أو مذاكرة، ويلاحظ أن قهوة شيخنا بمستلزماتها أصبحت جزءاً من شخصية صاحبها الكريم بنفسه وماله لا

ينافسها بأعمالها وبرامجها العفوية سوى المسجد برسائله الشاملة، والاهتمام الكبير من شيعي بالمسجد والقهوة وكل ما يترتب على هذا الالتزام يُعد كرمًا وامتداداً لرسالة الخيرية ومعانيها الشاملة التي يؤمن بها شيعي، فكرمه هو الكرم الحقيقي لأنه العطاء الدائم والمستمر وإن قل، وذكرني واقع كرمه ببعض معاني حديث الرسول ﷺ «سبق درهم مائة ألف درهم»^(١)، فدرهم ممن لا يملك سواه أو بصفة مستمرة خير من آلاف الدراهم الممنوحة من جزء (عرض) مال كثير، أو من محسن صاحب مال وفير لكن عطاءه قد يكون مرة واحدة فقط»، قال عنه محمد العضيف الشارخ^(٢): «كان المطوع من الحاثين على طاعة الله، وهو في شبة النار وفتح قهوته طوال عمره أمر غير عادي في التزامه المستمر، وبهذه الصفة فهو صاحب كرم، وآل السلومي شجرة مباركة، ونسأل الله أن يرزقنا وإياه من فضله»، والعبارة الأخيرة مسموعة بشكل متكرر من كثير من الناس في كل مناسبة أو مجلس أو لقاء يذكر فيه الشيخ، وذلك كناية عن كثرة وتنوع أعماله الخيرية.

أقول معلقاً على ما سبق: «لقد كان الشيخ كريماً بكل ما يملك حسب إمكانياته المحدودة، وكانت والدته تغار عليه وتغار من كرمه لاسيما بتقديمه لأنفس ما لديه في قهوته، ووصلت الغيرة أحياناً إلى بعض أفراد أسرته قائلين أحياناً بشيء من الاستنكار كل شيء لهذه القهوة!!».

وكان الشيخ بكرمه لا يتكلف لبعيد أو قريب كمنهج جعل الناس وعابري السبيل لا يجدون غضاضة في مشاركته غداءه أو عشاءه، وهذه تجربة مهمة للاستفادة منها بالعمل بها، فهو لا يرى السرف والإسراف في الولائم والضيافات ويقول: «إن

(١) محمد ناصر الدين الألباني، بسند حسن: صحيح الجامع - برقم: ٣٦٠٦، وأخرجه أحمد (٣٧٩/٢).

(٢) محمد بن عبدالله بن صالح العضيف الشارخ وميلاده عام ١٣٤٨هـ (وهو العام التالي للسبيل)، وهو من أقران الشيخ عبدالله السلومي في السن وسكن معظم عمره بالرياض، ويرتبط به برحم، قاله بتاريخ ١٤٣٠/١٠/١٧هـ.

الأمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أكد على تلك المعاني في كتاب الزهد وكان يتمثل بالقول: «إن الله لا يحب السرف في كل شيء»^(١) مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١).

يقول محمد المجاهد الخليفة عن شيخه: «هو رجل مبارك - مع قلة ذات اليد - يحسبه الجاهل من أغنى الناس فهو - حفظه الله - يتصف بالكرم سجيةً بدون تكلف، كما لا يتوانى الضيوف من زيارته بسبب تلك السجية. كما يكره الإسراف والتبذير والبخل والشح مما يجعله لا يَمَلُّ من كثرة الضيوف فهو من أعجب ما رأيت في حياتي.

وكان الشيخ مع هذا الكرم لا يرى ما يفعله بعض الناس من التكلف في ولائم الضيافات وحفلات الأعراس والزواج، ويرى أن ذلك إسراف وتبذير لا يحبه الله كما كان يقول، وقد ألزم الشيخ نفسه في معظم زواج بناته بمنهج (بادية قرصان)^(٢) وكفى، وقد يكون ذلك كرد فعل لواقع الإسراف في حفلات الزواج، وقد طبق ذلك حينما زوّج بناته الكبار بشكل عام بدون أي حفلات أو مناسبات، سوى اجتماع محدود جداً على عشاء المنزل داعياً لهم بالتوفيق والبركة والجمع بينهما على خير».

يقول عنه أحد محبيه وهو الأستاذ محمد الحزاي: «إن الشيخ السلومي لا يحب الإسراف والتكلف في الولائم، يأمر الناس بالحفاظ على النعمة وصيانتها ويغضب إذا رأى على الأرض نعمة ملقاة فتعرف ذلك في وجهه وتصرفاته ومن خلال رفع صوته بقوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

(١) انظر البخاري: الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٩٩٧ م، (٢/ ١٨٢)، عن نضرة النعيم (٣٨٩٤/ ٩).

(٢) وجبة عشاء متواضعة مشهورة بنجد عامة وهي معمولة من قرصان البر والخضار واللحم يجتمع عليها العريس مع أفراد العائلة فقط، ويبقى للعريس حرية وضع حفلات عشاء أو الاكتفاء بذلك.

لقد عرفه محبوه بأنه كريم يجود بكل ما يُهدى إليه، أو إلى بيته فيقدمه في قهوته للضيوف وروادها مثل اللبن والرمان والبطيخ والشمام وغير ذلك من الخضار والفاكهة، يقول تلميذه محمد الشيباني^(١): «لقد اشتهر بتقديم عصير الرمان في موسمه بقهوته قبل أن تعرفه المعاصر والبوفيات الحديثة، ولا سيما حينما يتوافق موسمه مع رمضان فكان يقدمه للضيوف بعد صلاة التراويح في قهوته، كما اشتهر بتقديم عصير الشَّامَّ قبل أن تعرفه بعض الموائد»، وأنا أقول قبل أن تعرف ذلك البيوت المخملية - كما يقال -.

أقول: وقد يكون هذا الكرم من الشيخ للقريب والبعيد، بل ومع من يخالفه أو يختلف معه في بعض أمور الحسبة، وهذا الإنفاق من أسباب أن الله يخلف على العبد ما يُقدِّمه في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ: ٣٩)، ولذلك كان كثير من الناس يحبونه ويقدرونه ويهدون إليه الغالي والثمين مما لديهم، فالصيد بجميع أنواعه يُهدى إليه بشكل مستمر، ومن هؤلاء المهديين تلميذه محمد الشيباني، وكانت هدايا السمن والعسل لا تنقطع عن بيته وغيرها كثير، وقالت والدته بالعامية مراراً وتكراراً معلقة على هذا الحب والتقدير من الناس وحجم الإهداء من قبل محبيه: «خادم الله مخدوم».

ونحن أبناءه الذين عشنا زهده بكل ما في الدنيا، مع اهتماماته الكبيرة بأمور الدين، وعلو همته في الخير والحسبة أدركنا تمام الإدراك أسباب رزقه وكرمه، بل إننا فهمنا عملياً معنى الآية الكريمة في واقع الشيخ وأمثاله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).

ومثال واحد يوضح هذا المعنى حيث أعرض الشيخ في بداية الطفرة العمرانية

(١) سبق التعريف عنه .

- كما هو معروف عنه عند كل من يعرفه- عن اقتطاع الأراضي العامة حتى في قريته بالرغم من أن كثيراً من الناس اقتطعوا لبناء بيوت لهم أو للمتاجرة بها، وكان لا يملك سوى بيت طيني صغير قديم مشترك مع أخيه صالح، ولا يملك بيتاً للزوجة الثانية وأولادها، ومع ذلك عوّضه الله في حياته مساكن واسعة، حينما اشترى أبنائه أرضاً بجوار بيته الطيني وبنوا له بيتاً يحقق اجتماع عائلته وقهوته، والأمر واضح في تحقق السنن الربانية، ووعد الله الذي لا يخلف وعده في الآيات القرآنية السابقة واضح وظاهر والله المستعان.

ومما تميز به الشيخ -وقد يُعدُّ من كرمه-، بل وعُرف به في قهوته استفادته التطبيقية المثلى من كتاب ابن القيم (زاد المعاد في هدي خير العباد)، وكان يسميه (الزاد)، وكان يستدل بكثير من أقواله والحكم والأحكام الواردة فيه، وقد استفاد كثيراً من المأثور الوارد فيه خاصة في مجال الطب النبوي، وقد انعكست قراءته من هذا الكتاب على بعض ما يقدمه من وصفات علاجية في قهوته ومن ذلك شاي الليمون، وقبل ذلك (الدارسين) و(الزنجبيل)، وشاي شجر (الشيخ)، وقد كان يقطف الأخير بالتعاون مع أصحابه من البراري قبل طلوع الشمس في مواسم معينة بغرض تقديمه للضيوف طوال العام، وأحياناً يعمل خلطات لهذه مع أخرى يقدمها بدعابة وطرافة مع ضيوفه على أنها مقويات أو منشطات^(١)، أو كما كان يردد كثيراً (إدواء) يعني دواء، أو (مقوي)، كما كان يقدم لبعض زواره المحتاجين بعض الأدوية النبوية من وصفات ابن القيم الدوائية مما استفاده من كتاب (زاد المعاد) وكتاب (الطب النبوي) مثل الصبر، والمرة، والحبة السوداء، وغير ذلك، وكان يُعطر قهوته باستمرار بحبوب (المستكا) التي يرميها بين حين وآخر على نار القهوة طوال فترة جلوس الضيوف.



(١) استخدام نبات الشاي لا يعدو أن يكون من الاجتهادات التي تحمل الصحة والخطأ في الجانب الصحي وتحتاج إلى دراسات علمية متخصصة إضافة إلى عنصر التجربة والملاحظة.

3

المبحث الثالث



السيرة العلمية والدعوية



قال إبراهيم بن سعيد الجوهري:
 «قلت لأبي أسامة: أيُّهما أفضل: فضيل بن عياض أو أبو إسحاق الفزاري؟ فقال:
 كان فضيلُ رجل نفسه، وكان أبو إسحاق رجل عامَّةٍ».
 (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٥٤٣).

مكانته الاجتماعية:

تبرز مكانة المطوع في حسبه وتطوعه، ومن ذلك تطوعه في مجال التوثيق في الكتابة والمكاتبات وما كان يقوم به في الغالب المطاوعة (المطوّعين) في سابق الزمن قبل وجود المحاكم وكتب العدل، وأحياناً بعد تواجدها، وقد كان المعني بالترجمة من هؤلاء، فثقة الناس بتدوينه وشهادته من الأمور الظاهرة، وقد كانت كتابته في جوانب متعددة تتعلق بحقوق الناس ومصالحهم الدينية والدنيوية مثل كتابة وصايا الأوقاف، وتوثيق الزواج والطلاق بالكتابة، وإنهاء الديون والبيع والشراء بالكتابة وتدوين شهادة الشهود، وما شابه ذلك.

وفي هذا الصدد فقد وجدت له بعض الوثائق المكتوبة بخط يده عن ما سبق، واكتفي بالتدوين هنا عن أبرز النماذج الموجودة مع وضع صورها في قسم الملاحق من هذا الكتاب:

◀ من ذلك كتابته بخط يده تحريراً في ١/٥/١٤٠٠ هـ وصية عبدالله (عبيد) بن عبدالعزيز الحسحوس الخليفة بثلاث ماله على أعمال البر ووكيله على ذلك ابنه علي بن عبدالله، بشهادة اثنين من الشهود إضافةً إلى كاتبه [انظر الملحق رقم (٤)].

◀ من الكتابات بخط يده تحريراً في: ١/٥/١٤٠٠ هـ وصية صالح المحمد الغفيلي (ساكن المطية) بثلاث ماله على أعمال البر، ووكيله على ذلك من تقتضيه المصلحة الشرعية من ذريته بشهادة واحد من الشهود إضافةً إلى كاتبه شاهداً به [انظر الملحق رقم (٥)] ويلاحظ أن هذه الوصية تتفق مع سابقتها في تاريخ كتابتها وقد يكون أحد الموصين رغب الآخرين، وقد يكون كاتبها ذكر الاثنين معاً بفضل الوصية في مجلس واحد بيوم واحد -كتب الله للجميع أجر هذه الوصايا الخيرية، وأعان الله ورثتهما على تنفيذ تلك الوصايا ووفقهما إلى ما فيه الخير والبركة-.

◀ من ذلك توكيل عبدالرحمن الناصر البلاع وتفويضه للمطوّع عبدالله السلومي في تأجير مكانه في بلد البلاعية بالشننة، ويبيع ما فيه من الأخشاب والأثل، وذلك بتاريخ: ٤ / ٧ / ١٣٧٤ هـ [انظر الملحق رقم (٦)].

◀ من ذلك إيصال حقوق بين الدائنين وتدوين ورقة مكتوبة بذلك بتاريخ: ٣ / ٨ / ١٣٨٩ هـ، مثل ما بين صالح المحمد البطي ومحمد الرميح للعم صالح المنصور الضلعان [انظر الملحق رقم (٧)].

◀ تدوين دين للتاجر علي الناصر الخليوي الكائن في ذمة عبدالله العوفي وأبيه صالح وأخيه محمد، وهي الوثيقة المدونة بتاريخ: ٢٥ / ٥ / ١٣٨٤ هـ [انظر الملحق رقم (٨)].

◀ من تلك المكانة الاجتماعية ما تم تدوينه كتابةً وإجراء طلاق جبر بن عبدالله الجبر من زوجته هيا بنت عبدالله السعيد بتاريخ: ٥ / ٥ / ١٤٠٠ هـ [انظر الملحق رقم (٩)].

◀ من ذلك كتابة مبايعة أرض بين محمد بن إبراهيم العبودي وعبدالله العضيف وتدوين استلام حقوق البيع بتاريخ: ٥ / ٨ / ١٣٧٨ هـ وأخرى بتاريخ: ٩ / ٨ / ١٣٧٨ هـ، وما ارتبط بذلك من أعمال ميدانية في قياس مساحتها وتثبيتها كتابةً [انظر الملحق رقم (١٠)].

◀ من ذلك تحرير مبايعة بتاريخ: ١ / ٢ / ١٤٠٢ هـ، وذلك عن أرض زراعية في عشيرة بين عبدالعزيز الخليفة وكيلاً عن إخوته إلى جريد بن معاضد المطيري متضمنةً حدود المزرعة وتفاصيل أخرى والشهود على ذلك [انظر الملحق رقم (١١)].

◀ من ذلك الورقة المكتوبة بخط سليمان بن محمد (الحويس) الخليفة المكنى أبو زكريا بتاريخ: ٢٨ / ٢ / ١٤٠٨ هـ، وبشهادة اثنين من الشهود، حيث فيها بيع بيت جده -الطيني الحرب- خليفة الخليفة على جاره عبدالله بن سليمان السلومي

بمبلغ عشرون ألف ريال (٢٠,٠٠٠) ريال على أن يضع المشتري المبلغ المذكور في عمارة مسجد، وهو بهذه الورقة مشتري وأمين على تنفيذ هذا المشروع الخيري. ومما يُعدُّ من مكانته الاجتماعية ثقة الناس به من جميع الطبقات الاجتماعية، ومن ذلك ما عبَّر عنه أحمد الأفغاني^(١) للمؤلف بقوله: «أبو سليمان نثق به نحن طبقة العمال والمقاولين ويثق بنا، لقد اشتغلنا عند كثير من الناس معظمهم يقف علينا ويراقبنا بشكل مستمر لئلا نتوقف، لكن أبا سليمان حينما طلب منا ترميم مبنى قهوته الطينية وجَّهنا وذهب عنا، بل وبعد الظهر جاء إلينا بطعام الغداء، وأكثر من ذلك أنه قال لنا: خُذُوا راحة قيلولَة بعد الغداء، فكان لها أطيّب الأثر على نفوسنا وإخلاصنا في العمل، وكان قلبه يسع الجميع فمعدتنا في حفر الآبار وسيارتي الخاصة أضعها أمانةً عنده في بيته حينما أسافر إجازتي السنوية إلى بلدي، وأحياناً تبقى عنده عدة أشهر، وكثير من الناس لا يحتمل ذلك بما فيهم معظم الكفلاء». وكان موضع ثقة بعض التجار والمحسنين من أمثال سليمان الراجحي في توزيع الزكاة على المستحقين لعدد من السنوات قبل وجود المؤسسات المانحة والجمعيات الخيرية أو توفرها، وكان وسيط خير بين أصحاب الديون والمدينين العاجزين عن تسديد ما عليهم من ديون.

الشيخ بين مرحلتين:

كان الشيخ كغيره من طلاب العلم والعلماء والصالحين يغار على دين الله حينما تُنتهك حُرّماته، ويتحفظ -كغيره في ذلك الزمان- من التعامل مع بعض الجديد من الصناعات في تلك الأزمنة مما كان يتلّزم معها الاستخدام الخاطئ خاصة في أول وصولها، ومما لوحظ على سبيل المثال أن الإذاعات والبرامج -في ذلك الوقت- كان

(١) هو: أحمد قُل حضرت محمد الأفغاني من أفغانستان (خوست) من مواليد عام ١٩٥٣م حوالي ٣٢ سنة في السعودية.

يغلب عليها الطابع الهزلي والغناء والطرب وإضاعة الأوقات بما ليس فيه فائدة، إضافة لعدم وجود إذاعات متخصصة بالقرآن الكريم والبرامج الدينية، وكذا الحال مع أجهزة التسجيل فقد كانت للأغاني فقط قبل أن توجد محلات التسجيلات الإسلامية^(١) التي جاءت متأخرة وأصبحت بديلاً منافساً في التسجيلات.

لا شك أن الشيخ عاش (فترتين) بينهما بعض الاختلاف في عمره الدعوي والاحتسابي شأنه كشأن غيره في التطور الفكري الثقافي للمجتمع، ففي حياته الأولى أو ما يمكن تسميته (بالمحلة الأولى) أنكر أجهزة الراديو والمسجل والتلفزيون وبعض الوسائل الحديثة لغلبة الباطل في برامجها لاسيما عند بداية ظهورها^(٢)، ولكنه أصبح بعد ذلك يسمع خطبة جمعة الحرم من سيارة ابنه بعد صلاته للجمعة كما يستمع لبعض الاشرطة الدعوية، وكان له موقف متوجس -وليس معارض- من تعليم البنات كمدرسة نظامية في القرية في المرحلة الأولى من حياته، لكنه ما لبث أن أدخل بناته للمدرسة وحرص على ذلك بعد الاطمئنان على تطبيقات نظام تعليم البنات المحافظ، مثل غيره ممن توجس خيفةً من هذا التعليم بحكم واقعه الخاطئي في معظم دول العالم العربي^(٣)، وهذا التحول في القناعة يدل على عدم تعصبه ومرونة تفكيره وتغيير الرأي عنده في هذه الأمور مادام الهدف من الامتناع أو القبول هو البحث عن الحق، وتلك حسنة تُحسب له ولأمثاله من الغيورين في الامتناع والقبول.

(١) أول ميلاد للتسجيلات الإسلامية كان منتصف العقد التاسع تقريباً من القرن الماضي (الرابع عشر الهجري).

(٢) عُرف عن الشيخ أنه أنكر عدة مرات على أحد أولاد جيران المسجد الملاصقين لبابه عدم احترام المسجد برفع صوت الراديو، وقد كسر الشيخ هذا الراديو عندما خرج به صاحبه عند بابه رافعاً لأصوات الأغاني، وقد كانت مثار جدل حول ذات الراديو أو الاستخدام الخاطئ له وما في هذا من انتهاك لحقوق الآخرين.

(٣) انظر عن هذا الموضوع رسالة منشورة بموقع القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية بعنوان: قراءة في كتاب (مقاومة التغيير في المجتمع السعودي) على هذا الرابط:

ومما قد يُعَدُّ في تحولاته بين مرحلتيه العلمية والفقهية موقفه من التصوير الفوتوغرافي الذي كان يرفضه في مرحلته الأولى كحال بعض المطوعين والدعاة والمرشدين، وقد استفاد -مثل غيره- من نظام وزارة الداخلية في الإعفاء من التصوير، وقد كانت حفيظة النفوس الخاصة به لا تحمل صورةً فوتوغرافية، [انظر الملحق رقم (١٢)]، لكن هذه القناعات الفقهية تغيرت عنده حينما اضطر إلى إخراج جواز السفر لرحلاته العلاجية في كل من إيران وأسبانيا، كما أنه قَبِلَ بالتصوير عند إخراج بطاقة العائلة الخاصة به سواءً كان هذا القبول ضرورة شرعية أو تحول في القناعة الفقهية.

وقد كان يقرأ في كتب ومؤلفات لبعض العلماء الأجلاء خاصة من بريدة، وكان يغلب على بعض تلك الكتب أو بعض محتوياتها العلمية ما يمكن وصفه بالتشدد -حسب مصطلح العصر- في مناقشة بعض القضايا الفقهية والشرعية، ومن ذلك الاجتهاد في تحريم بعض الوسائل الحديثة مثل الراديو والتلفزيون والمسجل وما شابه ذلك^(١)، ولا شك أن تلك الفترة الزمنية الأولى من حياته تتفق ونسق الحياة الاجتماعية المحافظة والمتحفظة على كل جديد حتى تطمئن لأهداف هذا الجديد ورسائله، كما تتوافق مع الجو الديني العام للمجتمع والدولة آنذاك على حد سواء، ولذلك فإن المنهج الصحيح -في رأبي- في تناول بعض القضايا -مثار الجدل- أو الحكم على بعض الاجتهادات والمواقف التاريخية عند تقييمها، هو ربطها بواقعها وزمنها وعصرها الذي أفرزته، فقد أخرج الحاكم في علوم الحديث بسند صحيح عن الإمام (أحمد) عندما سُئِلَ عن الفرقة الناجية، قوله: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم)، فهل يعني الإمام أحمد وغيره ممن فسر الطائفة المنصورة بأنهم أهل الحديث، أنهم المشتغلون بالحديث وعلومه

(١) مثل الكتب التالية: إعلان النكير على المفتونين بالتصوير من كتب الشيخ حمود التويجري تحريم التلفزيون.

فقط، وغيرهم هالك، سواء أكانوا من أهل التفسير أو الفقه أو غيرهم؟ وعند الرجوع إلى واقع عصر الإمام تتضح الصورة: حيث كان أهل السنة المتبعون للحديث النبوي هم مقابل أهل الكلام والفلسفة الذين يتبعون أقوال فلاسفة اليونان وغيرهم ويقدمونها على الحديث، وهم الذين نصرهم (الخليفة المأمون) ونقل لهم الكتب وترجمها متأثراً بأحواله الفرس، فقد كانوا يتبعون المتشابه من القرآن دون الرجوع إلى الحديث^(١)، فربط بعض القضايا في زمانها أو مكانها مهم لأنه يفسر بعض الاجتهادات، أو يوضح بعض المصطلحات أو المواقف وهكذا، وقد بسطت بعض ذلك في كتاب آخر بالوثائق التاريخية عن طبيعة العصر^(٢).

وأما ما يمكن اعتباره (المرحلة الثانية) من حياته العلمية والاحتسابية، فهي التي جاءت بعد بدايات ظهور ما يُسمى بالصحة الإسلامية حوالي عام (١٣٨٥ هـ) وما صاحبها من انفتاح على الثقافات والمجتمعات الإسلامية الأخرى^(٣)، والاهتمام بالقضايا الكبرى للأمة، وصحب ذلك بروز المنهج العلمي للشيخين بشكل خاص: عبدالعزيز بن باز بتيسيره ومحمد بن عثيمين بتأصيله -رحمهم الله- وهو المنهج القائم على الاستدلال ونبذ التعصب المذهبي، ولا شك أن منهج الاستدلال عندهما يُعدُّ تجديدًا في التعامل مع النصوص الفقهية والشرعية، وهما بأثرهما

(١) باعتبار ما ورد أعلاه فإن أهل الحديث القائلين على منهج الرسول ﷺ؛ الناصرين له، والمنافحين عن سنته والذابين عنها، هم الفرقة الناجية، ولذا فإذا أطلقت كلمة أهل الحديث فلا يُراد منها المتخصصون في أسانيده ورواياته، وإنما يُقصد بها المنهاج العقدي الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه القائلين على الاعتصام بالكتاب والسنة معاً، كذلك: لو تعاطى الصوفيون الخرافيون والقبوريون علم الحديث رواية أو دراية ونصروه لترويج ضلالاتهم، فلا يعدون من الفرقة الناجية -حسب قول معظم العلماء-، مهما كان لهم باع في هذا العلم، وهكذا الشأن في كل أصحاب البدع والضلالات.

(٢) يمكن الرجوع إلى ترجمة (سليمان بن ناصر السلومي - الشخصية والرسالة - دور المطوعين في الوحدة الفكرية) تأليف محمد بن عبدالله السلومي، ففي الكتاب بعض الوثائق الصادرة من السلطة الإدارية والقضائية وما شابهها حول الواقع العام للمجتمع والدولة في جوانب قوة المحافظة على قيم الدين بما يسمى اليوم بالتشدد! (٣) الصحة الإسلامية هي المُعبر عنها بنشوء الجماعات الإسلامية الدعوية في العالم العربي ودول الخليج مثل الجماعات السلفية، وجماعة الإخوان، وجماعة التبليغ وغيرها من جماعات الدعوة.

العلمي والمنهجي على الأمة مجددان، وكلاهما قد استفادا من منهج شيخ الإسلام ابن تيمية أو ممن تأثر بمنهجه كالشيخ عبدالرحمن بن سعدي -رحم الله الجميع- وقد استفاد العلماء (ابن باز وابن عثيمين) من دعم الصحوة المعنوي والعلمي لهما لاسيما من خلال التلمذ عليهما ونشر علمهما، كما استفادت الصحوة منهما علمياً ودعواً، مما أحدث نهضة علمية وقوة دعوية تجاوزت آثارها السعودية إلى أنحاء العالم الإسلامي، وتفاعلت مع الصحوة الدعوية العالمية خارج السعودية، بل إن آثارها واضحة في معظم دول العالم التي فيها مسلمون أو جاليات إسلامية نظراً لأن منهج الشيخين مع المنهج الدعوي للصحوة يقوم غالباً على تعظيم الفكرة (المنهج السلفي) وليس على التعصب الفقهي أو المذهبي أو تعظيم أقوال المشايخ. يقول تلميذه محمد الزبيدي: «لمست بعض الآثار الإيجابية للصحوة الدعوية المباركة على شيخي، ورأيت بنفسني تأثره ببعض جوانب منهج الدعوة من سعة في الأفق وعالمية في الاهتمام ونبذ للتعصب المذهبي، وهذا التأثير المتبادل بين أجيال الدعوة كان عليه وعلى كثير من أقرانه في العمر، حيث ظهرت الصحوة في السعودية منتصف عقد الثمانينات تقريباً من القرن الهجري الماضي».

وقد انعكست هذه المرحلة التاريخية على شخصية الشيخ السلومي من الشدة إلى اللين، ومن القوة إلى الحكمة في القوة، لاسيما بعد أن أكثر من القراءة في كتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأبحر في تعلمها وتعليمها لتلاميذه فنقلته كتب الشيخين نقلة واسعة، ورست لديه الاعتدال، فتأكد له ولغيره -ممن يرى رأيه- أن كثيراً من صناعات العصر الحديث لا تعدو أن تكون وسائل وأسلحة ذات حدين فاعتدل رأياً ورؤية، ولا شك أن هذا بحكم حرية قراءاته المتعددة، وتحرره من التعصب، كيف وهو المفتون -كما عبر عن نفسه- بالقراءة للشيخين ابن تيمية وابن القيم وهما من رواد تحرير العقل الإسلامي في عصور سماها بعض المنصفين من المؤرخين الغربيين عصور الازدهار العلمي، كما أن تحوله من الشدة

والقوة في الحسبة إلى اللين يعد من المرحلة الثانية من مراحل حياته الاحتسابية، فالعدول للرأي الأصوب في كل شيء منهج نبوي، وله في ذلك مثل فيمن سبقه من العلماء والفقهاء وطلاب العلم، فقد قال بعض من سبق من السلف: «هذا على ما رأينا، وهذا على ما نرى»، بل إن الفتوى وبعض الأحكام الفقهية تتغير بتغير الزمان والمكان كما كان يقول ويردد، بل إن الوالد الشيخ كثيراً ما يسوق كلام الشيخ عبدالرحمن بن سعدي - رحمه الله - وقوله عن نفسه: إنه كان يرى الرأي في مسألة (ما)، وبعد اطلاعه على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم تغير رأيه في تلك المسألة^(١)، وهذه أمور بدهية لدى العلماء المتصرين للحق وليس للنفس أو للخلق، وكان يصف الشيخ ابن سعدي بأن هدفه الحق فلا غرابة أن تتغير عنده الفتوى بتغير الزمان والمكان، وكثيراً ما يستدل الوالد على منهج ابن القيم المتجرد الباحث عن الحق والذي تخلى فيه عن بعض الآراء والاجتهادات السابقة، فلا غرابة أن يعلن العالم أو طالب العلم بتغير رأيه، بل إن هذا هو المنهج الشرعي السوي العدل، وليس منهج الإمام الشافعي - رحمه الله - في بغداد، ثم منهجه بعد ذلك في مصر ببعيدٍ عن هذا التغير البناء.

يقول الشيخ أن شيخه ابن القيم تحدث عن نفسه سابقاً وكيف كان متأثراً بالفلسفة والتصوف، إلى أن كانت مقابلته للشيخ الحبر من حرّان (ابن تيمية) ليصبح شيخه في العلم، وينتهج فيما بعد منهج السلف في المسائل العلمية، كما ذكر ذلك عن نفسه في مواضع من كتبه.

وقد ظهرت على صاحب الترجمة صفات (الاعتدال) وعاشها بعد ذلك متأثراً بوسطية ابن تيمية وابن القيم، وعن هذه (المرحلة الثانية) من حياته الاحتسابية

(١) كَتَبَ ابن سعدي عن تحولاته الفقهية في كتابه القواعد الفقهية، ويذكر الشيخ أن آخر حياة ابن سعدي العلمية لا تختلف عن المنهج العلمي لابن تيمية وابن القيم، كما يذكر أن ابن سعدي في شرحه لكتاب زاد المستقنع أو غيره يعتذر فيه من شروحاته السابقة لبعض المسائل الفقهية.

والدعوية، قُلت: حدث ذات مرة أن أحد رواد قهوته من المتأخرين ممن يُحسب على طلبة العلم أنكر في القهوة استمرار بقاء (قبر محمد ﷺ) داخل المسجد النبوي وتكريس هذا الواقع مع وجود عمليات التوسعات السعودية القديمة والجديدة للمسجد النبوي وساحاته مما يؤدي إلى الصلاة تجاه القبر، -كما يقول- وكان ذلك بحضور الشيخ محمد بن صالح الزبيدي، فرد عليه الوالد الشيخ بعلم الدراية وبفقه المصالح والمفاسد قائلاً له: «هذا الواقع خير من لو عُزل القبر عن المسجد النبوي وأصبح مدعاة لوقوع المحذور الشرعي من دوران أو طواف حوله، أو تعظيم للقبر على حساب المسجد، والله حكيم عليم في واقع قبره ﷺ عبر تاريخ الدول الإسلامية المتعاقبة»، وقال له ناصحاً: «على المسلم عدم إثارة مثل هذا الموضوع المتفق عليه حتى وإن كان في الظاهر فيه شبهة»، ثم كرر نصحه قائلاً له: «اجتهد في إنكار المنكر الذي يناسب قدرتك، ودعك من الأشياء التي لست مكلفاً بها وهي فوق طاقتك وعلمك».

وقد أدرك كثيرٌ ممن يعرفُ الشيخ -سابقاً ولاحقاً- التغير الواضح سواء في منهجه الدعوي أو أسلوبه في الحسبة، بل في تربية الأولاد وغير ذلك من النواحي العلمية.

كتب ابنه عبدالعزيز بن عبدالله السلومي عن وسطية أبيه، وأن والده قد تأثر بفكر مؤثر قوي مما انعكس على حياته، فقال: «لقد دعاني هذا الواقع إلى قراءة منهج ابن القيم في بعض كتبه مع أخي محمد مؤلف هذا الكتاب، وهل كان لابن القيم أثر كبير على والدنا إلى هذا الحد؟ ونحن ندوّن بعض ما نذكره عن والدنا ونبحث ونُخرج بعض أقواله ونقولاته عن ابن القيم عرفنا حقيقة الأثر والتأثير بما وجدنا من بعض النصوص لابن القيم»، ونقول جميعاً: «حقاً إن شيخنا ووالدنا قد تربى على كتب ابن القيم التي نقلته إلى المرحلة الثانية، فاستدلالات والدنا ورؤيته وعلاقاته اليومية مع الناس بفروقاتهم الفردية والعلمية والفكرية، بل

ومنهج تفكيره خاصة في جانب العلاقة مع المخالف حيث احترام كل مسلم وتقدير علمه كل ذلك أكّد لنا تتلمذُ والدنا القوي على ابن القيم لاسيما بعد أن وجدنا كلاماً نفيساً لابن القيم، ومن ذلك موقفه من الحق والباطل عند المعتزلة أو الأشاعرة حيث قال: ((في مسألة الحسن والقبح ما منكم أيها الفريقان -يعني المعتزلة والأشاعرة- إلا معه حق وباطل، ونحن نساعد كل فريق على حقه ونصير إليه، ونبطل ما معه من الباطل ونرده عليه^(١)))، والملاحظ أن بعض طلبة العلم أو الدعاة أو بعض الغيورين المحتسبين يفاصلون الطرفين أو أحدهما، أو يجاملون في الباطل والحق على حد سواء، وكلا الأمرين لم يعمل بهما الشيخ خاصة في مرحلته الاحتسابية الثانية، وبعض رواد القهوة يعرفون أن رجلاً من طلاب العلم قد ترك زيارة الشيخ وقهوته حينما سمع منه الشئ على جماعة التبليغ بما عندهم من الحق، حتى قال له هذا الرجل: (حتى أنت يا أبا سليمان تشني على هؤلاء!)، وقد خرج من القهوة وترك الحوار محتجاً حينما رد عليه قائلاً: «نعم تشني على كل إنسان أو جماعة بما لديهم من حق»، ولذلك فإن منهج ابن القيم ومن تأثر به هو عين الوسطية والاعتدال كما سبق توضيحه في مسألة الحُسن والقُبْح، وبهذا تتضح معالم شخصيته بين المرحلتين في عمره الدعوي والاحتسابي.

ملامح من شخصيته العلمية والخيرية:

كان بحق تلميذاً لوالده ولشيوخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب، فقد تتلمذ على كتبهم جميعاً، كما أنه يُقدّر كل كتابة تؤكد على أهمية نشر منهج ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أو يتفاعل معها فهما أستاذه عن بُعد -كما قد يقال- فابن تيمية وابن القيم وأمثالهم من مجددَي الفكر الإسلامي يُعدّون

(١) انظر: ابن القيم الجوزية مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، طبعة مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة، ج ٢، ص ٥٧.

نماذج تَقْدُمُ للأمة الإسلامية بأعمالهم الخالدة وعلومهم النافعة التي قدمت ولا زالت تُقدّم معظم وسائل الرقي المعرفي بما تحويه من النظريات المنهجية والحقائق العلمية في معظم حقول المعرفة^(١)، ولأجل هذا كانت بعض الإشارات العلمية المختصرة عن الشيخين في مباحث هذا الكتاب عامة وفي (مبحث قهوة أبي سليمان) بشكل خاص وفاءً بمحبته لهما وانتصاراً لشيخوخه الذين أخذ عنهم وتعلمد على كتبهم، كما أن المطوع الشيخ يُقدّر كل من يُدوّن عن أثر المنهج الإصلاحي التجديدي لمحمد بن عبد الوهاب ودعوته المباركة، والإمام محمد بن عبد الوهاب تلميذ من تلاميذ هؤلاء العلماء الجهابذة كما يسميهم المعني بالترجمة، فمدرسة هؤلاء الرموز والجهابذة أكدت - ولا زالت تؤكد - أنها تُخرج عن بُعد زمني ومكاني نماذج لنشر المنهج الحق (منهج أهل السنة والجماعة) وما فيه من روح التجديد والتحديث.

يقول الشيخ عبدالعزيز بن عبد الرحمن اليعحي^(٢): «فالعلماء والدعاة والمصلحون هم ورثة الأنبياء الذين تسعد بهم البلاد والعباد، وهم القدوة الصالحة لكل مجتمع، ولذا أحب أن أشير إلى سيرة الشيخ عبدالله بن سليمان السلومي، هذا الرجل الذي عرفته أيضاً مع والده منذ أربعين سنة، وهو من مواليد عام ١٣٤٥ هـ، وهو إمام في مسجده حافظٌ لكتاب الله إضافة إلى كونه محباً لطلبة العلم ورعاً زاهداً مسانداً

(١) هناك من يعدُّ هؤلاء الجهابذة المجددين - للأسف - نماذج تخلف وتطرف، ومن ذلك بعض كُتّاب الصحافة المعاصرين، ممن أصيبوا بـ (زهايمر التاريخ)، أو ممن أصابتهم الهزيمة الفكرية والنفسية ففقدوا المناعة الثقافية أمام بعض معطيات الغرب الحديثة، وانظر على سبيل المثال التعليق على هذا في البحث الخامس .

(٢) هو الشيخ عبدالعزيز بن عبد الرحمن اليعحي من طلاب العلم والمحتسبين في بريدة، وقد تقلد مناصب كثيرة ومنها رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بريدة، ثم رئيساً مكلفاً للهيئة في الحرم المكي الشريف، ثم رئيساً للهيئة في منطقة نجران، ثم رئيساً للهيئة في المنطقة الشرقية، ليكون بعد ذلك من الدعاة التابعين لوزارة الشؤون الإسلامية في منطقة القصيم. وكانت مشاركته بهذه الكلمات الميثوقة في هذا الكتاب حينما علم بمشروع الترجمة عن صديق دربه في الدعوة والحسبة الشيخ عبدالله بن سليمان السلومي ووالده، وكان قد رغب منذ فترة طويلة من الزمن أن يكتب عنها ترجمة كاملة بنفسه، وكتب هذه المشاركة بتاريخ: ١/ ١ / ١٤٣١ هـ.

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يصحب الدعاة ويساندوهم أمثال الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد والشيخ عبدالعزيز الصالح العقل من بريده، والشيخ عبدالله الحمد الجلالي من عنيزة وغيرهم، شغوفاً بمدارس العلم وقراءة كتب السلف في مسجده ومجلسه الذي يؤمه عشرات المحبين صباحاً ومساءً، صحبته في السفر والحضر وبثَّ عنده مرات عدة، نِعَمَ الرجل، صاحب تهجد وتلاوة، إذا قام يترنم بالقرآن في قراءته المؤثرة في المأمومين، ودَّ السامع أن لا يسكت، لقد ربَّى أولاده تربية طيبة، وحفظهم كتاب الله، وأصلَّ فيهم محبة العلم النافع، والوسطية في المنهج، يحث زائريه على مطالعة كتب ابن تيمية وابن القيم وأئمة الدعوة، وكان لنا مجالسات وأمسيات في وسط التسعين عندما قامت المكتبة العلمية في الرس، ومكتبة ابن القيم في بريدة».

ويواصل الشيخ يحيى فيقول: «من خلال معرفتي بالشيخ عبدالله السلومي اعتبرته هو وشيخي عبدالله السليمان بن حميد يسيران في منهج واحد، وهو منهج الوسطية يجتمعان بالكبار والصغار مما يدل على لين الجانب ومحبة الخير، فهما بحق من المواطنين أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، ويُعطون كل مجلس وموقف ما يناسبه، وقد جمعوا بين الغيرة والدعوة وبذل الجاه والمعروف وإصلاح ذات البين ومحبة الخير لكل مسلم، مع الزهد والورع والبعد عن المتشابه، رحم الله شيخنا عبدالله بن سليمان بن حميد وبارك في عمر المترجم له الشيخ عبدالله بن سليمان السلومي، والذي لا زال على قيد الحياة حتى تحرير هذه الأسطر، ملازماً للذكر، متابعاً للحج والعمرة، ومن مواقف عبدالله بن سليمان السلومي في حج عام ١٣٩٧ هـ عندما شبَّ حريق في مخيم منى، وكان من ضمن الخيام المحترقة خيمة تضم نخبة من طلبة العلم بما فيهم الشيخ عبدالله بن محمد الدويش المحدث المشهور، ففزعت أنا محرر هذه الأسطر للمساهمة في إنقاذهم، فقابلني، الشيخ عبدالله الدويش وقد حمل كتبه فوق رأسه وأفادني بأن جميع ممتلكاتهم قد احترقت، وكانوا رفقة للأخ

العزیز وائل الفهد التویجری، فانطلقت فاذا بالمرجم له الشیخ عبدالله السلومی یقابلی فأخبرته فقام علی الفور وسحب عمود خیمة من خیامه، وقال لی: خذها وانصبها للإخوان، ثم أعطانی مبلغاً من المال قدره ألفا ریال إسهاماً منه وعوناً للمحتاجین، وذهبت أنا ووائل التویجری إلى سوق الجودریه واشترینا خیمة أخرى وجميع ما یلزم من الاحتیاجات، وهذا دلیل علی مدى النخوة والنجدة وحب الخیر لإخوانه جزاه الله خیراً».

یقول محمد الحزابی عن صفة من صفات شیخه وهي محبة الناس له: «إذا أحبَّ الله عبداً حبه إلى الخلق فكان محبوباً، والشیخ الوالد أبو سلیمان أحبَّه الجميع من حاضرة وبادية، وكثیراً ما یسأل عنه أهل البادية خصوصاً القرى القریبة من الرس، فتعجبت کیف عرفته هذه الأعداد الكثیرة، فسألت عن السر فی ذلك، ثم عرفت أنه كان یقضي حوائجهم ویفقدهم، وإذا غابوا عنه سأل عنهم، فكانوا كثیراً ما یطرقون أبوابه لیشفع لهم ویقضي حوائجهم، وكان یفرح بذلك، ودائماً یسألنی: هل تعرف فلان؟ وهل تعرف فلان الآخر؟ فإذا ذكرت شیئاً من أحواله قال بصوت مرتفع: عجیب عجیب».

ویقول عن مناصحته للخاصة والعامة: «أعرف أنه كان یناصح الناس، فكان إذا رأى منكراً ظاهراً علی أحد من الناس بادره بالإنكار والمناصحة کائناً من كان، كان یركب السیارة ویقصد المسؤولين ویناصحهم فی مكاتبهم، وكنت واحداً ممن كان یذهب به بالسیارة إلى بعض الجهات الرسمية فیدخل علیهم ویذكرهم بالله ویخوفهم به، ثم ینخرج من عندهم وهم یقدرون له هذا النصیح، كما یقدمون له الشکر والتقدیر».

كما یقول الحزابی: «وكان والد الجميع محبوباً من جميع الناس وذلك لتواضعه، كما یتمیز بالبساطة، وهو کثیر الفرح بالضيوف یداعب ضیوفه ویدخل علیهم السرور، ویمازحهم ولسان حاله یقول:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل^(١)

وكان يبذل المعروف، ويقضي حوائج الناس فقراء كانوا أم أغنياء بل يفرح بذلك. ثم إنه يحب الشفاعة للناس لدى بعض المسؤولين سواء كان يعرفهم أو لا يعرفهم. وهو محب للعلم والعلماء، فهو دائم الثناء عليهم ويستشهد بأقوالهم خصوصاً السلف رحمهم الله.

وكان يكره المنكر من كل قلبه، ولا يجامل أحداً صغيراً أو كبيراً، ولا يترك صاحبه إلا نصحه وأرشده.

ومن صفاته أنه يفرح إذا دعاه أحدٌ إلى وليمة حيث يسارع في إجابة الدعوة حباً في التواصل مع كل الناس، فكان يجيب الدعوة والداعي ولا يتركه أبداً. كما عُرف عنه محبته للفقراء والمساكين يتفقدهم ويوزع عليهم ما يأتيه من المحسنين.

يقول محافظ الرس سابقاً محمد العساف^(٢) - رحمه الله - مجيباً عن سؤال عن الشيخ عبدالله السلومي: «أما والدكم عبدالله فقد بقي محل والده بالشنانة، وأذكر أنه بعد فتح مكتب الضمان الاجتماعي بالرس تكرر منه مراجعة مكتب إمارة الرس بشأن الشفاعة بحق الفقراء والمحتاجين، يرافقه أحياناً المرحوم محمد المنيع بن خليفة، وكان يراجع للمحتاجين في إخراج تقارير عن حالتهم الصحية وحتى ينهي إجراءاتهم في مكتب الضمان جزاه الله خيراً، هذا ما كان بالذاكرة أحببت إشعاركم به والله يحفظكم». وقال مشافهةً: رَاجَعْنَا المطَّوع عبدالله السلومي مراراً كثيرة في

(١) انظر: محمد أمين شيوخو: كشف خفايا علوم السحرة، جمعه وحققه: عبد القادر يحيى الشهير بالديراني، دار نور البشير، دمشق - سوريا ج ١/ ٢٢٧ والبيت ضمن قصيدة لعبد القيس بن خفاف البرجمي من رحيق الشعر ١٥٠/١.

(٢) محمد بن عساف الحسين كان أميراً ثم محافظاً لمحافظة الرس، كتب هذه المشاركة عن المطَّوع سليمان السلومي وابنه الشيخ عبدالله السلومي بتاريخ: ١٠/٥/١٤٣١ هـ.

أمور الحسبة، ودعم أحد معلمي القرآن من الوافدين وتبنى دعمه ومساعدته مادياً ومعنوياً في محافظة الرس^(١).

الشيخ صالح الرميح^(٢) كتب عن درس مهم من دروس الحياة، وهو الجمع بين العلم والتعليم، وبين الكدح وطلب الرزق قائلاً: «وقد عرفت عن والدكم الشيخ عبدالله أنه أولاً حافظٌ لكتاب الله ويدرسه في المسجد الذي هو إمامه منذ عشرات السنين مما كَوَّن له طلبة علم من غير أبنائه يعترفون له بالفضل بعد الله. وقد تبين لي من مجالسته وطرح أي موضوع شرعي أنه قوي الاستدلال، حيث يقول قد ذكر ذلك الشيخ فلان في كتاب كذا وكذا، فالعجب كيف يجد وقتاً ليقراً في الزمن الذي كان (يكد ويكدح) من بعد صلاة الفجر وحتى المغرب، وقد شاهدت ذلك حتى أنه لا يزال حتى الآن مع كبر سنه حوالي (٨٨) سنة قد متعه الله بالذاكرة العلمية الجيدة والذكر الدائم لله.

وقد فتح منذ سنوات طويلة باب بيته صباحاً وبعد صلاة العصر حتى المغرب يومياً لمن يرتادونه، إما لطلب علم ومعرفة، أو لصلة رحم وقراءة، أو لأداء بعض الجميل لتلاميذه الذي وصلهم منه حظٌ مباركٌ من العلم والمعرفة، ولن أنسى أن أُسجِّل شهادةً، وهي أن الشيخ عبدالله السلومي موضع أمانة ومسؤولية عند كل معاصريه، وقد كنت أعتد عليه في أداء بعض الواجبات للغير، وإيصال الأمانات فترة طويلة من الزمن، ولو استطردت لطال الحديث عنه، إذ كيف أكتب عن رجل جمع بين أمرين من أصعب الأمور الجمع بينهما، وهما طلب المعيشة والرزق، وطلب العلم والدعوة مع شظف العيش في زمانه».

(١) هو الشيخ زكي إبراهيم الحافظ والمحفظ لكتاب الله قبل وجود جمعية تحفيظ القرآن الكريم بالرس، وكان من الأخوة الوافدين من مصر.

(٢) هو صالح بن محمد بن رميح بن عمر بن فوزان بن حمد بن مفيز من قبيلة العجمان، وهو من مواليد عام ١٣٥٥ هـ وهو موظف حكومي سابق في وزارة الدفاع والطيران، ثم في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ثم مديراً لجمعية البر بالرياض فترة قصيرة من الزمن، كما أنه من رجال الأعمال في الرياض والقصيم.

نماذج من صفاته الدعوية:

يقول محمد الحزاي: «ذَكَرَ الشيخ عبدالعزيز العقل في مرحلة الجولات الدعوية التي تنطلق من قهوة أبي سليمان أنه كان قارئاً لهم، كما يقرأ عليهم بصوت عالٍ جميلٍ من كتب ابن القيم، وكانت قراءته تأخذ بالألباب وتشد الناس إلى الاستماع. وكان يتألم لأوضاع المسلمين في كل مكان ويدعو لهم، مقدراً أهمية الأخلاق للأمم والمجتمعات فهو محب لمكارم الأخلاق والرجولة، ويدعو الناس خصوصاً الشباب إلى التمسك بالدين والأخلاق والمكارم، وحقاً فإن هذا الرجل (مدرسة) للأجيال بالأفعال والأقوال، نسأل الله لنا وله حسن الختام وقبول الأعمال وأن يجمعنا وإياه في الجنان مع سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم».

يقول محمد بن سعيد القحطاني عن ذكرياته مع الشيخ عبدالله السلومي أنها (ذكريات وذكريات) تعود إلى ثلاثة عقود من الزمن، كما قال: «نعم إنها ذكريات حوالى ثلاثين سنة، عرفت فيها هذا الرجل بالخصال التالية:

التقوى والتجرد لله وحده: هكذا أحسبه والله حسيبه، وقول الحق دون أن يخشى في الله لومة لائم، ومداومة الطاعة: فهو لم يترك الحج سنة واحدة فيما أعلم منذ أن عرفته إلى الآن، والكرم والجود: فمجلسه منتدى لكل معارفه صباحاً ومساءً وسفره للحج بحملة منتظمة لمن يحجون معه، والزهد: فأنا لم أر في مثل زهد أبي سليمان إلا القلائل، وأحسبه ممن وضع الدنيا خلف ظهره فلم يأبه برصيد أو حساب بنكي أو راتب شهري؛ ومع هذا تجد فضل الله عليه كبيراً.

أما ما بيني وبينه من علاقة فقد وصلت إلى حد يعجز لساني وقلمي عن رسم حقيقة ذلك، وأسأل الله أن يجعلها محبةً فيه سبحانه، ولقد أحبني أبو سليمان وأحب كتابي (الولاء والبراء) وفرح به فرحاً شديداً، حتى إنه بلغني أنه قرأه على جماعة مسجده كاملاً في طبعته الأولى قبل ثلاثين سنة من الآن، وما جاء بهدية لأولاده بمكة إلا جعلني مثل أحدهم فيها وكان يقول لي: (أنت من آل بيتي)، وهو دائماً

يسأل عني ويتقصّى أخباري من زملاء العمر ومسيرة الحياة أبنائه الكرام كل من الدكتور سليمان والدكتور محمد، والدكتور ناصر، والدكتور عبدالعزيز والأستاذ عبدالرحمن.

هذا الرجل لا يجالسه أحد فيملّ مجلسه: فهو كريم المعشر، طيب المحيا، سريع الطرف والدعابة، ومع هذا فهمّه الأول- فيما أحسب- نصره الدين وقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسؤال عن أحوال طلاب العلم ومدى بذلهم لدعوتهم ابتغاء مرضاة ربهم».

الشيخ عبدالله الجلالي أكّد كثيراً ما ورد من الصفات السابقة واللاحقة، وذلك في ورقة كتبها عن الشيخ أبي سليمان ومما قال فيها: «عرفت أبا سليمان الشيخ عبدالله بن سليمان الناصر السلومي منذ حوالي أربعين عاماً في بلدة الشنانة من ضواحي مدينة الرس، فعرفت فيه التّقى والشّهامه والعلم المؤصّل، كما عرفت فيه الورع والجلّد».

يقول الشيخ محمد الزبيدي^(١) عن بعض صفات شيخه: «كان شيخني متخلّقاً بأخلاق القرآن الكريم، وكان متسامحاً محبّاً الخير لكل الناس حتى مع خصومه، ومن صفاته التي برز فيها تسامحه مع الخصوم المناوئين له في قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث لا خصوم له في الدنيا فهو الزاهد في كل ما فيها، فاشتُهر بالإحسان إلى كل من أساء إليه، والعفو والصفح الجميل عاملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣٤) وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (فصلت: ٣٥، ٣٤). حتى أصبح بعض خصومه في الحسبة سابقاً هم بعض رواد قهوته فيما بعد».

(١) ورد التعريف عنه .

ويقول الشيخ محمد الزيدي: «كان شيخني الروحي حسن الظن بالله متوكلاً على ربه في أمر دينه ودنياه، وكان من المهتمين بأمور الإسلام والمسلمين العامة، يسأل بشكل مستمر عن أحوال إخوانه المسلمين، ويفرح بنصرهم وهزيمة أعدائهم في ميادين الجهاد الفكرية والعسكرية».

كان التواصل الاجتماعي لديه قوياً بل جزءاً من شخصيته، فقد كان يستضيف بشكل مستمر كل الأقرباء والأرحام من قريب وبعيد، وكان أولاد الخالة لوالده سليمان يجتمعون بصفة دورية في قهوته مع والده، ومن قوة تواصله الاجتماعي ووفائه أن استقبل في بيته ابنة أخته اليتيمة فاطمة بنت محمد الشهري، وأخته هيا أرملة طالب العلم محمد بن عبدالرحمن بن سعد الشهري^(١) بعد وفاته، وكان متواصلاً مع عائلة اليتيمة (من بني شهر)، وقد عمل أخوه عبدالرحمن على توفير سيارة خاصة لزيارة (النماص) موطن عائلة المتوفى محمد الشهري بصحبة والدهم سليمان، وسافر الثلاثة مع ابنة أختهم لزيارة كل الأرحام هناك، وتحمل الجميع مشاق السفر في وقت لم يكن طريق جنوب المملكة معبداً، بل كان شاقاً وعسيراً، وقد قدر الأرحام من (بني شهر) هذه المبادرة وسجلوها في ذاكرتهم التي لا تنسى حسب قول الشيخ الأستاذ محمد بن عبدالله بن ناشع الشهري^(٢)، وحسب اعتبار الأرحام جميعاً.

ويقول محمد الزيدي أيضاً: «كان شيخني لا يخرج بعد صلاة الفجر ويمكث في مصلاه حتى تطلع الشمس ويصلي ركعتي الإشراق مع أولاده معظم عمره، وكان يذكّرهم باغتنام الفرص حيث العمرة التامة بدون سفر وذلك إيماناً منه بحديث

(١) محمد بن عبدالرحمن بن سعد الشهري وهو من قبيلة بني شهر وهو أحد طلبة العلم (له ترجمة مطولة في الملاحق) كتاب سليمان بن ناصر السلومي - الشخصية والرسالة حيث حاز إعجاب والدها بذكائه وفطنته وحيه للعلم وكان صاحباً وزميلاً لابنه ناصر، وكانت معرفته عن طريق ابنه ناصر في جدة، وقد أنجب منها ابنته فاطمة وتوفي - رحمه الله - عنها.

(٢) سبق التعريف به.

الرسول ﷺ الذي قال فيه: «من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة»^(١)، وقد لازم هذه السنة معظم حياته إلا في السنوات العشر الأخيرة تقريباً كان يخرج من المسجد مبكراً لتجهيز قهوته للضيوف، وقد كان يقوم بتجهيز القهوة في السنين الأولى من عمر القهوة أخوه صالح وابنه سليمان بن صالح فترة من الزمن، وتولى هذه المهمة أحد أبنائه الكبار تبعاً بالسماح لهم بالخروج من المسجد قبل طلوع الشمس لهذا الغرض، وكان الشيخ ملتزماً بسنة الضحى طوال عمره».

كتب صالح بن عايد القرزلان^(٢) فقال: «علاقتي الشخصية معه تجاوزت العشرين عاماً، وقد لا أوفيه حقه في الكتابة عنه، ولا يعني أن ما أذكره هنا من الخصال الخيرة أن تلك الخصال هي الوحيدة فيه والتي لا يمكن حصرها، ولكنها مما ميّزته ورأيتها فيه خلال زيارتي له المتكررة أو السفر معه، ومن ذلك أنه -حفظه الله- صحبني في سفر بين الرياض والقصيم وبتنا ليلة في الطريق في بلدة حريملاء عند بعض الأصدقاء، وقد تفاعل مع أناس لا يعرفهم وتفاعلوا معه وأنسوا به وأنس بهم، ولعل مثلي المحب للشيخ السلومي يختار فيما سيكتبه عنه، ولكنني أوجز أهم المناقب التي رأيتها فيه:

رأيته محباً للأخيار وأهل الخير، ومشفقاً على الأمة الإسلامية دائم السؤال عن أحوالها لمن يظنه مظنة المعرفة بذلك، فغيرته مما يصيب الأمة من مصائب ومحن تكالبت عليها بيديه لمن يأنس به ويدرك انتفاعه به، ويضاف إلى ذلك وعيه بواقع المجتمع والأمة وتأنيبه وعدم استعجاله، ومن مناقبه كذلك إنزال الناس منازلهم

(١) رواه الترمذي في الجامع الصحيح وقال: حديث حسن غريب وصححه الألباني، صحيح الجامع: ج ٢ ص ١٠٨٦ برقم ٦٣٤٦.

(٢) أستاذ تربوي سابق في التربية والتعليم، من مواليد عام ١٣٨٠هـ، عمل في عدة جمعيات ومؤسسات خيرية، ثم عمل في مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية، ثم مؤسساً لشركة في مجالات الاستشارات الوقفية.

وقد لاحظته من خلال الزائرين لمجلسه والوافدين إليه، ومن مناقبه محبة الآخرين له حيث يجمع مجلسه مختلف الأعمار والألوان، ومحبة لمجالسة الآخرين ظاهر في شخصيته فحينما عرضت عليه الدعوة إلى زيارة حريملاء لم يبد أي تحفظ، وشبابيته وسعة تفكيره في استيعاب كل الأعمار مما عرف عنه، ومن مناقبه زهده في الدنيا وعدم انشغاله بها وهذا يدركه كل من جالسه، ومن مناقبه المعروفة حبه للعلم وفرحه بالعلماء ومحبة للسلف وشغفه بعلمهم كشيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم، وهذا بعض ما رأيت الإشارة إليه من صفاته.

كان لا يترك (العمرة) في معظم عمره مع بعض أصحابه وخاصة العمرة الرمضانية وذلك بعد ما يختم القرآن ليلة السابع والعشرين من رمضان، وبعد ما يكمل مهمة إمامة المسجد لابنه الأكبر سليمان - حفظه الله - والذي كان يخلفه كذلك في استقبال وإكرام ضيوف القهوة في فترات غياب صاحبها - فجزاه الله خيراً - وكان يقول لأولاده عند سفره مذكراً لهم بثواب الآخرة ومواسياً لمن لا يرافقه (من خلف غازيا في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا)^(١)، وقد كان ذهابه إلى مكة للعمرة مع أصحابه بسيارة خاصة تضم الجميع، وكانوا يطبخون عشاءهم وسحورهم على الدافور^(٢) تحت أحد أعمدة الحرم وذلك لقلّة الناس - كما يقول الشيخ -، وقد رأيت ذلك بنفسني في أوائل الثمانينات من القرن الهجري الماضي حينما صحبت والدي في أحد سنوات العمرة، وكان الشيخ يبقى في مكة المكرمة مع أصحابه حتى صيام ستة أيام من شوال، ويذكر الشيخ عن حجم السعادة والأنس بلذة العبادة التي كان يتمتع بها كثيراً من العباد في الحرم حينما كان خالياً من الزحام حتى في المواسم المفترض فيها الزحام، ويتغنى بتلك الأيام التي ذاق مع أصحابه فيها

(١) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب صححه فضل إعانة الغازي في سبيل الله، ح (١٨٩٥) ص ١٨٩٥.

(٢) الدافور: هو وسيلة من وسائل الطبخ قبل الغاز، وكانت ناره تشتعل على القاز.

لذة العبادة والروحانية والتي يصفها بقوله: كأن الإنسان طائر في السماء، أو مخلق بين السماء والأرض من لذة العبادة والطاعة ومناجاة ربه ليلاً ونهاراً سواءً بقراءة القرآن، أو صلاة الفروض والنوافل، أو الطواف حول الكعبة» انتهى.

وكان من عاداته وعبادته أنه يحب (خلوة العبادة) حيث كان لا يخرج من المسجد بعد صلاة المغرب، إمّا لتعليم أصحابه القرآن، أو الخلوة مع القرآن والذكر وصلاة السنة، أو للقراءة والرقية على بعض المرضى الذين اعتادوا المجيء لمسجده بعد المغرب، ومما يُعد من صفاته أنه لا يعادي المناوئين للحسبة بالرغم من الاختلافات معهم، ولا يخاصم أحداً في أمور الدنيا لأنه ليس لديه شيء من هذا، والمتأمل في موضوع الحسبة والاحتساب عند الشيخ - كما سبق - يدرك المعاني الكبيرة والآثار الإيجابية لهذا الخلق.

يذكر الشيخ لأولاده نموذجاً من نماذج (البحث عن الحق) في الخصومة قائلاً: «كان عبدالله (عبيد) بن سليمان بن عمر البطلان - رحمه الله - من الجيران، وكان قد اختلف مع إحدى الجيران (أم عليّ) ووكلتني هذه المرأة لإنهاء الخلاف شرعاً، فتوجهتُ أنا والخصم على الأقدام مشياً بين الشنانة والرس مع بعض، وحكم بيننا قاضي الرس محمد الصالح الخزيم، وكان الحكم على عبدالله البطلان ورجعنا مع بعض نتجاذب أطراف الحديث وقت أذان المغرب، وبعد وصولنا تناولنا القهوة مع بعض في قهوة المحكوم عليه، وحدث مرة أن اجتهد سليمان المجاهد الخليفة - رحمه الله - وهو من أصحاب المزارع (الحيطان) المجاورة بتعديل إحدى مجاري السيول حينما صرفها أو صرف جزءاً منها عن طريقها مما يؤثر على المصلحة العامة فشكوته على القضاء للوصول إلى الحق في هذه القضية، وتوجهنا الاثنان مع بعض كل على دراجته الهوائية نتسابق ونتجاذب أطراف الحديث مرة أخرى مع بعض متوجهين من الشنانة إلى القاضي في الرس، والجميع ينشد الحق حيثما كان وكيف ما كان، ورجعنا مع بعض بعد أن وعدنا الشيخ برؤية الموضوع على الطبيعة والله

المستعان»، وهذه القصص الواقعية لها دلالات كبيرة لا تحصى، وكلها تؤكد على أن الخلاف والاختلاف بين كثير من الناس في ذلك الزمن يُقصد به البحث عن الحق عند الخصوم جميعاً وعلى حدٍ سواء فيكون الرضا بحكم القضاء من كلا الطرفين، والله المستعان^(١).

التقييم الدعوي في شخصيته:

عُرف عن الشيخ (السلومي) أنه تميز عن بعض الناس في (تقييم مواقف، أو أعمال وأقوال بعض الرجال والعقول)، وليس ذلك من باب الجرح والتعديل، ولكن الهدف من ذلك تحديد المواقف في التلقي العلمي والفكري وذلك لفعل ما يمكن فعله، أو ترك ما يمكن تركه من الأمور، فالحق لا يُعرف بالرجال وإنما الرجال يُعرفون بالحق - كما كان يردد - وكانت له فراسة مشهودة ومعروفة عند كثير من الناس.

ومن معرفته بالرجال ما قاله عن الشيخ الدكتور صالح آل الشيخ^(٢) - وفقه الله إلى كل خير - وكان قد سمع له بعض الأشرطة العلمية^(٣) وقرأ بعضاً من مؤلفاته^(٤)، قال عنه: «هذا عالم متمكن ما هو بسيط، ومن قرأ لآبائه وأجداده يدرك وراثته للعلم منهم، ولو واصل متفرغاً للعلم لأصبح له شأن كبير في العلم»، ويُردف قائلاً: «لكن المناصب الإدارية تقتل العلم إفادة واستفادة كفاه الله شر المنصب»، وقال الشيخ عن بعض القضاة وبعض المسؤولين - دون تسمية - : «أن هؤلاء

(١) هذا نموذج من نماذج براءة الواقع الاجتماعي للمجتمعات في أزمنة مضت حيث يكون الخلاف لكن لا يكون النزاع والمفاصلة، وانظر إلى قصة دواد عليه السلام مع الخصوم وفيما بينهم في الابتلاء في قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَى إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} ص الآية (٢١).

(٢) هو وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ومن كتبه العلمية: (شرح لمعة الاعتقاد)، (شرح مسائل الجاهلية)، (شرح العقيدة الواسطية)، (شرح العقيدة الطحاوية).

(٣) من أشرطته العلمية (شرح العقيدة الطحاوية) و(شرح كتاب التوحيد).

(٤) من كتبه العلمية التي اشتهر بها كتاب (هذه مفاهيمنا) الرد على علوي مالكي.

ظَلَمُوا حينما وضعوا في هذا الموضع وفي هذا المقام، وهؤلاء فارغون لا علم رواية ولا علم دراية، والمسؤولية على من وضعهم، وهذا من توسيد الأمر إلى غير أهله».

وقال أيضاً عن أحد المحسوبين على العلم والمشيخة ممن يحفظ معظم متون السنة النبوية: «هذا الشيخ... آية من آيات الله في الحفظ والذاكرة في علم الرواية لمعظم كتب العلماء السابقين واللاحقين، لكنه بحاجة إلى التقوى وعلم الدراية».

وكان الشيخ له رأى في بعض المسائل الفقهية عند الشيخ الألباني قائلاً عن ذلك: «الشيخ الألباني محدث قدير، وفي علم الرواية والسند مرجعية علمية، لكن ليس بفقيه، ولا يعتمد عليه في مسائل الفقه»، وكان يختلف مع الألباني وتلاميذه في بعض المسائل الفقهية مثل موضوع حجاب المرأة، ويناقش بقوة كثيراً من رواد القهوة ممن يطرحون رأي الألباني، ووجه تحفظ الشيخ السلومي هو: (أن وجه المرأة ليس بعورة إذا أمنت الفتنة) قائلاً: كيف للألباني يقول بهذا، وهو يرى بنفسه في هذا العصر فتنة كشف الوجه، والمرأة معظم فتنها في وجهها!!».

ومما يعد من تقييم الرجال في علمهم ودعوتهم أنه قال لأحد المشايخ المشهورين الزائرين لديوانيته (القهوة) وجهاً لوجه: «أنت خطيب مفوه ورجل منبر بحق، ولست بفقيه، لكنك على خطر في رأيك في الرفضة، وراجع نفسك، والأمر خطير عليك وعلى معتقدك لاسيما أنك علامة في التفسير يمكن لك أن تخلف الشيخ عبدالرحمن الدوسري في إكمال تفسيره إن أردت».

وقال ناصحاً ومذكراً أحد الأئمة المشهورين عالمياً بحسن القراءة والصوت: علينا أن نحذر من العُجْبِ والإعجاب، وأن لا نقع في المحذور الشرعي الذي نهت إليه آية فسقة القراءة في سورة الأعراف: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ

مَيْثَقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ (الأعراف: ١٦٩)، وكان هذا الإمام يقود السيارة بنفسه والشيخ كان راكباً معه، فأطلق يديه خائفاً على نفسه وقال: معاذ الله يا أبا سليمان معاذ الله. وأقول هنا: إن هذا النصح يعكس الشفقة على كل مسلم ويهدف إلى تصحيح المسار، ومثل هذه التنبيهات للتذكير أو للتصحيح والإصلاح، وكثيراً ما يقول في مجلسه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ (الأعراف: ١٦٩)، «من كان مستنأ فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»^(١).

ومن تقييم الشيخ عن (وظيفة القضاة) الحقيقية قيامه بالنصح لهم سراً وعلانية، وكان يتحسر ويتألم على واقع ملفات القضايا المتراكمة عند بعض القضاة والتي لا تحتاج سوى جلسة أو جلستين فتبقى بالشهور والسنين لم يفصل فيها القاضي، وكان يتمنى أن يمارس كل القضاة دورهم برسالتهم الربانية مع الوظيفة قائلاً: «وظيفة القضاة أكبر من القضاء والقضايا وعليهم مسؤوليات كبيرة ورواتبهم العالية - كفاهم الله شرها - يجب أن تُحفَظهم على نفع الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس العكس».

ومن تقييمه لواقع بعض مواقف العلماء والدعاة من ضعف إنكارهم للتقليد والتبعية وبعض مظاهر التغريب، وغفلتهم عن التنبيه لما يراه خطراً كبيراً على أخلاق الأمة والمجتمع قائلاً: «التقليد والتبعية جعلتنا لا مع الحملة ولا مع الدندار» وهو مثل متداول بين الناس يكرره متحسراً على فقداننا مصدر عزتنا وقوتنا في واقعنا في تقليد الغرب ليقبلنا في حظيرته، فلا نحن بقينا أقوىاء بديننا ولا الغرب قبل بنا بقدر ما يطالبنا ويضغط علينا بالزيادة من التنازلات، وقال الشيخ

(١) الأثر لابن مسعود رضى الله عنه: انظر فتاوى ابن تيمية، المجلد ٤، ص ١٣٨.

مراراً: «خطر التغريب أشد من غلاة الصوفية التي ذُبِحَتْ نقداً من بعض العلماء والدعاة بأكثر من التغريب».

وكثيراً ما كان يُقيّم بعض أقوال العلماء والدعاة باستشهاده بقول ابن تيمية ووصفه لبعض مواقف علماء زمانه بالقول: «أعطوا ذكاء وما أعطوا زكاء»^(١).

تربيته لأولاده :

كانت تربية الشيخ يغلب عليها ما قد يُوصف بالشدة و(القوة في الحق) قناعة منه في أخذ أمور الدين والعلم بقوة خاصة في المرحلة الأولى من حياته، أدخل جميع أولاده المدرسة الابتدائية في عمرهم المبكر، وحرص أشد الحرص على متابعة سيرهم الدراسي، ثم التحق الخمسة الكبار منهم في المعهد العلمي بالرس، وكانت نظرة الشيخ للمدارس أنها مكملّة لدور البيت والمسجد وأنها وسيلة للعلم الشرعي، ولذلك فقد عوّدهم على تلاوة القرآن في المسجد كل يوم في كل أوقات الصلاة، وملازمة مراجعة القرآن وتلاوته بعد الفجر حيث يمنع النوم بعدها منعاً باتاً، ويكون تسميع التلاوة بشكل مستمر بعد صلاة العصر، وكان من منهجه مع أولاده الإلزام بالنوم المبكر ليلاً، ومن حبه الخير للغير أنه رعى أولاده على معاني (الخيرية) وخدمة العجائز وكبار السن فيما يحتاجون إليه في القرية، كما رباهم على خدمة الحجيج - كما سيأتي - حيث كان يأخذ أحدهم في غالب السنوات مع قافلة الحج الخيرية التعاونية، وقد علّمهم الاعتماد على النفس بالعمل مع

(١) (الزكاء والذكاء): الزكاء للنفس والذكاء للعقل، والزكاء اصطفاء وخيرية، والذكاء منحة قدرية، (وقد يكون) كل زكي ذكي، وليس كل ذكي زكي، الزكاء تهذيب للنفس وارتقاء بها في درجات التقوى، والذكاء قدرات عقلية للتقوى والفجور على حد سواء، الزكي قريب من ربه محبوب من الناس قطعاً، والذكي قد يكون ممقوتاً من ربه مُبغضاً من الناس، الزكي مُتَهَمٌ لنفسه مُشغَلٌ بعبودها بحب الخير للناس، والذكي غير الزكي على النقيض من ذلك مهتم بنفسه معجب بها منشغل بعبود الناس. ومن حيث اللغة زكا الشيء إذا نَمى وزاد، وزكا فلان إذا صَلَحَ، والذكاء لغة حدة الفؤاد، وسرعة الفطنة، المعجم الوسيط: ٣٩٨/١، لسان العرب لابن منظور ج ١٤ / ص ٢٨٧، ٣٥٨، ج ٣ / ص ١٥١٠.

والدهم ووالدتهم في شؤون المنزل وخدمة المسجد والقهوة، ورباهم على غرس معاني الأخوة الإسلامية حينما كان يصطحبهم في زيارته الأخوية لإخوانه في الله وأصدقائه في القرى أو المزارع المجاورة، والتي عادة ما تتم في الضحى مثل مزارع (المطيات، الريدين، أبو مروة، القوعي) وغيرها، إضافة إلى إلزامهم لزوم القهوة (مجلسه) فترة الصباح والمساء مع رواد القهوة.

يقول الشيخ صالح الرميح: «ومادام الهدف من الكتابة تدوين تجارب حياة، فإن التجربة التربوية لوالد الجميع المطوّع عبدالله السلومي لأبنائه تستحق التدوين فأقول: بعد ذكر الله - ما شاء الله - إن تربية الشيخ لأبنائه أثمرت أبناءً مُصلحين، إذ كان يربط أولاده بالمسجد، وكثيراً من أقرانهم يلهون ويلعبون، حيث كان يدرك برؤية رشيدة مسددة أن القوة في حفظهم وحفظ أوقاتهم، وربطهم بالمسجد، وحفظ القرآن خاصة، وأنهم سيحمدون بكل تلك التربية العاقبة الحميدة، وإن كانوا في بداية الأمر يكرهون هذا الارتباط الدائم بالدهم وتلك القوة، وربما رأوا أنها شدة في ذلك الزمان، فقد كان وإلى الآن كما أعرفه ويعرفه غيري ملتزماً هذا السلوك التأديبي التعليمي، ولما كَبُرَ سنُّه رزقه الله هذه الذرية الطيبة الوفية الواصلة، ونتج عن ذلك هذه الثمرة الطيبة الصالحة وهذا هو ما نحسبه - أسأل الله سبحانه أن يثبتنا جميعاً بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة -»

ويقول أيضاً عن أبنائه: «وبتوفيق من الله أكرمهم مولاه بهؤلاء الأبناء الذين هم الآن يخدمون الإسلام بجميع العلوم والسبل المفيدة، وحتى الآن مع كِبَر سنه لا يزال أبنائه خاصة وأحبائه يتلقون منه الدروس العلمية ودروس الحياة - أسأل الله أن يبارك له فيما بقي له من العمر ويحسن لنا وله وللجميع الخاتمة -، وفي الختام أذكر إخواني أبناء شيخنا الذين يحملون شهادة الدكتوراه وعملوا في مجال التعليم الجامعي أن يستفيدوا من تجربة والدهم الثرية في مجالات الخير والدعوة ووسائلها فهم من ثمرات تربيته بتوفيق من الله وهم: الدكتور سليمان

بن عبدالله والدكتور محمد بن عبدالله -الذي طلب مني أن أكتب ما أعرفه عن والده من مواقف أو دروس يستفاد منها- وكذلك الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله، والدكتور ناصر بن عبدالله، وأبناءؤه الآخرون الذين هم أيضاً من خيرة الأبناء العاملين بصدق وإخلاص وأمانة ولا أزكي على الله أحداً، -وهذا هو ما نحسبه عنه وعنهم-.

وكما قلت سابقاً لا أملك إلا أن أكتب النزر القليل عنه وهو بحق يستحق أكثر وأكثر مما قلت، والدليل على ذلك توفيق الله سبحانه له بتربيته هؤلاء الأبناء وتنشئتهم نشأة طيبة صالحة في ظروف لا تساعده على ذلك، وأقول ما قاله الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (الطور: ٢١)».

وكان كثيراً ما يطلب من أولاده (القراءة) عليه من بعض الكتب العلمية المفيدة وخاصة حينما تكون يده مشغولتان بحباكة المصاحف أو الكتب، وذلك لتعويدهم على القراءة، ولتحقيق السماع منهم واستفادته الشخصية من الوقت، وإفادة أصدقائه وأصحابه الحاضرين وقت القراءة أحياناً أخرى، لقد كان الشيخ مُدرباً قبل أن يعرف الناس التدريب ومراكزه المتعددة والمتنوعة، تعلّم منه أولاده الثقة بالنفس، والشعور بالمسؤولية، لقد كانت حياته (مدرسة للحياة) والتدريب على معانيها وقيمها وذلك لأبنائه وبناته قبل وجود كتب التدريب والإدارة والبرمجة اللغوية العصبية، وقبل أن يعرف الناس أستاذ الإدارة بيتر دراكر، أو ستيفن وعاداته السبع لأنه قرأ عن العادة والعادات والعبادات وتربية الروح والنفس من كتب شيخه ابن القيم، لقد ربّى أولاده على قيم الرجولة والكرم والعطاء والاحتساب وحسن التعامل مع الناس، كما رباهم على وجوب التزامهم الصلة القوية بالله وأهمها الصلاة جماعة في المسجد والحضور المبكر للصلاة فذلك مدعاة

للخشوع ولذة العبادة. وكثيراً ما يقول: «إذا لم تجد لذة للعبادة فاتهم قلبك»^(١)، وكان يكرر على مسامع أبنائه قول المصطفى ﷺ: (يا بلال أرحنا بالصلاة)^(٢) منهاً وقائلاً: «هناك من يصلي ليرتاح بالصلاة، وهناك من يصلي ليرتاح منها» وفوات الصلاة مع الجماعة كانت كبيرة عند الشيخ تستوجب عقاب المقصّر من أولاده. وكان يقول كثيراً لأولاده: «اختبروا أنفسكم وعلاقتكم بربكم وصدقكم معه بمدى محبتكم وأنسكم بتلاوة القرآن وتدبره، فالتأؤب أثناء القراءة أو الملل من حفظه وترديده علامة واضحة لحالككم مع القرآن، وكل ذلك مقياس لقوة العلاقة أو ضعفها مع الله».

لقد تعلم أولاده من والدهم ووالدتهم بنين وبنات المسؤولية والعمل وحب (العمل والإنتاجية)، وأن العمل قيمة، وتعلم أبنائه الخيرية وجوانب كثيرة من الصفات الحميدة وحب العلم، وكان شعاره وهو يوقظ أولاده لصلاة الفجر (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)^(٣) ويردد على مسامعهم القول: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)^(٤)، وكثيراً ما يردد على مسامع أبنائه بصوت جهوري الأثر المشهور (حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات)^(٥) (ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)^(٦) وكانت تلك الكلمات مطارق يومية على الأذن صنعت الأثر

(١) انظر ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين (٦٨/٢) تحقيق: رضوان جامع رضوان، طبعة مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، والدرر الميمونية ص ٣٧، جمع وترتيب ميمونة بنت عبدالعزيز الوهبي طبعة دار القاسم، الرياض.

(٢) سنن أبي داود ٤١٧٢، وصحيح الجامع ٧٨٩٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، حديث رقم (٢٥١٦)، المجلد الرابع، الناشر المكتبة الإسلامية، القاهرة، ص ٦٦٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ح (٢٧١١)، ص ١٠٨٧.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب صفة الجنة، رقم (٢٨٢٢)، بيت الأفكار الدولية للنشر، عام ١٤١٩ هـ، ص ١١٣٦.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه رقم (٢٥٥٩) في صفة القيامة، المجلد الرابع، الناشر المكتبة الإسلامية، ص ٦٩٣.

الحسن والتأثير الإيجابي في نفوس وعقول أبنائه، وكان كثيراً ما ينبه أولاده على عدم (الشهامة) فكان يقول لهم: «إياكم أن تشمتوا بالمبتلى بالمعصية أو بصاحب منكر»، ويردد عليهم قول ابن مسعود: «لو سخرت من كلب لخشيت أن أكون كلباً مثله»^(١) ويكرر على أولاده «إذا رأيت المبتلى فاحمد الله الذي منَّ عليك بالهداية وأكرمك بمعرفة الحق من الباطل والمعروف من المنكر».

ومن تربيته لأولاده قوله لهم: «حينما ترون المبتلى بنقص في علمه أو عقله أو دينه فتذكروا نعمة الله عليكم واشكروا ربكم على نعمة العقل والدين، وإياكم والازدراء أو الانتقاص»، وكثيراً ما يردد القول المأثور عن ابن مسعود السابق ذكره. وأقول: إن التنبيه إلى هذه المعاني العظيمة مهم، لأن بعض الناس قد يغفل عنها، وقد يستعلي على الآخرين أو يشمت بهم.

يقول الشيخ محمد الزيدي: «لقد عاشرت شيعي وعشت مع أولاده معظم سنين العمر وفي كثير من الأحيان كأني واحد منهم، وكان ييازحني قائلاً لي: (أنت من آل بيتي)، وكذا فعل من قبله معي والده سليمان أبو ناصر، والشيء الذي لاحظته في تربية شيعي لأولاده أنه كان يربيههم على حب العلم والعلماء، وأن يصلوا بجداره لمواقع علمية ودعوية ينفع الله بهم، ولم يكن الشيخ مثل بعض الآباء يربي أولاده على التسلق وحب الوجاهة والمناصب أو النفاق، وكان إضافة لما سبق يربيههم على بغض المنكرات.

وعن (حفظ الجوارح) فكثيراً ما يُرسل لأولاده رسائل ضمنية وغير مباشرة وقت الجلوس معهم لحفظ جوارحهم من المنكرات قائلاً: من حفظ جوارحه في صغره حريٌّ أن يحفظها الله له في كبره، مردداً قول أحد السلف: «هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله لنا في الكبر»^(٢).

(١) انظر ابن أبي شيبة: كتاب المُصَنَّف، ج ٦، ص ١١٦، ط دار الفكر، بيروت - لبنان.

(٢) انظر عن القول الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

والشيخ لم يُراجع - بحمد الله - المستشفيات من أي مرض (سوى موضوع عينه) إلا بعد أن تجاوز حوالي السبعين عاماً، وكان كارهاً مراجعة الأطباء، ومجاملًا لأولاده بسبب قوة اليقين والتوكل على الله.

وكان كثيراً ما يُوجّه أبناءه بعدم (منازعة القدر) حين تستعصي عليهم بعض الأمور بعد فعل الأسباب مُوجَّهاً لهم بأنه لا داعي للإسراف في فعل الأسباب قائلاً لهم: (لا تنازعوا القدر) إشارة إلى وجوب تغليب التوكل على الله بعد فعل السبب، وكان يؤكد على أولاده بالقول: «لا تشكو القضاء والقدر، فإن بعض الناس حينما يشكون من الفاقة أو الحاجة أو بعض الأقدار المكتوبة قد يقعون في المحذور العقدي»، يقول عن ابن القيم: إن المبالغة في التشكي قد توقع في المحذور وهو: شكوى الله على عباده، ويقول الشيخ: إن ابن القيم أورد إحدى فوائده عن هذا الموضوع في كتابه (الفوائد) فرجعت إلى الفوائد لأجد (درة علمية) تستحق التدوين، وفيه قال ابن القيم: «ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك، بمعنى لا تشكو الله على عباده، والعارف من جعل شكواه إلى الله من نفسه، لا من الناس»^(١).

ويقول ابن القيم في الميمية:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

أقول: حقاً لقد عرفت حقيقة علم شيخنا بشكل أكثر حينما عملت على تخريج أقواله، وكيف استفاد من ابن القيم خاصة في بعض العلوم مثل علم النفس، وطبيعة الروح، وحقيقة السعادة، والترقية الربانية. وعن إدارة الذات والتعامل مع الغير، ومعرفتي تأكدت حينما تصفحت كتب ابن القيم من جديد بأفق

١٢ / ٨٥ وهو منسوب إلى أبي الطيب الطبري.

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد، دار اليقين، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة ص/ ١٢٦، ١٢٧.

واسع ونضج علمي أكبر وعشت معها في البحث والتخريج لبعض أقوال شيخنا عن شيخه ابن القيم، وأدركت أن لدى شيخي استدالات موفقة بمعظم فنون المعرفة، ومدرسته الأساسية العالية عن بُعد كانت كتب شيخه ابن القيم.

ويقول الزيدي عن جوانب التربية عند شيخه تجاه أولاده وغيرهم: «وفي مجال (تربية النفس) كان ينصح أولاده وأحفاده وزوار قهوته وكان يقول لهم وبصوت جهوري ومكرر: (هي النفس، إن أشغلتها بالحق وإلا أشغلتك بالباطل)»^(١) ويكرر ثلاثاً (هي النفس) - بصوت جهوري - وكما يقول شيخي فإن هذا الأثر منسوبٌ للشافعي - رحمه الله - وله تكملة أو مقدمة هي: (صحبت الصوفية ولم استفد منها سوى كلمتين، الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك)»^(٢).

ويقول الزيدي أيضاً: «وكثيراً ما يردد شيخي ما ورد عن ابن القيم في كتابه (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) عقوبات (الذنوب والمعاصي) خاصة العقوبات في الدنيا قائلاً: ومن عقوباتها ثم يذكر تلك العقوبات التي حينها يسمعها السامع تكون خير رادع لتربية النفس على الخير وتجنب المعاصي».

كان الشيخ قوياً حازماً في التربية على الخير، وحماية أولاده من الشرور ومسبباتها مثل الاختلاط بغير الصالحين أو السهر معهم، أو الغياب المشبوه عن البيت والقهوة والمسجد، وكانت المرحلة الأولى من حياته التربوية والاحتسابية العمل بأسلوب القوة والحزم فقد كان يضرب أولاده حينما كان الضرب وسيلة مثلى من وسائل التربية، ويحاول إزالة ما يعلق في نفوس أبنائه من تلك الشدة بترداده لكلمة (أريدك لك) ويكررها ثلاثاً، وهي من كلمات

(١) الكلام منسوب لابن القيم في كتابه الداء والدواء، ص ١٠٩ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (٣ / ١٢٩) دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣، بتحقيق محمد حامد الفقي.

أحد رجال الصوفية- كما يقول الوالد الشيخ-، ويوم أن تغيّرت الأحوال والأزمان تخلى عن أسلوب الشدة إلى أسلوب النصح وزيادة أسلوب الصحبة مع أولاده وغيرهم من المخالفين أو المخطئين وتلك كانت في المرحلة الثانية من حياته^(١).

كان الشيخ قلقاً وخائفاً أن تموت رسالة مجلسه (القهوة) بموته، ولم يُخفِ هذا القلق بالتصريح عن من يُخلفه في المسجد، ومن يُخلفه في القهوة، فمات وهو حامل همّ بقاء واستمرار دعوته وبرامجه الخيرية التي يعمل بها، وكثيراً ما يردد قول الله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩)، والتزامه بهذا الدعاء حرصاً منه على صلاح أولاده، وأن يخلفوه في أعمال الخير والبر وفي قهوته ومسجده، ويردد هذا الدعاء بنوع من الحسرة والألم شعوراً منه بوجوب استمرار رسالته في قريته، ويستدل بأهمية الدعاء عن هذا الأمر بما نقله له الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن اليحيى عن ثقات بأن الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب كان يدعو بين الأذان والإقامة في كل صلاة أربعين مرة بهذا الدعاء القرائي ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل: ١٩) يقول الشيخ السلومي عن محمد بن عبدالوهاب: فاستجاب الله له وظهر أثر دعائه، وخلفه في علمه ودعوته فطاحلة وجهابذة من العلماء من ذريته وأحفاده، ومنهم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ويقول معلقاً: وأمر محمد بن عبدالوهاب عجيب في موضوع الذرية، ولا أذكر أن أحداً من العلماء حظي من حيث الذرية الصالحة بفحول وفطاحل مثله، حيث رُزق من بعده بعلماء، وواضح أن ذلك بسبب النية الصالحة والدعاء الصالح، والله

(١) من كلمات التهديد أو التأديب لأولاده وأولاد إخوانه، أو التلاميذ من أولاد الجيران: «لماذا يا الحماة أين كنت؟ ولماذا فعلت؟ والله لو لا ميز ما هو ميزك لترى ماذا أفعل».

أعلم.

وكان الشيخ السلومي كثيراً ما يردد في صلاته ودعائه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤)، ولعل الله استجاب دعوته فكان راضياً عن أبنائه وبناته، سعيداً بهم سواء بعلمهم أو حبهم لأعمال الخير والبر، لكنه ينشد منهم ما هو أكثر، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكان توجيه الشيخ لأولاده وغيرهم من الناس بشكل دائم ومستمر، وتنبيههم للسر المعنوي في صلاح أمور الحياة والعلاقات بهذا القول الذي كان يكرره: «أصلح ما بينك وبين الله، يُصلح الله ما بينك وبين الناس، وأصلح آخرتك يُصلح الله دنياك، وأصلح سريرتك يُصلح الله علانيتك»، ويعلق قائلاً: «اترك التلفون عامراً مع السماء -يعني مع الله- تصلح جميع أحوالك» وذلك كناية عن أهمية الصلة القوية الدائمة مع الله، وتنبيهاً على الواقع الضعيف لبعض الناس مع الصلاة، حيث أصبحت عادة لا يجدون فيها لذة العبادة، كما أنه كان باستمرار يذكر بقول إبراهيم بن أدهم: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسلاح»^(١)، إشارة إلى لذة الصلة بالله وأهمية العبادة والطاعة لله ولرسوله وأنها السعادة الحقيقية.

أقول وأنا أحد أبنائه: لقد علّمنا مربينا وشيخنا الأثر السلبي للترف والنعمومة حينما أشركنا معه بأعماله القاسية والخشنة مثل العمل في بناء مباني الطين وما يترتب على ذلك، والعمل معه في توير النخل والعناية بها، وحينما كان يردد على مسامعنا (اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم)^(٢)، ولقد علّمنا وربانا على العمل

(١) انظر: ابن قيم الجوزية في كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، طبعة دار المعرفة، ص ٧٧.

(٢) انظر الإمام إسماعيل الشافعي العجلوني: كتاب كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة القدسي، القاهرة - مصر ١٣٥١ هـ. ج ١/ ٦٨، من قول عمر رضي الله عنه فيما رواه الإمام مسلم

بالاهتمام والعناية بالداخل في النفس والقلب دون الاهتمام بمظهر الجسد واللباس والمظاهر مؤكداً أن نظافة القلب أهم من نظافة الملبس، وكثيراً ما يردد على مسامعنا مقاييس القيمة الحقيقية للإنسان، ومن أهمها طاعة الله التي تبعث على الهيبة والاحترام والتقدير، مذكراً بأن ذل المعصية يُضعف قيمة الإنسان عند نفسه وغيره، كما ينزع الثقة بالنفس، وهذا من بواعث ومسببات حشد المظاهر والتباهي في المواقب عند سلاطين المال والدنيا، وكثيراً ما ردد على مسامعنا: (هم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يُذل من عصاه)^(١) وكان كثيراً ما يوجه أولاده بقوله: «كن مع الله، انتبه! إذا كنت مع الله كان معك، إذا كنت مع الله لن يُضيعك» وكثيراً ما يذكر أبناءه بشكل خاص بأهمية وقيمة العبادة وأن لها لذة وهذه اللذة مقياس للصدق مع الله قائلاً لهم بقول ابن تيمية: «إذا لم تجد للعبادة لذة فأتهم قلبك»^(٢) ويردد على مسامع أبنائه: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة» إشارة إلى أن الراحة في العبادة وسمو الروح والصلة القوية بالله جنة الدنيا، وجنة الدنيا مؤشر قوي للحصول على جنة الآخرة، وكثيراً ما يُسمع هذه المقاطع والجمل زوار قهوته وروادها، وقد أخذها الشيخ من شيخه ابن القيم وابن تيمية كما يقول، وهي كلمات حينما تخرج من القلب تغرس الرقابة الذاتية والمحاسبة الشخصية، كما أنها تؤكد على بعض المعايير والموازين عند أولاده، لقد ربى الشيخ المطوع أولاده منذ الصغر على الجدية في العمل وتحمل

في صحيحه (٢٠٦٩) عن أبي عثمان النهدي قال كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان: يا عتبة بن فرقد... وإياكم والتنعيم وزى أهل الشرك ولبوس الحرير.

(١) انظر كتاب الداء والدواء لابن القيم، فصل المعصية، ص ٥٩، وانظر: الدكتور سفر الحوالي ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي ١/ ١٨٤.

(٢) القول لابن تيمية رحمه الله، انظر: مدارج السالكين (٦٨/٢) لابن قيم الجوزية، تحقيق: رضوان جامع رضوان، طبعة مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة. وانظر الدرر الميمونية ص ٣٧، جمع وترتيب ميمونة بنت عبدالعزيز الوهيبي طبعة دار القاسم، الرياض.

المسؤولية وحب العلم، ولذلك استقر الخمسة الكبار منهم في منطقة مكة المكرمة للدراسات العليا وبعضهم للدراسة الجامعية حينما لم يكن بالقصيم جامعة أو دراسات عليا.

وكان من اجتهاده في أسلوبه التربوي مع أولاده أنه دائماً يضعهم (موضع المقصّر) حفزاً لهممهم وتحفيزاً لفعل المزيد من أعمال الخير، ونادراً ما يثني عليهم أمامهم أو عند الآخرين كما هو معروف عنه عند من يعرفه، ويبدو أن لديه قناعة بجدوى هذا الأسلوب مع أولاده.

ولأن والد الجميع ربّى أولاده على تحمل المسؤولية فقد شعر أبنائه بمنزلة والدهم الكبيرة في بلدته (الشنانة) فوالدهم كبير باهتماماته، وكبير باحتسابه ودعوته، وكبير بعلاقاته وقهوته المفتوحة، هذا الشعور الذي ربّاهم والدهم عليه جعلهم يتفقون فيما بينهم على رجوع أحدهم من مكة ليكون بجوار والدهم، فكان رجوع ابنه ناصر وبقائه معه حوالي عشر سنوات، ثم تسلم هذه المسؤولية ابنه الآخر صالح، ثم جاء بعد ذلك يوسف وعبد الحميد ليكملوا دور المسؤولية، إضافة إلى جهود بعضهم في ملازمة والدهم معظم العطل الصيفية، وملازمة آخرين له في شهر رمضان ومساعدته في القراءة على جماعة المسجد، أو صلاة التراويح والتهجد أحياناً.

والحكم على تربية الشيخ لأولاده قد يظهر من خلال نتائج تلك التربية، فمعظم أبنائه إن لم يكن جميعهم يحملون الشهادات الجامعية أو ما شابهها، وأربعة منهم حملوا شهادة الدكتوراه، وهذا كافٍ لوحده على نجاح أسلوبه وتربيته، حتى كان يسميه البعض أبو الدكاترة، وهو الشيخ صالح محمد الرميح، كتب صالح بن إبراهيم بن محمد الهديان الزامل^(١) قائلاً: «لا شك أن التربية الصالحة من الرجل

(١) هو رجل أعمال معروف، من مواليد عام ١٣٥٧ هـ، تربطه بعائلة السلومي رابطة الأخوة والمحبة، وتتجسد هذه الأخوة مع المعني بالترجمة -رحمه الله-، وأبو إبراهيم كما هي كنيته عمل في اتصالات هيئة الطيران المدني،

الصالح تؤتي ثمارها، بل علّق على واقع الشيخ مع أولاده بقول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف: ٨٢).

وكان من تربيته لأبنائه لفت انتباههم بأهمية أن يميزوا أن كل شيء في هذه الحياة الدنيا فاضل ومفضل في الملبس والمأكل والمشرب والمركب، فحينما يرى على سبيل المثال التهافت على شراء الحلويات مع وجود أنواع التمور المفيدة أو الفواكه الطبيعية كان يقول على وجه الاستنكار: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٦١).

وقد أدى الجميع بحمد الله أدوارهم في البرّ بالدهم وتحمل المسؤوليات معه، وحققوا بعض طموحات والدهم الكبيرة التي يتمناها لأولاده بأن يكونوا عليها، وهذا من توفيق الله للوالد والأولاد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم.

ومن تربيته لأولاده وأولاد إخوانه تعليمه لهم السباحة في آبار المزارع التي كان يعتني بها، وكذلك في مسابح الاستراحات فيما بعد ذلك، حيث كان هو يحب السباحة في أي مكان يجد فيه الماء من بحر أو مياه جارية، وكان من توجيهاته المفيدة لهم في مبادئ السباحة والغوص قوله: «لا تزل للنفْس (لا تحمل هم النفس) فستجد نفسك ومعك نفس كافٍ وزيادة، ولا ترفع رأسك عن مستوى جسمك لئلا تجهدك السباحة»، وقد وجدت بنفسني أن هذه التوجيهات من أبرز تعليمات مدربي السباحة. يقول تلميذه محمد المجاهد الخليفة: «أما تربيته لأبنائه فهي تربية عجيبة، فكان يُنشئهم على طاعة الله وعلى حلقات القرآن وعلى المحافظة على الصلوات المكتوبة

وهو فيما بعد ذلك صاحب شركة الزامل للصناعات المعدنية الثقيلة المحدودة في جدة، وصاحب مزارع في القصيم، وهو من الأصدقاء الخاصين للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، كانت له جهود تطوعية مشكورة في بعض حملات الإغاثة الدولية للسودان واليمن وأفغانستان زمن حرب الشيوعية، وله دور تطوعي مشكور في تنمية موارد وأوقاف رابطة العالم الإسلامي وهيئة الإغاثة الإسلامية بجدة.

فكان شديداً في هذا الجانب حتى إنه كان يضرب من يتهاون بالصلاة أو يعمل أعمالاً غير مناسبة.

وقد أثمرت -بفضل الله ومنتته- هذه التربية الأبوية العظيمة فأنجبت أبناء وبنات بررة -نفع الله بهم الإسلام والمسلمين- علماء ومشايخ ودعاة وأحدهم في افتاء في الحرم المكي، كما أنهم ويحملون أعلى الشهادات، -جعلهم الله ذخراً للإسلام والمسلمين ونفع بعلمهم آمين-.

كتب ابنه يوسف عن أبيه فقال: «كان والدي -رحمه الله- مربياً ومعلماً بسلوكه وتصرفاته لي ولإخواني في الانضباط في أمور الدين والدنيا، ففي ذات يوم زار والدي راشد بن عبد الله الغفيلي والملقب بـ (ديش الغفيلي ١٣٦٢ - ١٤٢٥ هـ) للسلام عليه في محله التجاري (الدكان)، وكان استقباله لوالدي بحفاوة وفرح شديد، وعندما همَّ الوالد بالخروج قام (ديش) وتناول أحد العصي الخاصة بكبار السن التي كان يبيعها، وكان من النوع الخشبي الجيد، وقدمها للوالد كـ (هدية) فقبلها منه وشكره.

وعند الوصول للمنزل جرَّبه الوالد فوجده قصيراً نوعاً ما، ولم يكن يناسبه، فوضعه الوالد في غرفته الخاصة ولم يستخدمه، وبعد أيام جاء خبر وفاة (ديش) بحادث مروري، وعندما علِم والدي بوفاته أخرج العصي المهدى له وبدأ يستخدمه رغم عدم مناسبته له.

ومن ذلك اليوم الذي توفي فيه صديقه -رحمه الله- خصص والدي هذا العصي لذهابه للمسجد وإيابه وفاءً منه لهذا الرجل الذي أهدها هذا العصي، فعرفت بهذا الفعل وبمعايشتي لهذه القصة أن الوفاء من الأوفياء يتأكد بحق الميت أكثر من الحي، وتعلّمت منه أن الهدية أو الصدقة قد تكون بأبسط الأشياء وتعمل في النفوس الشيء الكثير، وكثيراً ما تكون الغفلة عن ذلك.

ومما تعلمته من والدي أيضاً عندما طَلَّقْتُ زوجتي الأولى حيث لم يُكتب لي التوفيق في هذا الزواج، وكان والدي يخاف عليّ من ردة الفعل من تجربة الزواج الأولى وأن

أعرض عن الزواج.

وبعدها بأيام جلست معه بعد صلاة العصر فقال لي كلمته المعروفة: (هُمَّن ماذا؟) - وهي تعني (ماذا بعد؟)، وهي كلمة عُرِفَ بها وعُرفت به، وكنت أعرف ماذا يقصد، ولكنني سألتُه عن مقصده في هذا الاستفسار فقال: متى الزواج؟ لا تتأخر، وحثني على تجاوز التجربة الأولى والإسراع في تجاوز المرحلة لكي لا يحدث الإعراض فقلت له: (الله يسر) فرد علي بصوتٍ جهوري: تيسير الله يحتاج سبب، وقد وقعت على نفسي هذه العبارة وكأني لأول مرة أسمعها.

ولم تَغِبْ عن ذهني عبارته، بل لازمت ذاكرتي، وقد تكون العبارة عادية لأي سامع أو قارئ، لكن ظروف في ذلك الوقت جعلت لها وقعاً مُعَيَّناً في تجاوز تحديات الحياة، وغيَّرت كثيراً من فهمي لطبيعة كثير من القضايا والمشاكل التي تواجه الإنسان وطريقة التعاطي معها، وأن المسلم مُطالب بالتوكل على الله مع فعل الأسباب من العمل والاجتهاد والإخلاص ليُحدث الله بعدها ما قسمه له.

وأيقنت عملياً بأن مع كل عُسْرٍ يسراً يأتي من الله، وقد يسر الله زواجي بأم أولادي بعد ستة أشهر من زواجي الأول، وهو وقت قياسي، ولا شك أن دعوات والدي وحثي لي واهتمامه بالموضوع كان له دور بعد الله في توفيقِي - رحمه الله رحمةً واسعة -.



4

المبحث الرابع



تنبيهات علمية وأعمال احتسابية



(الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيل الله)

الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -

الحسبة والاحتساب عند الشيخ:

الحسبة والاحتساب من أعلى درجات التطوع وقيمه، والاحتساب ثمرة من ثمرات الغيرة الدينية الناتجة عن الإيمان، ويُعدُّ الاحتساب في أي مجتمع إسلامي من وسائل انضباط المجتمع والحفاظ على قيم الأمة وهويتها الدينية، وهذه الأهمية الكبرى يتحمل المحتسبون تبعات حسبتهم من الابتلاء وغيره.

أشتهر الشيخ مثل غيره من الغيورين على العباد والبلاد بـ (الغيرة الشديدة)، وعُرف بالقوة في مزاولة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تميز عن بعض المحتسبين في هذه القوة وساندته مجموعته الاحتسابية من تلاميذه، وقد يكون لهذه القوة ما يبررها -في ذلك الوقت- حيث واقع التدين العام على مستوى الأفراد والدولة، لكن هذه الغيرة وقوة الاحتساب جلبت على الشيخ بعض المتاعب وبعض العداوات.

محمد الشيباني كان من المحبين للمطوّع السلومي، والمُقدِّرين لمعرفه عليه في تعلُّم القرآن وقراءته وتلاوته ومما قال عنه: «المطوّع صاحب نية خير لا يؤذي أحداً بالرغم من أن الأذية في سبيل الحق تلحقه ليلياً تقريباً، لكنه صابر، وكان محبوباً يزوره الناس المحبون له من كل مكان».

وقال عن صفاته: «المطوع رجلٌ مشهور بالطاعة والذكر والبساطة مع الناس، وكُلُّ يزوره لسمعته وطاعته لربه، وقد صبر على الأذى في سبيل نصرة الدين».

كتب الشيخ عبدالله بن محمد الخليفة عن مجلس السلومي والحسبة والمحتسبين فقال: «لا تزال قهوة الشيخ عبدالله السلومي مفتوحة في الصباح والمساء بالرغم من أنه قد تجاوز الثمان والثمانين سنة، وقد ضعف سمعه وبصره، ولا يزال مجلسه مفتوحاً للضيوف من الدعاة والمحتسبين وعامة الناس في فترة الصباح من شروق الشمس وطوال الضحى، يقصده من محبيه في الله كثيرٌ، يلتقون ويرى بعضهم بعضاً ويستفيدون من بعضهم أخباراً وعلماً، وأحياناً راحةً من عناء السفر، لقد

خَرَجَتْ قَهْوَةُ أَبِي سَلِيمَانَ وَمَسْجِدُهُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُحْتَسِبِينَ مِنْ بَيْنِ تَلَامِيذِهِ الَّذِينَ دَرَسُوا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَكَانَتْ حَسْبَةَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ وَمَعَهُ صَالِحُ بْنُ مُجَاهِدٍ الْخَلِيفَةُ وَسَلِيمَانُ بْنُ صَالِحٍ الْفَهْدُ الْخَلِيفَةُ - رَحِمَهُمَا اللَّهُ - مُضْرِبُ الْمَثَلِ فِي الْقُوَّةِ وَالشَّدَةِ وَالَّتِي لَمْ يَرْتَضِهَا أَوْ يَسْتَوْعِبْ أَهْمِيَّتُهَا بَعْضُ شَبَابِ بَلَدَةِ (الشَّنَانَةِ) وَلَكِنْهُمْ كَانُوا فِتْنَةً مَحْدُودَةً، وَقَدْ أَدْرَكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ - فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ - أَهْمِيَّةَ الْحَسْبَةِ وَالْإِحْتِسَابِ فِي الْحِمَايَةِ مِنَ الشَّرُورِ وَالْمُنْكَرَاتِ، وَبِالنَّظَرِ لِعَوَاقِبِ الْحَسْبَةِ وَنَتَائِجِهَا فَقَدْ كَانَتْ الشَّنَانَةُ - وَلَا زَالَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ بِتَعَاوُنِ أَهْلِهَا - مُضْرِبُ الْمَثَلِ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرَى وَالْهَجَرِ فِي خُلُوقِهَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الظَّاهِرَةِ أَوْ الْمَظَاهِرِ السَّيِّئَةِ، وَهَذَا مِنْ ثَمَرَاتِ الْحَسْبَةِ وَالْإِحْتِسَابِ التَّطَوُّعِيِّ إِضَافَةً إِلَى صِلَاحِ أَهْلِهَا، وَفِي ذَلِكَ دَرَسٌ وَعِبْرَةٌ لِلْمَجْتَمَعَاتِ وَالْأُمَمِ، بَلْ إِنَّ الْخَيْرِيَّةَ لِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

كَانَ الشَّيْخُ جَرِيئًا قَوِيًّا فِي إِحْتِسَابِهِ، فَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ فِي إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بَيْنَ مَا يَتَعَلَّقُ بِعَامَةِ النَّاسِ أَوْ خَاصَّتِهِمْ، حَيْثُ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لُومَةٌ لَا تَمُوتُ، وَمِنْ نَمَازِجِ ذَلِكَ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - (حَفْلُ الْمَلِكِ سَعُودٍ) حِينَ زَارَ الْمَلِكُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَرْيَةَ الشَّنَانَةِ عَامَ ١٣٧٩ هـ، وَبَادَرَ مَعْظَمَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ تَقْرِيبًا بِمَا فِيهِمُ الشَّيْخُ وَمَجْمُوعَتُهُ الْإِحْتِسَابِيَّةَ بِجَمْعِ مِبَالِغِ تَكَالِيفِ حَفْلِ اسْتِقْبَالِ الْمَلِكِ، وَكَانَ الْحَفْلُ نُمُودَجًا لِلْعَمَلِ التَّعَاوُنِيِّ مِنَ الْجَمِيعِ، وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَدْفَعَ (١٠٠) رِيَالًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَكَانَ الْحَفْلُ مُشْتَمَلًا عَلَى إِحْدَى الْفَقَرَاتِ الْغَنَائِيَّةِ الشَّعْبِيَّةِ آنَ ذَاكَ، وَالَّتِي رَأَى الْمَطْوُوعُ السَّلُومِيُّ وَمَجْمُوعَتُهُ أَنْ لَا مَكَانَ لَهَا بِاسْتِقْبَالِ وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْفَقْرَةَ مِنْكَرٌ يَجِبُ إِنْكَارُهُ، وَكَانَ مَنَظْمُو الْحَفْلِ يَتَدَرَّبُونَ قَبْلَهُ بِلِيلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيُعَدُّونَ التَّرْتِيبَاتِ وَالتَّدْرِيبَاتِ لْفَقَرَاتِ الْحَفْلِ عَلَى أَنْوَارِ مَآكِينَةِ كَهْرَبَاءَ مُسْتَأْجَرَةٍ لِهَذَا الْغَرَضِ فِي (حَايِطِ الرِّدَاحِيِّ) ابْنِ خَلِيفَةٍ فِي الْبَلَاغِيَّةِ، وَالتَّدْرِيبِ

كان على ميكرفونات الحفل، ويذكر الوالد أنه بعد صلاة العشاء وعنده بعض أصحابه المحتسين دخل عليه في قهوته أحد تلاميذه المحتسين الغيورين وهو سليمان بن صالح الفهد الخليفة مستنكراً قائلاً: تسمع يا المطوع، كيف يصير هذا؟ مما دعا بعض تلاميذ الوالد - غفر الله لهم جميعاً - إلى التوجه العاجل لمقر الحفل وإنكار المنكر باليد والقوة مع منظمي الحفل من خلال إطفاء الكهرباء وإطفاء نار القهوة، ولكن المطوع السلومي الذي لحق بهم - حسب قوله - أنكر على أصحابه بعض تصرفاتهم وعمد بنفسه إلى من يمثلهم وأكبرهم سنّاً تقريباً وهو الخال علي (الشرايدة) الخليفة وحذّره من عواقب الإصرار على تلك الفقرة المختلف عليها، ونصحه بالتي هي أحسن لتلافي مفسدة أكبر، فالتزم له بعدم اشتغال الحفل على أي شيء مختلف عليه - حسب قول الشيخ السلومي -، وقد تجاوب منظمو الحفل فيما بعد ذلك، وتم استبدال تلك الفقرة بفقرات فكاهية، وبغض النظر عن صحة أو خطأ هذا الاجتهاد من الشيخ السلومي ومجموعته الاحتسابية فقد التزم منظمو الحفل بما أرادته الإرادة الشرعية الدينية في القرية من قبل الجميع، والاستجابة لهؤلاء الغيورين هو الأمر الطبيعي، لأن حياة المجتمع من الطرفين قائمة على الالتزام بقيم الدين الإسلامي والعمل بتشريعاته الكبيرة والصغيرة، والدولة السعودية - حفظها الله بالإسلام - قائمة على البيعة على الكتاب والسنة وهي المرجعية الشرعية للحاكم والمحكوم في المسائل المتفق عليها والمختلف فيها^(١).

والمهم في هذا أن غيرته فيما سبق جلبت له كثيراً من المتاعب والابتلاء الكثير، وقد لحق هذا الأذى المتعمد بعض المحتسين معه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

(١) القصة ذكرها المعني بالترجمة للمؤلف عدة مرات، كما أنها تتطابق مع رواية كل من العم صالح والعم عبدالرحمن أبناء سليمان السلومي، وكانوا من الحضور في مقر الحفل، والقصة معروفة لدى سكان وأهالي الشنّة المعاصرين لها.

كما لحق آخرين من الملازمين له في حفظ القرآن، وما سبق يعكس مدى التدافع بين الطرفين وردود الفعل تجاه غير الشيخ وأصحابه من المجموعة الاحتسابية واجتهاداتهم.

ومما قوّى دوره الاحتسابي نتائج التحقيقات المتكررة معه، التي أثبتت للجميع بحمد الله ولاء الشيخ لدينه ودعوته، ونصحه لولادة أمره، وقد تجاوز هو ومجموعته الاحتسابية من رجال عائلة الخليفة الكثير من الدعاوى والشكاوى الكيدية بما عُرف عنهم من إخلاص وصدق، إضافة إلى سلاح الدعاء والتضرع لربه سرّاً وجهراً.

لقد أكمل الشيخ وتلامذته نقص دور رجال الحسبة الرسمية في القرية شعوراً منهم بتقصيرهم في بعض ما يجب عليهم من إحياء شعيرة الأمر بالمعروف وإنكار المنكر بقوة في حالة وجوده وهي محدودة -بحمد الله- في القرية وغيرها من القرى المجاورة، لكن المنكر الصغير في ذلك الزمن كان كبيراً عند أهل الغيرة، كما أنه كذلك عند السلطة الإدارية والقضائية، حيث طبيعة المجتمع المحافظ المتدين يتضح فيه أي منكر، فالمنكرات الصغيرة في المجتمعات النظيفة والمحافظة كالنكت السوداء على الثوب الأبيض^(١).

وقد تقدم الشيخ (للسلطة القضائية)^(٢) بالتبليغ أكثر من مرة عن تقصير بعض رجال الحسبة الرسميين بدورهم، -كما هو معلوم- كما وجّه ونشّط مجموعة من الأخيار في المجتمع معه بهذا الاحتساب أحياناً وبدونهم أحياناً أخرى، وكان هؤلاء المحتسبون من داخل الشنّة، ومن عائلة الخليفة تحديداً.

(١) عن قيمة الحسبة لدى المجتمع والدولة يلاحظ الخطاب الموجه من الحاكم الإداري أمير الرس إلى جماعة الشنّة والمطية كأنموذج، انظر عنه: كتاب ترجمة: (سليمان بن ناصر السلومي - الشخصية والرسالة - دور المطوعين في الوحدة الفكرية) المبحث الرابع، وكان عبدالله السلومي لا يتجاوز عمره الخامسة تقريباً.

(٢) وكانت تلك الشكاوى على فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله الصغير قاضي محكمة الرس.

التلازم بين الحسبة والابتلاء:

وعن الابتلاء وتلازمه مع الحسبة فقد حدثت مع السلومي حادثة ذكرها كثير من الناس، وهي (حادثة اعتداء) معروفة عند عائلة السلومي وكثير من عوائل الشنانة (الجديدة)، وذلك حينما اعتدى عليه مجموعة من أفراد إحدى العائلات المجاورة لمنزله، وأوسعوه ضرباً مجتمعين عند باب منزلهم بسبب إنكاره عليهم رفع صوت الأغاني وإيذاء الجيران، ففي ذلك مجاهرة وأذية بالمنكر، وقدّم شكواه إلى الله في أمر نفسه، لكنه قدّم الشكوى للجهات الرسمية المعنية وهي هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فصل في خطابه هذا القصة كاملةً وذلك بتاريخ: ٣٠/١٢/١٣٩٧هـ، ولكن الأمر الذي يتطلب التوقف والدرس والعبرة أن هذه العائلة ذاتها أصيبت لهم إحدى البنات مساء ذلك اليوم بمرض نفسي، وفزعوا إليه للقراءة عليها، ولبى طلبهم وجاء إليهم في منزلهم، والشيخ بهذا السلوك قد تمثل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠).

وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (فصلت: ٣٥).

ومن المهم تدوينه عن هذه القصة ودروسها أن هذه الأسرة توقفت من نفسها عن المجاهرة بالمنكر سابق الذكر بعد هذا السلوك الذي لا يتحمله أو يلتزم به إلا صابراً محتسباً صاحب حظ عظيم.

يقول محمد المجاهد الخليفة عن القصة السابقة: «له موقف عجيب يجب أن يسجله التاريخ حيث إنه سمع صوت المعازف والأغاني في بعض البيوت فذهب إليهم كعادته ينكر عليهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فما كان من أهل البيت (المرأة وبناتها) إلا أن خرجن عليه ونلن منه ضرباً مبرحاً، فلم ينتقم لنفسه بل صبر واحتسب وقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، فرجع إلى بيته، وفي آخر ذلك اليوم نفسه قدّر الله على بعض بنات هذا البيت اللائي ضربن الشيخ فمرضت مرضاً

اضطروا بسببه أن يطلبوا نجدة الشيخ فجاءوا يركضون إلى الشيخ فما كان منه - حفظه الله - إلا أن خرج إليهم وأتى إلى بيتهم بكل سرور ورحابة صدر - لأن أمره لله نحسبه كذلك والله حسيبه - فرقى المريضة منهن الرقية الشرعية حتى شفاها الله، ولا يزالون خجلين من صنيعهم بالشيخ مع كرمه لهم ودفعه السيئة بالحسنة معهم».

ووقف ضد رغبات (قلة من الشباب) وأهوائهم المتأثرة ببعض الأفكار الوافدة، أو العادات السيئة ممن كانوا أحياناً يمارسون بعض الأخلاق المنافية لقيم المجتمع النظيف أو ما اعتاد عليه هذا المجتمع المحافظ.

ولحقه كما لحق بعض مجموعته الاحتسابية من رجال الخليفة الأوفياء كثير من الأذى من بعض الشباب، لكن ذلك كان من قلة لا يمثلون أسر وبيوت الشنانة، ولا رغبات أولياء أمورهم الأخيار أبناء الأخيار، حيث كان الشيخ (المطوع) يقف ضد الخطأ أو المنكر وليس ضد أشخاص معينين.

قلت: لازلت أذكر وعمري لم يتجاوز الخامسة عشر بعد أن خرجنا من المسجد في إحدى ليالي التهجد في العشر الأواخر من رمضان المبارك، وكان والدي في الأربعينات من عمره، ووجد معظم المصلين ومنهم القادمون من خارج القرية لصلاة التهجد (المنشورات المطبوعة) بالآلة الكاتبة - آنذاك - وقد كانت مصورة وموزعة سراً في بعض المواقع من قريتنا، وفيها تهديد بالقتل للشيخ بسبب حسبه، وكانت القرية في ظلام دامس لم تصل إليها آنذاك خدمة الكهرباء.

وكان من صور الابتلاء أن تعمّد أحد خصوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى تقمص شخصية الشيخ في (برنامج إذاعي) شهير ذلك الوقت مما يطلبه المستمعون ليقدم إهداءه لبعض الأغاني إلى مؤذن مسجده أو مجموعة من رواد مسجده وقهوته، أو ممن حفظ القرآن على يده لتكون سخرية هؤلاء وأصحابهم بالشيخ والمحتسبين معه من تلاميذه، وقد كان - رحمه الله - يردد

على أصحابه ورواد قهوته القول المأثور: (كُلُّ أُمَّتِي معافي إلا المجاهرين)^(١) وذلك إيماناً منه بأن وجود المنكرات شيء طبيعي في جميع المجتمعات عبر تاريخ الأمة الإسلامية، لكن أكبر من المنكر ذاته هو المجاهرة به مع عدم الإنكار، وفي الغالب أن المجاهرة ناتجة من قلة الإنكار أو عدمه، وكان مما يردده (المنكر لابد أن يُنكر حتى لو لم يزول ذلك المنكر) إيماناً من الشيخ بأن عدم الإنكار بحد ذاته يُحوّل المنكر إلى معروف أو واقع مألوف، ويؤكد بأن إحياء هذه الشعيرة مقصود بذاته أحياناً كثيرة، وليس بالضرورة أن تكون تلك الشعيرة مقصودة بنتائجها، لقد قام الشيخ (بكسر جهاز راديو) أحد الشباب رمياً بالأرض حيث كان يخرج به عند باب منزله المجاور للمسجد ويؤذى المسجد ورواده، وكان تصرف الشيخ وقتها قضية من القضايا المثيرة عند بعض الناس، وأشيع أن الشيخ ضد الراديو، والحقيقة أنه ضد الأذية والمجاهرة بالمعصية، كما أن إعلان الأذى (المنكر) على المسجد ورواده غير مقبول شرعاً وعقلاً، وكان الإنكار في هذا الحدث وغيره على كل من يرفع أصوات الأغاني أحياناً من بعض شباب بيوت القرية وهم قلة، وقد كان سكان قرى الشنانة من الأخيار الصالحين المتعاونين.

وأقول تعليقاً: هذه العادة السيئة (إسماع الآخرين أو إزعاجهم بالأغاني أو غيرها) عند بعض المجتمعات العربية أو بعض المجتمعات الإسلامية تتنافى مع قيم الدين الإسلامي وتوجيهاته، فلا يجوز -حسب الشريعة الإسلامية- إزعاج الجار بصوت القرآن فكيف بغيره؟ وذلك بغض النظر عن جانب الحرام والحلال، وبلغه العصر يُعدُّ هذا الإزعاج بهذه الصورة نوعاً من أنواع انتهاك حقوق الإنسان حسب القوانين والقيم الإنسانية وقوانينها الحديثة أو المحدثّة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، رقم (٢٩٩٠)، بيت الأفكار الدولية للنشر، عام ١٤١٩ هـ ص ١١٩٧.

يقول إمام جامع الشنانة محمد المجاهد الخليفة عن احتساب شيخه وما لازمه من ابتلاء: «وهو دائماً له مواقف عجيبة مع المناوئين ينصره الله عليهم، ومشت الأيام حتى عرفوا أنهم يعيشون في سراب وتسويل من الشيطان، فمن هداه الله منهم عرفوا الحق فأصبحوا يثنون على الشيخ الثناء العظيم بعد أن كانوا مناوئين له. وهذا من فضل الله عليه بدخوله تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿﴾ (الحج: ٣٨)».

وأقول: بسبب قوة المطوع في الاحتساب كان ابتلاؤه أشد من غيره من الغيورين فقد أقيمت عليه (الدعوى القضائية) وبعض الشكاوى الكيدية من بعض الخصوم، لكن القضاء عرف نزاهة العمل الاحتسابي ومقاصده عند الشيخ المطوع السلومي وذلك في كل القضايا فلم يدينه القضاء ولا مرة واحدة، وكان للمطوع مكانة معتبرة لدى معظم الجهات الرسمية، فقد خاطب مراراً وتكراراً رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرس بعدة خطابات، بل واحتسب على أعضاء الهيئة في بعض تقصيرهم عن دورهم في الشنانة، كما خاطبه رئيس الهيئة الشيخ عبدالرحمن بن صالح الرشيد -رحمه الله- ببعض الخطابات ومزوداً له ببعض صور مخاطبة الهيئة للمحكمة بخصوص بعض القضايا كما في الخطاب الصادر إلى رئيس محكمة الرس بتاريخ: ١٠ / ١ / ١٣٩٦ هـ، وكما في الخطاب الصادر من رئيس هيئات الرس إلى المطوع نفسه بتاريخ: ١٠ / ١ / ١٣٩٥ هـ، وفيه: «مقدرين مجهوداتكم الطيبة في الدعوة إلى الله والغيرة لدينه أثابكم الله وسدد خطاكم» [انظر الملحق رقم (١٣) (أ) و(ب)].

وقد ذكر لي شيخي أكثر من مرة -وربما لإخواني- عن أثر (الدعاء والتضرع) إلى الله سرّاً، وأن العاقبة للمتقين، والمهم أن يكون الإنسان على الطريق الصحيح كما كان يقول ويكرر، وفي هذا المقام يقول الشيخ: «كثرت الشكاوى الكيدية عليّ من بعض المبطلين، وفي إحدى المرات وأكثرها ضراوة وتجمعاً تكالب جمع من الناس

في إحدى تلك الشكاوى، وحضر أحد أئمة المساجد مع أصحاب الشكوى إلى المحكمة مما جعل القاضي الشيخ محمد بن عبدالله الصغير ينهره قائلاً له: حتى أنت تأتي لمثل هذه الشكاوى، فخرج الإمام من المحكمة خجلاً.

يقول الشيخ: «وكون أهل الدعوى لم يجتمعوا عند القاضي جميعاً حسب الوقت كان مدعاة لي أن أتسلل من المحكمة وأتجه إلى أقرب مسجد لها، فدخلت في قسم الخلوة الطينية من المسجد المجاور، وقضيت حوالي ساعتين ساجداً وراكعاً ومتضرعاً إلى الله في الضحى، وكان من دعائي وقد شعرت بالظلم: «اللهم اكفني شر هؤلاء الخصوم واجعلها بينهم، منهم وفيهم»، وكنت أكررها عشرات المرات وأنا ساجد، ثم ذهبت إلى المحكمة لتكون الجلسة مع القاضي أمام الخصوم، وقد حكم القاضي كالمتعاد بصرف النظر عن الدعوى، لكن الحدث المهم أن هذا التكالب ورفع الدعوى والشكاوى التي طال مداها قد انتهت إلى غير رجعة حينما ابتلى الله بعض هؤلاء بقضية منهم وفيهم أشغلتهم بأنفسهم، فيقول معلقاً: «أدركت أن الله استجاب الدعاء، وقد بلغ أثره، وأنه قد تحقق فعلاً وواقعاً، فدعاء المظلوم ليس بينه وبين الله حجاب كما قال المصطفى ﷺ»، وكرر الشيخ في هذا المقام تعليقاً على هذه القصة بما هو أكبر منها، حينما استشهد بقول ابن تيمية عن آثار العدل والظلم في حياة الأمم والدول: «إنَّ الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة»^(١) يقول فكيف بالمسلم المظلوم! ولا شك أن الشيخ قد وُطن نفسه على قبول نتائج الحسبة والاحتساب حيث يتمثل كثيراً بقول ابن تيمية عن أنسه بربه ونعمة الله عليه بلذة مناجاته لربه، وحلاوة خلوته حينما سُجن بالقلعة بسبب حسد خصومه خاصةً من بعض العلماء الذين خالفهم في بعض القضايا فأذوه حتى أن الحكام في زمنه اعتذروا منه مُرجعين ذلك

(١) مجموع الفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٨/٦٣.

إلى حسد أقرانه، وكان ابن تيمية يردد قول الله تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: ١٣)، وقد قال ابن تيمية: «والله لو ملؤوا هذه القلعة ذهباً ما كافأهم على ما صنعوا بي، أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، المحبوس من حبس قلبه عن الله، ماذا يفعل بي أعدائي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري إن حبسي خلوة بربي، وقتلي شهادة، وإخراجي من أرضي سياحة»^(١).

ومن احتسابه المعهود واجتهاده وغيرته أنه خاطب أولي الأمر من العلماء في إحدى القضايا الشائكة لمعرفة المتهم فيها، والتي لم تنكشف فيها الحقيقة، والمهم في هذا المقام - بغض النظر عن صحة الاتهام من عدمه لهؤلاء - أن غيرته دفعته للكتابة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية - رحمه الله - وقتئذٍ عن هذه القضية، وكان مما كتب لسماحة المفتي وأكسب القضية بُعداً آخر، بل بُعداً أميناً قوله في الخطاب: «وهؤلاء مرتكبي هذا المنكر الشنيع بهذا الفعل أرادوا الانتقام من الحسبة ورجالها، وليست شهواتهم هي الدافع لهم، وهم مع هذا أبنائنا وفلذات أكبادنا، والحق أحب إلينا وأوجب» - على حد قوله - وتبقى هذه القضية موطن اجتهاد كحال أي غيور - يجتهد ويصيب ويخطئ - ليكون لكل مجتهد خطأ في اجتهاده أجر الاجتهاد.

الاحتساب صمام أمان:

أقول معلقاً على ما سبق: إن هذه النماذج اليسيرة من أعمال الحسبة والاحتساب تؤكد تلازم الابتلاء مع الاحتساب، كما تؤكد على أهمية الاحتساب من الصغير والكبير والذكر والأنثى باختلاف في درجات الاحتساب، فالتأثير المنظورة

(١) انظر ابن القيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب، دار الحديث، القاهرة - مصر، ص ٤٤، ص ٥٩ كما نقله عنه الحافظ ابن رجب في، ذيل طبقات الحنابلة ج ٢، ص ٤٠٢.

وتحقيق المقاصد الشرعية تُثبت أن إعلاء شعيرة الاحتساب تحقق المصلحة العامة، وتكشف عن وهمية الخلط المصنوع من بعض الفئات الفكرية أو الدعوية التي ابتليت بها أمة الإسلام، والذين يزعمون أن الاحتساب على مؤسسات الحكومة أو بعض رموزها فيه إثارة (فتنة)، وخروج على الحاكم، أو تأليب عليه، بل إن الاحتساب وخاصةً الاحتساب السياسي يدفع البلاء والفتن ويخفف الاحتقان بين الحاكم والمحكوم، إضافة لكونه عبادة وشرعة.

فالقراءة من التاريخ عن سلف الأمة من العلماء الصادقين المخلصين المحتسين تكشف أن الناصح الحقيقي للحاكم ولي الأمر هو من يصدق معه بقول الحقيقة والصدق بالحق وذلك لمصلحة الحاكم والمحكوم على حد سواء، فلا يكذب أو يجامل على حساب الحقيقة أو يقول غيرها، بل الناصح الحقيقي من يقوم بالاحتساب على كل عمل خاطيء أو أداء حكومي غير صحيح، وأهداف هذا الاحتساب الشرعي ومآلاته هو ما تتشدد به في العصر الحاضر كثير من المؤسسات غير الحكومية المعنية بالشفافية الدولية، ومثيلاتها المعنية بالرقابة على الحكومات وفسادها الإداري والمالي، ومؤسسات الرقابة الدولية المعنية بتطبيقات القوانين والحقوق، وكشف المخالفات القانونية في انتهاكات حقوق الإنسان، أو حقوق المرأة وغير ذلك (ولله في خلقه شؤون).

والشيخ بدوره الاحتسابي مثل غيره من رواد الحسبة يُعدُّون بتوازنهم صمام أمان وتوازن بين وجوب إنكار المنكر كبيراً أو صغيراً، وبين التأليب والخروج أو إثارة الفتن، وقد عُرف عنه خاصةً في الفترات المتأخرة تقديم المشورة والنصح لبعض من فكَّر بالجهد في بعض مواقعه بعدم الذهاب، والاكتفاء بجهد الكلمة وجهد الحسبة وجهد النفس ومقاومة التغريب وغيرها من صور الجهد.

وفي هذا المقام يحسن التأكيد والإشارة إلى وجوب تصحيح بعض الصورة الذهنية الخاطئة عند بعض الناس عن قوة بعض المحتسين أو المطاوعة بدون مبرر - كما سبق.

لا شك أن المجتمع السعودي في تلك الفترة من التاريخ كان قوي الالتزام بأحكام الدين، ولذلك وجد ما قد يمكن وصفه بالشدة والتشدد عند كل مطوِّع آنذاك حسب ما يقال بتعبيرات اليوم، ووصفها بالقوة قد يكون أنسب، والمطوِّع عبدالله السلومي من هؤلاء، وذلك بحكم البيئة الدينية للمجتمع والإرادة السياسية للدولة آنذاك، وقد يكون التشدد أو القوة في الإنكار ناتج عن ردود الفعل تجاه جهل بعض الناس ببعض أمور الدين لاسيما ما صحب ذلك من العناد والإصرار من قبل بعض الشباب على رفض بعض جهود المطوعين والمحتسين، خاصةً أن ذلك كان في ظل ترويج أو رواج بعض الأفكار الاقليمية آنذاك كالناصرية والاشتراكية وغيرهما.

علمه ودعوته وفقهه:

إذا كان ما سبق عن حسبة الشيخ واحتسابه فمن المهم معرفة قواعده الشرعية في ذلك من العلم والدعوة والفقه، ومن ذلك أنه تربى على يد والده وحفظ معظم القرآن في شبابه، وأكمّله فيما بعد ذلك، واستفاد من صفات أبيه الواعظ المرشد، كما تعلم منه بعض العلوم الشرعية والفقهية، وقد درّبه على الأذان وقراءة الحديث على جماعة المسجد قبل أن يخط شاربته - حسب قول الشيخ عبدالله عن نفسه - ثم درّبه والده لخلافته في الإمامة، وكان يخلف والده بإمامة المصلين أحياناً وهو لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره في مسجد البلاعية بالشنانة، ثم أصبح إماماً للناس في مسجد الجديّدة بالشنانة فيما بعد ذلك طوال سنوات عمره حتى أقعد من المرض بعد ما تجاوز الثانية والثمانين عاماً، وقد تميز مسجده في قصد الناس له من القرى المجاورة لأداء صلاة التراويح والتهجد، وهذا المسجد الأخير أسّسه وبناه بيده مع جماعة المسجد، وقد عاش الشيخ كغيره من الناس في ذلك الزمن حياة الكفاف، وتعلم من والده حب العلم الشرعي ومطالعة الكتب النافعة بمجهوده الشخصي،

واقتنى الكتب العلمية بمكتبة خاصة به داخل قهوته الطينية وفي مدخلها، وكان يُسمى المدخل (المُجبب)، والشيخ عبدالله بأفعاله وأقواله وعلمه داعية للخير كما عُرف عنه، وقد تتلمذ على كتب ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله- فأكسبته كتب الشيخين الدراية قبل الرواية، ويكثر من ترديد مقولة أحد السلف: «ليس العلم بكثرة الرواية وإنما العلم الخشية والورع»^(١)، ويردد كثيراً أن تقوى الله تزيد من العلم كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وكان يقول: «الذي لا يستفيد من علم وكتب ابن تيمية وابن القيم ممن جاء بعدهما لا أعتبره عالماً».

وقد قرأ الشيخ كثيراً في كتب أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله- كما سبق -خاصة العقيدة وشروحاتها، ومن أهمها كتاب (التوحيد) والذي كان يقرؤه مع تلاميذه ومجموعته الاحتسابية، وقد رأيت به بنفسي وكنت أجلس معه في القهوة ومع تلاميذه وعمري لم يتجاوز الثامنة، وهو يُعلِّمهم ويشرح لهم كتاب (الأصول الثلاثة) و(القواعد الأربع) حيث كان يُحفظها ويُسمِّع لتلاميذه في قهوته حوالى عام ١٣٨٠ هـ كما رأيت شرح الشيخ لتلاميذه كيف يحفظون سورة الرحمن وقد استصعبوا حفظها فشرح لهم وكان مما قاله لهم: «إن تصور موضوعات السورة وترتيب تلك الموضوعات والآيات في نفسك فقط كافٍ لحفظها، بل إن هذه السورة أسهل من غيرها»، إضافة إلى أنه قرأ وأعجب بتفسير الشيخ عبدالرحمن الدوسري -رحمه الله- (صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم) فاستفاد منه الكثير، وكان من وصفه لكلامه وتفسيره بأنه كلام كبير وقوي قوله عنه بالعامية: «كلامه قوي يُززل مثل (الدركترات)» كناية عن القوة، ويصفه أنه سابق لزمانه، لاسيما في كشف المخططات اليهودية والماسونية.

(١) وهذه العبارة من المأثور عن ابن القيم، انظر: كتابه الفوائد، طبعة ٣، ص ١٨٥ دار اليقين.

تأثر الشيخ بأفكار ابن تيمية وابن القيم واكتسب منها حرية التفكير، ونبذ التعصب المذهبي، كما استفاد من منهج الاستدلال عندهما، فكان له الأثر الواضح على شخصيته العلمية، وأكسبته المطالعة الكبيرة لكتب الشيخين روح العزة والكرامة والفأل بانتصار هذا الدين والتميز للمسلم بالولاء والبراء، كما اكتسب من كتب الشيخين روح التجديد مما جعله يستوعب الأفكار المتغيرة والجديدة للأجيال كباراً وصغاراً شيئاً وشباباً، بل إنه بهذه القراءات أصبح يتمتع بروح الشباب ويمتّعهم في آرائه ورؤاه رغم شيخوخته، وهذا ما عرفه الجميع عنه، وذكر ذلك بعض من كتب عنه.

كثرة مطالعته وقراءته في كتب الشيخين جعلته يفرق بين أسلوب الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فلو قرأ عليه أحد نصاً لأحدهما لقال أنه لفلان وليس لفلان، بل كان يقول: إذا أردت شروحات كتب ابن تيمية فابحث عنها عند ابن القيم. ومن إعجابه الشديد بشخصية ابن تيمية العلمية قوله عنه: «ابن تيمية عنده فراسة عظيمة لدرجة تجعل القاريء لبعض نفاؤلاته، وقوة يقينه خاصة في مجال انتصار الإسلام وغلبة المسلمين يتساءل مع نفسه هل ابن تيمية عنده شيء من الغيب؟ وكثيراً ما يذكر شيخنا السلومي عن شيخه ابن القيم قوله: «نأتي إلى ابن تيمية ونحن محزونون، وإذا دخلنا عليه انشروحت صدورنا»^(١) ولا شك أن ذلك بسبب الفأل والإيمان واليقين، ويقول الشيخ السلومي: «وتجد ابن تيمية يستدل بشيء على شيء ويبني على ذلك قواعد وأصول فقهية ومعرفية».

وكان معجباً بابن القيم وبتبحره في صنوف العلم والمعرفة، ويزداد إعجابه من تأليفه لبعض كتبه وهو في غير دار قرار، حيث ألف وكتب (زاد المعاد) وهو مسافر بطريقه بين الشام والحجاز واعتبره زاد مسافر، وتأليفه كتاب (مفتاح دار

(١) انظر: ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب. فوائد الذكر: الرابعة والثلاثون، ص (٦٧). ومدارج السالكين ج١/ ٤٣١، ٤٥٤.

السعادة) فترة إقامته بالحرم المكي، وهو جزاءان، ويذكر عن ابن القيم أنه أَلَفَ وكتب الكتاب الأخير دون مراجع، إلى أن قال عن ابن تيمية وابن القيم: «وبركة الوقت عند هؤلاء أمر واضح وجلي».

وكان من المعجبين جداً بتأصيل الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله- خاصة في القضايا الفقهية ومنهج الاستدلال وتأصيل المسائل الفقهية بالأدلة، وقال عنه: «ليس مثله أحد بالعلم»، إضافة إلى استفادته مما عرف عن الشيخ ابن باز -رحمه الله- من تقديم الدليل على نصوص الفقهاء وما صحب ذلك من منهج الاستدلال عند الشيخ ابن باز من أمور التيسير في كثير من المسائل الفقهية، ويذكر السلومي أن الشيخين استفادا كثيراً من كتب ابن تيمية^(١).

وهذه البضاعة العلمية كان الشيخ مفتياً في قريته لعامة الناس، ولكل من يستفتيه في أمور العبادة وفقه الحياة اليومية للناس، فلم يكن فقيهاً متميزاً أو عالماً مشهوراً ولكنه عارف بمسائل الدين التي يحتاج إليها عامة الناس، وكان مستوعباً بشكل أكبر الواقع المحيط بالعالم الإسلامي، وواقع الإسلام والمسلمين، فقد كان يقرأ أو يقرأ عليه في مجلة البيان كنموذج لمصادره العلمية عن فهم الواقع، ويستمتع ببعض مقالاتها، ولم يكن الشيخ معزولاً عن الواقع الذي كان لا يتابعه من خلال صحف يومية أو نشرات إخبارية، ولكن من خلال رواد قهوته صباحاً ومساءً من كل الطبقات ومن كل مكان، ويقول عن نفسه: «مكفين هذا الأمر، تحبنا الأخبار دون أن نبحث عنها فلا داعي أن نشغل أنفسنا».

كتب الله للشيخ من الأسباب والأسفار ما زاد من رصيده المعرفي وهذا ما ساعده على فهم بعض جوانب التاريخ والعقائد، فقد أصيب في إحدى عينيه بمرحلة

(١) يلاحظ انتفاع الأمة الإسلامية بجهود العالمين الجليلين الفقيهين الشيخ عبدالعزيز بن باز رائد التيسير والشيخ محمد بن عثيمين رائد التأصيل بمنهجها العلمي التجديدي في الاستدلال الفقهي وعلم الرواية والسند -رحم الله الجميع- .

مبكرة من عمره، وسافر وعمره حوالي (٤٩) سنة لعلاج عينيه إلى مستشفى (خليلي بشيراز) في دولة (إيران) بصحبة أخيه عبدالرحمن وذلك عام ١٣٩٤هـ، وما أذكره عن تلك الرحلة أن والدنا وشيخنا رجع وقد أصفر وجهه وتغير لونه ونقص وزنه بشكل ملحوظ، ويذكر عن نفسه أنه لم يستطع نفسياً تناول الأكل الإيراني آنذاك رغم نظافته الظاهرة - كما قال عن نفسه - وكما تحدث به مرافقه.

ثم سافر بعد ذلك إلى دولة أسبانيا (الأندلس السليبية) مرتين بعد تجاوز عمره الخمسين عاماً وذلك لعلاج عينيه، وكان السفر الأول عام ١٣٩٨هـ مروراً بطنجة والدار البيضاء من دولة المغرب برفقة ابنه سليمان، كما كانت الرحلة الثانية عام ١٣٩٩هـ برفقة ابنه محمد مروراً بإيطاليا ذهاباً ورجوعاً عن طريق جنيف في سويسرا وذلك للعلاج في مستشفى باراكير في مدينة برشلونة بإسبانيا، وزار خلال تلك الرحلات قرطبة وقصورها، وغرناطة ومساجدها ورأى بنفسه كيف تحول مسجد (قرطبة) إلى كنائس وأجراس بأركان المسجد الأربعة، ورأى وسمع أجراس الكنائس تدق فيها وردد (إنا لله وإنا إليه راجعون) (حسبنا الله ونعم الوكيل)، كما رأى فيها بعض كتابات وزخرفة وحضارة المسلمين، واستوقفته كثيراً الكتابات المكررة في القصور الأثرية للحكام المسلمين في الأندلس الذين فرطوا بالدين ففقدوا الدنيا - كما قال - ولقد رأى ما يعطي العبرة والدروس عن أسباب زوال الدول والحكومات، ومن أهمها التخلي عن ما قامت عليه وتأسست به بل وتوحدت عليه، وكيف كان مآلها حينها تفككت إلى دويلات ملوك الطوائف، والعبرة تزداد حينما كان يرى ويتأمل ذلك الخط العربي الأندلسي المكرر يزين معظم أسقف قصور الملوك (لا غالب إلا الله)!!، وقد اكتسب كثيراً من المعرفة في تلك الأسفار - لاسيما أنه دقيق الملاحظة - وما يصاحبها عادة من احتكاكٍ بثقافات أخرى وأمم متنوعة أضافت عنده رصيداً جيداً من الوعي كما منحته سعةً في الأفق، ودراية في واقع الأمم والدول.

لفتاته العلمية:

رحم الله شيخنا ومربينا، وغفر الله لنا تقصيرنا في تدوين لفتات الشيخ العلمية التي لا يمكن إحصاؤها أو حصرها، وقد مضى زمن من الدهر لم نعرف قدر تدوين تلك اللفات التي تبني العقول والأفكار، والتي تعجز كثير من دورات التدريب أن تُقدمها، أو بعض المدارس أن تربي عليها - حسب قناعاتي الشخصية -.

وهنا أعلن - مع إخواني - عجزنا عن تدوين أو صياغة كثير من تلك اللفات أو الملاحظات العلمية الصادرة من مربينا وشيخنا، وقد اكتفيت هنا بكتابة القليل منها كنماذج وإشارات، ومنها ما كان يردده على مسامع أبنائه وتلاميذه وزوار قهوته وروادها، وقد تكون هذه اللفات أو التنبيهات لا جديد فيها لبعض الناس، لكن الأهمية فيها إسقاطها على الواقع أو إسقاط الواقع عليها وما في ذلك من تربية على صناعة التفكير واستقلالته.

وبهذه المناسبة أسجل - بصفتي مؤلفاً وباحثاً في هذه الترجمة - ندمي الكبير بعدم التفرغ سابقاً لتدوين لفتات الشيخ العلمية وتنبيهاته المعرفية وما فيهما من مضامين إصلاحية وتوجيهات وإرشادات، ولعل هذا التقصير يكون درساً وعبرة لمن يهيمه أمر تدوين التاريخ الاجتماعي، لقد كانت هذه التنبيهات واللفات عند الشيخ ناتجة عن تتلمذه على والده إضافةً إلى جهده الذاتي بقراءته من كتب بعض العلماء، ومن أبرزهم ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وأحفاده، كما أنها نتاج تتلمذه على كتب الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وكان معجباً بسعة أفقه وعلمه، وقرأ متأخراً لابن باز وابن عثيمين، وهو بما سبق مع زهده وكرمه وخيريته ودوره البارز في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان رمزاً دعوياً خيراً يقصده الناس فرسلته وأمثاله تتكامل مع جهود العلماء كما تتكامل جهود العلماء والدعاة مع أدوار المؤسسات الحكومية التعليمية والتربوية والاحتسابية.

فمن لفتاته العلمية على سبيل المثال تنبيهاته عن خطورة (الشرك الخفي) فالشيخ كان يردد على مسامع الجميع حديث الرسول ﷺ: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة...»^(١)، مبيناً وموضحاً أن عبودية الدينار والدرهم أو المال ليس معناها السجود والركوع لها، بل إن العبودية المقصودة في ذلك أخطر، فمثلاً توحيد الألوهية لا يتحقق إلا بالولاء والبراء، ومن الموالات والمعاداة فيما بين الناس ما هو واقع عند بعضهم من أجل الدرهم والدينار أو الخميصة، فالحب والبغض بين الناس من أجل هذه الأشياء فقط هو نوع من العبادة والتقديس، وقد يكون نوعاً من الشرك بل وقد يكون أخطر من شرك الأموات لأن المال ظاهره النفع والضرر وليس كالأموات - كفانا الله شر المال - كما كان يقول: ومثل ذلك شرك الأحياء فهو أخطر من شرك الأموات، وأخطر منه تعظيم الأحياء وطاعتهم المطلقة لأنها تدخل في شرك الطاعة، لافتاً انتباه الحضور إلى معانٍ قد تغيب عن كثير من الناس في مفاهيم التوحيد وما يتلازم معه من الولاء والبراء، وهذا - حسب قوله - لا يتعارض مع القول المأثور: «نعم المال الصالح عند الرجل الصالح»^(٢) لكن المذموم عبودية الدنيا والمال، وأن يكون المال هدفاً وغاية وليس وسيلة.

ومن لفتاته العلمية تعليقه على حديث (علامات الساعة) المشهور وفيه: «... أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة، يتطاولون في البنيان»^(٣)، يقول الشيخ المطوع: «ألا يلاحظ أن بعض مفاهيم هذا الحديث قد وقعت في زمننا - والله أعلم -؟ ألا يلاحظ أن الأمة قد ولدت ربتها، وهذا أمر مشاهد ومحسوس،

(١) الحديث بهذا اللفظ من رواية أبي هريرة رضى الله عنه أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (ج ٣ / ٩٤) برقم الحديث، (٢٥٩٥) وبنحوه أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، وفي كتاب الرقائق باب ما يتقى من فتنة المال.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٤ / ١٩٧).

(٣) من حديث ابن عمر الطويل، أخرجه البخاري: في كتاب الإيمان (٥٠).

ومن ذلك أن القيادة والأمر والنهي في معظم البيوت أصبح للأطفال والبنين والبنات؟ وليس للأباء والأمهات، ومن المظاهر الجلية لذلك ما يراه كل عاقل عن الموجه الحقيقي للعطلات الأسبوعية والموسمية، وكيف أن الأولاد أصبحوا هم المحددين لوجهاتها!! بل كثير من هؤلاء الأبناء يحددون بعض أمور حياة أمهاتهم وآبائهم!!، ولعل هذا من مفاهيم الحديث السابق.

أمّا العلامة الأخرى من علامات الساعة وهي التطاول في البناء فكان يقول عنها: «إن نظرة إلى بعض قرى البادية وقصور وفلل وبيوت بعضهم كافية لتحقيق هذا الأمر على أرض الواقع».

ومثل ذلك قال فيما يتعلق بـ (نطق الرويضة)^(١) وكيف أصبح هذا أمراً محسوساً ولا سيما في بعض وسائل الإعلام خاصة الصحافة، ومن العلامات ما ورد عن ما يتعلق في سيادة الجهال (وإسناد الأمر إلى غير أهله)^(٢) كعلامة من علامات الساعة، وهذا أمر مشاهد، وتعيشه أمة الإسلام على مستوى الحكومات والشعوب - كما كان يقول -.

وفي هذا الصدد يكرر أن أحاديث علامات الساعة الصغرى وقع معظمها بلا شك ولا ريب، وصاحب البصيرة يدرك هذا، ويبقى أن تنفرط - على حد قوله - علامات الساعة الكبرى وتتابع كانهراط عقد السبحة وهذا تشبيه منه - كما يقول -، والرسول أكد على أنه (بُعْثَ والساعة كهاتين وأشار إلى أصبعيه)^(٣) كناية عن قرب القيامة من بعثته حسب أعمار الأمم وليس الأفراد - والله أعلم -، وله رأى يطرحه بقوة أن بعض الأحاديث التي يكون في سندها ضعف يقويها الواقع بأحداثه.

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا سَتَانِي عَلَى النَّاسِ سِتُونِ خَدَاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْصَةُ» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْصَةُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ (١) قَالَ: «السَّيْفَةُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ» أخرجه أبو داود (٤٤٨٤)، والبيهقي ٣١٣/٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبو هريرة في كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، (١١/٣٣٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٨ ص ٥٦٠.

ومن لفتاته العلمية: رأيه في (الفتاوى) حيث لا يرى قراءة فتاوى العلماء على عامة الناس في المساجد أو غيرها، لأنه يرى أن هناك فرقاً في كل شيء بين الفتاوى العامة للقضايا العامة وهي قليلة، والفتاوى الخاصة التي ترتبط بمعرفة حال المستفتي وزمن الفتوى، وهي بهذا لا تصلح في الغالب أن تكون دروساً تُقرأ على الناس في المساجد، أو فتوى لشخص آخر، بل إنه يرى إعادة النظر في بعض الفتاوى التي صدرت من بعض العلماء في أزمان محددة وأحوال معينة، لأن الفتوى تتغير بتغير الأزمان والأحوال، ومن ذلك حسب قوله: الفتاوى المتأخرة حول التوسع في أوقات رمي الجمرات في الحج، والتي كان مبعثها شدة الزحام، وخوف الهلكة والموت والمشقة على الحجاج، وقد زالت المسببات بعد التوسعة الكبيرة المباركة للجمرات، وقد رأى بنفسه انتفاء الأسباب الموجبة لتلك الفتاوى حينما حج عام ١٤٣٠ هـ والجمرات بصورتها النهائية تقريباً، وكان سعيداً بما رأى ويردد (ما شاء الله تبارك الله)، وأقول: ولا شك أن هذا المشروع يُعدُّ من المشاريع الحضارية التي أسهمت في إيجاد حلول جذرية لمشكلة الزحام والتدافع والموت الجماعي، وينتظر المسلمون في أنحاء العالم المزيد من مشاريع التنمية والحلول الجذرية للحرمين والمشاعر المقدسة مثل المواصلات والخدمات والإسكان وغير ذلك. ومن لفتاته العلمية أنه لا يرى المبالغة في أدعية (ختم القرآن)، وكان يرى أهمية الالتزام بالمأثور والاكتفاء به، ولذلك فقد كان يلتزم العمل في الختمة المنسوبة لابن تيمية، ويجعل ختم القرآن بمكان قنوت الوتر اجتهاداً منه أن ذلك هو الأصوب، ويقول: إن الشيخ ابن عثيمين يرى ذلك.

ويقول السلومي إن الشيخ ابن عثيمين يُشكِّك حول نسبة الختمة التي اشتهرت باسم ابن تيمية قائلاً: «كأن هذه الختمة لم تثبت عنه، أو لم تُعرف وتحفظ عنه»، لكن الشيخ السلومي يُرجِّح أنها لابن تيمية لأنها حسب اللفظ والنص تتناسب كثيراً مع أسلوب ابن تيمية، ويقول بدقة ملاحظة أن الطباعات المتأخرة للختمة

المذكورة تضمنت تغيير كلمة وردت في الدعاء (اللهم اغفر للمؤمنين) وعُدلت (اللهم اغفر للمسلمين) ويقول معلقاً على هذا التعديل في الطباعة: وهذا لا يؤثر، لاسيما أن تكملة الدعاء «الذين شهدوا لك بالوحدانية الخ....» وهو مكمل لهذا التعديل ومُنسجمٌ معه.

وقال الشيخ السلومي: «الشيخ بكر أبوزيد -رحمه الله- من القلائل الذين لهم رأي واجتهاد صائب في مسألة الختمة ولا يرى بدعيتهما»، وقد كَتَبَ الشيخ السلومي بخط يده ختمةً، ووُجد من هذه الختمة ورقة واحدة بين ثنايا أحد كُتُبِ مكتبته المتواضعة، وواضح من مستوى الخط أنها في عمره المبكر قبل وجود الختمات المطبوعة، وربما أنه كتبها حينما كان شاباً يخلف والده في صلاة التراويح في مسجد البلاءية، أو مسجد مهد الذهب فيما بعد ذلك [انظر الملحق رقم (١٤)].

ويقول السلومي عن ما استحدث في موضوعي الختمة وقنوت رمضان في المساجد: «إن الختمة في عصورنا المتأخرة أصبح فيها غلو زائد في الإطالة، ولم يُنزل الله في ذلك من سلطان، وعلى المسلم الصادق أن يدعو بهذا وأكثر في خلواته مع ربه».

وكان يتألم لواقع بعض الناس الذين لا يحرصون على تلاوة القرآن أو سماعه معظم ليالي رمضان وأيامه بقدر حرصهم على حضور ليلة ختم القرآن، بل ويكون من أدعية الختمة التي من قول المخلوقين، ولا يكون من آيات القرآن -كما يقول-^(١). ومن لفتاته العلمية أنه لا يرى (العزاء) بالحالة التي أحدثها الناس في هذه الأزمنة المتأخرة، لأن فيها نوعاً من أنواع المجاملة والتكلف بالأسفار وغير ذلك، وكان كثيراً ما يستدل ببعض الأحاديث التي تؤكد أن بعض الصحابة كانوا يموتون بالمدينة أو أطرافها ولا يعلم عنهم محمد ﷺ إلا بعد يوم أو يومين أو ثلاثة، مما

(١) هذا الاجتهاد منه من باب التنبيه إلى ما يحسن الانتباه إليه أكثر من كونه في خاتمة الخطأ والصواب، أو الباطل والصحيح، وهذه المسائل يحكمها الاجتهاد الصحيح.

يدل على وجوب تعجيل دفن الميت وعدم التكلف في جمع الناس عليه، والمبالغة في العزاء، ومن الأحاديث التي كان يذكرها الشيخ (المطوع) لتأكيد رأيه حديث المرأة التي كانت تَقُمُّ المسجد النبوي ففقدتها النبي ﷺ وهو لا يعلم بموتها، فسأل عنها فأخبروه بوفاتها ﷺ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ، أَوْ امْرَأَةً سَوْدَاءَ، كَانَ يَقُمُّ الْمَسْجِدَ؛ فَمَاتَ فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْهُ فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: أَفَلَا كُنْتُمْ أَذْنَتُمُونِي بِهِ؟ دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ، أَوْ قَالَ: قَبْرِهَا، فَأَتَى قَبْرَهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا^(١))، وقد نبّه أحد أبنائه إلى أن هذا التكلف في الاجتماع للعزاء قد يكون فيه خير ومصلح أخرى، لاسيما أن ظروف الحياة المادية الاستهلاكية وأنماطها أشغلت الناس وصرفتهم عن الاجتماعات والزيارات وتفقد أحوال بعضهم البعض، فالاجتماع للعزاء فرصة للتواصل الاجتماعي والترابط الأسري، فقال معلقاً: «لعل الاجتماع بهذه النية يكون مباركاً وفيه خير إن شاء الله».

ومن لفتاته العلمية رأيه في (صلاة الاستسقاء) حيث كان يرى وجوب إنكار المنكرات الكبرى والصغرى أولاً، مع وجوب إنهاء مظاهر الظلم بأنواعه، والتوبة من المعاملات الربوية من الجميع، وأن هذه أهم من إقامة شعيرة صلاة الاستسقاء التي تكرر ولا يلحظ استجابة، فصلاة الاستسقاء تأتي بعد ذلك، وحرى أن يكون بعد ذلك قبول التوبة والدعاء، وأن يكون الاستسقاء في موضعه الصحيح.

ومما استفدته من (خلاصات فقهية) يرددها على مسامع تلاميذه وأولاده ورواد قهوته، وحرى للأجيال أن تعي الخلاصة المفيدة وما فيها من التنبيه على أهمية حكم صلاة الجماعة، وهي قوله: «ابن تيمية يرى أن صلاة الجماعة شرط من شروط صحة الصلاة، وجمهور الحنابلة يرون وجوب الجماعة بالمسجد أو غيره، ومن المتأخرين الشيخ محمد بن إبراهيم ومشايخ الدعوة، والشيخ ابن باز وابن

(١) انظر صحيح البخاري رقم: ١٣٣٧، وابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣/ ٢٤٤، والباركفوري تحفة الأحوذى ٣/ ٤٢١.

عثيمين حيث يرى جميع هؤلاء -رحمهم الله- أن صلاة الجماعة واجبة ويأثم تاركها».

ومن لفتاته العلمية والفقهية ما كتبه الشيخ سليمان المهوس عنه، وفيها قال: «قرأت عليه -رحمه الله- في فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية -قدس الله روحه- فسمعت منه ما لم أسمع من غيره. حينما همس في أذني -رحمه الله- منذ أكثر من عشرين سنة موضحاً رأيه في حصانة القاضي واستقلاله، فظهر لي الآن أن ما قاله هو عين الصواب!، وكان قد ناقشني في قضية جنائية مراعيًا حصانة القاضي واستقلاله، فرأيت خلاف رأيه، ولكن رأيه أيد من محكمة التمييز ومن الجهات العليا ولا يزال الحكم باقياً».

وكان يرى -رحمه الله- أن الحدث الدائم غير ناقض للوضوء وهو رأي الإمام مالك، وإليه رجع سماحة الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- بعد أن اطلع عليه فسبحان من وفقه.

وكان من آرائه الفقهية -رحمه الله- صحة إمامة المسافر بصلاة الجمعة، وقد خالفه رئيس محكمة الررس محمد الصغير في ذلك منذ أكثر من ٤٠ سنة، ولكن المسافر أم المصلين في صلاة الجمعة وقضي الأمر.

وكان -رحمه الله- يشدّد على من يسرف في الطعام والشراب وبخاصة ماء الوضوء والغسل».

ومما سمعته من لفتاته العلمية وأميل إلى رأيه في هذا، وفيه قال: «أن من مات بحادث سير شهيد لا سيما إن كان راكباً ويشفع في أهله، وقال لي -رحمه الله-: أن من مات في شبابه أن الله قد اختاره لا تثريب عليه».

ومن أغرب ما سمعت منه -رحمه الله- «أنه يرى أن ظلم الناس لأنفسهم أو لبعضهم -الذي هو من كبائر الذنوب- لا يدخل في التهديد الوارد في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١)».

التنبيهات المعرفية:

العلم شيء والمعرفة شيء آخر والثانية تكمل الأولى في غالب الأحوال، وقد تميز الشيخ ببعض الجوانب المعرفية، ومنها تنبيهاته بأهمية استثمار واقع تعدد بعض (الجماعات الإسلامية) في كثير من المجتمعات المسلمة قائلاً: إن هذا الواقع ليس أمراً سلبياً محضاً، فهي ظواهر صحية في بعض جوانبها، فأدوارها ينبغي أن تتكامل مع بعض في التنسيق والتعاون، ويُفترض أنها لا تتنافر عداً أن تتخاصم، ويضرب لذلك مثلاً أن جماعة التبليغ والجماعات السلفية أو الإخوان تتكامل جهودهم، والساحة تتسع للجميع وتحتاج إلى الجميع، وكان يقول لمن ينتقد بعض الجماعات: «اعتبروا أن جماعة التبليغ يمثلون المرحلة الابتدائية، وغيرهم الثانوية، والجماعة الأخرى كالجامعة، وهكذا من أنواع التكامل»، وهذا من فقهه في هذه المسألة، ويتألم لبعض الناس الذين غلَوْ في المعادة، أو غلَوْ في الموالاة، والشيخ وغيره يعلمون أن الأفراد والجماعات كلهم عندهم أخطاء، لأن (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاوُونَ، وَخَيْرُ الْخَطَايَيْنِ التَّوَّابُونَ)^(١)، فالخطأ يتلازم مع عمل البشر، وكان يقول عن هذا التنوع: أنه ليس بظاهرة مرضية فـ (كُلُّ مُسَيَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ)^(٢).

ومن تنبيهاته المعرفية في (القدرة والوسع) في مجال الحسبة والاحتساب تأكيده على أن العمل يجب أن يكون وفق الطاقة والقدرة، حيث الشيخ يكرر بعض الآيات والأحاديث المتعلقة بذلك، ومنها قول الله تعالى: ﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد: ١٧)، فكل إنسان له سعة وطاقة معينة في كل شيء، وخاصة في مجال الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو بهذا يلفت الانتباه أن مسؤولية الإنسان مرتبطة

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، حديث رقم: (٢٤٩٩)، المجلد الرابع، الناشر المكتبة الإسلامية، القاهرة، ص ٦٥٩.

(٢) انظر البخاري (٧٥٥١) كتاب التوحيد، ٥٤- باب قول الله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر) (القمر: ١٧). وانظر صحيح مسلم (٢٦٤٩) كتاب القدر، ١- باب كيفية خلق آدمي.

بعلمه وقدراته وطاقته على العمل، وكان يربط هذه الآية بقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) بقول الرسول ﷺ: «كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١)، ويعلق الشيخ على ما سبق أن مطالبة بعض الغيورين من بعض العلماء بالاحتساب في بعض القضايا الكبيرة وما شابهها فيه تحميل لهم فوق طاقتهم، وقد يكون فوق استيعابهم للواقع، وقد لا يكون المطالب بذلك قادراً على تبعات احتسابه وأقول تعليقاً على كلام الشيخ: قد يندفع الإنسان أو يُدفع فوق طاقته فيدفع ضريبة هذا الاندفاع أو التهور بأن لا يتحمل نتائج ومُترتبات فعله، وقد يدفع ضريبة الاندفاع حينما يُقدّم تنازلات ما كانت لتقع لو أنه لم يندفع بما لا طاقة له به من حيث القدرة. وأقول عن نفسي: إنني استفدت من هذه القاعدة الثمينة في عموم حياتي حيث وجوب قوة الحسبة لكن مع الاعتدال وعدم الاندفاع، وفي ذلك - بإذن الله - ضمان أكثر للثبات، وأداءً للواجب، وبراءة للذمة، فلا يكون تضييع الممكن في طلب المستحيل، فجزى الله شيخنا خيراً.

ومن تنبيهاته المعرفية في التعامل مع الناس والعلاقة بهم مما يُعدُّ في باب تقوية (العلاقات العامة) فقد كان المطوع الشيخ يعمل بقاعدة نفسية نفيسة ومهمة، وكثيراً ما كان يُعلِّمها لأولاده وإخوانه في الله بشكل خاص، ومع محبيه ومرتادي قهوته بشكل عام لئلا يخسروا الناس أو يخسروا ما عند الناس من حق، وتلك القاعدة الجميلة لا تخرج عن أهمية تدريب النفس على حسن التعامل مع الناس وتقدير كل واحد حسب قدره ومكانته عند نفسه وعند الآخرين، وتوظيف ما لديهم من الجوانب الإيجابية حيث يقول: «عاملوا الناس على قدر عقولهم، وليس على مستوى عقولكم» وقوله: «عامل الشخص على مستوى عقله» وذلك لإيصال أي رسالة إليه ولتفاعل مع أي قضية مطروحة، ويؤكد على هذا المعنى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ج ٢، ص ٢٩٩.

مرة أخرى بقوله: «حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْقِلُونَ، لَا تَحَدِّثُوهُمْ فَوْقَ مَسْتَوَى عَقُولِهِمْ». ويستدل الشيخ على ما سبق بفعل رسول الله ﷺ مع أبي سفيان يوم فتح مكة حينما قال: (إن أبا سفيان يحب الفخر)، فالمصطفى ﷺ احترم هذه المشاعر عند أبي سفيان ولم يتجاهلها وهذا من المنهج النبوي، بل إن الرسول ﷺ وظَّفَهَا للخير فقال: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ»^(١)، كما أن الشيخ يستدل كثيراً بفعل الرسول ﷺ مع صحابته ومراعاة فروقاتهم الفردية حيث يأتيه الصحابي يطلب منه أن يوصيه، فكان يوصي هذا بالجهاد في سبيل الله، ويوصي الآخر بالبقاء مع والديه وذلك هو جهاده بقوله: (فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)^(٢)، ويأتيه الأعرابي فيدخل في الإسلام فيوصيه بأن يكتنم إسلامه، وآخر يوصيه (بنشر الإسلام بين بني قومه)، (فلكل رجل مقام ومقال)، وهذا من فقه التعامل مع الأشخاص واختلاف التعامل من شخص لآخر حتى في أمور الدين ولعل هذا ما جعل الشيخ يستوعب الجميع ويفيد الجميع ويستفيد من الجميع ويحترمه الجميع كما قال عنه الأستاذ صالح بن عايد القزلان^(٣): «إنه يُنزل الناس منازلهم، فكل واحد من الناس له قدره ومكانته ومنزلته».

ومن تنبيهاته المعرفية ما يتعلق بـ (تراث الأمة الإسلامية) حيث يرى الشيخ أن من أهم ما ينقص الأمة الإسلامية تذكيرها بما نسيته عن نفسها وتاريخها، وأن لديها تراثاً وثروة علمية لا تُقدر بثمن، ولا وجود لما يماثل هذا التراث عند الأمم والأديان الأخرى، وكثيراً ما ينبه أولاده لذلك قائلاً ومتمثلاً بقول ابن الجوزي في كتابه التبصرة:

(١) قال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ يحب هذا الفخر فلو جعلت له شيئاً. قال: «نعم. من دخل دار

أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن» سنن أبي داود، برقم: ٣٠٢١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٠٤. ص ٥٧٥.

(٣) سبق التعريف به .

ومن العجائب والعجائب جمّة قرب الشفاء وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول^(١)

كما أنه يؤكد كثيراً في جلساته وأحاديثه أن (الأمة الإسلامية بخير في أمر دينها لكن تنقصها القيادة الصالحة المصلحة) كما كان يردد دائماً، وهي الكلمة ذاتها التي كان يردها صديقه الخاص ومحبه في الله الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن العقلا^(٢) - رحمه الله -.

ومن تنبيهاته المعرفية رؤيته في (العطلة والسياحة) فالشيخ يرى أن المسلم الحق ليس لديه عطلة، بل عمل وإنتاج، فكانت تعليقاته على ما يُسمى العطلة أنها على اسمها عند كثير من الناس - كما كان يقول -، وقد أُبتلي عامة الناس بالأسفار والرحلات للسياحة، أو قتل الأوقات وتبذير المال، واعتبار العطلة السنوية وما شابهها تعطيلًا للنفس والوقت، وكفى باسمها معبراً عنها - كما كان يردد -، وكان يعلّق على هذا الواقع بقوله: «أن هذا نوع من أنواع ملل النعمة، يعني أن الناس قد ملّوا نعمة الأمن والرزق والخيرات، فأصبحوا يعيشون الأمان»، وكما يقول: «فوقعوا فيما وقع فيه قوم سبأ ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (سبأ: ١٩)، وكثيراً ما يقول: «واقع بعض الناس مع أموالهم وأوقاتهم لا يخرج عن ملل النعمة ويكرر أن حالهم يقول ربنا باعد بين أسفارنا».

(١) انظر: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية، الجزء الثالث ص ١١٦ دار عالم الكتب، الرياض - السعودية.

(٢) الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن العقلا المتوفى عام (١٣١٠ هـ) كان يعمل سابقاً في شؤون الحرم المكي، وقد أخذ الوالد منه تلك الكلمة مشاركاً له في الرأي والرؤية، وكان من المحتسبين الغيورين على دين الله.

وكان من تعليقاته المعرفية التنبيه إلى سبب (ضعف التبرعات الخيرية) من قبل بعض الناس أو تقصير بعض التجار في دعم الأعمال الخيرية، لاسيما حينما يسمع تحسر بعض الناس عن إحجام هؤلاء البعض، وتفويتهم على أنفسهم فرص الأجر بدعم مشاريع الخير فيقول: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، الله ابتلاهم بالمال، المال بلوى، وكما ابتلى الله الفقراء بالفقر ابتلى الأغنياء بالأموال، كفانا الله شرها»، كما كان يقول: «المال الصالح لا يُشقي صاحبه، فلو كانت أموالاً صالحة لعرفت طريقها للخير، الأموال الصالحة لا تخرج نكدا من صاحبها»، «والأموال النجسة وبال على أهلها، وعذاب عليهم في الدنيا والآخرة، بل أنه يصعب على أهلها نفسياً إخراج زكاتها أحياناً، كما يشق عليهم التصديق منها أحياناً أخرى».

ومن تنبيهاته المعرفية التنبيه إلى عدم علمية بعض (المصطلحات) فقد كان يتحسر عند سماع بعض الناس وحصرهم لكلمة (شارع) بأنه الطريق اعتقاداً منه بأن هذا المصطلح الشرعي (الشارع) يحسن أن يبقى مصطلحاً شرعياً خاصاً بمحمد ﷺ فهو الشارع الحكيم.

رؤيته في الصناعات الحديثة وأشراف الساعة:

ومن تنبيهاته ولفقاته العلمية رأيه فيما يجد من (صناعات حديثة) وأن كل هذه الصناعات تزيد من إيمان المؤمن بآيات القرآن ونصوص السنة حيث تقرب للذهن ما كان صعباً تصوره، ومن ذلك ما ورد في القرآن والسنة عن رقيب وعتيد، وكيف تفوقت الصناعات الحديثة والتقنية في الحفظ والتصوير والتسجيل!!، وأقول هذا أمر ملحوظ من خلال برامج الحاسب الآلي المتنوعة وغيرها، وكان الشيخ المطوع يقول إن ما لم يكن يستوعبه العقل البشري سابقاً -وان كان الإيمان به واجب- جاءت الآلة الحديثة والصناعات المعاصرة تؤكده، ومن ذلك الحديث

الوارد عن وصف يوم القيامة (يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر)^(١) فالوسائل المرئية والمسموعة أصبحت تُقَرَّب هذا الوصف، بل إن وسائل الإعلام قديمها وحديثها مما يُقرب الصور الذهنية عن معظم أحداث آخر الزمان والقيامة وغير ذلك.

وفي هذا السياق عن الصناعات والاختراعات فكان كثيراً ما ينبه إلى مصطلح (الاختراع) والمخترعين حينما يتردد في مجلس قهوته الكلام عن هذه المصطلحات فكانت تنبيهاته العلمية بآيات من القرآن حيث كان يقول: «الصناعات الحديثة تزيد من إيمان المؤمن فبعض ما كان مجهول الوصف في القرآن أو السنة أصبح معلوماً أو قريباً من المعلوم وذلك في صناعات العصور المتأخرة كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (فصلت: ٥٣)، وكما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: ٢١)، وكل ما عرفه الإنسان أو صنعه لا يعدو أن يكون داخلاً ضمن الاكتشاف والمكتشفين، قائلاً: «إن الاختراع لله فهو الصانع، حتى كان يقول أن الكهرباء كمثال موجودة منذ أن خلق الله السموات والأرض والمخلوقات، ولكن الخلق اكتشفوا ذلك أو ما يُوصَل إليه»، وأقول تعليقاً على كلام شيخني: لاشك أن هذا هو عين الحقيقة، فالسالب والموجب موجود منذ الأزل والصانع لهما الله، والخلق دورهم اكتشاف التفاعل بين السالب والموجب، ثم صناعة وتطوير ما هو مصنوع أو موجود أصلاً.

يقول الشيخ: «إن صناعة المخلوقين لا تخرج على الإطلاق عن الاستفادة من الصناعة الربانية وإبداعها، فلو نظرت إلى أنواع الطائرات لوجدت المخلوقين اقتبسوا بعض أشكالها من أنواع الطيور وحركتها من بداية الصعود إلى نهاية الهبوط، وكذلك السفن والغواصات بأنواعها كلها اقتباس من بعض أنواع الأسماك وهكذا».

(١) انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج ١، ص ٤٩.

وكان من تأملاته وتنبيهاته الوقوف عند قول الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨)، حيث كان يردد قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثلاث مرات كلما استشهد بها، ويقول: انظروا إلى بعض ما عناء الخالق المعبود بهذا القول، ونحن في عصر الصناعة يخلق الله إلى يوم القيامة ما لا نعلم، والجميع من البشر إلى أن تقوم الساعة معنيين بقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، ويقول عن إسقاطات بعض الأحداث على هذه الآية: «لقد عشنا فترة من الزمن ونحن نسقي المزارع والخضار ونتابع نمو (القرع)^(١) فيها حتى تستوي وتنضج نأكلها في غدائنا أو عشاءنا، كناية عن قِلَّتِها ومحدودية النمو والتكاثر في كل شيء، وكذلك محدودية توالد الأغنام والأبقار، وقلة تكاثر الدجاج وغير ذلك من سائر الأنعام».

ويقول: وكان هذا الواقع في ذاك الزمن الماضي حينما كانت كل عوائل قرى الشنانة صغارها وكبارها نستطيع عدّهم وإحصاءهم ومعرفة فروعهم فرداً فرداً، أما اليوم فلا نعرف معظم أو كل الأجيال الجديدة منهم نتيجة الوفرة البشرية (ما شاء الله)، لكن الله الحكيم العليم القائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، قدّر وساق الرزق لهذا النمو البشري الهائل قائلاً: تجدد الأمر اليوم مختلفاً عن السابق حيث توفرت أنواع اللحوم والخضار والفواكه والأرزاق وهياً الخالق سبحانه الوسائل المتنوعة المصاحبة في زيادة النمو والوفرة ليكون التوازن الرباني بين جميع المخلوقين وأرزاقهم، ويتحقق بذلك وعد الله الحق ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦)، ويقول: «البشر لم يصنعوا ذلك بقدرتهم، ولكن الله هداهم لهذا، والإنسان ضعيف بدون قدر الله وتقديره، وعقله من صنع الله فالأمر تسير وفق تقدير العزيز العليم الحكيم».

(١) القرع هنا هو ما يسمى في اللغة العربية اليقطين .

وفي هذا المجال فمن لفتاته العلمية التي أستفادها من شيخه ابن القيم في مجال (الطبيعة والأطعمة والصحة) عن بعض خصائص البلدان وأهلها فيقول في هذا الصدد: «يبدو أن كل بلد له طبيعته الجغرافية والزراعية وغذاء أجسام سكانه تقوم في الغالب على منتوجاتهم الزراعية، فالحكيم العليم في صنعه خص كل بلد بخصوصية طبيعية وإنتاجية، ونشأت أجسامهم على ذلك، ويقول معلقاً على ذلك: «من الخطأ محاولة تغيير نمط وأنواع المعيشة خاصة لمن نشأت أجسامهم على مأكولاتهم لأن ذلك لا يحقق كمال الصحة»، ويضرب لذلك مثلاً محلياً عن خطأ التعامل مع المرضى من كبار السن في المستشفيات حينما يُعطون وجبات تختلف تماماً عن ما تعودت ونمت عليه أجسامهم كطعام البر مثلاً، ثم يُجرَمون من ذلك ويُعطون بديلاً قد يكون مركباً غير طبيعي لم تتعود عليه أجسامهم، ولم تنمو به جسومهم، بل إنه يرى أهمية النظر فيما يمكن اعتباره قاعدة صحية تتفق مع السابقة بقوله: «الله حكيم عليم جعل لكل موسم من مواسم الإنتاج الزراعي السنوي نوعاً معيناً من أنواع الخضار أو الفواكه تتفق مع طبيعة الجو أو الفصل المعين من فصول السنة فالشتاء له خضاره وفواكهه، فمثلاً فاكهة البرتقال خاصة بالشتاء ونافعة بشكل كامل للإنسان في موسمها -والله أعلم-، وفواكه الصيف كالبطيخ مثلاً خاصة بالصيف كذلك ومفيدة للإنسان بشكل كبير في موسمها»، ويقول: «بأن الإنتاج الرباني لأول الموسم قد يختلف عن منتوجات آخر الموسم في تنوع نفعها للإنسان وصحته -والله أعلم وأحكم-، ولذلك يرى الشيخ أن ثقافة الثلاثجات والبرادات التي توفر تلك المنتوجات في غير موسمها وتوفرها في غير بلدانها قد لا تكون مفيدة بشكل كامل، أو نافعة للأجسام بنفس القدر والقيمة التي وضعها الله للعباد في بلدانها أو مواسمها المحددة» .

أقول معلقاً على هذا القول: رغم أنه يُورده على سبيل الشك في القيمة الغذائية

الكاملة لما سبق، فإن هذه اللفتة العلمية تحتاج إلى دراسات علمية متخصصة من مختصين في مجالات التغذية والصحة والإنسان عن الفواكه والخضار وبعض المنتوجات الموسمية وفائدة استهلاكها في غير فصول إنتاجها السنوي أو في غير البيئة الجغرافية التي أنتجتها.

وأقول على تلك القاعدة السابقة: إنني لا أعرف ولو مرة واحدة عن شيخي على كثرة زيارته لمكة المكرمة وتعدد حجه وعمرته أنه حمل أو اصطحب ماء زمزم معه، أو أوصى أحد أولاده بإحضاره من مكة، وهي قناعة قوية لديه بأن كمال نفع هذا الماء مرتبط بمكان وجوده وقداسية المكان، وحكمته ونفعه الكامل في مكانه، ويقول: «لم يُؤثر عن السلف الصالح بوجه عام نقلهم ماء زمزم»، وكان يستشهد بحديث الرسول ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»^(١)، قائلاً: «وماء زمزم غذاء لمن أَراده غذاء، ودواء لمن أَراده دواء، وقد تغذى عليه بعض السلف فأغناهم عن الطعام، وتداوى به آخرون فشفاهم بإذن الله»، كما أنه لم يكن يُنكر على الناس فعلهم بنقل هذا الماء^(٢).

وللشيخ آراء كثيرة من هذا النوع أستفادها من شيخه ابن القيم وكتابه في الطب النبوي، ومن ذلك أن على الإنسان أن يلتزم بحديث الثلث في أكله وشربه (ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)^(٣) وكثيراً ما يكرر: (إن جسم أهل العلم غير سمان) ولا يمكن أن تتحقق روحانية العبادة، أو استيعاب العلم بأمعاء ومعدة مملوءة، لكن الشيخ يقول: «إن على الإنسان بين حين وآخر أن يملأ معدته لئلا تتعود على القليل، فتضمّر المعدة ويتقلص حجمها» ويذكر أن هذا الكلام مما استفادة من شيخه ابن القيم.

(١) انظر: الحاكم في المستدرک على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ج ١، ص ٦٤٦.

(٢) هذا الرأي قد يكون صحيحاً أو غير صحيح، وهي مسألة تحتاج إلى بحث شرعي وعلمي.

(٣) الألباني: صحيح الترمذي برقم: ٢٣٨٠، وإرواء الغلیل: ٤١ / ٧.

والشيخ يرى أن شرب الماء مع الطعام غير صحي ولا يساعد على الهضم، بل العكس، فهو يرى أن شرب الماء يحسن أن يسبق الأكل بفترة يسيرة وذلك لتنظيف المعدة وتميئتها، ولعل ذلك هو المفيد صحياً، ويرى ذلك الرأي في الفواكه والخضار من حيث ترتيب الأكل، وكان يلتزم بذلك في الولائم والمناسبات حتى مع عدم وجود فاصل في الوقت، فتراه يبدأ بالخضار أو الفاكهة قبل الطعام، ويستدل أحياناً بمقتضيات الترتيب الوارد في القرآن ﴿وَفَكَهْمَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٢١).

ويرى الشيخ أن (الصناعات الحديثة) للأغذية جرّدت بعض الأطعمة من قيمتها الغذائية مثل نزع قشرة حبوب قمح البر، ثم تسويقه دقيقاً أبيض يكاد يكون عديم الفائدة، وكذا ما يتعلق بالمأكولات الرخوة والناعمة فإنها تُعود المعدة على الكسل، ويرى الإكثار من المأكولات الخشنة كالنخالة والرمان بشحمه وحبوبه القاسية لأنها تجلو داخل المعدة من اللزوجة، وكثيراً ما يردد على ضيوفه حينما يُقدم لهم الرمان: (كُلُوا الرمان بشحمه)^(١) وأكل ما سبق وما شابهه مُعين على دباغة المعدة، وتنظيفها من البقايا المخاطية التي تعوق الهضم وغير ذلك، وللشيخ لفتات مماثلة قد لا تكون جديدة على الناس، ولكنهم بحاجة ماسة إلى التذكير بها ولفت انتباههم إلى ما يفيدهم في أمور صحتهم، وما يخدم أجسامهم.

ومن تنبيهاته العلمية حول (تغير المناخ) وعواصف الغبار الجديدة الحادثة مؤخراً في بعض الأعوام على نجد وغيرها، وكذلك بعض المظاهر المناخية الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل مثل الأمطار في غير موسمها وتغير أحوال الجو يقول الشيخ: «البشر أحدثوا إحداثات في الأرض والجو والبحر أفسدت

(١) قال ابن القيم في الطب النبوي ج ٥ / دار الفكر، بيروت - لبنان، (وذكر حرب وغيره عن علي بن أبي طالب أنه قال: كلوا الرمان بشحمه، فإنه دباغ المعدة).

الطبيعة، والبتروال الذي يُخرج من باطن الأرض بدون حدود وقيود لا شك أنه يعمل خللاً عاجلاً أم آجلاً بتفريغ الأرض منه باستهلاكه المفرط، وعلى كل حال فإن هذا كله من الفساد في الأرض المنهي عنه في الشرع كما قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)، وكان يكرر كثيراً ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾، كما يكرر ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١)، ويقول: «ما يحدث في الكون في غالبه من عقوبات الذنوب والمعاصي مردداً مرات عديدة القول: ومن عقوباتها كما أورد ذلك شيخه ابن القيم في كتابه (الجواب الكافي)»، وأقول معلقاً على كلام شيخنا عن فساد البيئة والطبيعة: إن التغير المناخي المشاهد والواقع هو ما جعل منظمات دولية تكرر اهتمامها بالتوازن البيئي.

ويقول عن حتمية القضاء والقدر: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، ويعلق قائلاً: «كل ما يجري في هذا الكون مقدّر في الأزل بأسبابه ونتائجه، ليس لأحد من المخلوقين قدرة أو تصرف، فهي أمور مُقدّرة مكتوبة حتى أفعال الطغاة والأشرار والفجار مُقدّر ومكتوب في اللوح المحفوظ وعلينا الإيمان بكل ذلك»، وقد شبه القضاء والقدر بكلام جميل يتفق مع مدخلات ومخرجات برامج الحاسب الآلي وأقول بعد سماعي لكلامه عن القضاء والقدر: إن كتابة القدر في اللوح المحفوظ أشبه ما يكون بمدخلات برامج الحاسب الآلي (الكمبيوتر) - مع الفارق - وأن حلول الأقدار ووقوعها أشبه ما يكون بمخرجات الحاسب الآلي الحتمية حسب المدخلات.

وكان يقول: أن خير عزاء لنا فيما يتعلق بأحداث (المسلمين وآلامهم) هو الإيمان بالقضاء والقدر، بل إنه بالقضاء والقدر يُعزّي المسلم المحتسب نفسه وإخوانه من المحتسبين حينما يرى ضعف الناس مع شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قائلاً: «أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن»^(١)، وهذه من كلمات ابن القيم وكان يردد كثيراً قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢)، ويعلق قائلاً: كل ما يجري في هذا الكون حتى من كيد المنافقين ومكر الكفار مكتوب بالأزل باللوح المحفوظ فهو قضاء مُقدر.

السلطان والقرآن:

الشيخ عبدالله له كلمات تُعدُّ من فوائد الكلم عن واقع المسلمين وعوامل انتصار الإسلام، وكان يحفظ بعض كلمات السلف عن هذا الموضوع، ويُذكر في كل مناسبة بأهمية السلطة ودور ولاية الأمر في تثبيت الهوية الدينية والذود عن الدين، وكان يردد القول: «الأمة بحاجة إلى قيادة صالحة مُصلحة» كما يردد ما نُسب لعثمان رضي الله عنه: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»^(٢)، والقول المشهور: «الدين إن لم تؤيده القوة يضيع»^(٣) وذلك كناية عن أهمية تفعيل دور السلطة السياسية بالقرآن، ووجوب إحقاق الحق بقوة القرآن، وبالمقابل فقد كان يردد المقولة المشهورة لأحد السلف في مجلس الخليفة سليمان بن عبد الملك وفي المجلس العالم رجاء بن حيوة:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها^(٤)

(١) انظر: ابن القيم، كتاب الفوائد ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) في الأثر عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١ / ٣٩٥.

(٣) انظر الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء (١١ / ٢٣٤): (الْصَّدَقُ بِالْحَقِّ عَظِيمٌ، يُجْتَنَجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِخْلَاصٍ، فَالْمُخْلِصُ بِلاَ قُوَّةٍ يَعْجُزُ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ، وَالْقَوِيُّ بِلاَ إِخْلَاصٍ يُخْذَلُ، فَمَنْ قَامَ بِهَمَا كَامِلاً، فَهُوَ صَدِيقٌ، وَمَنْ ضَعُفَ، فَلَا أَقْلَ مِنَ التَّأَلُّمِ وَالْإِنْكَارِ بِالْقَلْبِ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ إِيمَانٌ - فَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ -).

(٤) القائل هو عبدالله بن المبارك وهو بيت من قصيدة:

رأيت الذنوب تमित القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وقد ذكرها ابن قيم الجوزية في كتابه: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي .

إشارة إلى دور السلطان والعالم في صلاح الأمة وفسادها، بل إنه يستدل عن خطورة أخطاء هؤلاء المضاعفة بحق الأمة بقول الله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (العنكبوت: ١٣).

وكان الشيخ تعجبه قوة الحاكم، قال عن الملك عبدالعزيز: «الملك عبد العزيز حاكم قوي وعارفٌ بمحيطه، واستفاد من الدين والإخوان المجاهدين والمطوَّعين (المطاوعة) في الإرشاد والتعليم وتوحيد معظم مجتمع الجزيرة العربية بالعقيدة على منهج السلف، والدين كله بركة على الدولة»، ويقول الشيخ عن قوة الملك عبدالعزيز: «إن عوامل بسط نفوذه كسلطان كان بالعقيدة الموحَّدة، وهذا ما ميَّزه عن خصمه ابن رشيد، ومما عُرف عن الملك عبدالعزيز قوة الحسم في القضايا الواضحة، فلا مجال للتراخي كما يفعل بعض القضاة -هداهم الله- من التأجيل للقضايا الكبيرة حتى أمنَ بعض المجرمين من العقوبة فأساءوا الأدب بتكرار أفعال الجريمة»، وكثيراً ما يستدل الشيخ بكلام الإمام مالك -رحمه الله- يوم قال: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»^(١) كناية عن قوة السلطان مع قوة القرآن. وكان يرى أهمية الاحتساب والتذكير للعلماء والولاة وكثيراً ما يقول أن الجحود ليس نتيجة الجهل مُستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤).

وعن دور السلطان يقول الشيخ السلومي: «من عوامل تثبيت مُلك الملك عبدالعزيز واستقراره أنه وضع أمراء أقوياء واستعان بعلماء مخلصين» يقول الشيخ: «يَمِرُ الْفَرَمُ»^(٢) بالحرب من عند الملك عبد العزيز وهو من مشاهير قواده،

(١) ذكره ابن تيمية عن الإمام مالك في: التوسل والوسيلة (ص ٨٨ و ١٧٢)، ومجموع الفتاوى (٣٧٥ / ٢٠).

(٢) الفرَم هو: محسن بن صنيّتان بن محسن بن فرز الفرَم الحربي، وُلِدَ الأمير محسن في عام ١٢٩٨ هـ الموافق ١٨٨٠ م وكان أميراً على عشاثر بني علي من حرب. المصدر: محسن - الفرَم / <http://ar.wikipedia.org/wiki/>، وكلمة يمر مأخوذة من مرور الشخص أمام الآخرين.

ويقول الملك عبدالعزيز إعجاباً بالفرم: (الحرب يبي لها رجال)» يعني تحتاج إلى رجال.

ويقول الشيخ: «الحاكم القوي ما يخالفه أحد، وابن جلوي^(١) حاكم الاحساء (الظهران والدمام) ما كان أحد يستطيع يرفع طرفه عليه أو على الدولة بسبب قوته». ولتوضيح أهمية (قوة السلطان) مع القرآن فإن الشيخ يذكر قصة متواترة يرويها كثير من العاملين في شركة أرامكو بالظهران في سنوات سبقت عمله هناك حيث يقول: دهس أمريكي وهو أحد سواقين (الشيولات) وهي رافعات التراب أحد العمال وكان سودانياً حسب ظنه وهو يقول الرواية، فقال السائق الأمريكي: «ما فيه مشكلة عرب كثير، وفلوس شركة كثير» وتناقل الناس ذلك الكلام، وهو كناية عن عدم قيمة الإنسان وحقوقه، وسهولة التعويض من الشركة، فلما سمع أمير الأحساء ابن جلوي هذا القول طلب إحضار السائق المذكور وبطحه (وضعه على بطنه) على الأرض وأمر بالشيول فدهسه إيماناً منه أن السن بالسن والجروح قصاص، والقوة مطلوبة لحسم الأمور وإظهار هيبة الدولة، وقد تحقق ذلك خاصة في أوساط الأجانب كما كان يردد الشيخ السلومي^(٢).

ومن نصحه للحاكم والحكومة والدولة التنبيه على أهمية الاحتساب على الجميع فقد كان منذ الخمسينيات من عمره يردد القول عن أهمية الغيرة على دين الله والغيرة على بلد التوحيد، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنه لمصلحة الدولة والحكومة قبل أن يكون لمصلحة المجتمع متسائلاً أمام جلسائه: «من هي الدولة؟» ومجيباً في نفس الوقت: «هي أنا وأنت والحكومة كلنا الدولة، والواجب

(١) هو: سعود بن عبد الله بن جلوي آل سعود (١٣٥٤-١٣٨٦هـ).

(٢) هذه القصة تواترت من بعض العاملين في بدايات تأسيس شركة أرامكو، ومن هؤلاء المعني بالترجمة، وكذلك العم صالح بن سليمان السلومي، ومحمد الراشد السعيد الخليفة من مواليد (١٣٤٠هـ) وتحتاج الرواية المتكررة إلى مزيد من التأكد عن صحة تفاصيلها وأنها قوة قائمة على العدالة..

علينا جميعاً النصح لها سرّاً وعلناً»، والحسبة والاحتساب على الحكومة هو في البداية والنهاية لها، ويقول مؤكداً: «ومن قوتها وقوة شرعيتها وهيبتها إعلاء قيمة هذه الشعيرة»، وأقول بصفتي باحثاً: لا شك أن الغيرة الدينية على الدولة وممتلكاتها، والغيرة للوطن ومكتسباته الشرعية والأمنية دلالة على حب الخير للحاكم والمحكوم، وتحديد المصطلحات يزيد من هذا المعنى ولا ينقصه، وقد استفدت من هذا التفريق في المصطلحات بين الدولة والحكومة، وقد ضَمَنْتُ بعض أبحاثي هذا المصطلح المهم وشرحته بشكل علمي^(١).

ويُعدُّ من فقه الدراية الذي يُنادي به الشيخ السلومي فيما يخص الدعاء للحاكم، وهذا قد يُعد من اللفقات العلمية المهمة للشيخ، ويبدو أن هذا الفقه نتيجة قراءته المتكررة لكتب ابن تيمية وابن القيم وغيرهما، وهو ما يتعلق بالتباهي في الدعاء العلني للحكام على المنابر وفي محارب المساجد من قبل بعض الأئمة، حيث يرى أهمية: (الدعاء سرّاً) لولاية الأمر من العلماء والحكام بالصلاح والتوفيق لنصرة الإسلام وأهله وخذلان الباطل وأهله، وذلك في جوف الليل، ويرى أن ذلك مدعاة للقبول والاستجابة، ولا يرى التباهي في الدعاء العلني أو الجماعي، ويؤكد أن كلمة الإمام أحمد بن حنبل المشهورة عنه في الدعاء لولي الأمر لا تعني العلنية أو الجماعية: «لو كان لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام، لأني لو جعلتها لنفسني لم تجاوزني، ولو جعلتها له كان صلاح الإمام صلاح العباد والبلاد»^(٢)، ويؤكد الشيخ أن هذا لا يعني بالضرورة الدعاء العلني على المنابر أو القنوات الجماعي وما شابه ذلك مما قد يكون مدعاة للرياء أو عدم القبول أو ضعف الإجابة، لأن دعاء

(١) انظر: محمد بن عبد الله السلومي (القطاع الثالث والفرص السانحة- رؤية مستقبلية) مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ ص ٥١.

(٢) انظر: الكلمة للإمام أحمد ابن حنبل - رحمه الله - فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ج ٦، ص ٥١٧.

المخلوق خالقه يفقد قيمته عند إسماع الآخرين، وكان كثيراً ما يُنبه أن هذا البلد المبارك محفوظ بحفظ الله ثم بدعوات الصالحين المجهولين في جوف الليل حتى كان يردد «رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره»^(١) وكان يدعو الله أن لا يكلنا للأسباب الأمنية لو حدها، شعوراً منه أن التحديات للدولة والمجتمع كبيرة والأسباب لا توازيها بحال من الأحوال، ولكن الله هو الحافظ، وكان يكرر هذه العبارة كثيراً.

لقد كان الشيخ مقدراً وبشكل كبير نعمة الأمن الناتجة عن التفاف الناس حول دينهم أولاً ثم مع أولياء أمورهم من العلماء والحكام بالالتزام بالكتاب والسنة ثانياً، وأنها مصدر القوة والأمن والأمان للحاكم والمحكوم، إلا أنه في الآونة الأخيرة كان قلقاً بشكل كبير، وخائفاً على الدولة والحكومة من أن تفقد الحكومة أساس شرعيتها وقوتها بسبب مقالات شاذة كان يقرؤها أبنائه عليه، كما كان يقرأ عليه بعض رواد قهوته ما يكتبه بعض كُتّاب الصحافة المحلية وفيها يقللون من قيمة المرجعية الشرعية وأهمية المؤسسات الدينية ورموزها، ويخاف الشيخ من استجابة الحكومة لهؤلاء ومطالبهم التي تخدم العدو - كما يقول - وكان الوالد يُقسم بالله الأيمان المغلظة أن هؤلاء بكتاباتهم أو بتخطيطهم للحكومة أعداء للحاكم قبل الدين لأنهم بهذه الكتابات وبيع بعض القرارات كان يقول عنهم: «بعض الذين يخططون للدولة أعداء لها» وينبه بأن شرعية الحاكم والدولة من هذا الدين، وينصح بوجوب نصح الراعي والرعية لمخاطر ما يُكتب وأخذ العبرة من الأمم السابقة.

وكان يرى أن عمليات التفجير والتكفير من بعض الشباب سفه ونقص في العقل والعلم الشرعي، وهي مبرر لأعداء الدين من المنافقين لمعادة الدين وأهله، كما أنها تعطي مسوغاً للأعداء من الكفار لمعادة الإسلام والمسلمين، ويرى أن العلاج هو

(١) صححه الألباني، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، من حديث أنس بن مالك ج ٦، ص ٢٩٧.

في زيادة حلقات العلم والعلماء، وتقوية المناهج الشرعية في التعليم وغيره، فذلك خير مساهم في الوقاية والعلاج.

رسالة العلماء:

كان الشيخ السلومي يرى أن (العلماء) لهم رسالة تميزهم عن غيرهم فهم ورثة الأنبياء، وهم أصل عظيم في حفظ دين وتراث الأمة، لأنهم صمام الأمان للحاكم والمحكوم كما كان يردد، وكان يرى وجوب مضاعفة جهودهم مع ولاية الأمر نصحاً وإرشاداً واحتساباً، ويرى أن بعضهم مقصر بذلك أو بعضه، وقد أصبح واقع بعضهم يبعث على الأسى في عدم قول الحق والصدع به لاسيما في وقت أصبح فيه ولاية الأمر من الحكام - بحكم سلبات المتغيرات الدولية والتحولات الاجتماعية - بأمس الحاجة للعلماء وجهودهم الاحتسابية، وأهمية المحافظة على قوتهم في الاحتساب وممارسة حقهم الشرعي تجاه حقوق الأمة، فالحاجة إليهم أكثر في هذه الأزمنة المتأخرة - كما كان يقول ويردد -، ويرى الشيخ أن الواجب عليهم كبير نصحاً للحاكم والمحكوم وبراءة للذمة، وكان يريد من العلماء والمحتسين مقاومة التغريب، ويكرر دائماً على رواد قهوته أن التغريب أشد خطراً من الصوفية التي أشغل بعض المتحمسين أنفسهم بالردود عليها، وكان يقول: «التغريب المسكوت عنه خطره أكبر على البلاد والعباد، وتقليد الغرب في شؤون حياتهم أمر ظاهر ويزداد أمره على الصغير والكبير والذكر والأنثى»، وقد سرّه وأسعده كثيراً التنبيه إلى ضعف الإنكار عند بعض العلماء وتقصيرهم في مقالٍ مهم كتبه فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن بن قعود عضو هيئة كبار العلماء - رحمه الله - وهو مقال متداول معروف بعنوان: (الموقعون عن رب العالمين)، وأصله خطبة بعنوان: (نداء إلى العلماء وطلبة العلم)، وفيها ورد نداؤه وخطابه قائلاً: «لمن انتسب للعلم والعلماء، ولمن أكرمه الله بهذا الأمر وكان

بهذا يضم صوته إلى ما قاله ابن القيم - رحمه الله - في كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين)«.

يقول ابن قعود: «إن العلماء يوقعون عن الله، فالمفترض فيمن هذا مقامه - وهذا المطلوب منه - أن يكون على حال ترضي الله، وأن يكون حسن السيرة، طيب السريرة، متشابهاً سره وعلنه، في كل أمر من أحواله، وأن يكون ثباتاً صادقاً ورعاً زاهداً مراقباً الله سبحانه وتعالى وكأنه يراه».

وفي هذا المقال أو الخطبة قال مكرراً: «يا من أكرمكم الله بهذا، خذوه بحقه، خذوه بصدق مع الله، خذوه باحتساب، خذوه برغبة فيما عند الله، خذوه أخذ المحترم له، أخذ المقدر له، أخذ العامل به، أخذ المعلم له، أخذ الداعية إليه، أخذ من يطمع أن يحل محل أهله مع من قال الله فيهم: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)».

وظل الشيخ السلومي فترة من الزمن وهو يردد قراءة هذا المقال والثناء عليه، وتعريف رواد قهوته ومرتاديه من المحبين والغيورين عن أهمية هذا المقال، وعن قيمة قيام العلماء بواجبهم تجاه مجتمعاتهم وأمتهم^(١).

ومن تقديره للعلماء وما يكتبونه من كتب أو نشرات دعوية فقد كان مهتماً بتوزيع كل ما يصله منهم على عموم زواره وزوار قهوته، ومن ذلك أنه تبنى توزيع خطاب موجه من فضيلة الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم مُدَوَّن بتاريخ: ٢٥/ شعبان/ ١٣٨٢ هـ إلى من يراه من المسلمين وفيه التذكير بحلول شهر رمضان والتنبيه بوجوب تجنب المنكرات وفعل الخيرات، مع تفصيل عنها شمل ثلاث صفحات ورقية مطبوعة بالآلة الكاتبة [انظر الملحق رقم (١٥)]، والخطاب بأكمله بحاجة إلى دراسة دينية واجتماعية شاملة.

(١) انظر المقال في موقع الشيخ ابن قعود على هذا الرابط:

وقد عاصرت شيخنا ووالدنا وهو يدافع عن تصحيح شبهة علمية في العقيدة حول (معية الله) وما صاحبها من فهم خاطئ عن فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، بل ويوزع على طلبة العلم والدعاة (ورقة علمية) مصورة كتبها فضيلة الشيخ ابن عثيمين بخط قلمه عن نفسه ومذيلةً بتوثيق من فضيلة الشيخ ابن باز وتوقيعه [انظر الملحق رقم (١٦)].

المداراة والمداهنة:

كان الشيخ السلومي يرى أن بعض العلماء وبعض القضاة يقعون في (مداهنة) العامة أو الخاصة، ويرون أن ذلك نوع من (المداراة)، وبينهما فرق كبير، وهم بهذا الواقع لا يفرقون بين مصطلح المداراة الذي يعني إنكار المنكر ولو بدرجاته الدنيا، بينها المداهنة تعني السكوت عن قول الحق أو ما يُسمى بـ (المجاملة)، و(الساكت عن الحق شيطان أخرس)^(١) كما كان يردد هذا القول المأثور.

وكثيراً ما يردد الشيخ أهمية (القوة في الحسبة) في حفظ الأمن وأثر ذلك على الاستقرار قائلاً: «من العلماء تكون قوة القرآن، ومن الحكام قوة السلطان» مستدلاً بالأثر: «صنفان من الناس إذا صَلَحَا صَلَحَ الناس وإذا فَسَدَا فَسَدَ الناس: العلماء والأمرء»^(٢)، ويذكر أن ذلك الكلام لابن القيم.

وقد عاش الشيخ السلومي تطبيقات الاحتساب مع العلماء دون مداهنة، وكان صريحاً في وجوب قيامهم بإيصال رسالتهم لولاة الأمر فيما يحقق معروفاً أو ينكر منكراً، ومن ذلك (مقابلاته ونصحه) الذي عُرف عنه مع الشيخ محمد بن صالح

(١) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، ص ١٣٦.

(٢) رواه أبو نعيم في [الحلية] عن ابن عباس، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له السيوطي بالضعف، ونقل المناوي في شرحه [الجامع الصغير] عن الحافظ العراقي أنه ضعيف، وذكر العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني في كتاب [سلسلة الأحاديث الضعيفة] أنه موضوع؛ لأن في إسناده محمد بن زياد اليشكري، وهو كذاب، قاله أحمد وابن معين. (من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

بن عثيمين عدة مرات، وعلى سبيل المثال فحينما كان السلومي بصحبة الشيخ في إحدى المرات وهم مسافرون للدعوة بين عنيزة والزلفي وقد لاحظ السلومي أن الشيخ بن عثيمين متوقف عن التدخل في إحدى القضايا مع ولاية الأمر فقال له: «يا شيخ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (القلم: ٩)، ووضع الشيخ ابن عثيمين يديه على رأسه وقال له: يا أبا سليمان ترفق ترفق».

والأمر نفسه يتكرر منه مع الشيخ ابن عثيمين في لقاء آخر حينما خلا له الجو معه، فقال له ناصحاً ومذكراً إياه بضرورة فهم واقع الحاكم والمحكوم، والحيطة والحذر، وعدم الغفلة وذكره بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَا فِي مَهِينٍ﴾ (١٠) هَمَزٍ مَشَاءٍ بَيَمِيمٍ (١١) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) (القلم: ١٣).

كما قابل مع غيره من طلبة العلم المحتسبين بعض المشايخ كالشيخ عبدالعزيز ابن باز، والشيخ عبدالله بن قعود، والشيخ عبدالله بن جبرين -رحمهم الله-، والشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-، أعضاء هيئة كبار العلماء لتوصيل بعض الرسائل الاحتسابية، وتذكيرهم ببعض الواجبات عليهم.

ومن باب الحب في الله والنصح والاحتساب كان يزور بعض العلماء أحياناً، وكانت تربطه رابطة جيدة ببعضهم، ومنهم ساحة الشيخ عبدالله بن حميد في مكة فزيارته له أساسية بحكم قوة العلاقة التاريخية بين الشيخ عبدالله بن حميد ووالده أبي ناصر السلومي، كما كانت هناك بعض الروابط كعلاقة مودة ومحبة وتقدير وتناصح أحياناً خاصة مع أئمة الحرم ومنهم الشيخ محمد بن عبدالله السيّل، ومؤخراً الشيخ عبدالرحمن بن عبد العزيز السديس، والشيخ سعود بن إبراهيم الشريم حفظ الله الجميع ووفقهم إلى كل خير، فقد سمع بعضهم من الشيخ السلومي ملاحظاته وقَدَّرُوا غيرته ونصحه كما سمع منهم واستفاد.

يقول الشيخ الزيدي عن التفاؤل عند شيخه عن مستقبل أمة الإسلام بالرغم من

ضعف العلماء والقصور في تطبيقات السياسة الشرعية: «مرات عديدة لا تُحصى وشيخي عبدالله السلومي يحدثني بتفاؤل وبثقة عالية أن نصر الإسلام والمسلمين هو الأصل في هذه الحياة، لكن هل هو بنا أو بغيرنا؟ وهل نستحق بواقع شعوبنا وحكوماتنا أولاً نستحق ذلك؟ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، وكان شيخي كثيراً ما يستدل بواقع ابن تيمية وابن القيم وواقع عصرهما، وكان شيخي يروي عن ابن تيمية القسم بالله بانتصار هذا الدين وأهله وأن هذا القسم تحقيقاً لا تعليقاً رغم كل ما أصاب ابن تيمية وأصاب العالم الإسلامي».

ويستطرد الزيدي قائلاً: «وقد بحثت عن ذلك القول لابن تيمية ودوافعه وأسبابه ووجدته، بهذا النص: وفي رجب سنة ٧٠٢ هـ شاعت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام، فأصاب الناس ذعر وهلع وخوف شديد، وبدأوا في الخروج إلى الديار المصرية، وهنا برز أثر الشيخ (ابن تيمية) فيقف ويهدئ الناس ويطمئنهم ويعددهم النصر، ويحثهم على الجهاد، ويأمرهم بالصبر والمصابرة، ويكثر من الابتهال إلى الله والتضرع إليه.

وفي هذه الأثناء سار ابن تيمية إلى السلطان وحثه على قتال التتار فأجابه إلى ذلك، وكان يلحف للأمراء والناس أنهم لمنصورون، فيقول له الأمراء قل إن شاء الله، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وكان يتلو بعض الآيات في ذلك»^(١).

يقول الشيخ محمد الزيدي عن شيخه عند كل حوار ونقاش عن تقصير العلماء والدعاة وانحراف الحكومات عن شرع الله: «وكثيراً ما سمعت من شيخي تفاؤله وإعجابه الشديد بمحاضرات الشيخ الدكتور ناصر بن سليمان العمر بحكم

(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤ ص ٢٣-٢٧، وانظر الذهبي، دول الإسلام، ص ٣٩٩-٤٠٠.

التفاؤل الكثير الذي تتضمنه تلك المحاضرات، وقد حضر شيخي القليل منها، وسمع الكثير من محاضراته المسجلة، والتفاؤل عند أستاذي وشيخي عبدالله السلومي تجاوز ما سبق، فكان يذكرني والحضور معي في قهوته بـ (سنة التدافع) وبتميز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان من حيث نتائج التدافع، وجهل أعدائه به بأن الإسلام يظهر ويتنصر بالتدافع، فكان مما يردده وينقله عن ابن تيمية في هذا الصدد قوله: (إذا أراد الله لدينه ظهوراً قيّض الله له من يناوئه)^(١)، ويذكر أن تلك العبارة وردت في فتاواه، وكان من تعليقات شيخي على دعاء بعض الأئمة والخطباء بنصر الإسلام قوله: «الدين منصور، والدين عزيز، والمهم هو نصرنا نحن لهذا الدين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: ٧)» ويخاطب أبناءه ورواد قهوته: «لا تتعبوا أنفسكم، الله حكيم عليم يُمهّل للظالم ولكن لا يمهله، والدين منصور بكم أو بغيركم، وما عليكم سوى العمل وأن لا يؤتى الدين من قبلكم».

ويقول: «ابن تيمية نموذج لانتصار الحق رغم سجنه ومعاداة خصومه له، والحق ينتصر ولو بعد حين، بل إن معاداة الحق دليل على انتصار الحق وقوته وليس على ضعفه أو هزيمته، وقد تعلمت وتعلّم غيري من تلاميذه وأبنائه ورواد قهوته التفاؤل بنصر الإسلام».

وكتب الشيخ سليمان المهوس عن التفاؤل عنده فقال: «سجلت في ذاكرتي رأيه -رحمه الله- بالتفاؤل، لم أقرأه أو أسمعه من أحد غيره أبداً».

رؤيته عن (دور الحسبة في قيام الدولة السعودية):

ومما يُعدُّ من لفتات الشيخ العلمية وتنبهاته المعرفية أنه كان يقول: «الحسبة أمرها كبير وعجيب، والاحتساب ولّد دولةً حكمت بشريعة الإسلام زمن محمد بن سعود

(١) انظر ابن تيمية فتاوي ابن تيمية ج ٢٨، ص ٥٧.

ومحمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - وكانت سبباً لقيام الدولة السعودية وقوتها». يقول الأستاذ محمد بن ضيف الله الحزاي: «كثيراً ما يذكر شيخنا السلومي ويذكر الحضور في قهوته بسنن الله في انتصار الحق وأنه لا ينتصر بدون بلاء وابتلاء»، ويقول عن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية للمجتمع والدولة: «حينما أراد الله للدين قوة، وللدولة السعودية ظهوراً على غيرها جاءت امرأة إلى محمد بن عبد الوهاب - قبل ظهور أمره - تطلب منه التطهير بإقامة حد الزنا عليها وكانت مُحْصَنَةً، وكان الشيخ في بلدة (العُيَينة) فسأل الشيخ عنها، وسألها عن نفسها فتأكد له صحة عقلها وأخذ باعترافها وقولها عن نفسها، فما كان منه إلا أن أقام (الحد الشرعي وهو الرجم)، وكان ذلك بعد قطع أشجار تُعْظَم، وبعد هدم قبة قبر زيد بن الخطاب - رضى الله عنه -، لكن الحسبة في رجم الزانية جعل فرائص بعض الأمراء في الجزيرة العربية ترتعد، ومن أكثر هؤلاء تشنجاً تجاه فعل الشيخ كان سليمان بن محمد بن عُريعر؟ حاكم الأحساء والقطيف وما حولهما، وكان يدين له بالولاء معظم أمراء نجد، وقد أرسل ابن عُريعر؟ طلباً إلى عثمان بن معمر حاكم بلدة (العُيَينة) لقتل الشيخ، وقد خرج الشيخ متوجهاً إلى الدرعية مردداً الآية الثانية والثالثة من سورة الطلاق - كما سوف يأتي - وقد أرسل حاكم العيينة مع الشيخ عبداً من عبيده لقتله، لكن العبد لم يفعل حيث أصابه رعب وهيبة حينما همّ بتنفيذ أمر سيده، ثم رجع هذا العبد وأبلغ سيده بما حدث له.

ولما وصل محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية ونزل ضيفاً على محمد بن سويلم، وعلمت موزي زوجة أمير الدرعية محمد بن سعود وهي بنت محمد بن سويلم، كان لهذه المرأة موقف طيب في إخبار زوجها عن قصة الضيف محمد بن عبد الوهاب، بل وإقناعه بأن الشيخ غنيمة ساقها الله للجميع، وكان محمد بن سعود أميراً في الدرعية، وابن معمر أميراً على العيينة تابعاً لإمارة الأحساء، وكانت تُحكم من

قبل بني خالد، وكان الأخيران متخوفين من منهج محمد بن عبد الوهاب، لكن ابن سعود دعا محمد بن عبد الوهاب للإقامة عنده ومناصرته وطلب منه أن لا يُحرّم عليه جُعلاً^(١) يأخذه من بعض الناس في الدرعية، وألا يتخلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن نصرة محمد بن سعود ويستبدل به غيره، فرد عليه محمد بن عبد الوهاب قائلاً له وبروح الثقة: (أرجو الله أن يفتح عليك من الفتوحات ما يغنيك عن هذا الجُعْل)، وكان الاتفاق وكانت المعاهدة بينهما (الدم بالدم والهدم بالهدم) وبَشَّرَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب محمد بن سعود بالمستقبل الموعود قائلاً له: (هذه كلمة لا إله إلا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد)، وفتح الله على محمد بن سعود البلاد بلداً بلداً، كما دان له الجميع، انتهت رواية شيخنا السلومي عن هذه القصة، وشيخنا السلومي اختصر لنا هذه القصة بما سبق وذكر أنها موجودة في الكتاب المعنون: (عنوان المجد في تاريخ نجد)^(٢) للعلامة عثمان بن بشر، وكثيراً ما يعلق شيخنا على هذه الحادثة، قائلاً: «وعاش محمد بن عبد الوهاب عمره (٩١) عاماً معظمها جهاد ودعوة وتأسيس للدولة الشرعية، والأمر واضح وجلي إذا أراد الله لدينه الظهور قِيَضَ الله من الأحداث أو المناوأة والأسباب ما يجعل ذلك سبباً لأحداث كبيرة، وهذا قدر الله وسبب رئيس لقيام الدولة السعودية الأولى التي قامت بسبب نصرة من أقام حداً من حدود الله، تلاها بيعة على الكتاب والسنة بين طرفي الدولة وهما الساسة والعلماء، وظاهر أمر محمد بن عبد الوهاب وهو مُحْرَج من بني قومه ومن موطنه مرتحل بين بلدة (العينية) (والدرعية) بهذا الواقع الهزيمة والانكسار، ولكن ابن القيم علّمنا أن السنن الربانية والأسرار الإلهية تكون بالمالآت والعواقب

(١) نوع من الضريبة أو الآتاوات يدفعها الناس لأمراء مناطقهم.

(٢) رجعنا إلى الكتاب المذكور فوجدنا القصة الجميلة كاملةً بالكتاب المذكور وذلك في الجزء الأول، من ص ٦-١٥، طبعة مكتبة الرياض الحديثة.

والنهايات، وهذا ما وقع للمجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - .
 ينقل الشيخ الحزابي عن شيخه السلومي الدرس والعبرة من هذه القصة فيقول:
 « لما أراد الله العز للدين والظهور للدولة السعودية الأولى على غيرها قيص الله لها
 هذا المجدد المصلح الذي بدأ بالتطبيق لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 بعد العلم والتثبت، فوصل الدرعية وهناك حدث اللقاء التاريخي والمعاهدة على
 تأسيس دولة تحكم بالإسلام ».

وأقول بصفتي باحثاً في بعض شؤون التاريخ: لقد سمعتُ هذه القصة من
 شيخي عدة مرات بمناسبات مختلفة لكنني بعد أن قرأتها مكتوبةً من قبل
 الشيخ الحزابي نهتني أكثر من ذي قبل إلى أهمية فقه التاريخ وتحليل الأحداث
 وأخذ الدروس والعبر من التاريخ ووقائعه، فهذه القصة أكدت على انتصار
 الحق وفوز دولة الدين بعد تدافع واضح بين الحق والباطل، وقد ولدت
 الحسبة وأخذ دين الله بقوة (شرعية الدولة)، وكان للمرأة جهد واضح في
 انتصار الدعوة وقيام الدولة، وتحقق ما كان يردده الشيخ محمد بن عبد الوهاب
 وقد أخرج من العيينة متجهاً إلى الدرعية حيث كان يردد - كما سبق - بصوت
 مسموع قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَمِنْ رِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا
 يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣).



5

المبحث الخامس



قهوة أبي سليمان (أسماء ومسميات)



◀ (من نذر نفسه لخدمة دينه فسيعيش متعباً، ولكن سيحيا كبيراً ويموت كبيراً ويبعث كبيراً)

من كلمات الشيخ عبدالعزيز ابن باز - رحمه الله -

قهوة أبي سليمان (أسماء ومُسَمَّيات)

اعتاد عموم الناس في جزيرة العرب أن يخصصوا مكاناً منفصلاً عن بقية مباني المنزل داخل بيوتهم المبنية من الطين أو الحجر؛ وذلك بغرض إكرام الضيف، وتصميم عزله عن مباني البيت مما يحقق راحة الضيف واحترام حقوق عائلة المنزل وخصوصياتهم، وبرزت هذه الظاهرة في نجد بما يسمى (القهوة) لاستقبال الضيوف، واجتماع رب المنزل مع أولاده فيها، لكنها عند أهل الهمم ومعالي الأمور تميزت بما هو أكثر من لقاء الضيف وإكرامه إلى أن تكون منتدىً علمياً واجتماعياً يلتقي فيه عامة الناس وخاصتهم وتكون مقصداً للعلماء والمثقفين والدعاة ورجال الحسبة وغيرهم ممن يحملون همَّ خدمة دينهم ومجتمعهم، بل إنها في أحوال كثيرة تكون مقصداً للمحسنين والمحتاجين على حد سواء.

وقد كانت (قهوة أبي سليمان) الطينية تحقق الكثير مما سبق منذ تأسيسها وبدايتها ١٣٧٣هـ، وعن وصفها فقد كانت هذه القهوة يتصدر مقدمتها موضع مخصص يسمى (وجار) لإيقاد النار فيه، وكانت توقد فيها النار صيفاً وشتاءً وتُعمل عليها القهوة والشاي قبل وصول الغاز وبعده، كما تُحمَّص (تحمس) حبوب قهوة (البن) على تلك النار، وفي طرف هذا الموضع مروحة هوائية يدوية لنفخ النار واشعالها، كما يجاورها طاحونة يدوية لطحن البن، وفي يسار مجلس صاحب القهوة أدراج توضع عليها الأباريق والدلال بأنواعها وأحجامها وفناجيل القهوة والشاي وجميع الأغراض التي يحتاج إليها صاحب القهوة في إعداد قهوته، ويعلو سقف هذه القهوة فتحة للتهوية ولخروج دخان النار منها، وتُعطى هذه الفتحة بغطاء حديدي في الغالب، وهو ما يسمى (الجالا) ويرتبط هذا الغطاء الحديدي بحبل لرفعه وخفضه من قبل صاحب القهوة، وهذه القهوة لا تتجاوز مساحتها سبعة أمتار طوياً بعرض لا يتجاوز ثلاثة أمتار ونصف تقريباً (٧م × ٣م)، وارتفاع متميز عن سائر مباني المنزل بما يزيد عن غيرها حوالي متر ونصف، وفي

ركنها النهائي مقابل باب الدخول لها خزانة خشبية متعددة الأرفف لحفظ الكتب العلمية، بل هي المكتبة الخاصة لصاحبها، وعند نقاش أي مسألة علمية يتم تناول الكتاب المعني بتلك المسألة العلمية من قبل صاحبها أو أحد روادها من طلاب العلم والمعرفة.



قَلَّةٌ من الناس من يضع لنفسه بمبادرته الشخصية (مشروعاً) متخصصاً بأهداف واضحة يخدم به دينه ومجتمعه وبلاده، ويسعى طوال حياته لتحقيق أكبر النتائج المرجوة من ذلك المشروع دون أن يُعَيَّرَ أو ينتقل إلى مشروع آخر أو يصيبه اليأس ويحبطه الملل ويتوقف.

وقليل من هذه القلة من يلتزم طوال عمره فيقتطع من وقته اليومي في الصباح والمساء للعمل في هذا المشروع.

ويزداد التحدي لصاحب المشروع حينما يصاحب ذلك صعوبة تحصيل العيش لكل الناس زمن الفاقة والحاجة حيث لا وقت لعطاء الغير، ولا مال لإيثار الآخرين على النفس والأهل.

ويتضاعف التحدي بصورة أكبر حينما تتغير ظروف الحياة من زمن الاحتياج وقيم الإنتاج إلى عصر الوفرة والاستهلاك وما صحب ذلك من الانشغال واللهاث وراء الدنيا وكماليات الحياة، ويبقى صاحب هذا المشروع مع ذلك كله صامداً حتى آخر حياته يُقدم بنفسه مشروعاً لمجتمعه، وأقل ما يوصف به هذا المشروع أنه مدرسة ذات منهج علمي وفكري وتربوي تصنع بوسائلها المتنوعة أجيالاً بعد أجيال من خلال صياغات للعقول وكسب للقلوب وتغذية للأفكار تسهم في صناعة الإنسان وبنائه، والمشروع هنا في هذا المقام التزام زمني ومكاني في الضيافة الصباحية والمسائية طوال العمر لكل الطبقات الاجتماعية، حيث هذه المدرسة

هي (القهوة) بهمة صاحبها ورسالته الواضحة والقوية تجاه دينه ومجتمعه، وهي بحق مشروعه الأول من خلال معطياتها ونتائجها المباركة.



أسماء حقيقية ورمزية متعددة لمكان واحد، ولكل اسم دلالة، كما أن لكل اسم أنصاره، وذلك يدل على تنوع رواد قهوة المطوّع عبدالله السلومي التي يسميها كل واحد بما يروق له من اسم، فهي في واقعها قهوة تميزت (بحرية الرأي) وفق منهج أهل السنة والجماعة، كما أنها عُرفت بالقهوة (المفتوحة) حسيّاً ومعنوياً حيث يسود النقاش فيها بحرية الرأي والحوار، واشتهرت أيضاً بأعمال (الحسبة) في قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتماع تلاميذ صاحبها على ذلك، كما أنها عند فئة أخرى (قهوة أبي صالح) وهي ترمز إلى الصلاح أو إلى التلاميذ والأصحاب ومنهم أبو صالح، وتبقى الحقيقة التي لا اعتراض عليها أنها (قهوة أبي سليمان) حيث شهرة كنية صاحبها، وحيث رمزية الاجتماع العائلي فيها، ومن أسائها (قهوة مطوّع الشنّانة) فقد اشتهرت بها واشتهر هو بها لاسيما أن التطوع بالنفس والوقت في كل ما يخدم المصلحة العامة للمجتمع من سماتها، وقد يجمع تلك الأسماء أنها (قهوة الخيرية) بالمفهوم الشامل والواسع للخيرية فعلى الخير قامت وللخير شُيّدت واستقامت، والخيرية واضحة في مدخلاتها وثمارها والقبول عند الله وحده، كما اشتهرت عند فئة معينة معتبرة بـ(قهوة ابن قيم الشنّانة) ولأن هذه القهوة قامت على كثير من النقاش والحوار ونجحت بذلك فاحترام كل تلك التسميات (الثمانية) في غاية الأهمية، والحديث عن جميع مفاهيمها أمر يُجتمه المبدأ الذي قامت عليه تلك القهوة، والحكم على أي الأسماء الأنسب والأولى بالتسمية متروك للقراء، ولرواد القهوة وزوارها حق الاحتفاظ بتسمياتهم لها قبل قراءة الكتاب وبعده، وقراءة هذا الموضوع عن القهوة قد تؤدي إلى ترجيح الفاضل على المفضول أو العكس وفي كلّ خير.

(القهوة) بمفاهيم التسميات سابقة الذكر وبرسالة صاحبها مدرسة استفاد منها وأفاد فيها كثير من العلماء والمثقفين على اختلاف طبقاتهم وتوجهاتهم الفكرية، ومشاربهم وأفكارهم الدينية، واستوعبت طروحات الجميع القريب منهم والبعيد والغني والفقير، والمواطن والمقيم من الإخوة الوافدين بشتى طبقاتهم العلمية والاجتماعية، والكل يجد فرصته ودوره في النقاش والحوار، وكان العامة يجدون ما يلبي رغباتهم ويُعلي سقف المعرفة أو العلم عندهم، أو على الأقل قضاء الوقت الممتع والمفيد مع روادها، ولقد أصبحت هذه القهوة مقصداً حينما قام بها صاحبها والتزم بوقتها وأعطائها الثمين من وقته لتعطيه النفس من النتائج، فليس من منهجه عطاء فضول الوقت الذي يُعطي فضول النتائج لاسيما أنه وضع لها رسالة خيرية دعوية في ذهنه، وكفى أنه يتعبد الله بهذه الرسالة لقهوته.



(١)

قليل جداً من الناس من أطلق على هذه القهوة (قهوة الحرية) لبعدها عن التعصب والمذهبية وتحررها مما يهيمن على مثلها من التقليدية، ولجراً روادها في حرية طرح الموضوعات فيها من كل الأطياف الدعوية والطبقات الاجتماعية مما يمنح القهوة هذه التسمية، وعن هذا كتب الدكتور مصطفى السيد في إحدى مقالاته عن القهوة قائلاً: «في بيت الطين (القهوة الطينية) احتفى بكل مدارس الدعوة من رسميين ومتطوعين وما بينهما، يسمع للجميع ويسمح لكل الرؤى، ولكنه يُعقَّب بحزم في المضمون، ولين في الأسلوب، ويأبى أن يكون شاهداً محايداً، بل شريكاً، واضعاً سلامة المعتقد وأمن الناس الفكري فوق كل مطلب، فعَل ذلك مبكراً، ولم يقله تزلفاً أو تنطعاً».

عُرف عبدالله السلومي بقهوته الطينية الشهيرة بالشنانة من قرى الرس بالقصيم، وعُرفت القهوة بأنها مُشرعة الأبواب بالحوار الثقافي والعلمي، وكلمة الحق المبكرة، وحرية التعبير والتفكير، وبحضور العامة والخاصة من قريب وبعيد، واشتهرت القهوة بالمنهج المعتدل الذي سارت عليه كمتدى مفتوح في الصباح والمساء طوال العام وطوال حياة صاحبها، وفي هذا الصدد يقول أحد أشهر رواد هذه القهوة ومرتادياها وهو الشيخ محمد الزيدي (أبو صالح): «وكان شيعي مجلسه عامر بجميع الطبقات من طلبة العلم والموظفين الكبار والصغار والعسكريين، بل كثير من العامة من كبار وصغار، وضيوف من عدة مدن وقرى ومحين يزورنه من كل مكان على مدى العام وخاصة بالمناسبات».

صاحب هذه القهوة ذاق بنفسه وفعاليات قهوته طعم حريته الشخصية، فلا وظيفة دنيوية قيدته طوال عمره ولا روتين كَبَل نشاطه، ولا بيروقراطية أحاطت به أو بقهوته، لقد تخفف من طلب الدنيا وتحرر من متطلباتها وكُمالياتها فليس له موطئ قدم في أسواقها الاستهلاكية، ولا نعرف له مراجعة لأي دائرة حكومية تتعلق بمصالح شخصية تخصه، وتكتمل حريته بتحرره من الرق الوظيفي، وبالتالي تحرره من الوهم والخوف فلا شيء يخاف منه أو عليه ولا شيء يرجوه من المخلوقين، سعيه اليومي الحثيث هو العمل على كمال العبودية لربه ومولاه من خلال تلازم حسبته مع تطوعه وبالتالي تحرره من عبودية العادات ورق الشهوات ورق الاستهلاك ووسائله المعاصرة وما شابهها.

هاتفني معالي الشيخ صالح بن عبدالله بن حميد معزياً في وفاة والدي فسألته هل من شيء تذكره عن الوالد فأجاب: «مقابلتي مع الوالد محدودة - كما تعلم - لكنني مما فهمت عنه أنه قوي بقناعاته أمام الصغير والكبير يقولها بدون تردد».

المُتأمل لواقع القهوة يُدرك التلازم بين الحسبة والحرية فقد تميزت تلك القهوة بحرية مناقشة القضايا الفقهية والاجتماعية والفكرية للمجتمعات الإسلامية،

وحرية عرض وتحليل القضايا والمشاكل السياسية للأمة الإسلامية في منتدى فكري وثقافي واجتماعي للنقاش في كل قضايا الساحات المحلية والدولية لدى روادها، وقد كانت حرية الاحتساب وحرية الكلمة المبكرة في قهوة الحسبة والاحتساب سابقة زمنها حيث أن المنتديات أو الديوانيات الشهرية جاءت بعدها بعشرات السنين كملتقيات فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية متحررة من البيروقراطية أو التنظيم الرسمي، هذه القهوة كمنتدى يومي، بل ملتقى صباحي ومساءلي رُصدت أو حسدها بعض المغرضين، وقد يكون وشى بها بعضهم فما زادها إلا قوةً بسبب الحرص والإخلاص من القائم عليها على الالتزام بالمنهج النبوي في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تأكد ذلك لكل راصد أو مراقب لمسيرتها، ومخرجاتها أو نتائجها وثمراتها كافية للحكم على دورها الإيجابي على مستوى الأسرة والمجتمع والصغير والكبير -والحمد لله-.



(قهوة الاختيار العلمي) تشبعت بفكر ابن تيمية التجديدي وتلميذه ابن القيم وقرئت فيها كتبهما، ودُرّس فيها كتب التوحيد والأصول الثلاثة والقواعد الأربعة للمجدد محمد بن عبد الوهاب، ولم تكن محصورة بما سبق فباب الاختيار لأي كتاب مفيد مفتوح للجميع، ولذا لم يكن في القهوة مجال لفكر منحرف، أو خلق غير سوي، أو سلوك يتنافى مع قيم الإسلام.

عُرفت (قهوة حرية النقاش العلمي) بالتححرر من بعض القيود الوهمية التي يضعها بعض الناس على أنفسهم أو على غيرهم، وقد زارها عبر عمرها الزمني الذي امتد أكثر من ستين (٦٠) عاماً، كثير من الرموز الإدارية والفكرية والدعوية واستوعب صاحب القهوة أطروحاتهم واستفاد من سماع الآراء المتعددة والمتنوعة.

لقد تجلت صور حرية النقاش والحوار في القهوة من خلال عرض بعض النماذج

التي زارت القهوة طمعاً في منهجها الحر، وهؤلاء يُمثلون بعض التيارات الاحتسابية والسلفية والدعوية والجهادية وهي تيارات متنوعة محتسبة، وفي هذه القهوة ناقشوا القضايا التي تَشغَلُهم بكل حرية، ولم تكن القيود لتلك الحرية سوى الضوابط الشرعية وهي أنفس ما فيها، وذكُرَ تلك النماذج تؤكد السابق واللاحق من القول عنها، وهي نماذج تؤكد مناخ حرية الحسبة والاحتساب التي حفلت بها هذه القهوة.

زار القهوة أحد الرجال المعروفين بالحسبة المتشددة وكان من بادية القصيم وكان ذلك حوالي عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) بغرض كسب بعض الأنصار والأعوان، وكان من مرتادي مجلس الأمير خالد بن مساعد آل سعود - رحمه الله - وعمل على ترغيب الشيخ (السلومي) للانضمام إلى المجموعة التي أحاطت بالأمير، كما رَغَّبَ في مقابلة الأمير، وكان هؤلاء جميعاً مجتهدين متشددين، وينوون الإنكار باليد والقوة على الحكومة في بعض القضايا الساخنة عند بعض الناس - كما كانوا يرون في ذلك الزمن -، ومنها (التلفزيون) وذلك زمن حكم الملك فيصل، فلم يستهوَ الشيخ هذا التفكير وهذا الأسلوب التصعيدي في إنكار المنكر، رغم أنه كان من الغيورين على الدين وعلى بلد الإسلام، وكان في مرحلة القوة والشباب حيث تستهوي هذه الأفكار بعض الشباب وخاصةً من بضاعته في العلم ضعيفة، ولم يعادِ الشيخ السلومي هذا أو أمثاله، كما لم يستجب له، بل قدَّم له النصيح والإرشاد، وقد دُعِرَ هذا الرجل مما حدث بعد ذلك لأصحابه ومن يرأسهم وتوفي - رحمه الله - على إثر ذلك حسب قول الشيخ السلومي، وحسب ما هو معلوم عند معاصريه.

كما زار القهوة مجموعات متعددة من مجتهد السلفية في التسعينات الهجرية قبل عام ١٣٩٩ هـ من القرن الماضي، وأوصلوا إليها كثيراً من كتبهم ورسائلهم المطبوعة المعبرة عن فكرهم، وتداولها بعض رواد القهوة، وكان منهج تلك الفئة موضع نقاش وحوار كشف حقيقة تلك الحركة، ولم يستهوَ صاحب القهوة ذلك

الفكر، كما لم يكن لهذه الأفكار قبول لدى رواد هذه القهوة، لأن هذا الفكر قائم على بعض الاجتهادات الكبيرة الخاطئة التي ألحقت الضرر بأصحابها وألحقت كثيراً من الأضرار بمسيرة الدعوة والاحتساب، وبكثير من مكتسبات الوطن، ومن أهمها انتهاك قدسية الحرم المكي الشريف.

وكانت النقاشات الفكرية قائمة بحرية وبقوة حول موضوعات تلك الكتب وأفكار مؤلفيها وذلك ما يُوصل إلى الحقيقة في الرفض أو القبول.

وقد كان من منهج الشيخ كراهية التطرف في الحديث عن هذه المجموعة خاصة بعد ما أفضوا إلى ما قدموا، كما كان يردد: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤).

وإضافة لما سبق فقد تجاوزت هذه القهوة بحرية النقاش الأثر السلبي للمنشورات والنشرات التي وصلتها من الداخل والخارج بشكل واضح ومكشوف، واستفادت مما فيها من إيجابيات ولم يكن لتلك المنشورات في قهوة الحوار العلمي أو على روادها أي آثار سلبية، لأن النقاش العلمي الحر بضوابطه الشرعية كان كفيلاً بمعرفة الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.

وزار القهوة أفراد ومجموعات كثيرة من جماعة التبليغ ورغبوه في الخروج معهم في الداخل أو الخارج ولم يستهوه ذلك، وكان منهجهم موضع نقاش وحوار لمرات كثيرة في القهوة، وقد سكنوا في بعض جولاتهم الدعوية في المسجد الذي هو إمامه لينطلقوا منه إلى بعض قرى البادية المجاورة، وكان الشيخ لا ينكر الدور الإيجابي لهم في تقوية الجانب الإيماني للأفراد والمجتمعات لاسيما مع ما رآه من كثير منهم من التوحيد والإخلاص، ويرى أنهم جماعة مقلدة في العلم الشرعي، ولهم دور معروف في الترغيب والترهيب يتكامل مع أدوار غيرهم، وأنهم في غالب أحوالهم في هذه البلاد من أهل العقيدة السليمة بالرغم من أن من منهجهم عدم الاشتغال بالحسبة وإنكار المنكرات - حسب قول صاحب القهوة عنهم -.

وزار (القهوة) أحد أبرز رموز الجهاد الأفغاني في ذروة نصرته ومناصرته من الشعوب والحكومات في تلك الفترة أواخر الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي عندما كان الجهاد ضد التمدد الشيوعي في العالم حينما كان معظمه قائماً على أصول شرعية وقَبْلَ أن تتلوث بعض مواقع الجهاد الجغرافية ببعض شبّهات وضلالات التكفير، كما زار القهوة بعض المشايخ المشهورين بدعم الجهاد حينما كان الجهاد على أوجه وأشدّه ضد الاتحاد السوفيتي والشيوعية في أنحاء كثيرة من العالم، وحينما كانت حكومات ودول العالم العربي والخليجي بشكل خاص تدعم الجهاد الأفغاني وغيره، فسياسة التضامن الإسلامي قامت على أساس دعم المراكز الإسلامية في أنحاء العالم لمقاومة المد الشيوعي فكرياً وجغرافياً خاصةً في أفريقيا وآسيا، لأنّ تحجيم دور الاتحاد السوفيتي التوسعي كان هدفاً استراتيجياً لدى الغرب وتقاطعت المصالح فيه مع الإسلام ودوله، والمهم في هذا أن مناقشات الجهاد في القهوة كانت بدون قيود أو حدود، وكان الدعم المعنوي والمادي والإغاثي من صاحب القهوة وروادها للجهاد واضحاً، ورغم تأييد صاحب القهوة للجهاد الأفغاني بشكل عام -مثل غيره في ذلك الزمن على مستوى الحكومات والشعوب الإسلامية- ورغم دعائه للمجاهدين بالنصر ولأعدائهم بالهزيمة، ومع فرحه بانتصارات الجهاد في أي مكان إلا أنه كان يردد بين حين وآخر وماذا بعد الجهاد؟ لأن صاحب القهوة -باجتهاده- يرى أن الجهاد بدون قيادة صادقة معنية بالجهاد بصدق -كما كان يقول ويردد- لا يحقق المعنى الكبير المتكامل لهذه الشعيرة الكبيرة.

أقول معلقاً على كلام الشيخ: هذه اللفتة لها مغزى كبير فالشيخ السلومي ينظر للمآلات قائلاً ما معناه: «قد ينتج عن الجهاد بدون هذه القيادة هزيمة الأعداء وانسحابهم، لكن لا يكتمل النصر الحقيقي إلا بالقيادة البديلة عن المهزوم، وهذا لا يتحقق بدون قيادة تقود أمر الجهاد، تمتلك فيه تلك القيادة مشروعاً متكاملًا لتعامل القيادة المعنية فيه مع النصر باستثماره، أو تتعاطى مع الهزيمة بتلافي

الهزائم مرة أخرى دون مزايدات واستغلال من الحكام والحكومات، وكما أكد الشيخ - حينها قريء عليه أصل هذا المقال لأخذ موافقته عليه - قائلاً متمثلاً بقول الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جُهاههم سادوا^(١)

وأقول باحثاً ومحققاً في بعض جوانب التاريخ: ولذلك كان من الملاحظ أن رؤية صاحب القهوة وفراسته تتطابق بشكل واضح مع الواقع، فبالرغم من انتصارات الجهاد والمجاهدين لم تتحقق ثمرة الجهاد (الكاملة)، وعلى سبيل المثال لم تقم الدولة الإسلامية المنشودة في أفغانستان بعد هزيمة الشيوعيين فيها، وهذا لا يعني بالضرورة خطأ الجهاد أو المقاومة، ولكن كمال مشروع الجهاد لا يكون إلا بما سبق، وثمره الجهاد لا تُتوج ولا تتحقق إلا بالتكامل مع مشروع سياسي بديل بالرغم من الرؤية التي تقول: إن نجاح مشروع الجهاد لا يعني بالضرورة نجاح مشروع إقامة الدولة البديل فلكل منهما شروطه وآلياته^(٢).

وهذه النماذج المتنوعة من الزيارات للقهوة لوحدها تؤكد أن الحوار الحر يؤدي إلى

(١) البيت لصلاة بن عمرو ويقال له الأفوه الأودي شاعر جاهلي، انظر: كتاب الأغاني جزء ١٢ ص ١٩٨.
(٢) تشير معظم الكتابات العلمية عن الحركة الجهادية في العصر الحاضر على أن تجربة الجهاد المعاصرة - بالرغم من بعض السلبات - قد أربكت معظم المعادلات الدولية والحسابات العسكرية العالمية، وفتحت نافذة أمل لكل الأمم المظلومة من شعوب ودول العالم الإسلامي، فصناعة التشويه للجهاد والتآمر عليه تعكس حجم الانتصار الكبير له، وكما يقول بعض من كتبوا عن التجربة الجهادية المعاصرة: إن التجربة الجهادية في العصر الحاضر سواء في بلاد البلقان أو أفغانستان كنموذج أسقطت قيمة قوة الآلة العسكرية الجبارة حينما ساهمت التجربة بسقوط الاتحاد السوفيتي حلف (وارسو)، والتجربة لا زالت تهدد حلف (الناتو) خاصة في أفغانستان لأن الحق أكبر من القوة، انظر عن هذه المعاني - كنموذج - تصريح الجنرال ماكريستال قائد القوات الأمريكية في أفغانستان والعراق الأسبق حينما تساءل وقال: لماذا نحارب الديمقراطيات ولا نسمح لها أن تقوم؟ لقد قتلنا الآلاف من الأفغان ولكنني توقفت وقلت: إننا لن نتصر على المسلمين هناك أبداً، وهذا ما دفعهم لإقالتني، وحتى الآن لا يزال الوضع كما تركته، وثبت صدق ما قلت، ومن واقع خبرتي أقول لأوباما: لقد اخترت الحصان الخاسر في مصر، المسلمون لديهم عقيدة ودين يؤمنون به ويدافعون عنه ولن يستسلموا، ولن تهزموا المسلمين في مصر أبداً. انظر رابط الفيس بوك التالي:

الأصلح من القول والعمل، كما أن الدليل والاستدلال في النقاشات المفتوحة من الوسائل المثلى لمعرفة الخطأ من الصواب بكل حرية وبدون كبت للآراء، أو خوف من الرقيب والرقابة البشرية، ففي القهوة لكل صاحب رأي حر موقعه واحترامه وتقديره.



لقد كانت (القهوة) بمناخها الحرُّرِّيَّ على التحرر من رِقِّ النفس والشيطان، ورقِّ الهوى كما كان يردد صاحب هذه القهوة عن شيخه ابن القيم في نونيته المشهورة التي يحفظ كثيراً من أبياتها ويردها بين حين وآخر ومن ذلك:

هربوا من الرِّقِّ الذي خُلِقُوا له فَبُلُّوا برِقِّ النفس والشيطان^(١)

ولقد تجلت كثير من صور حرية الإنسان في تشريعات الإسلام وقيمه المثلى، ومن أهمها التذكير بعبودية الخلق لله، والتنبيه على تحرير النفوس من عبودية هوى النفس وشهوة المال والسلطة، وهذه العبودية لله هي قمة الحرية التي قامت عليها حقوق الإنسان في تشريعات الإسلام.

ف (الحرية) مِنحة رب السماء إلى الأرض وَمِنحة الخالق للمخلوقين من بني آدم ليميزوا بها عن سائر المخلوقات، وهي من أشرف خصائص الإنسان، فكيف بحرية تقود إلى عبودية الخالق والمانح للحياة، وذلك ما يستوجب انتزاع الحرية من كل من يريد مصادرتها، فهي أسمى حق من حقوق الإنسان في تشريعات السماء، ونُظَم الأرض.

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، القصيدة النونية (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)، ج ٢ / ٧٢، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف: العلامة محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤ هـ - ٢ / ٥٢٦٠.

وفي سبيل تلك الحرية تكون التضحية بالنفس والمال والغالي والرخيص لأن الحرية الحقيقية مبدأ وقيمه، بل هي روح الحياة عند كل الأمم والشعوب، والحرية بهذا حق من حقوق الإنسان وليست منحة من الآخرين، وأعز ما فيها حينها تقود إلى (عبودية الله) ومرضاته، والحرية بهذا المفهوم السامي تقف عند الاعتداء على حدود الله وحقوق الآخرين.

لقد جاء نبي الهدى محمد ﷺ لتحرير البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وهو الذي دعا بالذلة والصغار على عبيد الشهوات ومُقدّسي المادة والدنيا، وأسرى الجاه والسلطان وعباد القبور وأهل القصور، فقال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ نَعَسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ»^(١).

كتب ابن القيم عن العبودية لله وهي الحرية الحقيقية وقد أسهب فيها وكان مما قال عنها: «العبودية نوعان: عامة وخاصة، فالعبودية العامة هي عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برُّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فالخلق كلهم عبيد (ربوبيته)، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣).

والعبودية الخاصة هي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، وهي لأهل طاعته وولايته، فهم عبيد (ألوهيته)، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣).

لقد وصف الله أكرم خلقه عليه، وأعلاهم منزلةً عنده بـ (العبودية) في أشرف «مقاماته» وهو أبرز محرر للبشرية عامة فقال تعالى عن عبودية محمد ﷺ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ (البقرة: ٢٣)، وقال تبارك وتعالى في مقام إنزال الكتاب عليه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)،

(١) انظر: صحيح البخاري، باب ما يتقى من فتنة المال: جزء ٢٠، ص ٦٤.

وَذَكَرَهُ بِالْعِبُودِيَّةِ فِي مَقَامِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن: ١٩)، كما جعل أكمل خلقه وأقربهم إليه من وُصِفَ بـ (العبودية له) فقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ إلى آخر السورة (الفرقان: ٦٣ - ٧٧).

وجعل البشارة المطلقة لـ (عباده) فقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ۝١٨﴾ (الزمر: ١٧، ١٨). كما خص الأمن المطلق لعباده، فقال تعالى: ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨﴾ (الزخرف: ٦٨، ٦٩).^(١) فكل هذه الأنواع المذكورة من العبودية لله وغيرها - مما لم يذكر هنا - مقتضاها الحرية والتحرر من كل أنواع الرق.

ومن المهم في هذا المقام معرفة أن الحرية الحقيقية دنستها وأساءت إليها بعض المفاهيم المغلوطة وصرفتها عن حقيقتها حتى أصبحت مفاهيم الحرية المختطفة مغلوطة ومشوّهة، فأدعيّاؤها وقعوا في أقبح أصناف الرق والذل من عبادة الذات والشهوات فكيف يكون الإنسان حراً وهو أسير عبادة العباد وما لديهم، أو أسير لذاته، وعبداً لذاته وشهواته وأهوائه، فالاستجابة والطاعة للهوى عبودية له، كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٣)، ومع إقرار هذه المعاني الجميلة للحرية فإن كثيراً من العباد (الأحرار) مطالبون بالعمل على تحرير مفاهيم (الحرية) أو مصطلحها مما لحق بها من مفاهيم خاطئة، وإنقاذها ممن صرفها عن معناها الحقيقي الذي بُعث من أجله محرر البشرية وخير البرية محمد ﷺ حينما جاء بقول الباري للتعبير عن قمة الحرية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقد طبّق هذا

(١) انظر ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (ج ١/ ١٢٢-١٢٣) طبعة دار الكتاب العربي عام ١٤١٦ هـ.

الصحابة الكرام الذين ذاقوا طعم الحرية فأبت نفوسهم إلا أن يمنحوها للآخرين كما قال رباعي بن عامر للفرس «جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد»^(١) وباختصار فتوحيد الله تحرير للبشرية من الرق بكل صوره وأنواعه.



(٢)

لقد أفرزت حرية النقاش والحوار في (القهوة المفتوحة) بروادها وتلاميذها منهجاً معتدلاً وفكراً متزناً، ولم يكن من المحسوسين عليها من يحمل فكراً متطرفاً في القضايا السياسية أو الدينية بالرغم من زيارة بعض الأفراد أو المجموعات التي تحمل بعض الأفكار الخاطئة - كما سبق - وكان النقاش المفتوح فيها كفيلاً بتحديد الأصلح، وقد أثمرت تلك الحرية الحقيقية عقولاً ناقدة حرّة من الخرافات والأوهام والخوف، وخرّجت ضمائر حرّة من عبودية المال وشهوة المناصب وتقديسها، كما خرّجت تلاميذ بأخلاق وقيم متحررة من الشهوات والشبهات. الراصد لتلك القهوة، أو المتندى المفتوح أو الديوانية المشرعة الأبواب كما هي المسميات المعاصرة لما قد يماثل القهوة من جديد المجالس يدرك تمام الإدراك أنها - بحمد الله - أثمرت أفكاراً ورؤى تصب في مآلاتها إلى الوعي بقضايا الواقع والمجتمع، وأسهمت في تقوية وعي المجتمع، بل وحدته الفكرية والاجتماعية بالرغم من ضخامة الأحداث وما فيها من الفتن والمحن المحلية والإقليمية التي مرت بها الأمة الإسلامية خلال تاريخ القهوة، وكانت تلك الأحداث محل نقاش محتدم وقوي في أحاديث القهوة، فتناولها روادها بواقعية وضوابط شرعية، فلا خروج على السلطة ولا تأليب عليها في الأخطاء والخطايا بالرغم من وجود

(١) القول: لرباعي بن عامر رحمته الله، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ج ٧، ص: ٤٧.

الخطأ، ولا شحن لعواطف سلبية قد تقود إلى أعمال متطرفة أو متحجرة، ولا تحرر من الحق والقيم والأخلاق وضوابط الدين، ولا صمت عن إنكار الباطل أو المنكر من الصغير أو الكبير، «فالساکت عن الباطل شیطان أخرس»^(١) - كما سبق -، وكما كان يردد صاحب القهوة ويؤكد مع الجميع.

عُرفت تلك القهوة بأنها مفتوحة للجميع ولم تكن للمتدينين فقط، أو طلاب العلم فحسب بل لكل طبقات المجتمع، وكانت حريتها الاحتسابية والعلمية من الوسائل الفعالة للوقاية والعلاج - على حد سواء - من الانحرافات الأخلاقية والسلوكية لبعض مرتاديها، فحرية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالضوابط الشرعية، تؤكد أن الحرية الحقيقية وقاية وعلاج، وحماية للمجتمع وقوة للدولة.

بل إن (القهوة المفتوحة) كما هو واقع حالها وأثرها، وكما وصفها بعض روادها أنها وسيلة كبيرة لتفريغ الشحن السلبية عند بعض روادها أو مرتاديها ممن أوغرت صدورهم بعض الأحداث المؤلمة من أعداء الأمة الإسلامية، أو من بعض حكام المسلمين، أو بعض المنكرات المحلية، وأحياناً أخرى لمن أغضبتهم بعض الإجراءات الإدارية، أو بعض صور الأداء الخاطيء لبعض الجهات أو المؤسسات الحكومية، يقول الشيخ محمد الزيدي: «إن وسطية شيخي السلومي جمعت بين الغيرة في إنكار المنكر وبين ضبط النفس وضبط الآخرين من رواد قهوته»، ومن أقوال شيخي - حفظه الله - في قهوته العامرة بحرية الاحتساب مع قوة الانضباط:

(١) هذا القول منسوب إلى بعض السلف، ليس حديثاً عن النبي ﷺ، إنما قاله بعض العلماء، والعبارة هي: «الساکت عن الحق شیطان أخرس، والناطق بالباطل شیطان ناطق» فالذي يقول الباطل ويدعو إلى الباطل هذا من الشياطين الناطقين، والذي يسكت عن الحق مع القدرة ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يغير ما يجب تغييره ويسكت وهو يستطيع أن يتكلم هذا يقال له شیطان أخرس من شياطين الإنس يعني؛ لأن الواجب على المؤمن إنكار الباطل والدعوة بالمعروف وإذا استطاع هذا وجب عليه كما قال الله جل وعلا: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، والقول منسوب للأستاذ أبي علي الدقاق، انظر: ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي، ص ١٣٦.

«الله المستعان أمورنا يرثي لها لما ترى أحوال الناس تشعر أن أكثر الناس يُنفذ مخططات الأعداء شعروا أو لم يشعروا كلُّ حسب حاله، فلكلِّ نسبته من هذا الأمر إلا ما رحم ربي».

ويقول الزيدي عن شيخه: «وإذا قال أحد الناس ودعا أن يُعزَّ الله الإسلام والمسلمين (قال: آمين.. ولكن: أعزَّ نفسك بالإسلام أنت، فالإسلام عزيز قبلكم وبعدكم)، وأثناء حرب الخليج الأولى عام ١٤١١ هـ تأثر كثير من الشباب وصاروا يتصرفون بعض التصرفات غير الصحيحة وخاصة المتحمسين منهم، فكان يُنكر عليهم ويقول: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له حدود فلا تتعدوها، وإلا صار عملكم هذا هو المنكر، وأفكاركم لا تخدم ولا تنفع الإسلام بل تضر الإسلام وأهله، وهو بهذه التوجيهات خدَم المصلحة العامة والخاصة».

كتب الشيخ محمد بن ناشع الشهري عن قهوة أبي سليمان وسمَّى القهوة (ممتدى السلومي) فقال: «التعريف بصاحب الممتدى: هو فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن ناصر بن سليمان السلومي - رحمه الله - قصيمي تيمي من وهبة بني تميم، وقد ورث ذلك الكرم والباب المفتوح لعامة الناس وخاصتهم عن والده المطوع سليمان، وقد أسس الشيخ عبدالله هذا الممتدى الممتد نفعه وارتياده في داره بالشنانة إلى يومنا الحالي في: ٢ / ٥ / ١٤٣٢ هـ وهو المولود عام ١٣٤٥ هـ أمدَّ الله في حياته وتقبل منه أعماله الدعوية المستمرة المباركة.

والممتدى هو: مشبُّ^(١) للضوء (النار) في ديوانية دار المذكور يرتادها الناس صباحاً ومساءً حيث يعود الشيخ من صلاة الفجر فيشب الضوء ويعمل القهوة العربية بأجود ما تُعمل ممزوجة بأصناف البهارات وتُزل^(٢) بعد النضج في دلال الرسلان ذات اللون الذهبي أو ما يعرف بالحساوية وكذا يعمل أنواع الشاي، ويُقدَّم في

(١) كلمة (مشبُّ الضوء): تعني شُبُّ النار إشعال النار بالخطب، لسان العرب الجزء الرابع، ص ٢١٨١.

(٢) كلمة (زل القهوة): تصب من دلة الطبخ إلى دلال صب القهوة وتقديمها للضيوف.

المتنـدى أنـواع المشـروبات، والحـضور في حلقة دائرية حول الشـيخ يتدارسون علوم القرآن الكريم وبعض كتب السيرة، ومنها كتاب زاد المعاد لابن القيم الذي لا يكاد يغيب عن المتنـدى.

عَرَفْتُ (آل السلومي) فألفتهم، وزرتهم فوجدتهم على هذه الحال عشرات السنين ومشب الديوانية لا ينقطع، بل ورواده يزدادون ويستفيدون، يتوارد زواره أرسالاً (فرادى وجماعات).

قلت: وبالنظر إلى متنـدى لم أجد حتى الآن متنـدى يشبهه مع كثرة ما تيسر لي من زيارات مواقع وأشخاص ومؤسسات في داخل وخارج الجزيرة العربية.....
وكتب الشهري أيضاً عن رواد القهوة فقال: «يشاهد الزائر في متنـدى السلومي المفتوح جنسيات متعددة ومتنوعة من القبائل من العرب والعجم كالهـنود والباكستان والأفغان حتى صار ذلك التشكيل معتاداً لدى المشاهد وهذا من وجهة نظري يحكي قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، فالآية مدنية جاءت تصف المجتمع النبوي من عرب الأنصار والمهاجرين ومن عجم كالفرس والأحباش والموالي وغيرهم.

وأضيف: أنني قابلت في (متنـدى السلومي) شعراء وقضاة ومدرسين ودعاة يبدو من حضورهم حب السلام وكسب ثواب حلق الذكر وتكثيف سواد الدعاة، وأحياناً بعض الحضور يأتون إلى المتنـدى ولو لزم من يسير يتم فيه ما ذكر ويتناولون فيه فنجال القهوة وحبات من التمر كما يتناولون الحليب أو الشاي، ومن ثم يستأذن الواحد منهم ويسلم مودعاً معذراً بحضور وقت الدوام إن كان مصباحاً»^(١).

وكتب الشـيخ عبدالعزيز بن صالح العقل^(٢) عن هذه القهوة المفتوحة وذكر أن

(١) انظر تكملة ما كتبه عن القهوة في المبحث الثالث تحت عنوان: «السلومي في عيون محبيه».

(٢) ورد التعريف عنه سابقاً في هذا الكتاب.

من يجلس للناس يستفيد منه الناس باختلاف مستوياتهم وكان مما قال: «فقد كان الشيخ السلومي معروفاً لدى أهل القرى المجاورة للرس لكثرة ما يزورونه في الديوانية (قهوته) التي يجلس فيها بعد خروجه من المسجد بعد صلاة الفجر، حيث يجلس في المسجد إلى أن تطلع الشمس يقرأ القرآن، وكان الزائرون وفود بعد وفود وهؤلاء داخلون وهؤلاء خارجون، وكان يتولى الخدمة وتجهيز القهوة بنفسه لزائريه وإخوانه، وكانت التمور أنواعاً والقهوة تلو القهوة أشكالاً وفنوناً، ما عرفنا عن ذلك إلا عنده وكان أطيب ساعة عنده إذا رغبوا تناول ما يقدمه من مأكول ومشروب، بل إنه يرى عليه الكدر والكراهية الشديدة إذا رأى من ضيفه أو زائره عدم مواصلة الأكل والشرب، وكان يحب أن نار قهوته لا تخدم صيفاً ولا شتاءً، وكانت هذه الصفات طبيعية غير متكلفة، وهو بما سبق لا يحب المدح والإطراء لكن من أحب أن يدع له فنعماً وهذا هدفه، وكانت جولاتنا الدعوية -التي تجاوزت مدتها حوالي خمسة عشر عاماً- كثيراً ما أصلي معه صلاة الفجر وبعد صلاة الإشراق نذهب لديوانيته والناس عنده بين غادٍ ورائح، فيكون ما سبق توضيحه، وبعد الساعة التاسعة صباحاً تقريباً يكون هناك اجتماع عند بعض الإخوان من جماعته المجاورين له وذلك على الإفطار، فيشرع أبو سليمان قبل الإفطار بالقراءة والقراءة موصولة بعد الإفطار إلى قرب وقت الظهر وغالب القراءة في كتاب (زاد المعاد) لابن القيم، وقل أن تكون مسألة علمية ترد علينا إلا ويذكر أبو سليمان رأي شيعي الإسلام ابن تيمية وابن القيم لكثرة قراءته لكتبهما».

يقول محمد الحزابي: «قدّر الله أن تكون زيارتي الأولى للشيخ السلومي مع شيخنا الداعية المعروف الشيخ عبدالعزيز العقل، وكان أول لقاء له في مجلسه العامر وهي (قهوته) العامرة بالشيخ والشبان، وبالحاضر والباد، وبالعالم والجاهل فكان المجلس يغشاه جميع الطبقات ويستأنسون بقهوته ويتناولون ليمونه المميز

ويطربون لسماع كلام ابن تيمية وابن القيم من لسانه خصوصاً نونية ابن القيم، وكان اللقاء الأول تفكير وتأمل وتعجب من قبلي، فهذا شيخ فوق الستين يحمل همَّ الإسلام والمسلمين مستنير عقله، سنُّه كبير لكن حيوية الشباب والفكر الناضج كلاهما تجدها لديه.

وجدته شيخاً كبيراً، لكنه متفتح يعرف الواقع معرفة جيدة ومعجب جداً بالمشايخ المعاصرين ويحب الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- ويردد أقواله، فقلت في نفسي: هل يُعقل أن هذا من الرعيل الأول القريين من جيلنا؟ أين ما نسمع من صلف الشيوخ وشدتهم وقوتهم؟ وكنت أنا ممن يهاب كبار السن للصفات السابقة، فلما تعرفت عليه تغيرت نظرتي للحياة وللناس خصوصاً الكبار فأحبته من كل قلبي وصحبته في مجلسه ورافقته في زيارته للآخرين واستفدت منه كثيراً في مسائل الدين والدنيا، وتمنيت أنني عرفته مبكراً وكوажب علي فقد ذكرت هنا بعضاً من صفاته وأعماله. -وفقه الله حياً إلى كل خير، وغفر الله له ورحمه ميتاً برفقة النبيين والصديقين والشهداء آمين إنه سميع مجيب-».

إن القهوة بهذا المنهج الحر والنقاش المفتوح، والحوار فيما سبق تُعد من الوسائل المثلى لتفريغ الشحن العاطفي الذي يتعرض له الناس بسبب كثرة المصائب والحروب والاعتداءات على المسلمين في أنحاء العالم، أو بسبب بعض المنكرات المصاحبة للتحويلات الاجتماعية للأسر والمجتمعات مما جلبته الأسواق الاستهلاكية وبعض الوسائل الإعلامية، بل كان الحوار المفتوح والنقاش الحر عن بعض الطروحات الإعلامية السلبية بحق المجتمع من بعض معتنقي التوجهات الفكرية المنحرفة يمنح الحضور شعوراً نفسياً بأداء بعض الواجب عند البعض، كما يقوي جوانب الحصانة والمناعة من فساد القول أو الفعل عند آخرين.

وبحرية النقاش والحوار بهذه القهوة المفتوحة يكون الشيخ قدَّم الكثير لمجتمعه

وقريته، بل وللدولة من خلال تلاقي أفكار النصح للعلماء والمسؤولين، أو بتفريغ الشحن العاطفي السلبي وتوجيهه إيجابياً.



(القهوة المفتوحة) مكان مفضل لبعض من ينشد المؤانسة والترفيه وقضاء الأوقات الممتعة، ففيها يجد كثير من روادها بعضهم البعض، ويحددون أحياناً اختيار الموضوعات ليضيفوا إليها مزيداً من الحرية.

لقد وُجّه الانتقاد من قِبَل بعض الناس من غير رواد القهوة، وكذلك من قِلة ممن زاروها عن مناخ الحوار الحر والمفتوح وما يصحب ذلك في العادة من نقاش لبعض القضايا السياسية الساخنة وقول للحقيقة، وقال هؤلاء: إن النقد لواقع المجتمعات والدول الإسلامية وحكوماتها لا يُفيد، وأنه يبعث على اليأس والإحباط، ومخرجاته التلاوم والتشاؤم وتحميل الآخرين المسؤولية!!، وكما قال بعضهم: هذه الحرية في النقد نوع من المثالية وعدم الواقعية!!، وأن هذا النقد للحكومات والدول وسياساتها يُعدُّ هروباً من المتكلمين الناقدين من مسؤولياتهم في التصحيح والإصلاح، وقال أحدهم ذات مرة بغضب وهو خارج: إن ما يجري في القهوة لا يترتب عليه أعمال إيجابية وفيه نوع من التهيج، ولا يحقق خطوات عملية تتم حول إصلاح الأحوال!!، لكن واقع الحال يرد على الكثير مما سبق من لبس أو التباس فمخرجات (هذه القهوة المفتوحة) تؤكد عكس ذلك، حيث لوحظ ارتفاع نسبة العلم والمعرفة بالواقع لرواد القهوة وهذا أمر مهم، كما لوحظ زيادة نسبة الوعي بالأحداث وذلك من خلال النقد البناء، والوعي بحقيقة الأمور لرواد القهوة أمر مشهود معلوم وهذا بحد ذاته من المكاسب، فالعلم بوابة العمل الإيجابي، والنقد الصحيح هو الوسيلة المثلى في الإصلاح والتصحيح، والوعي بالأحداث وملابساتها لا يتم إلا بالنقد الصحيح وهو وسيلة من وسائل التحصين عن الأعمال السلبية، ووقاية من التصرفات

الخاطئة، والسلوكيات المنحرفة، وعمل بالواجب، وقيم الشريعة الإسلامية مما يوجب ذلك «ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(١) كما كان يردد صاحب القهوة عن نبينا محمد ﷺ، كما أن النقد الهادف إنكار للمنكر باللسان ويهدف للإصلاح وهو بما سبق واجب لأنه من لوازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكفي أن نتائج تلك (القهوة) على روادها في غالب أحوالها ذات نتائج إيجابية، والأعمال والمشاريع والبرامج من الكبار أيا كانوا لا بد أن يعثر بها النقص والخلل والخطأ، وهذه القهوة لا تخلو من ذلك، والخطأ والصواب يتلازمان مع العمل والعاملين، وليس مع الكسل والمقصرين والمنعزلين عن هموم مجتمعاتهم وأمتهم، أو المحبطين المعتزلين والمنهزمين أمام مصائب وقضايا أمة الإسلام ومكر الاعداء والمنافقين.



(٣)

(قهوة الحسبة) كما يراها بعض روادها، أو كما يروق لهم تسميتها حيث واقعها وفعاليتها، فهي متدى للاحتساب قبل أن تُعرف المتدييات، وملتقى للغيورين والمحتسبين قبل أن توجد الملتقيات، وديوانية سبقت الديوانيات، امتدت أكثر من ستين (٦٠) عاماً عدّها كثير من مرتادها مدرسة في الاحتساب، متميزة في التأثير والأثر الذي تركته، وهي مع ذلك مدرسة في التربية والتوجيه للأولاد والأحفاد وجميع الأقارب والأرحام ومدرسة في التربية على حرية التفكير، بل مدرسة علمية ثقافية لروادها من قرى ومدن القصيم وغيرها من مدن المملكة،

(١) أخرجه الطبراني، في «المعجم الأوسط» دار الحرمين، القاهرة - مصر، (١/ ٢٩)، وضعف الحديث من جميع طرقه الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (رقم/ ٣٠٩-٣١٢)، ولكن يغني عنه جميع الشواهد من الكتاب والسنة التي تدعو المؤمنين إلى التحاب والتراحم، ومراعاة الأخوة الإيمانية فيما بينهم، ومنها قوله سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) الحجرات/ ١٠، وقوله ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

وهي في الوقت ذاته ملتقى ترفيهي لروادها من القرية والقرى المجاورة، روادها من أعمار مختلفة ومستويات ثقافية متنوعة من الطلاب والأساتذة والمشايخ والقضاة وموظفي القطاع العام والخاص ومن عامة الناس وخاصتهم، والقهوة لم يُعمّر معها طول عمرها سوى صاحبها، فهناك من كان يلزمها يوماً طوال عمره، وهناك من لازمها أسبوعياً، وآخرون شهرياً، وفئات كثيرة في المواسم والمناسبات والأعياد كانوا رواداً بشكل يومي لها، وكثيراً ما تضيق القهوة بالحضور (صباحاً ومساءً) ويخرج السابقون ليبقى اللاحقون، وقد عاشت وعاش صاحبها أطواراً متعددة، ومراحل دعوية وعلمية متنوعة، يعرفها معظم المرتادين لها، لكن القليل جداً من الرواد أو الأبناء من يعرف كل شيء عنها طوال عمرها الذي امتد زمناً طويلاً.

صاحب هذه القهوة بتجربته الاحتسابية المتواضعة المباركة عاش كثيراً حرية روحه وضميره وحرية حسبه وتطوعه حتى أنه كان يتمثل باستمرار بقول إبراهيم بن أدهم معبراً عن حرّيته وسعادته بقوله: «والله لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسيوف»^(١).

كما كانت القهوة مدرسة لتعليم الحسبة والتدريب عليها لأولاده وغيرهم من تلاميذه، فقد تخرج من أقرانه مجموعة احتسابية معروفة أكملت دور رجال الحسبة الرسميين (نواب الهيئة) فيما بعد ذلك - كما كانوا يُسمّون -، وقد تفاعل مجتمع الشنّانة، وقام رجال حسبتها بأدوار مباركة لصالح أبنائهم وبلدتهم (الشنّانة) تقبل الله من الجميع، وكتب لهم أجر جهدهم واجتهادهم، وكثير منهم سبقوا شيخهم برحيلهم من هذه الدنيا - جمع الله الجميع في دار كرامته على سرر متقابلين، كما كانوا يدعون ربهم آناء الليل وأطراف النهار.

(١) انظر ابن كثير، البداية والنهاية، وانظر موقع صيد الفوائد .

والاحتساب والحرية متلازمان فيما بينهما فلا يمكن تحقيق الأول بدون الثاني، والاحتساب من التطوع.

يقول الأستاذ محمد المجاهد الخليفة^(١): «لقد عرفت شيخي وقهوته منذ نعومة أظفاري إماماً مجاهداً في سبيل الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قائماً بمهام الحسبة على أكمل وجه -احتساباً لله تعالى-.

فقريته (الشنانة) مهيبة الجانب خاصة أيام نشاطه -ولا زالت بحمد الله- فلا أحد يتجرأ على التواني عن صلاة الجماعة من المواطنين وغيرهم، ولا أحد يستطيع المجاهرة بالمعاصي، فقد كان حفظه الله -لا يترك مجالاً لأصحاب المنكرات يُناصِحُهُم بالحكمة والموعظة الحسنة- ولا يخشى في الله لومة لائم.

وقد أكدت تجربة شيخنا ابن قيم الشنانة (بقهوته المفتوحة) المتواضعة أنها تجربة مباركة، فقد أسهمت إلى حد كبير في تحقيق الأمن الاجتماعي، والأمن الفكري لكثير من شباب بلدة الشنانة حيث عصفت بشباب الأمة -حينها- عواصف من الأفكار الشيوعية والعلمانية لم يسلم من شرها وبلائها إلا من آمن بالله واعتصم به كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (النعام: ٨٢).

فمن خلال أعمال شيخنا الاحتسابية والخيرية والإغائية المتنوعة والدعوة إلى الله واستضافة العلماء والمشايخ والدعاة إلى الله كانت بلدة الشنانة عامرة بالدروس والمحاضرات، والوعظ والتذكير في المساجد وفي الجلسات والقهوات وكلها عامرة بذكر الله، وحلقات القرآن الكريم للصغار والكبار -إلى جانب الحسبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقد عشنا تلك الأجواء الإيمانية ولا نزال نسعد بذكرياتها ولا يزال أثرها والله الحمد إلى اليوم.

(١) ورد التعريف عنه سابقاً في هذا الكتاب.

وهذا يؤكد أن التجربة الصادقة الناصحة مهما كانت متواضعة فإنها مباركة، ومن سنن الله أن يصحبها الابتلاء فكل من عمل بهذا المجال لا بد له من مناوأة كما هو شأن أي مصلح وعلى رأسهم أنبياء الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان: ٣١)، فقد وجد بعض المناوئين له حاله حال أمثاله من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر^(١)، ومن نجاح أي تجربة في قرية أو بلدة أو مدينة، التعاون على الخير والبر والتقوى عملاً بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)، وكذلك فعل شيخنا المطوّع (ابن قيم الشنينة) بأن درّب بعض تلاميذه في حلقات القرآن على الحسبة وأعمال الخير، ومن أبرزهم العم صالح بن مجاهد الخليفة، وسليمان الصالح الفهد الخليفة، وسليمان المحيimid الخليفة وغيرهم رحمهم الله رحمة واسعة، وقد أبلوا بلاءً حسناً مع شيخهم وتحملوا بعض الابتلاء في سبيل الله.

تميزت (قهوة الاحتساب والحسبة) بالنقد الهادف لبعض قضايا المجتمع والأمة، وفي هذا النقد وما فيه من نقاش وحوار كان الهدف التصحيح وليس التشويش أو التجريح، وقد عُرف عن صاحب القهوة عند معظم مرتادي قهوته قوله وترديده بقوة وبصوت جهوري للقول المأثور: «الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق»^(٢).

وكثيراً ما يقول بحرية: «أخشى علينا وعلى بعض المنتسبين للعلم والدعوة النفاق ونحن بهذا الواقع على خطر عظيم، أما الصحافة فأمرها وواقعها اللهم سلّم سلّم» كناية عن عدم فهم الرسالة التي تأسست عليها الدولة!! ومع هذا الاحتساب الواضح فقد عُرف أن من منهجه وخُلّقه عدم إثارة الفتنة بالتصعيد، أو التهيج.

(١) في هذا السياق قال أبو تمام عن المناوئة:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُويت أتاح لها لسان حسود

(٢) ذكر التعريف عن هذا القول في ص ١٠١.

وأقول تعليقاً: إن المداهنة والنفاق، -ومديح كل شيء- هو ما تتسم به معظم وسائل الإعلام خاصة القديم منها، وكلها بهذا التوجه تقتل التصحيح والإصلاح وتضر بالحاكم والمحكوم.

وقد استعارت أو استفادت الأمم الأخرى من تشريعات الإسلام في مفاهيم الحسبة فنشأت وتنامت مؤسسات الغرب الرقابية والحقوقية والمعنية بالشفافية لتعمل بكثير من مقتضيات الحسبة ومفاهيمها. وأخيراً لقد كانت (قهوة الحسبة) مدرسةً في الاحتساب، وملتقى للتعبير عن الآراء والأفكار المتنوعة، ومناقشتها واستيعاب الصالح منها.



(٤)

وعن (قهوة أبي صالح) وهو اسم من أسماء هذه القهوة، وفي هذه التسمية تعبير عن أصحابها الملازمين لها، كما تُعبّر عن روادها وتلاميذها، وكان أول من سماها بهذا الاسم الأستاذ الدكتور مصطفى السيد^(١) وهو أستاذ قدير في اللغة والأدب وأحد رواد القهوة، وذلك في مقاله المنشور بمجلة البيان اللندنية بعنوان: (قهوة أبي صالح) نسبةً إلى أبرز روادها وهو الشيخ (محمد بن صالح الزيدي) الذي يفخر بأن هذه القهوة مدرسة له في جوانب كثيرة من المعرفة ومنهل لدروس الحياة زادت من رصيد معرفته وثقافته، ويفتخر بأنه من خريجي هذه القهوة ويكرر مازحاً أصحابه بأن صاحبها (أب رويحي) له -حسب تعبيره-، وتلك كناية عن معاني الأبوّة للقهوة وصاحبها.

وصف الدكتور السيد القهوة قائلاً: «كانت قهوة أبي صالح أشبه بالمصححات النفسية

(١) سبق التعريف به، والمقال منشور في مجلة البيان اللندنية في عددها العاشر عام ١٤٠٨ هـ شهر جمادى الآخر، وهو من رواد القهوة على مدى أكثر من أربعين عاماً.

التي يشعر المختلف إليها بجواذب عميقة تشده نحوها، كما يخرج المنقلب عنها بغير قليل من العافية، وبقطرات من التفاؤل. مشرعة الأبواب كحدود المسلمين في وجه العلوج»، وقال في المقال نفسه: «يُسَبُّ الضوء فيها [يوقد النار] وهي في الشتاء مدفأة للجسوم، وفي القيظ [الصيف] مدفأة للنفوس، ثم يشرع في تنزيد الفناجين والكؤوس مُحْدَثَةً نغمة موسيقية تشد الحاضرين إلى المجلس»، وقال أيضاً: «وينصبُّ الزوار في مجلس أبي صالح، على اختلاف طبقاتهم وتشعب همومهم الدينية والدنيوية والفكرية، كبار موظفي الدولة، مدرسو الجامعات، التجار، الفراشون، الكل يخلعون جميع ألبابهم ومكاناتهم الاجتماعية ليستقروا في هذا المطهر الروحي الذي يشعرون فيه بالتخلص من أدران الترف، ومستلزمات الحضارة الطارئة. وفي فترات اللقاء المتواصلة الحوار، والمستمرة النقاش يتوحد الجميع في المناقشة، وكثيراً ما يصغي حملة الدكتوراه -باهتمام صادق- إلى ملاحظة لأحد الفراشين بتمعن وترؤ، وهكذا ظلت (قهوة أبي صالح) المنزل الوحيد الذي يُجسّد الماضي حجراً وبشراً وقبل ذلك فكراً»، ويصف الكاتب ما يُقدّم في القهوة أحياناً بقوله: «كان للطعام لذة لا يجدها أحدنا الآن كما كان لكل المتع نكهتها المميزة، هل كان السبب في ذلك قتلها؟ أم لأنها كانت لا تحصل إلا عبر جسر من المتاعب، فتختلط لذة الطعام بنشوة النصر»، ثم يُعرّج الكاتب على بعض الأحاديث والحوارات التي تدور في قهوة أبي صالح كما سهاها صاحب المقال والمعني بهذه الكنية (الشيخ السلومي ذاته) قائلاً: «تابع أبو صالح حديثه وهو يجمع بين الحديث ومناولة الضيوف فناجين القهوة وهو يقول: أليس هذا السعار الدنيوي الاستهلاكي خطراً على دنيانا قبل آخرتنا؟ وعلى رجولتنا قبل قلوبنا؟ إنه تدمير لحصون المناعة في النفوس، وغذاء للاسترخاء والتراخي، بل إنه عبادة للدنيا ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (هود: ١٥-١٦)، علّت الجالسين

سحابة من الصمت ثم الاسترجاع والحوقة»، أجب آخر قائلاً لأبي صالح -والمعني بهذه الكنية كما سبق هو الشيخ السلومي-: «هُوَ عَلَيْكَ يَا أَبَا صَالِح، ففي الحاضر من المشكلات والإشكالات ما يتعدى البكاء على الأطلال، إن العمل من قبلك على مد الجسور بين الجيلين -الشباب والشيخ- يحقق للإسلام مصلحة أكبر من نشوة النصر الآتية من نفس هذه الجسور»، وقال أحد الجالسين معلقاً: «إن التاريخ من خلال (قهوة أبي صالح) وأمثالها لم يدخل المتحف، وهو بحد ذاته مكسب عظيم، والفضل في ذلك لله ثم لأمثال هذه القهوة، لكنني أخشى أن تتحول النظرة إلى تاريخنا العظيم إلى أنه مجرد تاريخ ماض لا مجال لاستئنافه، يوفر التفكه بهذا التاريخ مادة دسمة للزائرين يتحدثون فيها اغتيالاً للأوقات التي أصبحت عبئاً أكثر منها ثروة»، صاح أبو صالح وقد علت وجهه ابتسامة رقيقة قائلاً: «حدثوا الناس حديثاً تبلغه عقولهم»^(١). وشارك الآخر لكن عن ابن تيمية الذي يتكرر ذكره والحديث عنه ودوره العلمي والإصلاحي والجهادي في هذه القهوة قائلاً: «يا أبا صالح حديثنا لم يتجاوز المدركات، ولم يدخل منطقة الإعجاز، كل الذي أخشاه أن يصبح حضورنا في هذا العصر مظهرًا محضًا، ففي مجلس يتردد اسم ابن تيمية ما لا يحصى مرارًا، وتتساقط كالسيل الآتي شهادات الثناء المرسلة إليه، وتتسابق دعوات الترحم عليه، ولكن للأسف لم يتمكن ابن تيمية -عملياً- حتى الآن من تجاوز قهوتك إلا في حالات نادرة، إنني أخشى أن يقتصر دورنا وينحصر في (حراسة) ابن تيمية، مجرد تصور هذا الدور كارثة حقاً، ابن تيمية مازال حيًا بالرغم من كل العواصف التي اجتهدت في نسخ اسمه وطمس فكره من مدرسة المفكرين الكبار والمصلحين الأتقياء».

(١) انظر محمد بن مفلح بن محمد المقدسي: كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية، فصل (مخاطبة الناس على قدر عقولهم) ج ٢/ ١٥٥، وورد بلفظ آخر، انظر: الإمام مسلم في صحيحه، في المقدمة، ج ١، ص ١٠، «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِمْ».

ودخل في الحوار شخص آخر له رأي آخر فقال: «لا أدري هل أبقت تطورات الحياة مكاناً أو دوراً لابن تيمية وأمثاله؟ ثم لماذا ابن تيمية بالذات؟ فأنا لا أسمع في هذا المجلس (القهوة) إلا اسمه؛ ألا يوجد من مفكري الإسلام ممن جاءوا بعده من يسد مسده؟»، فرد عليه أحد الحضور قائلاً: «لقد شغل ابن تيمية عصره، وكان حضوره لافتاً، لأنه لم يكن تكراراً لغيره، ولا مُفكر أوراق (الكربون) الذي يواجه مشاكل عصره بعقول غيره، أو بأفكار (مبسترة) مسبقة الإعداد، لقد كان غواصاً يعود بلائى لا يرتضي الحلول الملفقة، وعلى المستوى الاجتماعي استأنف التواصل مع العامة -بعد أن غاب ذلك التواصل أو كاد- إبان عصره، حتى كانت العامة تعتقد أنه إمامها وشيخها وأن همومها تقلقه وتشغله، ودعاة الضلال أزعجهم ذلك لأنه اختطف منهم السيطرة على مواقعهم التقليدية».

وختم أحدهم حديث المجلس هذا بقوله: «نرتحل إلى فكره فنجد للحياة لذة غير التي اعتدناها في عالم الناس، ونحاول أن نبحر في سفائنه فتتصبب الأمواج عالية حتى تكاد تفقد الربابنة الرؤية، وتتزع من الركاب الطمأنينة وذلك مصدر ألمنا أردنا أن نطلق ابن تيمية من سجن القلعة، فدخلنا به سجن الغربية، (طوبى للغرباء)^(١) أنهى أبو صالح الحديث بهذه الكلمة، ثم قام الجميع لأداء صلاة المغرب»، انتهى ما كتبه الكاتب الأديب والأستاذ القدير عن القهوة في جلسة من جلساتها كنموذج لنوع من أنواع الحوار فيها، ووصفٍ لحالٍ من أحوالها في يومٍ من أيامها.

لقد أصاب الكاتب كثيراً في هذه الكتابة عن حقيقة الحوار فيها وهذا نموذج، وأصاب مرة أخرى هذه التسمية التي تعبّر عن دور القهوة مع أصحابها، وحقاً لأبي صالح الشيخ محمد بن صالح الزبيدي أن تُسمى القهوة بكنيته فقد لازمها

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه بارز بين المسجدين، رقم (١٤٦)، ص ٨٣.

أكثر من أربعين (٤٠) عاماً حتى وفاة المعني بهذه الترجمة (١٣٩٢-١٤٣٤هـ) وحقّق للقهوة أن تتسمّى بكنيته، وكان حقاً له أن يفخر بها ويعتزّ بتعلمه على شيخها والقيّم عليها.



(٥)

(قهوة أبي سليمان) - كما يسميها كل الناس - تمثّل أبرز المسميات الحقيقية لها، فهي قهوة عائلية تربي فيها أولاده على حب العلم واحترام العلماء، وأكسبتهم حرية التفكير، بل وصنعت في نفوسهم وعقولهم، ومنحتهم جرأة النقد الهادف، وحب الخير للغير، والغيرة على الدين والأخلاق وحب الاحتساب والحسبة ورجالها، بل وتبنّى بعض قضايا الاحتساب وتحدياته، وسليمان وإخوانه على رأس القائمة، وإخوان أبي سليمان وأبنائهم وجميع أفراد العائلة قد تربوا في هذه القهوة على كثير من المعاني والقيم النبيلة، فحب الفضيلة وإكرام الضيف، والإحسان لمحتاج، وحب الدعوة والدعاة سمات لخريجي القهوة من الأقارب والأبعد من العائلة، فحقّق للقهوة أن تُسمى باسم (قهوة أبي سليمان)، وسليمان الابن الأكبر للشيخ وهو الخليفة لوالده زمن شبابه في مسجده وقهوته حين غياب والده حاجاً أو معتمراً، أو أي غياب طارئ للوالد، وسليمان بإيجابياته ثمرة من ثمرات والده ومُنتج - إن صح التعبير - من مُنتجات (قهوة أبي سليمان)، وسليمان نموذج واحد من نماذج كثيرة عائلية تخرجت من القهوة وأسهمت في خدمة المجتمع والدعوة، كما أن سليمان الابن الأكبر للشيخ هو الذي توجّه إلى مكة للدراسات العليا فسَنّ لبعض إخوانه من بعده ذلك الطريق - رزقه الله الأجر والاحتساب -، وهو الذي تخصص في عقائد الاثني عشرية والإسماعيلية من الفرق الباطنية وكانت رسائله العلمية في درجة الماجستير والدكتوراه متخصصة بهذا، وهي من المراجع العلمية

المعاصرة لبعض طلاب العلم والمعرفة الذين بحثوا في هذا التخصص خاصة عن القرامطة وأصول الإسماعيلية^(١)، وكانت له دروس ومحاضرات شهرية في نجران على مدى عدة أعوام وكانت موضع قبول واستفادة، وهو مع هذا وذاك أستاذ في جامعة أم القرى كلية أصول الدين لأكثر من (٣٥) عاماً.

وتخرج على يديه مجموعات كثيرة من الطلبة شأنه شأن كل من أسهم في خدمة التعليم الجامعي، فأعطى وأنتج، وبالعلم الموروث - كما هو معلوم - يبقى الأموات أحياء ولا تنقطع الحياة، فبالعلم يدوم الصالح مع النية الصالحة.

وهو إضافة إلى هذا وذاك من مؤسسي مكتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمكة المكرمة وله جهود مباركة مشهودة، كما أنه قُبل تقاعده من العمل في الجامعة أصبح من أصحاب الإرشاد والتوجيه في الحرم المكي الشريف، وأعماله الخيرية معروفة في بناء بعض المساجد، وأعمال البر والخير، وليس المقام هنا تعداد محاسن الأب أو أحد أبنائه، ولكنه لذكر نموذج واحد من ثمرات (قهوة أبي سليمان العائلية) وهو ما تقتضيه المنهجية العلمية وقول الحقيقة - رزق الله أبا سليمان مع أبنائه الإخلاص والقبول وثواب القول والعمل إنه سميع مجيب -.



(٦)

(قهوة مطوَّع^(٢) الشنانه) اسم آخر من أسماء القهوة، ولهذا الاسم دلالات من أهمها التلازم الكبير بين المطوَّعين وأعمال التطوع سواءً في مجتمعات الحاجة

(١) الدكتور سليمان السلمي، رسائله العلمية كانت كالتالي: رسالة الماجستير بعنوان: (القرامطة)، ورسالة الدكتوراه كانت بعنوان: «أصول الإسماعيلية دراسة وتحليل ونقد»، طُبعت بدار الفضيلة، الرياض، السعودية عام ١٤٢٢ هـ.

(٢) يلحظ أن الاسم الدارج لهذا المصطلح أُسْتُخِدم خطأً كاسم مفعول (مطوَّع) وجمعه مطاوعة وهي لهجة عامية، وليس لها معنى بهذا إلا إذ كان المقصود أن الدين طَوْعاً، والاسم الحقيقي مطوَّع اسم فاعل وجمعه مُطَوَّعة أو مطوَّعين وهو ما يتفق مع أسلوب القرآن، انظر عن هذا المصطلح مقدمة هذا الكتاب ص ٢٧.

والاحتياج سابقاً، أو في مجتمعات الوفرة والاستهلاك لاحقاً، وقد أصبحت قهوة الشنانة وصاحبها بأعماله التطوعية مقصودة بالزيارة لتحقيق منافع عامة وخاصة، حيث يقصدها من يحتاجون للمساعدة في أمور معنوية أو مادية، كما كانت القهوة مقصداً لمن يبحثون عن الشفاعة في أمور دنياهم، وكان لا يخل عليهم عملاً بقول الرسول ﷺ: (اشفعوا تؤجروا)^(١)، وكان آخرون يقصدونها للرقية الشرعية فيها بعد انصراف الناس منها.

(قهوة مطوّع الشنانة) مدرسة أكمل بها الشيخ رسالته التطوعية بعد والده في (مدرسة البلاعية الخيرية) وأكمل فيها بعض التلاميذ من أهل الشنانة من أقرانه في السن دروسهم العلمية، ولقد أدركنا نحن أبناءه وكنّا صغاراً كيف كان الوالد الشيخ يحفظهم كتاب القواعد الأربع والأصول الثلاثة وكتاب التوحيد في القهوة وذلك كأنموذج.

وعرفت القهوة بـ (قهوة شيخ الشنانة) عند بعض العلماء وطلاب العلم ورجال الدعوة القادمين من خارج الرس، وقد عُرفت بدورها المبارك في تنظيم دروسهم وجولاتهم الدعوية مع شيخها ومطوّعها تحقيقاً للأعمال الخيرية والتطوعية. يقول الشيخ الدكتور علي مقبول^(٢): «عُرفت جلسة الشيخ السلومي بجلسة أبي سليمان، وقهوة أبي سليمان، المسماة قهوة (ابن قيم الشنانة) أو (قهوة مطوّع الشنانة)، ولقد عرّفني أبو سليمان وأولاني عناية خاصة، وكان يطلق عليّ مداعبة (ابن اليمن)

(١) انظر: السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني: صحيح الجامع - برقم: ١٠٠٦، بسند صحيح.

(٢) الدكتور علي محمد مقبول يقب الأهل من مواليد ١٣٨٦ هـ، خريج المعهد العالي للقضاء في المملكة العربية السعودية، وهو أستاذ مشارك في قسم الدراسات الإسلامية كلية الآداب، جامعة صنعاء، ورئيس مجلس أمناء المركز الثقافي لدعوة الجاليات بصنعاء، وعضو مجلس أمناء مركز الدعوة، صنعاء، وعضو مجلس إدارة جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، صنعاء، وعضو مجلس أمناء كلية الدراسات الإسلامية، محافظة أب الخضر، وعضو مؤسس في رابطة علماء المسلمين بالكويت، وعضو مجلس أمناء مركز دراسات الجزيرة العربية، صنعاء، وخطيب جامع الفاروق، صنعاء، وهذه المشاركة جزء من ذكرياته، علماً أن بقية المشاركة في ثنايا الكتاب.

لأنني يمّني كنت أعيش مع أسرتي في مدينة الرس، وكنت أدرس في المعهد العلمي ثم التحقت بكلية الشريعة، ثم انتقلت إلى الرياض لإكمال دراستي العليا ولم تنقطع علاقتي به حتى كتابة هذه السطور عام ١٤٣١هـ.

أما الموقف الذي أثار في حياتي العلمية فهو أن أبا سليمان كان دائماً ينصّني بقراءة كتاب (زاد المعاد) لابن القيم - رحمه الله - وقد قرأته واستفدت منه كثيراً؛ وما زلت أدعو لأبي سليمان على هذه النصيحة الغالية... وما قد أصبحت متخصصاً في الدراسات الإسلامية في جامعات اليمن وجميعاته إلا أن زاد المعاد هو قراءاتي المتكررة والفضل بعد الله يعود لأبي سليمان.

وكان يحضر إلى القهوة بعض المتطفلين كما هو واقع المجالس المفتوحة، وكان يدور فيها كثير من مناقشة بعض القضايا الاجتماعية والسياسية بكامل الحرية؛ وكنت أخشى من الحديث في هذه الأمور، فكان ينصّني بالتوكل على الله وعدم الخوف من البشر قائلاً - حفظه الله -: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، وكنت أزور أبا سليمان أحياناً كثيرة صباحاً وضحى فأجد كثيراً من الناس بعضهم يشتكي حالته المادية، وآخر يريد أن يشفع له، ومنهم من يريد أن يذهب معه لخطبة بنت فلان؛ فلا أجده إلا مليباً لطلبات الآخرين.

وبقي أن أقول كإضافة علمية موجزة عن المطوعة والتطوع وما بينهما من تلازم، أن الدين الإسلامي بتشريعاته في أعمال التطوع لا يمثله دين آخر - كما قال بذلك معظم الباحثين المتخصصين في هذا المجال من الغربيين -^(١) حيث يبدأ التطوع بالابتسامة للآخرين «وتبسمك في وجه أخيك صدقة»^(٢)، وينتهي بالجهاد والتضحية بالنفس والمال.

(١) انظر: محمد السلومي، ضحايا بريثة للحرب العالمية على الإرهاب، إصدار مجلة البيان، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ، ص ١٠١، على سبيل المثال أقوال جونثان بنثال وزميله جيرم بيليون.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩١).

وأعلى درجات أعمال التطوع ما قام به المتطوعون (المطوعة) من خدمات تطوعية زمن غياب المؤسسات التطوعية ومضاعفة الحاجة لها، حيث التطوع يزيد من ولاء الناس لدينهم والترابط مع مجتمعهم ودولتهم، وذلك أمر مشهود في تحقيق التطوع للأمن الاجتماعي والفكري.

لقد أثبتت الدراسات الغربية - كما قال بعض الغربيين^(١) - دور الدين بوصفه دافعاً قوياً ومؤثراً في التطوع والاحتساب وأن أقوى أنواع التطوع وأعظمها أثراً هو التطوع القائم على أساس ديني، كما أكد الواقع التاريخي دور المطوعة (المطوعة) في تقديم الخدمات الاجتماعية وأنهم يتقدمون الصفوف الأولى لأي عمل تطوعي وهم يسبقون في العطاء بعض التجار والمؤسسات الحكومية الاجتماعية الخدمية - ما وُجد منها وما لم يُوجد - .



(٧)

(قهوة الخيرية) قليل من يسمي هذه القهوة بهذا الاسم، لكن المنهج الذي سارت عليه القهوة يقتضي عدم التجاهل لأي تسمية من واقع الحال أو لسان المقال، وتؤكد تسميتها بالخيرية عند النظر إلى مدخلاتها ومنتجاتها، والمتأمل في أطوارها التاريخية وأعمالها الخيرية، وصور البر والإحسان التي كانت فيها أو التي تنطلق منها، بل إن حقيقة مفاهيم مسمياتها السابقة تتفق مع إطلاق اسم (قهوة الخيرية)، وبالتالي فإن هذه التسمية أصابت الكثير من الحقيقة، وكفى أن آيات الخيرية من القرآن قد ترددت على أقل تقدير داخل القهوة بعدد أيام عمرها (الستين عاماً) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(١) من أمثال كتاب الهلال الخيري للباحثين جوناثان بنثال وزميله جيرم بيلون.

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ (آل عمران: ١١٠).

لقد كان صاحب هذه القهوة ممن يعي ما ورد من أقوال السلف عن فعل الخير للغير وأهميته في عقيدة وعبادة أي مسلم، ومن ذلك ما ورد من تعبيرات مختصرة عن أهمية الخيرية في أمة محمد ﷺ وقيمة فعل الخير، يقول الحصين عن ذلك: «عندما يريد العالم المسلم أن يعبر في كلمات موجزة عن الإسلام يقول مثل ما يقول الإمام ابن تيمية: (الدين كله يدور على الإخلاص للحق ورحمة الخلق)، أو كما يقول الإمام الرازي: (مجامع الطاعات: تعظيم أمر الله، والشفقة على خلق الله)، أو كما يقول الإمام الهروي عن البدايات في علم التصوف: (إقامة أمر الله وتعظيم نبيه، والشفقة على العالم)، وفي القرآن الكريم تواجهنا مثل هذه الصورة الرائعة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)»^(١).

بهذه القهوة التي تتردد فيها أهمية تلك القيم الخيرية سابقة الذكر مع كونها قهوة مفتوحة للجميع من المحسنين والمستفيدين تحقق -بحمد الله- دعم الكثير من الأعمال الخيرية من بناء للمساجد الطينية ثم المباني الحديثة للمساجد، وجمع الإغاثات للداخل والخارج ومساعدات وأعمال بر واحتساب، وسجلت هذه القهوة بخيرية روادها صباحاً ومساءً سبقاً دعوياً وعلمياً قبل وجود الديوانيات الثقافية والصالونات العلمية والمنتديات المفتوحة، وقد كانت هذه القهوة تستحق الوصف بـ(قهوة الخيرية) نظراً لقيامها بتنظيم المحاضرات والخطب

(١) انظر: الشيخ صالح الحصين: (جهود الغرب في تحجيم البذل التطوعي الإسلامي؛ لماذا؟) ورقة منشورة في موقع القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية على هذا الرابط:

والمواعظ والجولات الدعوية في القرية والقرى المجاورة وترتيبها لزيارات المشايخ القادمين من عنيزة أو بريدة أو الرياض حينما لم يكن يوجد مكاتب للدعوة والإرشاد، وكان ذلك احتساباً وتطوعاً لنفع الأمة والمجتمع، ويؤكد ما سبق ذكره عن القهوة ودورها الخيري ما قاله فضيلة الشيخ عبدالله الجلالي عن السلومي وقهوته: «كان وفقه الله يفتح مجلسه (قهوته) في بيته منذ خروجه من المسجد لصلاة الفجر حتى الضحى يستقبل طلبة العلم والزائرين ويقدم لهم القهوة ولربما الفطور طيلة أيامه في قريته، كما كان يفعل ذلك يوماً بعد العصر ويأتيه الأحباب من كل مكان حتى إن مجلسه ليعتبر نادياً لهؤلاء الناس يفدون إليه من كل صوب، ولربما كان مجلسه مجالاً للصدقة من الحاضرين ومنه أيضاً، ومن بعض المحسنين المشهورين فتقضى فيه الحاجة، ويُتصدق على المحتاجين الحاضرين وغيرهم».

كتب محمد المجاهد الخليفة عن شيخه وقهوته فقال: «لشيخنا السلومي جلستان في مجلسه (قهوته) جلسة من بعد الإشراق إلى وسط الضحى، والأخرى من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وكانت تلك الجلستان عامرتين بذكر الله فكان -ولا يزال بفضل الله- العلماء والدعاة والمشايخ والقضاة يرتادون مجلسه وقهوته فيستفيد منهم ويستفيدون من علمه وحكمته وتجاربه، فقد كان مستشاراً حكيماً ذا رأي سديد قلماً يُخطئ له رأي».

منهجه ومذهبه وعقيدته عقيدة أهل السنة والجماعة على العقيدة الصافية. يقرأ كثيراً في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وابن سعدي ومحمد بن إبراهيم -رحمهم الله تعالى- يستشهد كثيراً من فتاوى ابن تيمية -رحمه الله- وكثيراً ما يتحدث عن كتب أولئك الأئمة، فلا يصدر من يأتيه من سائر الناس إلا وقد استفاد من جلسته معه، وأحس بالبركة والروحانية الإيمانية، وهو مع هذا يحسن التعامل مع الصغير والكبير، فمجلسه مهما طال لا يُمل لأنه إنسان محبوب جعل

الله مودته في قلوب الناس قلما يوجد مثله، لقد فتح مجلسه وقلبه للجميع، ومع ذلك فهو مرح يحاول إدخال السرور على من زاره.

وقد أجرى الله على يديه خيراً كثيراً، فكم من حاجة قضاهها، وكم من مكروب فرج عنه، وكم من مدين وفقَّ عنه، وكم من مسكين أدخل السرور عليه، وكم من أسرة بناها. فقلما يأتيه طالب النكاح إلاَّ ويوفق لخدمته ومساعدته فيحقق الله على يديه خيراً عظيماً. ويأتيه طالب الشفاعة من المسؤولين فيحقق الله على يديه ما أراد».

كتب الشيخ محمد بن ناشع الشهري عن القهوة فقال: «... أحسست بل علمت بواسطة السبر والتقسيم أن (متنदी السلومي) يُدار فيه ما نص عليه حديث (اختصاص الملاء الأعلى) الذي خرجهُ الإمام أحمد - رحمه الله - من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه فقال: يا محمد! فيم يختصم الملاء الأعلى؟ قلت: في الكفارات والدرجات قال: وما الكفارات؟ قلت نقل الأقدام إلى الجُمُعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء على الكريهات، فقال: وما الدرجات؟ قلت إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام، قال: سل، قلت اللهم إني أسالك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك، وقال رسول الله ﷺ: «إنها حق، فادرسوها وتعلموها^(١)». قلت: فما يدار في (متنदी السلومي) يشمل الكفارات من نقل الأقدام إلى الجمعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء، كما هو أيضاً في طلب الدرجات التي هي إطعام الطعام الذي يقدم صباح ومساءً في متندي السلومي،

(١) وهذا الحديث هو الذي شرحه إمام القرن الثامن العلامة زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي في كتابه بعنوان: اختيار الأولى في شرح اختصاص الملاء الأعلى، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ص ٣٣ - ٣٤ من الكتاب المذكور (تخريج وتعليق صاحب المشاركة).

وما يدار من حديث وقراءة وتناصح وإرشاد وتوصيات فيها لين الكلام المفتوح والمختتم بالسلام الشرعي، أما الصلاة والناس نيام فالشيخ له نصيب وافر من ذلك، اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين. قلت: تفعيل حب المساكين في (منتدى السلومي) متلازم مع القهوة وساري المفعول...».

تحدث أحمد الأفغاني^(١) للمؤلف عن قهوة أبي سليمان، وكان ممن لازمها أكثر من ٢٩ عاماً فقال: «القهوة كلها خير خاصةً بترحيبها بالأخوة الوافدين غير السعوديين لأنها - كما رأيت بنفسي - تنتزع ما في قلوبهم من آثار بعض الممارسات الخاطئة من الكفلاء، كما تعالج بعض جوانب العنصرية عند بعض الناس، ففي قهوة أبي سليمان لا أشعر بالعنصرية التي تضايقنا كعمال من قبل بعض الناس، بل إن زيارتنا للقهوة تُحببنا للبلد وأهله من خلال حسن التعامل والاحترام، لقد رأيت أبا سليمان في قهوته يخص عمال النظافة وغيرهم بالإكرام في قهوة الصباح، ومن ذلك إعطائهم كأساً كبيراً من الحليب دون سواهم».

وقال عن شخصية أبي سليمان في إصلاح ذات البين: «لقد تدخل أبي سليمان بالصلح بيني وبين كفيلي بناءً على طلب مني وانتهى الأمر بصلح تبناه أبو سليمان».



(٨)

(قهوة ابن قيم الشنانة)^(٢) حيث المعني بالترجمة تلميذ لابن قيم الجوزية قبل

(١) ورد التعريف به.

(٢) كان من أوائل من أطلق هذه التسمية (ابن قيم الشنانة) الدكتور محمد سعيد القحطاني صاحب كتاب الولاء والبراء، والأستاذ المشارك سابقاً في جامعة أم القرى بمكة المكرمة وقد زار القهوة أكثر من مرة، كما تربطه بالشيخ علاقة أخوية ومحبة وزيارات كلما زار الشيخ مكة زائراً أو حاجاً أو معتمراً.

التطبيقات المعاصرة للتعليم عن بعد، درس التلميذ على شيخه معظم كتبه المطبوعة -إن لم يكن كلها- وتربى عليها واستفاد منها، لأنه تأثر بعلمه وما لديه من زهد وتصوف، ولا شك أن بينهما بعض القواسم المشتركة كما بين أي شيخ وتلاميذه.

وهذه التسمية للقهوة اكتسبتها من خلال كثرة استدلال صاحبها بأقواله، كما كان يقول عن نفسه: «أنا فُتنت فتنه بكتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وابن القيم شارح لشيخه ابن تيمية في بعض المسائل، والأخير يصعب علي فهم مناقشته لبعض المسائل الفلسفية خاصة في بعض المواضع من كتابه درء تعارض العقل والنقل».

بل إنه من شدة إعجابه بالشيخين كثيراً ما كان يقول: «من لا يقرأ في كتب ابن القيم وابن تيمية لا يُسمى عالماً».

وأقول معلقاً بوصفي باحثاً في بعض الجوانب التاريخية: ولا يلام صاحب القهوة بعد هذا كله إن فُتن بكتب الشيخين وعلمهما فهما مجددان عند كل منصف من كُتّاب الغرب والشرق.

(ابن قيم الشنانية) لقب اشتهر به أبو سليمان لحفظه نصوصاً كثيرة لابن القيم والاستدلال بها مع رواد قهوته، أقول معلقاً عن شيوخه: ويبقى أن ابن القيم وشيخه ابن تيمية -رحمهم الله- من رواد الحرية العلمية فقد تحررا من التعصب المذهبي فهما رائدان من رواد ربط الناس بالدليل، وهذه الريادة مصدر انزعاج من قبل متعصبي الغرب الذين عدّوا فكر الشيخين وكتبهما من مصادر تحرير العقل المسلم، وبالتالي من الكتب الخطرة على حد زعمهم حتى أصبح متعصبو الغرب ومرضى الشرق يعدّون تراث هؤلاء إضافة إلى كتب ومؤلفات تلميذهم محمد بن عبد الوهاب تراثاً متعصباً متشدداً بحكم طروحاتهم القوية الواضحة في الولاء والبراء ووسائلهم العلمية الفعّالة لنهضة الأمة الإسلامية

وعزتها متجاهلين العصور التي عاش بها كل واحد من هؤلاء، ومتجاهلين واقع معظم الحكومات الغربية المتعصبة في عصرنا الحاضر، حيث تمارس التعصب الديني والسياسي بتحالفات عسكرية عدوانية دولية، وتطبق قوانين معنا أو ضدنا في شن الحروب الناعمة والقدرة والخلافة على حد سواء، كما تمارس كل صور التخويف والإرهاب بزعم محاربة ما يسمى الإرهاب.

(قهوة ابن قيم الشنانية) كانت منبراً من المنابر التي عرفت بابن القيم وفكره وتراثه وحرية العلمية، ولا شك أن تراث ابن القيم مع كتب ابن تيمية قد نقلت مجتمعة (ابن قيم الشنانية) إلى مرحلة جديدة في حياته الاحتسابية والعلمية - كما ورد عن الشيخ بين مرحلتين^(١) -، وكانت النقلة حوالى أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات من عمره، وكانت تلك النقلة في شخصية (ابن قيم الشنانية) واضحة فقد انتقل من بعض ما يمكن وصفه بالتعصب والتشدد الذي تأثر به في فترة حياته الأولى التي تتلازم مع عنفوان الشباب وقوته وتشدده، كما تتلازم تلك الفترة مع البيئة العامة ودور بعض الوعاظ فيها، تلك البيئة كانت حالة تتلازم مع واقع أغلب المجتمعات في نجد آنذاك، لقد انتقل الشيخ من بعض الكتب التي تحرم بعض الوسائل مثل الراديو والتلفزيون إلى كتب تفتح آفاق المعرفة والوعي بقضايا الأمة الكبيرة، ومن أهمها كتب ابن تيمية وابن القيم، وكثيراً ما يستدل ويردد عن ابن سعدي قوله عن نفسه حينما أصبح يرى رأياً آخر مخالفاً لآرائه السابقة وذلك بعد اطلاعه على كتب الشيخين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ويذكر الوالد أن ابن سعدي قد دون هذا الكلام في أحد كتبه وحقاً إن التجديد لدى ابن تيمية وتلميذه ابن القيم قد أسهم بشكل واضح ومباشر في تجديد فكر والدنا الشيخ عبدالله السلومي.

(١) انظر موضوع الشيخ بين مرحلتين في المبحث الثالث.

لمحة عن ابن القيم الذي نسبت القهوة إليه:

(ابن قيم الجوزية) نسبة إلى والده العالم أبي بكر الذي كان قائماً أو قيماً على مدرسة الجوزية التي بناها محي الدين بن الحافظ الجوزي بسوق القمح بدمشق.

و(ابن قيم الجوزية) كان تلميذاً نابهاً لشيخ الإسلام ابن تيمية، قال عنه تلميذه ابن كثير رحمه الله: «وهو الذي هذب كتب ابن تيمية ونشر علمه وكان ينتصر له في أغلب أقواله^(١)، وكان مع شيخه في حلبة الصراع مع الصوفية خاصة لما أنكر شد الرحال لقبر الخليل إبراهيم عليه السلام، وكان من الابتلاء الذي لحق به أنه دخل مع شيخه السجن أكثر من مرة، وأُوذِيَ في سبيل الله بل طاف به أعداؤه على جمل مضروباً بالدرة، بل إنه دخل معه السجن وعُزل عن شيخه معظم الوقت، وبقي إلى حين وفاة ابن تيمية في سجن القلعة عام ٧٢٨هـ، حيث أُخْلِ سبيله».

وتأتي أهمية (ابن قيم الجوزية) في هذا العصر من خلال أنه تلميذ وشارح لمعظم فنون شيخه المجاهد بالقلم واللسان والسنان، وعلوم ابن تيمية ومعارفه وجهاده ومواقفه التي تتعارض بشكل كبير مع أهل الأهواء والأفكار والتيارات المنحرفة في هذا العصر، وبهذا تتأكد الأهمية لكتبها وتراثها وفكرهما التجديدي الإصلاحية وأهمية استنساخ التجربة - إن صح التعبير - التي أسهمت في نهضة الأمة الإسلامية من كبوتها العقدية والسياسية والعسكرية في ذلك الزمن، يقول الوالد الشيخ: «وما لا تعرفه أو لا تستطيع معرفته وفهمه من كتب ابن تيمية تجد معظمه مشروحاً ومفصلاً عند تلميذه ابن القيم».

ابن تيمية في قهوة ابن قيم الشنادة:

كانت الأمة الإسلامية في مخاض عسير قُبيل حياة ابن تيمية الجهادية (٦٦١-٧٢٨هـ) وقبل جهود ابن القيم العلمية (٦٩١-٧٥١هـ)، ففي عام ٦٥٥هـ

(١) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، الناشر مكتبة المعارف، بيروت، ط ٣، عام ١٩٨٠م، ج ١٤، ص ٢٣٤.

حدثت بعض الوقائع بين أهل السنة والرافضة، فاشتد حنق الرافضة على أهل السنة، وكانت الخيانة والانتقام حينما استنصر وزير الدولة (ابن العلقمي) بالتتار لغزو بغداد ثم سقوطها ٦٥٦هـ وسقوط دمشق بعدها، والمهم في هذا المقام أن ما سبق وما يلحق من وقفات عن ابن القيم أو شيخه ليست ترجمة لهما وليس هذا مقامها على الإطلاق، لكن ذلك مما يقتضيه كمال الترجمة عن صاحبها.

أقول: كنت قد طلبت من تلميذ والدنا الشيخ محمد بن صالح الزبيدي أن يعلق على التشابه بين العصر الحاضر وعصر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فكتب وقال: «من خلال الواقع التاريخي للأمة الإسلامية في عصر الشيخين ابن تيمية وابن القيم يدرك القاري مدى التشابه الكبير مع العصر الحاضر حيث ارتفع صوت الرافضة ودورهم، وكذلك دور الصوفية المنحرفة وولاؤهم للكفار في غالب أحوالهم مع وجود بعض الشراكيات من تقديس الأحياء وتعظيمهم في هذه العصور المتأخرة، وهذا لا يقل عن تقديس الأموات في الماضي، كما أن تدخل التتار سابقاً والصليبيين لاحقاً في أحوال المسلمين الخاصة والعامة، إضافة إلى تحول الدولة الإسلامية المتحدة إلى أقاليم متفرقة أو ممالك صغيرة في كلا العصرين، كل ذلك يؤكد التشابه الكبير مع واقع العالم العربي والإسلامي خاصة بعد سقوط الشيوعية، وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، مما يجعل الباحث والمطلع والقاريء والمراقب من عامة الناس وخاصتهم يدرك (السببية المطردة) في الهجوم المتجدد على فكر المجددين أمثال ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ودورهما الفكري والسياسي في تخليص الأمة وتحريرها فكرياً وسياسياً بل ونهضتها، ولأجل هذا التشابه يتأكد التذكير بترائهم وفكرهم نظراً للأهمية البالغة لواقع الأمة الإسلامية التي هي بأمس الحاجة إلى الآلاف من تلاميذ (ابن قيم الجوزية) وشيخه ابن تيمية المنتصرين بالحق والناصرين له وغير هؤلاء من رموز الإصلاح والتجديد، وليس بالضرورة أن تنتظر أمة الإسلام مجدداً واحداً في كل صنوف العلوم والمعارف

والميادين، ولكن بتكامل أنواع التجديد وتعدد المجددين في التخصصات الصغيرة والكبيرة والعامة والخاصة، وقد يكون ابن (قيم الشنانة) بتجربته المتواضعة أسهم ولو بجزئية صغيرة من جزئيات التجديد في الإصلاح والالتزام بالدين، ويبقى التجديد بمفهومه الشمولي ليس حكرًا على أحد، فهو من البشر للبشر على هدي خير البشر محمد ﷺ كما قرر ذلك بعض العلماء في مفاهيم المجدد والتجديد^(١).

حقاً ما أحوج الأمة الإسلامية إلى الآلاف من تلاميذ ابن تيمية وابن القيم للتجديد في كل شؤونها السياسية والفكرية والعقدية والاقتصادية والاجتماعية لأن هؤلاء عظماء مجددون في تاريخنا الإسلامي وتراث الأمة العلمي والفكري والسياسي.

وماذا لو كان هؤلاء الجهابذة محسوبين على التاريخ الأوروبي مثلاً؟.

نرى ماذا سيكون شأنهم ومكانتهم عند قومهم^(٢)؟

وأقول بصفتي باحثاً في بعض جوانب التاريخ: لقد أجاب أنصار الحقيقة من كُتّاب الغرب عن هذه التساؤلات!! عن ابن تيمية وعصره بل عن عوامل الانحطاط ومقومات النهضة للأمة الإسلامية، ومن هؤلاء المؤرخ الألماني المعروف كارل بروكلمان^(٣)، في كتابه الشهير (تاريخ الشعوب الإسلامية) الذي أفرد بعض الحديث عن دور ابن تيمية كعالم ومجدد في سياق حديثه عن دور علماء المسلمين في إحياء الأمة الإسلامية، كما وصف عصر ابن تيمية قائلاً: «أما في الإدارة المدنية فكان الممالك يُقدّمون النصارى واليهود على غيرهم» واصفاً هذا الوضع السياسي بالقلق المطرد كما قال.

(١) انظر: بحث في التجديد - نشر مجلة البيان على هذا الرابط: <http://4i.ae/qI2s>

(٢) انظر مقال عن ابن تيمية بعنوان التخلف والتطرف: حقيقة العلاقة وبؤس الأتباع، صحيفة الرياض ٥/ رجب ١٤٣١هـ، العدد ١٥٣٣٣، ولعل صانعو مصطلحات (التخلف والتطرف) عن ابن تيمية وأمثاله بحاجة إلى التجرد ومعرفة بعض الإجابات عن التساؤلات الواردة أعلاه.

(٣) هو المؤرخ الألماني الشهير كارل بروكلمان، وكتابه هو: (تاريخ الشعوب الإسلامية).

كما وصف بروكلمان الدور الإيجابي للوقف الأهلي المستقل عن الحكومات الإسلامية المتعاقبة لصالح العلم وحقول الثقافة - كما سيرد-.

وأقول: إن كلمة (التنمية المستدامة) من المصطلحات المستوردة، وهي تعكس معاني تعبير لغة هذا العصر (الوقف) ومدلوله، حيث الوقف عطاء مستمر لا ينتهي بتحسيس أصله كما لا يسقط بسقوط الحكومات بحكم استقلاليته عن الحاكم والحكومة، وعلماء الأمة مع وجود الأوقاف المستقلة مؤثران لمصادر القوة في كل زمان ومكان، وبهما كانت النهضة زمن ابن تيمية، وعليهما يُعَوَّلُ في كل زمان ومكان في ديار الإسلام لاسيما مع تشابه الأحوال والأزمان وظروفهما. والحال مع كل مصلح أن يحاول أعداؤه تشويبه، يقول بروكلمان عن ابن تيمية: «أولئك الفقهاء الذين لم يتورعوا عن اضطهاد رجل صالح مؤمن بالله أصدق الإيمان وأشدّه، كابن تيمية الحنبلي لإحجامة عن مجاراتهم في جميع ما ذهبوا إليه من رأي، ولمقاومته كثيراً من مظاهر التدين لدى العامة كعبادة الرسل والأولياء، وأتهمهم بالزندقة على إثر فتواه الحموية وسبق إلى المحاكمة، ثم سجن عدة مرات». إلى أن يقول المؤرخ الألماني عن النتائج الكبيرة لجهود الصادقين المخلصين في ميادين تجديد حياة الأمة وثقافتها ولو بعد حين: «ولئن كان معاصروه قد حاولوا قمع تعاليمه بالقوة، فقد كُتِبَ لها برغم ذلك أن تبقى حية في دوائر أتباعه المحدودة لتستمد منها الحركة الوهابية حافزها بعد أربعائة من السنين، ولتفيد منها بالتالي حركة التجدد الإسلامية في الجيل الحاضر، أما في حقول الثقافة الأخرى فقد أنتج السوريون والمصريون إنتاجاً خصباً جداً في عهد المماليك كان لنا (يعني الأوروبيين) فيه ثمرات يانعات، وبخاصة في حقل التاريخ».

ثم ذكّر المؤرخ -سابق الذكر- بعوامل أخرى عن عوامل القوة ومقومات النهضة، ومن تلك العوامل الأوقاف المستقلة في عصر يُعَدُّ بعض المؤرخين من أضعف عصور الأمة الإسلامية، قائلاً: «هذا الإنتاج (العلمي) الواسع العريض

في عصر المماليك كان يجد سنده الاقتصادي في نظام الأوقاف الذي أنشئ في عهد العباسيين، والذي انتهى في مصر وسورية إلى غاية من الغنى تكاد تكون خيالية، ذلك بأن كبار المثرين السوريين والمصريين، كانوا كزملائهم العراقيين من قبل، يقفون (يوقفون) ممتلكاتهم الضخمة على وجوه البر وخدمة العلم، صيانة لها من المصادرة^(١) وأقول: كأن هذا المؤرخ بهذه الأقوال يؤكد أن الضمانات الحقيقية لقوة الأمة الإسلامية عبر التاريخ تكون بعلمائها المحتسين وبقوتها العلمية وبأوقافها المستقلة^(٢) (والتاريخ اليوم يعيد نفسه).

ويبقى أن أقول بصفتي مؤلفاً أو باحثاً في بعض قضايا التاريخ: لقد بعثت في قراءة كتب ابن القيم وشيخه ابن تيمية كثيراً من مفاهيم التجديد لحياي العلمية، إضافة إلى معاني العزة والاعتزاز، والإكبار والإجلال لتراث الأمة الإسلامية وحضارتها الشاخنة التي لفتت انتباه الباحث الألماني بروكلمان وغيره من الباحثين المنصفين عن تاريخ علمائنا وتراثنا العلمي والحضاري، وهذا ما لم يكن عندي حينما كنت صغير السن وكان والدي يُلزمني بأن أقرأ عليه من كتب ابن القيم وشيخه ابن تيمية، وهو يعمل بحباكة الكتب والمصاحف استغلالاً للوقت وتدريباً لي على القراءة.



جزى الله شيخي (ابن قيم الشنانية) كل خير حيث كان سبباً ودافعاً لي بالبحث والاستقصاء في تخریجات أقواله واستدلالاته عن شيخه ابن القيم وشيخه

(١) انظر: كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٣٦٩-٣٧١، وقد نقل عن بعض مؤرخي الغرب ومنهم لاووست، ويبيكر، ترجمه إلى العربية نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت عام ١٩٧٣ م.
(٢) يقول بروكلمان أن كبار الاثرياء من معظم الأقطار الإسلامية كانوا يوقفون على وجوه البر والعلم صيانة لها من المصادرة. وأقول: أن واقع معظم أثرياء المسلمين في هذه العصور المتأخرة لا يوقفون خوفاً من المصادرة، وذلك حينما أصبحت الأوقاف جهات رسمية حكومية ليس لها في غالب أحوالها مخرجات خيرية، وفي أحسن أحوالها فإن مخرجاتها نقدية استثمارية تعزز الدورات الاقتصادية والتنموية للغير.

ابن تيمية، والارتباط بين ابن القيم وشيخه ابن تيمية أوجب عليَّ أفراد هذه الوقفة العلمية عن هذه الرموز التاريخية وأثرهم على القهوة وصاحبها، وبهذه الوقفة لم أستطع كبح جماح عاطفتي التي قالت بلسان حالها: لقد زاد يقيني بعظمة هذا الدين الذي أنجب هؤلاء الرجال الكبار في علمهم وفكرهم، ويبقى أن أقول ما يُمَثِّلُ به شيخي ويتمناه لشباب الأمة الإسلامية متحسراً على واقع كثير منهم حيث لم يتزودوا بالعلم من هؤلاء قائلاً: (يالتني فيها جذع)^(١) لأنهل من علمهم وتجربتهم الزاخرة بكل صنوف العلم والمعرفة.

إن مما يلحظ بشكل واضح أن كُتِبَ ابن القيم^(٢) وشيخه ابن تيمية تستحوذ على النصيب الأكبر في مكتبة (ابن قيم الشنانية) - كما يسميه البعض -، بل إن بعضها قد بليت بعض صفحاته نتيجة كثرة القراءة فيها من قبله أو من قبل بعض تلاميذه، كما أن عامل الزمن له دوره كذلك، فلقد كان كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) هو زاده اليومي مع نفسه ومع تلاميذه، والكتاب المأخوذ منه باسم (الطب النبوي) وقد ضُمَّتْ مكتبته من كتب ابن القيم الكتب التالية: (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية)، (إعلام الموقعين عن رب العالمين)، (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان)، (بدائع الفوائد)، (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)، (الروح)، (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة)، (الطرق الحكمية في

(١) الكلمة لورقة بن نوفل مخاطباً خديجة زوجة محمد ﷺ، بعد نزول الوحي، أخرجه البخاري في صحيحه، باب بدء الوحي، حديث رقم (٣)، ص ٢١.

(٢) ذكر المحقق مصطفى مراد عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر وأحد علماء الجمعية الشرعية في مؤلفه عن ابن القيم أن مؤلفات ابن القيم رحمه الله بلغت مائة وعشرة (١١٠) مؤلفات، اثنين وأربعين (٤٢) كتاب مطبوع، وثلاثة وثلاثين (٣٣) كتاب مخطوط، وستة وثلاثون (٣٦) كتاباً لم يتبين أنها مخطوطة أم مفقودة، وهذا غير المجموع من مصنفاته والمنسوب إليه والمختصر من كتبه، ومن مصنفاته المخطوطة (بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً) نقلاً عن كتاب كشف الظنون ج ٦، ص ١٥٨، (انظر: مواقف الإمام ابن القيم من الصوفية، مكتبة التابعين، القاهرة عين شمس).

السياسة الشرعية)، (طريق المهجرتين وباب السعادتین)، (الفوائد)، (مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة) (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) (الوابل الصيب من الكلم الطيب) (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، وهي المسماة القصيدة النونية)^(١)، وقد وجدتُ من بين كتبه كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدي، ومن أجزائه (الجزء الثالث)، وعليه ختم بعنوان عبدالرحمن العلي الحميد (بريدة القصيم)، ومكتوب على ظهر غلافه بخط الشيخ السلومي أو ما يشابهه عبارة: في ملك محمد العبدالله القرناس [انظر الملحق رقم (١٧)].

كما وجدتُ من بين كتبه المجلد الأول والثاني من كتاب (غاية الأمان في الرد على النبهاني) للشيخ محمود شكري الألوسي، وعلى غلاف هذا الكتاب بجزئه كُتب عليه بخط مشابه أو مماثل لخط الشيخ السلومي وقد يكون بخط قلمه العبارة التالية: (في ملك الفقير إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٣ / محرم / ١٣٣٢ هـ)، ولم يُعرف كيف آلت هذه النسخ أو هذه الكتب إلى الشيخ السلومي [انظر الملحق رقم (١٨)].

وقد وجدتُ كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتحقيق محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، والكتاب حسب ما كُتب عليه يُعد من كتب نسيبه زوج أخته الشيخ محمد بن عبدالرحمن الشهري^(٢)، وقد

(١) هذه الملحمة الشعرية تشتمل على ستة آلاف بيت إلا خمسين (٦٦٣٦) بيتاً، شرحها د. محمد خليل هراس وطبعت باسم شرح القصيدة النونية. (توجد ص ٦٩) ؟؟؟؟؟

(٢) انظر التعريف عن الشيخ المطوع محمد الشهري في كتاب ترجمة سليمان بن ناصر السلومي - الشخصية والرسالة .

أوصى بكتبه قبل موته للشيخ عبدالله السلومي، وفي صفحة الغلاف الداخلي للكتاب عبارة مكتوبة بخط آخر: هدية من الأخ في الله محمد بن علي الفقيه الحميدي، المستهدى محمد عبدالرحمن المطوع (الشهري) في ٢٧/٨/١٣٧٤هـ، وقد لفت انتباهي حرص طلبة العلم الأوائل تدوين ما يجدونه من فوائد علمية داخل الكتاب فيدونونها في الصفحة البيضاء الأولى من الكتاب ومن ذلك ما ورد في هذا الكتاب: النفاق في عهد الرسول أقل من النفاق الذي بعده لأنه بالإعلان مع كتابة رقم الصفحة (٢٨)، وكذلك: الفضل بالتقوى ورقم الصفحة (١٤٤)، وكذلك: سلمان وصهيب وبلال ورقم الصفحة (١٦٩)، وكذلك عبارة: حجة الرافضة الباطلة، الرافضة أبعد الناس عن التوحيد والصدق صفحة (٣٩١) [انظر الملحق رقم (١٩)].

كما وجدت في مكتبته كتاب: (مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة) الجزء الأول وهو يزيد عن ٤٦٠ صفحة، ومطبوع في المطبعة السلفية ومكتبتها بمكة المكرمة عام ١٣٤٨هـ، وقد كُتب في الصفحة البيضاء الأولى من الكتاب بخط الشيخ محمد الشهري أو خط عبدالله السلومي العبارة التالية: في ملك الفقير إلى الله محمد بن عبدالرحمن الشهري، وقف لله على طلبة العلم لمن يفيد أو يستفيد على شرط الحفظ والصيانة، والوكيل على ذلك عبدالله السليمان السلومي [انظر الملحق رقم (٢٠)].

وعن تسمية الشيخ بابن قيم الشنينة كتب الشيخ عبدالله الجلالي عن أبي سليمان وعلمه وقهوته فقال: «لقد لزمته كثيراً في الرحلات داخل المملكة فرأيت فيه الصلاح والعلم الأصيل خصوصاً في علم العقيدة والأصول التي هي أساس الدين، وبلغ الأمر ببعض طلبة العلم أن يلقبوه (ابن قيم الشنينة) لكثرة استدلاله من أقوال ابن القيم وما يقتنيه من كتبه وما يردد من أرائه وأقواله».

وبعد هذا العرض من الأسماء أو المسميات عن القهوة فإن الأمر واسع بحمد الله من حيث تعدد التسميات فكثير من الناس له اسم وكُنية أو اثنان، وقد يُنادى بهما جميعاً، أو يُنادى بصفة من صفاته أو بمهنته التي تميز بها، أو بهما جميعاً، فجميع التسميات السابقة متكامل ولا تتنافر، وتتفق ولا تختلف، فقهوة الحسبة والقهوة المفتوحة وغيرها من التسميات مثلاً لا تتنافى مع (قهوة ابن قيم الشنانية)، بل إن كل التسميات سابقة الذكر متكامل لتعطي صورة واضحة عن الواقع التاريخي المتنوع لمدخلات ومخرجات تلك القهوة، وفلسفة التسميات والمسميات قد تضيف اسماً جديداً وهو أن أبا سليمان (قَيِّمُ قهوة الشنانية) بمعنى القائم عليها، وتقديم التسمية بالاسم المفضل لصاحبها (قهوة ابن قيم الشنانية) قد يتناسب مع كثير من الحقيقة لكنه لا يلغي بقية الأسماء، وهذا التفضيل لهذا الاسم عند بعض رواد القهوة أو صاحبها فيه اختصار علمي ورمزيٌّ وتفاؤل حسن، بل وقدوة واقتداء، ويبقى أن للجميع حق الاحتفاظ بالاسم المحبب أو المحبوب لهم، وهو اختلاف يرفع من قيمة تلك القهوة ودورها، بل يثري حقيقتها.

وخاتمة القول ما كتبه الدكتور مصطفى السيد عن القهوة حينما راجع مسودة هذا الكتاب فقال: «لعل هذه القهوة - بتعداد أسائها- قد أسهمت بنشر فكر الشيخين ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله تعالى- عبر اشتراكها بالتجديد الإسلامي دعوة وتربية ورؤى بفضل الله ثم بجهود أبي سليمان أكثر مما فعَلت جامعات وجمعيات وجماعات -بارك الله في عمره وعمله-»^(١).



(١) كتب الدكتور السيد هذا التعليق حينما راجع مشكوراً هذا المبحث عن القهوة في نسخته النهائية في ٢٢/٢/١٤٣٤هـ.

6

المبحث السادس



أنموذج من الأعمال التطوعية والتعاونية



(ذكرى رحلة الحج من أجمل ذكرياتي معه، إذ إنَّه غيَّر رحلة الحج في ذهني تغييراً جذرياً لم أعهده في حياتي قبل أن أصبحه).

د. محمد سعيد القحطاني

الحج ونوافذ التطوع:

«الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(١) و«من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(٢) أحاديثٌ للمصطفى ﷺ تلامس شغاف قلب كل مؤمن ومؤمنة، بل إنها تحرك الساكن ليسرّع للحج، كما تُسكّن من يعدو مسرعاً قاصداً مشاعر الحج ليمشي على الأرض هوناً، وفئام من الناس لا يستطيعون مقاومة أثر هذه الأحاديث على نفوسهم وقلوبهم في كل موسم حج.

هذه الأحاديث وأمثالها حاديةٌ للأرواح إلى بلاد الأفراح، وفيها تجاوزٌ لكل الأتراح، ويزداد الاندفاع للحج عند بعض الفئات من المسلمين بأحاديث نبوية أخرى «خير الناس أنفعهم للناس»^(٣) وحديث «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٤) وهي دوافع إضافية أخرى حيث قيم التطوع والخيرية لمن أراد نفع الآخرين، ليُصبح الحج مشروعاً كبيراً عند رموز التطوع وأصحاب البر والإحسان.

وتتضاعف الدوافع ويزداد الشعور بالواجب حينما يكون الإنسان قادراً على منح ذاته أو ماله أو وقته للآخرين، بل إن الشعور بالواجب يُحاصر الإنسان حينما يحتاج إليه أخوه الإنسان ولا يجد ضالته إلا عنده.

صاحب هذه الترجمة مثل غيره ممن تطبّع بقيم التطوع وأصبحت جزءاً من شخصية يهدف في رحلة حجه إلى خدمة الآخرين من محتاجين للحج، وقد لا يكون في البلدة سواه في بعض السنين ممن يقدم هذه الخدمة التطوعية، حيث كان يُسخرُ نفسه ومهاراته وقدراته وكل ما في وسعه لنفع الآخرين للعون على تأدية هذه

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤١٩٠)

(٢) أخرجه البخاري (١٧٣٣)، ومسلم (٢٤٨١).

(٣) صححه الألباني الأحاديث الصحيحة رقم (٩٠٦).

(٤) انظر أبو نعيم: حلية الأولياء ج ٢ / ٢٢٣.

الشعيرة العظمى التي تتجسد فيها كل معاني الأهمية والخيرية ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧)، فالحج عنوان الأمة الواحدة والوحدة في المساواة الظاهرة بين بني البشر «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»^(١)، وفي الحج معانٍ وقيم تتضاعف قيمتها بالعمل بها وفيها بين الحجاج من كل الأجناس والألوان والأمم والشعوب وأعلاها أخوة الإسلام والإيمان ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات: ١٠)، فالحج مؤتمر عالمي قيادته من السماء حيث يباهي الله بحجاج بيته ملائكته في السماء وهو بهذا يختلف تماماً عن جميع المؤتمرات البشرية. الشيخ (أبو سليمان) بطل حملة سنوية للحج -إن صح التعبير- وأهمية مشروعه التطوعي الخيري في سبقه ونجاحه على مدى أكثر من أربعين عاماً، وتفصيل بعض ذلك في هذا المبحث حيث تتجسد رسالة التطوع وتتداخل العبادات والطاعات وما في ذلك من عطاء للنفس وللغير، وفي حملات الحج الخيرية التعاونية تكون الفرص لتربية النفس وتهذيب الروح وتفعيل التعاون في شتى مناحي التطوع الكثيرة والمتلازمة مع الحج.

حملة الحج (التعاونية الخيرية) :

حَجَّ الشيخ لأول مرة بوالده ووالدته في سن مبكر، وكان عام ١٣٦٧هـ زمن شبابه وقبل زواجه، وذلك على سيارة نقل عام عابرة قرب قرية الشنانة، حيث وقفوا في الطريق غير المعبد منتظرين أي سيارة نقل عام عابرة إلى مكة مع الطرق الرملية حتى الوصول إلى مكة المكرمة، وقد حج الشيخ لأول مرة بهذه الوسيلة واستغرق الطريق يومين لباليها، ووصلوا إلى مكة، ثم أدّوا الفريضة حاجّين

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٣٦)، و البيهقي في الشعب (٥١٣٧).

راجلين بين معظم المشاعر، ورجعوا إلى القصيم بسيارة أخرى، ثم انقطع الشيخ سنتين أو ثلاث عن الحج - كما يقول - لكنه منذ عام ١٣٧١ هـ تقريباً، وهي سنة تأسيس مسجده وقهوته لم يتخلف عن أداء الحج ولا مرة واحدة حباً لهذه الشعيرة ورغبة في خدمة الآخرين ممن يرغبون الحج وقد لا يستطيعونه، حيث كان يرتب لحججه سيارة كبيرة (شاحنة مرسيدس) في معظم سنوات الحج^(١)، ثم إنه بعد شيخوخته لم يتحمل نفسياً التأخر عن الحج رغم صعوبة الحج عليه وعلى من يخدمه، وكان آخر حجة له عام ١٤٣١ هـ، ويكون بهذا قد حج (٦٢) مرة، ولم تكن دوافع هذا الحج محبة للخير لنفسه فحسب، بل كان محباً لتلك الخيرية للغير في تقديم خدمة ليست باليسيرة في معظم أزمدة الحج المتعاقبة، والحج - كما هو معلوم - مشقة على الكثير من الناس، ولكن الشيخ وهب نفسه ووقته وجهده وما تجود به نفسه في تجهيز حملة خيرية تعاونية للحج وتقديم هذه الخدمة لكل من رغب الحج، وقد كان كثير من الناس يرغبون أداء هذه الشعيرة مع حملة المطوِّع الشيخ السلومي، ووصل عدد الحجاج معه في بعض السنوات حوالي (١١٠) حاج في سيارة لوري كبيرة واحدة (شاحنة مرسيدس)، وكان النساء في الدور الأسفل، والرجال بالدور الأعلى من السيارة، ولا يدفع هؤلاء الحجاج من النفقة سوى تكلفة إيجار السيارة حيث توزع بينهم وقد تكون مشتروات القهوة والشاي

(١) كان من أبرز السيارات المستأجرة لقافلة الحج التعاونية الخيرية الشاحنة أنترناش - كما تُسمى - وهي للمُكَنَّى أبو صويلح صالح محمد الخليفة، وسيارة فورد عبد الرحمن الزيد العامر الزيد، ثم سيارة الرِّدَّاحي من الخليفة وكان السائق لها محمد بن إبراهيم الذياب الملقب (العاقول) من خب العاقول، وأحياناً بالسائق علي بن عويض بن علاج الحربي، وذلك حوالي أربع مرات (سنوات) وكانت تسمى فوورد لوري، وسيارة سليمان بن علي الصالح الرثيع (الملقب سُلَيْم وهو ولد المكني نفسه عبيد ربه) عدة سنوات، وسيارة محمد الزيدي الملقب (الأحيمر) وسيارة الشاحنة المرسيديس وهي للمكني الديش وهو محمد السوية الخليفة، وسيارة الشاحنة المرسيديس لصاحبها سليمان الصالح الحويش الخليفة لحوالي اثنا عشر عاماً أو أكثر، وسيارة العم صالح بن سليمان السلومي وأحياناً السائق لها علي بن عويض العلاج الحربي (هذا ما تم استذكاره وتدوينه مع العم صالح السلومي).

كذلك، ويجهز المطوع السلومي معظم الأدوات أو التموينات وكل أدوات الطبخ والخيام، بالرغم من أن كل حاج -كتقليد اجتماعي تعاوني- يصطحب معه بعض التموين من (قرصان ناشفة) أو (كليجا) أو تمر، أو لحم ناشف شريح وهو ما يسمى بالقديد وغير ذلك، وكنموذج للتكلفة فقد ذكر صالح بن سليمان السلومي أن تكلفة الحاج في إحدى السنوات بلغت (١٧) ريالاً سعودياً، ومرة أخرى عشرين ريالاً تُدفع لمالك السيارة حينما تم توزيع الأجرة كاملة على حجاج الحملة، حينما كانت التكلفة الإجمالية لسيارة النقل لتلك الحملة (٢٠٠٠) ريال سعودي في ذلك الزمان.

حجاج الحملة حينما يصلون إلى مكة محرمين بالعمرة يُخيمون قبل الحج حوالي (٤) أيام في حي العدل يتلقون فيها دروساً علمية ووعظية، ويقضون خلالها عمرتهم (يفسخون العمرة) -كما كان يقول بعضهم-، ثم يتوجهون إلى المشاعر حسب سنن الحج مبتدئين بمنى في اليوم السابع أو الثامن، ثم بعد ذلك عرفات ومزدلفة حيث المشعر الحرام، ثم الإقامة في منى بسنة التأخر وليس التعجل، ليقضوا جميع شعائر الحج كما هي عند كل مسلم ومسلمة، وكانت هذه الحملة تقوم على الخدمة الذاتية من أفرادها بشكل تعاوني أخوي بين الجميع، فلا خدم ولا عمالة أو عبيد يقومون بالخدمة، وكان للشيخ أسلوب عملي في أداء شعائر الحج، حيث توفير الراحة لحجاجه من خلال بعض الوسائل التي يسلكها في أداء الشعائر ومنها مخالفة مسارات اندفاع الناس في أداء بعض شعائرهم، وخاصة الجمرات حينما كان الرمي معركة عند بعض الحجاج حيث فرد العضلات لتلافي السقوط من الزحام، ومن تلك الوسائل الالتفاف على الجمرات، واختيار الأوقات المناسبة لقضاء شعائر الحج متلافياً شدة الزحام وما شابهها، وبشكل عام فقد تميز الشيخ وحملته بأداء شعائر الحج بيسر وسهولة -كما هو معروف عنه-، وعُرف باختيار الطرق والأوقات التي تُسهّل على حجاجه

أداء شعائريهم دون عوائق أو تكلف، حتى عُرف عند الناس جميعاً أنه يعود مع حجاجه المرافقين له دون آثار من التعب أو المرض كما هو حال كثير من الحجاج لاسيما المتعجلين منهم، وكانت حملة الشيخ من آخر الواصلين رجوعاً على وجه التقريب إلى القصيم من مكة المكرمة.

لقد كان التزام الشيخ (المطوّع) كبيراً بهذه الحملة الخيرية، لاسيما مع مخاطر السفر وتحديات التجهيزات الكاملة، ومنها اصطحاب كل مؤونة الحج بما فيه تخصيص يوم في أثناء السفر للاحتطاب وتحميله على جوانب سيارة القافلة وذلك قبل الغاز وأدواته، وتحديات الحصول على موقع واسع وكاف في منى لنصب الخيام فيها، وما يرتبط بشعائر الحج من شراء للفدية، وغالباً ما يكون معظم حجاج القافلة حاجين تمتعاً بالعمرة إلى الحج، وما يصحب ذلك من إحضار الهدى وذبحه وكان غالباً يتم في نفس المخيم في أزمنة سابقة قبل تطوير مسالخ منى وغيرها، كما أن جلب الماء للخيام مشقة أخرى حيث (البازانات) العامة وهي أماكن توزيع شبكة الماء على الحجاج، وما يصحب ذلك من زحام كثير، إضافةً إلى أن من متطلبات المخيمات سابقاً حفر دورات المياه داخل المخيم لحجاج الحملة، وكانت خيام الحملة تضاء بواسطة (الإتريك وفيتلته) فهي الوسيلة المثلى قبل الكهرباء التي أتت للمخيمات الأهلية متأخرة وغالباً ما تكون الكهرباء -فيما بعد ذلك- فرعة وتعاوناً من أي مجاور للمخيم لديه كهرباء عامة أو مولّد كهربائي خاص -كما يسمى-، ولكن دوافع الخير للغير تجعل من التحديات فرصاً، ومن المحن منحةً مباركة يستمتع بها محب الخير للغير لاسيما إذا أحاطها المتطوع بسياج من التوكل المطلق على الله مع فعل للأسباب دون إصراف، فهو توكل يذلّ للمتطوع الصعاب في أزمنة عزت فيه كثير من الوسائل والأسباب، ما سبق من كلمات عن الحج وحملة أبي سليمان التعاونية هو ما يتناقله عامة الناس وخاصتهم ممن حج معه مرة واحدة أو مرات عديدة.

تجارب عملية ميدانية:

الدكتور محمد سعيد القحطاني كان ممن أدى نسك الحج مع الشيخ وكانت له ذكريات أسهب في شرحها بحكم أنه اعتبرها (تجربة فريدة) من نوعها نقلته من واقع مشقة الحج إلى الراحة فيه -على حد تعبيره-، وقد أبى إلا أن تدون تلك الذكريات لتكون درساً لمن أراد الاستفادة، وقد قال: «أما ذكرياتي معه فلن أستطيع استقصاءها، ولكنني أشير إلى بعضها وأهمها، فلقد كان كثير من الناس ولا زالوا يَحْطِطُونَ أنفسهم في تنقلات الحج مما يسبب لهم عسراً ومشقة، وأنا ممن نالته هذه الأمور حين كنت أحج مع والدي -رحمه الله- أو غيره.

فلما أراد الله بي خيراً في سنة من السنوات الماضية، حججت مع العم أبي سليمان فكانت هذه الحجة أهناً وأروع وأعجب حجة حججتها في حياتي وإليك التفصيل: كان هذا الأمر قبل أن توضع الخيام الحالية في منى حين كانت الخيام العادية حيث خرجنا مع الشيخ إلى منى يوم التروية، وبتنا ليلة عرفة، وكانت ولا زالت عادة الناس الذهاب إلى عرفة بعد الفجر مباشرة، أما الشيخ عبدالله فبعد الفجر كان كعادته مصراً على القيام بتهيئة القهوة والحليب والشاي بنفسه ثم تناول الإفطار لأفراد الحملة، وخرج الناس زرافات ووحداناً إلى عرفات ونحن باقون في منى، وحين كنت أسأله متى نمضي إلى عرفة؟ كان يقول: انتظر، ثم أوعز إلى نسائه بالقيام بطبخ وجبة الغداء ونحن لا زلنا في منى، فلما جاءت الساعة العاشرة لم يبق في منى ديار، وإذا بضباط الدفاع المدني يأتون إليه قائلين -وقد عرفوه- متى تتحرك يا أبا سليمان؟ فقال: قريباً إن شاء الله، ثم أمر بتهيئة القهوة والشاي لفترة الظهيرة، وحين انتهى الطعام وجميع مستلزمات رحلة عرفات؛ أمر بإحضار السيارات، وتحركنا من منى قرب الساعة الحادية عشرة صباحاً؛ وإذا بالمفاجأة أننا كُنَّا وحدنا نمشي في الطريق وليس معنا أي مخلوق إلا ما ندر!!، وما هي إلا دقائق حتى وصلنا عرفة، فقال: قفوا، ثم أمر بنصب الخيام في وادي عرنة، وأمر

من يقود السيارات بتوجيهها إلى جهة القبلة حتى تكون في وضع جاهز للانطلاق وقت النفرة مغرباً.

ثم صلينا الظهر والعصر قصراً وجمعاً واستمعنا لخطبة الخطيب، ثم بعد ذلك أمر -حفظه الله- بإحضار الغداء وتغدينا، ثم كان من تديره الرائع التهيئة السابقة لخيمة أخرى داخل عرفة على حدودها القبليّة، وبعد الغداء أمر بوضع الماء البارد والشاي والقهوة في تلك الخيمة ثم قال: الآن من أراد أن يشرب شيئاً فيها هي القهوة ولوازمها ولا يبقى إلا أن يتفرغ كل منا لعبادة ربه ومناجاته، وكان هذا الأمر عجباً أيما عجب، لم أرى مثل هذا الترتيب مع أي أحد حججت معه سواء كانت حملة منظمة أم أفراداً وجماعات.

وحين غربت الشمس انطلقنا إلى مزدلفة، فكنا أول الناس وصولاً إليها، وكنا نسمع أصوات مساجد مكة وهم يصلون الركعة الأخيرة من المغرب، وهذا أمر لم يحصل لي في حياتي رغم تكرار الحج -ولله الحمد والمنة ونسأله القبول-، وحين أصبحنا اتجهنا إلى منى، ومن عادة الناس الإسراع لرمي الجمرة والحلق أو التقصير ليتخلصوا من لباس الإحرام، أما أبو سليمان فكان أمره عجباً، حيث اتجه بنا إلى الخيام بمنى، ومكثنا بها إلى قرب الغروب؛ ثم ذهبنا نرمي، فكان أسهل رمي على الإطلاق.

وأما اليوم الحادي عشر فله عنده توقيت عجيب حيث قال: إذا أذن مؤذن العصر فلتكن على أول جسر الجمرات، فإن أمامك ربع ساعة هي أفضل وقت للرمي بدون زحام؛ وكان الأمر كما ذكر تماماً.

وأعجب من ذلك طواف الإفاضة، فإنه يختار له صباح يوم الثاني عشر قبيل شروق الشمس، وبعد خروج الناس من صلاة الفجر من الحرم المكي وانتهاء الزحام وكان الشيخ يسمي هذا اليوم يوم (القر) أي يوم قرار الناس وعدم حركتهم، وحين طفنا كنت في غاية الذهول حيث ليس في المطاف إلا قليل من الحجاج الذين يطوفون وكذلك رَبْعُهُ (جماعته) وبقية صحن الحرم ليس به أحد!!!، ولهذا

غيرت مساري في الحج ومسار من يحج معي من تلك السنة إلى حج هذا العام ١٤٣١هـ، واتخذت السير على برنامج (أبي سليمان) للعمل به في جميع تنقلاتي في الحج فيما بعد ذلك» انتهى.

يقول الشيخ صالح الهوشان^(١): «الحج مشقة، وحججت مع سائقي وأولادي وأقاربي معظم سنوات عمري، ولكنني أقضي أكثر من عشر ساعات بالسيارة بين عرفة ومزدلفة ومثلها وأكثر بين مزدلفة ومنى، وما يصحب ذلك من أنواع المشقة، ولما حَجَجْتُ مع أبي سليمان السلومي اكتشفت أن الحج (سهالة) ويسر، فما استطعت بعد ذلك أن أحج مع أحد غير أبي سليمان، ولزمت الحج معه في سنوات عمري الأخيرة».

وقد ذكر أبو خليفة محمد السويه الخليفة وكان أحد سائقي سيارات حملة الحج التعاونية لمدة أربع سنوات قائلاً: «إن (المطوَّع) كان قوياً بالإقناع، وإقناعه للآخرين بالدين وليس بأمور الدنيا فقط، ولا أحد يستطيع معارضته من حيث قوته وإقناعه، وكان له مواقف قوية لا تُنسى في الحصول على مكان في أراضٍ منى بالمشاعر المقدسة في كل حَجَّة يحجُّها، بل كان غالباً يحصل على أكثر مما يريد بسبب حسن تديره ونيتته الصالحة»^(٢).

يقول محمد الحزاي عن الشيخ السلومي: «كان رجلاً قيادياً يتولى أمر الحجاج ويدير شؤونهم المالية والغذائية ويتولى تعليمهم أمور دينهم في آن واحد، فيشرف على أكثر من مائة حاج، ويعمل على خدمتهم ويقوم بالطبخ لهم».

(١) هو صالح بن هوشان (حمد) بن محمد المفيز من مواليد (١٣٥٩هـ)، وكان موظف حكومي في الضمان الاجتماعي في مكة ثم الرياض، ثم انتقل إلى جامعة الملك سعود، وبعدها أصبح رجل أعمال في المدينة المنورة، وأولاد هوشان حسب الترتيب هم: الدكتور محمد، وصالح، وأحمد، وعامر. والأخير (توفي عام ١٤٢٧هـ).

(٢) وكان هذا الأخ المحب الذي كبر سنة قد زار الشيخ في قهوته عصر يوم الجمعة الموافق ٣٠ / ٥ / ١٤٣١هـ، وسأله المؤلف بحضور مجموعة من رواد القهوة أمام الحضور عن شيء من ذكرياته عن الحج مع هذه الحملة فقال ما سبق تدوينه.

يقول الشيخ محمد الزبيدي عن شيخه: «ومن غرائب أحوال شيخني في الحج أننا نذهب معه إلى الحج ويرجع بحملته من الحج إلى (الشنانة) وهم في كامل عافيتهم وصحتهم لم يتأثروا بحر ولا برد، ولا مرض ولا زكام ولا غيره، وأكثر الناس يرجعون محملين ببعض الأمراض وخاصة الأنفلونزا مع التعب الشديد بعد الحج، لكن شيخني كأنه لم يذهب إلى الحج لما يتمتع به من صحة بعد رجوعه، والسبب هو طريقته في السفر والإقامة، إضافة إلى النوم المبكر حسب سنة المصطفى ﷺ، وكذلك الأكل الصحي في السفر والإقامة».

لم تقتصر مسؤوليات الحملة على ما سبق فقد كان الشيخ يصطحب معه من الكتب العلمية ما يتمتع ويفيد أصحابه الحجاج في كل منزل ينزلونه في الطريق أو في مكة والمشاعر من خلال الدروس اليومية المستمرة، ويستضيف في خيمته بعض العلماء والمشايخ للوعظ والإرشاد داخل الخيمة الخاصة به وبحجابه، كما يستضيف بعض الأفراد أو المشايخ القادمين للحج من الرياض أو غيرها ممن اعتاد كثير منهم الحج معه، ولذلك حج بحجه خلق كثير من طلبة العلم والمشايخ لا يمكن حصرهم منهم الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن قاسم - رحمه الله - جامع ومرتب فتاوى ابن تيمية مع والده، وكان حَجُّه في عدد من السنوات مع الشيخ السلومي، ومن حج كذلك معه عدة سنوات الشيخ علي بن حمد الصالحي - رحمه الله -، والشيخ عبدالله بن حمد الجلالي وغيرهم كثير، وقد حجَّ بحج الشيخ عبر سنين طويلة مع هذه الحملة الخيرية أو التعاونية معظم - إن لم يكن كل - الأقارب والأرحام وأولادهم وبناتهم وأصهارهم، وكانت الحملة لكثير منهم فرصة لأداء هذا الركن من أركان الإسلام، بل إن كل محب وراغب للحج ممن يعرف المطوِّع السلومي أو لا يعرفه سواء من السعوديين أو غيرهم، وكان لا يستطيع الحج بمفرده، يحصل على مراده ويجد بغيته في هذه الحملة - بحمد الله -، وكانت هذه الحملة موضع ثناء ودعاء من القريب والبعيد شعوراً من الجميع بالغبطة والسرور في أداء الحج، حيث يحمل

الكثير من الناس هموم الحج ومتاعبه، والغبطة عند أولئك تزداد أن الحج مع حملة المطوّع السلومي الخيرية التعاونية فرصة أخرى للتزود بالعلم والمعرفة، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

وكان ممن لازمه المشاركة في حملة الحج لاسيما في السنوات المتأخرة الشيخ عبدالله الجلالي بعد أن لحقته كثيرٌ من صعوبات ومشقة الحج التي كانت تلاقيه في حجاته السابقة، فقد اكتشف مؤخراً السهولة في أداء المناسك، وانسيابية التحركات في المشاعر المقدسة مع حملة أبي سليمان فقال الشيخ الجلالي عن صاحب الحملة وصفاته فيها: «أهم رحلاتنا معه (الحج) فمنذ ثلاثين عاماً لم يفارق أحداً الآخر في الحج، وكانت حقيقة فضيلته مثلاً يُحتذى في خدمة أصحابه كرمًا وخدمة، حتى إنه -بارك الله في حياته وغفر الله له في مماته- يخدم الجميع في تجهيز القهوة والطعام، وجميع المرافقين والزوار يقدم لهم كل شيء جاهزاً بكل طلاقة وجد وسرور، وكأنك تعطيه الذي أنت سائله لا يمل ولا يتعب، ثم هو يباشر أعمال الحج بدون معاون حينما كان يستطيع المشي فيذهب راجلاً لرمي الجمرات والطواف والسعي بدون معاون ومساعد، بل إنه يساعد الناس في معظم شؤونهم التي يحتاجون إليها في الحج.

كما أنه في الحج يتحرى تطبيق السنن كلها ويلوم ويعاتب من يتساهل في شيء من ذلك، مثل التساهل بالسنن في تحري الوقت في كل الأفعال والشعائر آخذاً بقول المصطفى (خذوا عني مناسككم)^(١) ولا يقبل سوى ذلك.

أما في السفر فنعم المؤنس طيلة الطريق في تلاوته لكتاب الله سبحانه، فهو من خيار الحفاظ لكتاب الله سبحانه وتحري العمل به، وعدم قبوله لأنصاف الحلول في العبادات، والمجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة مع عدم التراجع والتساهل بها

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (رقم ١٢١٨)، طبعة بيت الأفكار الدولية للنشر، عام ١٤١٩هـ، ص ٤٨٣.

يمسُّ الدين وأكثر مجالسِه في السفر والحضر عِلْمٌ وبحثٌ وتأصيلٌ وخاصة في الحج».

كتب الباحث الأستاذ محمد الناصر^(١) - رحمه الله - عن (حملة الحج التعاونية لأبي سليمان) فقال: «حملة (أبو سليمان) الخيرية التعاونية في الحج إلى بيت الله الحرام كانت حملة خير وعبادة، تنطلق سنوياً من القصيم متجهة إلى بيت الله الحرام، وقد التحقتُ فيها بمنى بعض السنوات حاجاً مع أبي سليمان وها هي تحل رحاب البيت العتيق منذ ما يزيد على أربعين عاماً... يحج مع الشيخ المئات وبنفقة زهيدة، فيها الرجال والنساء، وفيها الشيوخ والمسنات من النساء، حيث تقف القافلة في طريقها بالتهليل والتلبية والتكبير، ويحرص الشيخ (أبو سليمان) - حفظه الله - على تأدية المناسك حسب الكتاب والسنة، في وقت يحاول الكثير التهاون في إكمال الشعائر وتجاوز تحقيق السنة باسم التيسير ودفع الحرج. كانت قافلة نورٍ تُشعُّ على ما حولها في جلسات العلم والإيمان والأخوة والتعاون، وما تزال.

(١) محمد الناصر من سوريا الشقيقة وتوفي رحمه الله في مكة المكرمة ٩ / ٥ / ١٤٣٤ هـ، هو أستاذ تربوي سابق في إدارة التربية والتعليم، وصاحب مؤلفات متميزة منها: (المرأة بين الجاهلية والإسلام، الحياة الدينية عند العرب، تربية الأطفال في رحاب الإسلام، الحياة السياسية عند العرب، أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، تأملات في رحاب البيت العتيق، بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب على الرابط:

<http://albayan.co.uk/text.aspx?id=2814>

وبدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية على هذا الرابط:

<http://saaid.net/book/open.php?cat=89&book=1599>

مجازر سورية والجذور الباطنية على هذا الرابط:

<http://www.islamselect.net/mat/91595>

أثر العقيدة في توجيه السلوك والأخلاق على هذا الرابط:

<http://www.islamselect.net/mat/27844>

حياة المراهق وأخطاء الوالدين في التربية على هذا الرابط:

<http://www.islamselect.net/mat/4425>

كان أبناء الشيخ حفظهم الله يهيئون المخيم، ويُعدُّون الخيام لإراحة حجاج بيت الله الحرام، وإضافة إلى هذا الحجاج الطيب، كان الشيخ يحمل معه الأموال من أجل حج البدل، يوزعها أبناءه على طلبة العلم وذوي الحاجات ليؤدوا مناسك حج البدل، فيتنفع العديد من أصحاب العوائل وطلاب العلم، وبشرط حج التمتع، حفظ الله الشيخ وأبناءه وأجزل لهم الثواب الجزيل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً».

دروس مستفادة:

إذا كان ما سبق من أقوال يكشف عن كثير من الدروس فإن أحد المشاركين في حملة الحج عبّر في كلمة له مكتوبة وقد أوجز أبرز الدروس والعبر، وتأتي أهمية ما كتبه أنه كان من أبرز المرافقين لهذه الحملة المشاركين عملياً معها في صِغَرِه، وبعد كِبَرِه، وهو من أبناء الشيخ، وهو ناصر بن عبدالله السلومي حيث قال: «ولكي يُستفاد من التجربة الثرية في الحج فقد شعرت أن الحج مع الوالد وحملته مدرسة كبرى تريت فيها على معاني كبيرة منها الاعتماد على النفس، واكتسبت فيها بناء الشخصية التي تحب فعل الخير للآخرين والفوائد والدروس لأفراد الحملة لا تُعدُّ ولا تحصى، كما أنها كذلك لكل إنسان، وقد حججت مع والدي قبل البلوغ خادماً لتلك الحملة بنسائها ورجالها، ثم بعد ذلك تشرفت بالحج سنوات كثيرة مع حملة والدي وشاهدت وعشتُ بنفسني التجربة فأقول: إن من عوامل نجاح حملة الوالد التعاونية الخيرية قدرته على إدارة عشرات الحجاج مع فروقاتهم الفردية بسهولة ويسر، كما كانت إدارة معظم شؤون حَجِّهم ورعايتهم في السفر والترحال دون كُلفة أو مشقة، بل إن قائد هذه الحملة والذي كان يردد دائماً القول: «كانت قيادة وإدارة مائة (١٠٠) من الحجاج أسهل من إدارة اثنين في عصورنا المتأخرة لفشو الأناية وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وهو من علامات

الساعة»، وهذا النجاح ما جعلني أقول: إن ذلك توفيق ساقه الله إلى شيخ الحملة في إدارته لحملة الخيرية.

وأقول معلقاً على ما سبق: لاشك أن ذلك ناتج عن إخلاصه وصدقه مع ربه في خدمة دينه ومجتمعه وناتج عن حبه ومساعدة كل من رغب الحج مع حملته، فتكاليف الحج مقتصرة على إيجار السيارة فقط والتي يدفعها الحجاج بعد نهاية رحلة الحج حينما يُقسَّم المبلغ على عدد الحجاج، وهذا ما جعلها حملة خيرية تعاونية، وقد ينضمُّ للحملة في المشاعر أحياناً ما يساوي أو ينقص قليلاً عن عدد حملته التي قدم بها من القصيم، فخيامة مُشرعة الأبواب فلا يُردُّ أحداً، وقد تعارف الناس على أن الانضمام لمخيم أبي سليمان لا يتطلب الاستئذان أصلاً، ويظهر أن ذلك من عوامل النجاح والتوفيق لتلك الحملة، فدعوات الحجاج المحتاجين حري بها ولها القبول عند الله، وهذا المعنى المعنوي مما ربَّانا عليه شيخنا وهو: أن لكل شيء أسرار ربانية، وليست النجاحات في هذا الموضوع أو غيره ناتجة عن الأسباب والجهود البشرية والإمكانات المالية فحسب.

ثم يستطرد ابنه ناصر في ذكر الدروس والعبر قائلاً: «ومن الدروس التي تدخل في مسببات النجاح: السير على مهل في السفر حتى كان التوقف للراحة والغذاء أو العشاء يوحى بعدم السفر، إضافة إلى تطبيق النوم المبكر سواء في السفر أو في المشاعر المقدسة.

ومن الدروس في ميدان الحركة في المشاعر: أداء الشعائر في أوقات مختلفة عن أوقات حركة عامة الحجاج بين المشاعر، وعدم الاندفاع مع تحركات عامة الحجاج أوقات استعجالهم، وسرعة نفرتهم من كل مشعر كما كان يقول والدي.

ومن الدروس: تأجيل الإقامة في منى مهما كانت الظروف، فقد حدث مرة أن اجتاحت منى والمشاعر سيول جارفة قوية وخرج كل الناس تقريباً، والتزم الوالد عدم التعجل قائلاً: «التأجيل وليس التعجيل سنة المصطفى ﷺ»، وانظروا للناس

تعجّلوا لكنهم تعطلّوا في الطرقات، فلا يستخفّ بكم طيش الناس وعجلتهم التي اكتسبوها من الصناعة والآلة الحديثة».

ومن الدروس: إشغال حجاج الحملة بالقراءة والمناقشة في المسائل العلمية، لأن من عوامل كمال الحج عدم وجود الرفث والفسوق والجدال في الحج، ووجود ذلك ناتج في معظمه من الفراغ.

ومن الدروس: أن الوالد كأمير للحملة ولديه رصيد من الخبرة كافية لاتخاذ قرارات الحملة دون الرجوع للآخرين، وحدث ذات مرة أن احتجّ عليه صديق عمره وحييه الوفي قائد سيارة الحملة المرسيدس سليمان الصالح (الحويس) الخليفة (شفاه الله) بسبب أن أمير الحملة لا يستشير -كما قال-، فجرّب الوالد الشورى أمامه فيها هو معلوم ومرجّح لديه ومصّلحته ظاهرة، فاختلف الناس فيما بينهم، وعَلّت الأصوات حتى تدخل قائد سيارة الحملة متنازلاً عن رأيه السابق قائلاً: (انتهينا الحمد لله، الذي يراه أبو سليمان هو الخير والبركة)».

وأقول معلقاً على ما سبق: لاشك أن الاستشارة مهمة وضرورية، ولكن مع من يمتلك خبرة أو دراية بأمور الحج، فالقرار الحازم من عوامل النجاح، ويبقى أن الناس أعداء ما جهلوا.

ويضيف ابنه ناصر المرافق للحملة لسنوات عديدة قائلاً: «ومن نجاح التنظيم وهو درس من الدروس تقسيم حملة الحجاج إلى مجموعتين تسمى كل واحدة (العزبة) واحدة من مسؤولية والدي، والأخرى في معظم السنوات من مسؤولية صديق عمره علي بن راشد الخشان الغفيلي -رحمه الله-، وكان على النساء أميرة كما كان يسميها سائق الحملة السابق ذكره، وغالباً فقد كانت أخت الوالد، وهي العمة (نورة السلومية) -عليها رحمة الله.

ومن الدروس المستفادة في جوانب الصحة والوقاية والعلاج: أن حملة الوالد كانت تزود بكميات كبيرة من الليمون والبصل، والاترج أحياناً كبرنامج وقائي، وهذه

من المكونات الرئيسية لكل مائدة في السفر والإقامة في المشاعر، إضافة إلى شاي الليمون والدارسين (القرفة)، والمره، والزنجبيل، ومؤخراً البرتقال والتفاح، ومن وسائله العلاجية - كما سبق - إيقاد النار والاصطلاء عليها صيفاً وشتاءً في السفر والإقامة، وكان الوالد يقول لحجاج الحملة عن الاصطلاء على النار: (لا يفوتكم الاصطلاء عليها فهي دواء - يعني علاج أو وقاية -، ويقول لهم مماًزحاً: هذه مضاد حيوي).

وكان الحصول على مكان للخيام في منى شاقٌ وعسير يتوآصى فيه الجميع على الدعاء والتضرع لله آخر الليل حينما كان حجاج الحملة يسكنون قبل الحج بالأبطح (العدل)، وذلك قبل يوم التروية للحصول على مكان مناسب، وذلك قبل وجود الخيام الجاهزة، ثم بالإصرار والعزيمة وقوة الرأي الحكيم بعد توفيق الله غالباً يتحقق لتلك الحملة المكان المناسب، وقد حدثت طرائف كثيرة عند الحصول على موقع للخيام ليس هذا مقام الحديث عنها.

وكان التنظيم لأمر الحج وأداء نسكهم قائماً على الخبرة والدراية بأوقات الزحام، فقد كانت خطة الوالد تقوم على تلك المعرفة والخبرة، مثل تحديد أوقات الرمي التي تختلف من يوم لآخر، ومثل طواف القدوم الذي كان آخر الليل، كما أن طواف الإفاضة كان له وقت مفضل هو اليوم الثاني عشر بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وهكذا، وبعد الحج تسير القافلة إلى المدينة حيث تكون زيارة الحرم النبوي والصلاة فيه وشراء الهدايا بالجملة أكياس من (الحلوى والحُمص)، وكانت تُقسم تلك الهدايا بين الحجاج المساهمين في شرائها وذلك قبل الوصول للقصيم في جبل سماء رواد الحملة المتكرر حجهم مع الحملة (جبل الحُمص)، وعادةً ما يكون هذا الجبل المحطة الأخيرة، وفي لحظة الوداع في هذا المكان تظهر الأحران على وجوه الجميع بسبب فراق الأحبة حيث كان التألف والإخاء والاندماج خلال الرحلة التربوية التي عادةً تستغرق أكثر من أسبوعين، ولاشك أن تلك المشاعر ناتجة

عن إخلاص الجميع وتفانيهم في خدمة بعضهم لبعض على اختلاف مستوياتهم العمرية، والوقوفات كثيرة في حملة الحج في أزمان غابرة وتستحق كتابة وقراءة أكثر، لاسيما عن القيادة والنجاحات المتكررة لتلك الحملة التعاونية الخيرية ذات العدد الكبير وما فيها من استيعاب للآراء الفردية المتعددة، لقد عشت وعاشت هذه الحملة ورأيت بنفسي أن العطاء من النفس والوقت والجهد للآخرين وخدمتهم، بل والتلذذ والاستمتاع بذلك عند والدي أمر ملاحظ ومشهود، بل عند كل من صحبوه، وأيقنت أنه كان مدركاً أن العطاء للغير هو عطاء للنفس، ولذلك كان الاستمتاع وهذا من أبلغ الدروس المستفادة.

ولعل ما سبق من أهم وأبرز الدروس عن حملة الحج الخيرية، -وليس هذا استقصاء- لأن إيراد هذا الموضوع، بل وكل موضوعات الكتاب يُراد منه أخذ الدروس والعبر، فتكرار بعض التجارب الناجحة ونشرها للأجيال مهم، والتعريف بنماذج من أعمال القدوات في كل المجالات فيه اختصار للجهود والأوقات».

كانت الحملة تنطلق من (قهوة ابن قيم الشنانة) تنظيمًا وإعدادًا وترتيبًا في تدوين قوائم أسماء الحجاج، وتجهيز جميع مستلزمات الحملة مثل خمسين القهوة على نار القهوة، وطحنها داخل القهوة، وتجهيز المؤن الأخرى مما يحتاجه المسافرون أو الحجاج بسفرهم، وتلك التجهيزات تتم قبل الحج بحوالي شهر، وقد كانت زوجته (أم سليمان) رحمها الله وأولاده خير معين ومساعد على تلك التجهيزات الكبيرة، وكان جميع أفراد الأسرة يتعاونون على تلك التجهيزات، وكان الكل يستمتع بذلك، ويُقدَّر أن عدد مرات حملة الحج التعاونية الخيرية بلغت حوالي ٤٠ مرة (حجة) أو خمسة وأربعين (٤٥)، وقد قلَّ حجم الحملة ونقص عدد أفرادها بحكم المتغيرات في وسائل الحج والمواصلات في السنوات المتأخرة، وكان يُشرك أولاده الكبار - فيما بعد ذلك - الذين استقروا بمكة بتحمل بعض

مسؤوليات الحج السنوي، خاصة في مجال توفير بعض الخدمات والحصول على المواقع المناسبة في منى وعرفات، ليتحقق من ذلك تربية أولاده على الخير وتقديمه للآخرين، فجزاه الله خيراً على كل ذلك، وتقبل الله من أولاده صالح عملهم.

التربية والاختبار في الحج:

حقاً إن الحج مشروع تطوعي دعوي تربوي اجتماعي خيري تدريبي وتأهيلي يختبر فيه الإنسان نفسه أو غيره عن قدراته ومهاراته ومدى تحمله وصبره ومصابرته وإيثاره وتضحيته بنفسه وماله ووقته للآخرين.

فالسفر موطن اختبار للنفس، وعالمية الحج امتحان لمدى الشعور بالأخوة والعمل بها بين أوساط الحجاج وفي عرصات زحامه، واحتياج الناس بعضهم لبعض اختبار آخر، والصبر على المشقة والزحام اختبار من نوع آخر، والصبر أحياناً عن الطعام والشراب يحتاج إلى صبر ومقاومة للنفس، وإيثار الآخرين اختبار للكرم وتجاوز لشح النفس، وتطبيق سنن الحج وواجباته كما حج المصطفى ﷺ يُعَدُّ اختباراً مهماً لتطويع الحاج لنفسه وفق حجة المصطفى ﷺ.

والخلاصة أن كل شعيرة من شعائر الحج، بل كل حركة من حركاته وسكناته عبادةً وطاعة، واختباراً وابتلاءً وأجرٌ وعطاء من الرحمن، ويتضاعف الاختبار والأجر بالحج ووعثائه قبل وجود المخيمات الجاهزة وما يصحبها عادةً من بعض أنماط الحياة الاستهلاكية والرفاهية لبعض الحجاج، والحج - بما سبق - من جميع فئات الحجاج غنيهم وفقيرهم وصغيرهم وكبيرهم - كلٌ بحسبه - مشروعٌ بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.



7

المبحث السابع

جوانب من رسالته الخيرية

قال ﷺ: «ابغوني ضُعفاءَكم فإنما ترزقون وتنصرون بضُعفائِكم»

رواه أبو داود (٢٥٩٤)، والترمذي (١٧٠٢) وصححه الألباني.

الشيخ والمسجد:

الداعية للخير لا حدود لرسالته ولا قيود على وسائله الدعوية فكل وسيلة لا تتعارض مع الشريعة فهي مشروعة أو مباحة، والعمل التطوعي مفتوح ورحب وواسع لا حدود لحجمه كما أنه لا جغرافيا تحاصره، ولا يمكن لسياسة تنظيمية أن توقفه فله طبيعة خاصة في الدوافع والإرادة، لقد كان الشيخ من جملة الذين يشعرون بأهمية رسالة المسجد، فإضافةً إلى قهوته وحملة الحج الخيرية التعاونية كمشاريع خيرية دعوية فإن المسجد كان له نصيب وافر من اهتمامه ابتداءً من اختيار موقع بنائه في القرية الجديدة (الجديدة) ومروراً ببنائه بيديه كأستاذ بناء -كما يقولون- مع معظم جماعة المسجد، حيث تعاون الجميع في بنائه من الطين، ووضعوا سقفه من خشب الأثل وسعف النخيل من مزارع القرية، وفرشوا أرضه بتراب البطحاء النظيفة حيث جلبوها من شعاب (وديان) الشنانة، وقد اعتنى مؤسس المسجد ومطوعه الشيخ عبدالله فكان (السراج والفتيلة) وسيلة إضاءته في السنوات الأولى، ثم لحقه التطور فأصبحت الإضاءة (بالفانوس وفتيلته) وكلها من تقنيات ذلك العصر التي تقوم على وقود القاز والفتيل أو الفتيلة، وكان الشيخ يتعهد المسجد بالإضاءة القوية بما يسمى (الأتريك) في مواسم رمضان، وكذلك عند قدوم بعض المشايخ للمسجد من خارج القرية لإلقاء محاضرة أو دروس أو ما شابهها، كما حفر جماعة المسجد مع إمامهم بئراً لتزويده بماء الوضوء (حسو) قرب المسجد.

بعد سفر والد الشيخ عبدالله خارج منطقة القصيم وتحديدًا إلى بلدة (مهد الذهب) شقَّ الشيخ بنفسه طريقه الاحتسابي والدعوي، وبدأ ذلك بإنشاء القرية والمسجد -كما سبق- وكان ذلك عام ١٣٧١هـ وعمره حوالي (٢٧) سنة، ليصبح إمامًا له منذ بنائه حوالي عام ١٣٧٣هـ وذلك قبل أن توجد الإدارات المعنية بالمساجد والأوقاف في الرس على الأقل، وكان المطوِّع يتعاهد

هذا المسجد طوال فترة إمامته التي بلغت حوالي (٦٠) عاماً بالصيانة والنظافة والخدمة وتأمين مياه الشرب العذبة المبرّدة بـ (الزير) معظم سنين عمره، وكان عمر المسجد الطيني حوالي (٤٠) عاماً، ثم اعتنى الشيخ بالمسجد بعد إعادة بنائه بتبرع أحد المحسنين - رحمه الله - وذلك بعد توفر وسائل العمران الحديثة ووصول خدمة الكهرباء، فكان استمرار الإشراف والمتابعة من قِبَل مطوع المسجد بخدماته وخدمته التي هي جزء من شخصيته وحياته اليومية واهتماماته الشخصية.

والشيخ عبدالله كان المنظم والداعي لبعض المشايخ وطلبة العلم لإلقاء الدروس والمواظب في المسجد، وكان ما يهيمه طيلة عمره تقديم الخدمة النافعة للمجتمع، فالوظيفة الرسمية جاءت لإمام المسجد متأخرة، ولم تكن بناءً على طلبه، فهو يرى أن العمل في المسجد وللمسجد رسالة قبل أن يكون وظيفة، وبذلك الرسالة نفع الله بهذا المسجد نفعاً عظيماً لا يعرفه حق المعرفة إلا من عاشه أو استعرض تاريخه من مرتاديه وجماعته عبر عمره الطويل، إن من منجزات أو غرائب العصر الحديث أن معظم دول العالم تقيم يوماً عالمياً للتطوع إيماناً منها بقيمته، وماذا لو عرفت عن كثير من أبناء هذا الوطن الغالي (دولة الحرمين - السعودية) ودورهم الرائد في التعاون والتطوع! خاصة قبل ترسيم معظم الأعمال التطوعية والاحتسابية التي كانت السمة الطبيعية للمجتمع.

وكان المسجد بالنسبة لمعظم أئمة المساجد (المطوعين) رسالة، ومنهم صاحب هذه الترجمة فلم يكن هذا التطوع وظيفة - كما سبق -، وليس أدلّ على ذلك من كونه الخادم للمسجد بكل معاني الخدمة، وهو بنفس الوقت القائم بالأذان معظم سنوات عمر المسجد بالرغم من وجود المؤذن، وكثيراً ما يردد القول أن دور المؤذن للمسجد أهم من دور الإمام، لأنه المسؤول عن دخول الوقت الذي كان يُعرف في السابق في متابعة ما يسمى (الشخص) حيث يرصد المؤذن ظل الشمس

على هذا الشاخص من الحجر المثبت في فناء المسجد، وهو يختلف من موسم لآخر طوال السنة، ولكون المسجد رسالة فقد كان مكاناً لتحفيظ القرآن وتلاوته لأولاده وأولاد إخوانه وكل أولاد القرية خاصة بعد صلاة الفجر والعصر، والإشراف والمتابعة على مراجعتهم للقرآن بعد صلاة العصر طوال أيام الأسبوع، وهذا التعليم والتحفيظ كان خاصاً بجيل أولاده، وأسميت هذا الجيل (الجيل الثاني) في نهاية هذا المبحث وهم الذين يدرسون بالمدرسة الحكومية ويتعلمون القرآن تلاوة وحفظاً في المسجد، وقد تفوقوا على أقرانهم بالقرآن سواء بالتلاوة أو الحفظ، ولا يزالون يذكرون هذا المعروف^(١).

وكان الوقت بعد صلاة المغرب مُخصّصاً لأصحاب وتلاميذ الشيخ من كبار السن يحفظهم القرآن، أو يعلمّ الأُميين منهم التلاوة حينما كانوا يتوافدون عليه من داخل القرية وخارجها، وقد يسمى هؤلاء التلاميذ من أقرانه في السن جيل الأقران (الجيل الأول)^(٢)، وقد انتقل بهؤلاء من أمية القراءة إلى قراءة القرآن وتلاوته وحفظه.

محمد بن شلال الشيباني قال عن تعلّمه للقرآن على يديه: «كان شيخنا السلومي عنده سعة خاطر تقرأ عليه وأنت مطمئن، وتعليمه لنا كان على أصول، وذكر لنا -المطوّع- أنه ثبت حفظه للقرآن بسبب تعليمه لنا».

كتب الشيخ سليمان المهوس عن هذا فقال: «منذ أكثر من خمسين سنة كنت أحضر لمسجده رحمه الله، وكان يُدرّس فيه القرآن الكريم ولا أعلم وجود حلقات في غير مسجده في ذلك الوقت، وكان فيه حِدة مقبولة».

وكان يقرأ الحديث بعد صلاة العصر بشكل موجز صفحة أو صفحتين من كتاب (رياض الصالحين) أو من كتاب (التبصرة) لابن الجوزي وغيرها من كتب

(١) أنظر: نهاية الفصل السابع: تلاميذه (الجيل الثاني).

(٢) أنظر: نهاية الفصل السابع عن تلاميذه جيل الأقران (الجيل الأول).

المواعظ (الترغيب والترهيب) وكتاب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) لابن القيم، وكتاب (الكبائر) لابن الجوزي وفيه أورد (٧٠) كبيرة، وكتاب (إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان) (مجلدين) لابن القيم، وقد أكمل هذه الكتب على جماعة مسجده عدة مرات، وحديث المسجد جزء لا يتجزأ من واجبات المسجد عنده طوال أيام السنة، كما كان يقرأ قبل صلاة العشاء في أحد الكتب السابقة على الفانوس ثم الإتريك ومؤخراً على إضاءة الكهرباء، وقال عن نفسه كنت مقصراً بحق جماعة المسجد فلم أقرأ عليهم من كتب السيرة النبوية.

لقد استمتع جماعة المسجد بإمامة الشيخ السلومي وبأحاديثه الوعظية وترانيم صوته حتى أصبح الجو الروحاني العالي في مسجده مقصداً لبعض الناس خاصة في رمضان من خارج القرية لينعموا بهذا الجو في صلاة التراويح والتهجد، وما يصحبها عادة من مواعظ وأحاديث في الرقائق، وكان في المسجد مكان لبعض المعتكفين من خارج القرية من القرى المجاورة، وإضافة إلى ذلك فإن الجو الروحاني بين جماعة المسجد وما فيه من الصحبة والأنس فيما بينهم يصعب وصفه إلا لمن ذاق طعمه أو عايش مثله، كما عاش جماعة المسجد بإمامهم دوريات قهوة متعددة فيما بين مجالسهم (قهاويهم) خاصة بعد صلاة التراويح، وفيما بين صلاتي التهجد الأولى والثانية ولا سيما في ليالي الشتاء، وكانت لا تخلو تلك الجلسات من درس علمي في أحد كتب الرقائق والمواعظ بصوت وعظي روحاني يلزمه الترنم من قبل مطوع المسجد (السلومي) وذلك في سنوات سلفت وسط أجيال رحلت إلى ما عند الله -رحم الله الجميع-.

نماذج من أعماله الخيرية:

من الصعب جداً حصر الأعمال الخيرية لأي إنسان شخصيته خيرية وأعماله كلها خيرية، أبو سليمان من هذا الصنف من الناس فهو شخصية خيرية، وهو مع ذلك لم

ينشد الدنيا أو حطامها، ولم يُعرف عنه أنه حمل همَّ جمع المال للتكاثر على الإطلاق، فكل اهتمامه في هذه الدنيا التفكير والعمل في قضايا المجتمع والأمة وإذا صاحب ذلك الزهد في الدنيا والغيرة على الدين فتلك قوة دافعة ومؤثرة في آن واحد.

إن شخصية الشيخ المطوّع عبد الله السلومي وأمثاله كثير بحمد الله في مجتمعاتنا السعودية الخيرية المحافظة، بل إن الخيرية هي الصفة الملازمة لهذا المجتمع الخيري، وقد تم إفراد مبحث خاص (المبحث الخامس) عن نشاطه الخيري من خلال دور قهوته في مجتمعه، إضافةً إلى إفراد مبحث آخر (المبحث السادس) وهو خاص بحملة الحج الخيرية التعاونية التي دامت حوالي (٤٠) عاماً، وكذلك قيامه في رسالة المسجد - كما سبق - وإضافة إلى هذه الأعمال فإن من أهم وأبرز الأعمال الخيرية التي اشتهر بها الشيخ:

الاهتمام في (بناء المساجد)، ومن أبرزها مسجده الذي بناه بالطين في قريته - كما سبق -، مع بنائه لمساجد طينية كثيرة في القرى المجاورة مشاركة بنفسه ويده، إضافةً إلى تبنيه التبرع والدعم لكثير من المساجد في الداخل والخارج مع بعض المحسنين، والاهتمام بتوفير بعض الخدمات لمساجد القرى المجاورة من إنارة أو مكيفات وغير ذلك مما تحتاج إليه خاصة مساجد البادية المجاورة.

يقول محمد المجاهد الخليفة عن هذا الأمر: «وكان حفظه الله قد نال شرف حفظ كتاب الله وشرف تعلمه وتعليمه عملاً بقوله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)^(١) وقد أكرمني الله تعالى بحفظ كامل كتاب الله الكريم على يديه، علماً أن لديه حلقات لتحفيظ كتاب الله للشباب من بعد صلاة الظهر وقليلًا بعد صلاة العصر أما كبار السن فبعد صلاة المغرب ويواصلون بعد العشاء، فكان حفظه الله لا يتوانى ولا يقصر بتعليم الجميع».

(١) البخاري في «فضائل القرآن» ٩ / ٧٤.

وكان له دور مشهود في قبول (الزكوات والصدقات) من بعض المحسنين، وطلبها من بعض التجار أحياناً لتوزيعها على المحتاجين والفقراء، وربما تكون له الرحلات للحصول على المعونات، أو توزيعها كما قال الشيخ عبدالله الجلاي: «كان أكثرها -أي الرحلات- في زيارة الأحباب والصالحين خصوصاً ذوي الحاجات والفقراء يزورهم ويرفدهم ويواسيهم، وكان يحرص على جمع التمر بنفسه ويوزعها على أصحاب البوادي، ولربما يرسل إلى مكة خصوصاً في المواسم مثل رمضان لتفطير الصائمين خصوصاً في المسجد الحرام».

وكان الشيخ حريصاً على الحصول على بعض ثمار المزارعين مما لديهم من خضار وتمور وحبوب وغير ذلك، وذلك لتوصيلها للمحتاجين من أسر القرية أو القرى المجاورة قبل تواجد المؤسسات والجمعيات الخيرية وأدوارها المباركة على مستوى الداخل والخارج.

ومع ما سبق فالشيخ من المجتهدين في سداد ديون (بعض المعسرین) فترة طويلة من الزمن حتى أصبح مقصوداً من بعض هؤلاء، وكان الشيخ متحريراً ومنتبهاً من أي متقدم إليه بأنه معسر ومحتاج فعلاً، وأن الديون التي على هذا المعسر لم تكن نتاج مغامرات تجارية، أو تهور واندفاع، وقد اشتهر عند التجار وبعض المعسرین بذلك، وكان موضع ثقة المانح والممنوح.

ومن أعماله الخيرية توزيعه (صدقة الفطر) سنوياً على بعض أهل الحاجة من البادية والقرية سواء زكاة عائلته الكبيرة والصغيرة، أو زكاة الفطر من جيرانه وعامة الناس الذين وكلوا هذه المهمة له، وكانت من خير الأعمال التي كان يقوم بتوصيلها للمحتاجين من البادية والقرى المجاورة.

ومن ذلك مساعدته (للعجزة من الرجال والنساء) فيما يحتاجون إليه من صيانة لمنازلهم أو قضاء لحاجاتهم أو إصلاح لبعض أغراضهم، وقد كان لكبار السن (الشييان) من سكان القرية مكانة كبيرة عنده، كما كانوا يحظون بتقدير كبير

فيجتمعون في قهوته، أو أمام باب منزله في حلقات المؤانسة في الصباح والمساء، وكانوا يبادلونه الحب والاحترام تقديراً منهم لكرم نفس الشيخ وعطائه لهم من وقته ونفسه، وكان خادماً لهم بكل أنواع الخدمة الشخصية، منها على سبيل المثال قضاء حوائجهم بقراءة الرسائل الواردة لهم من أولادهم وأرحامهم، وكتابة الرسائل الشخصية لهم، فمعظم هؤلاء العامة والعجائز من النساء والرجال باستمرار محتاجون للتواصل مع أولادهم وبناتهم المغتربين، وكثيراً ما كان يضمّن بعضها بعض النصائح أو التوجيهات للمرسل إليهم دون علم المرسل، وقد حدث من جراء ذلك بعض الطُرف بين الطرفين، وهذه الخدمات -وما شابهها وغيرها- من السمات الأخلاقية للحياة الاجتماعية التعاونية قبل حياة المجتمعات الاستهلاكية، والليبرالية الفردية و(الأنانية).

كان الشيخ جاهزاً في حالات (طوارئ السيول) وما ينتج عنها من أضرار على بيوت الطين فيقوم بإغاثة المتضررين، فقد أصلح بيوتاً كثيرة وأعاد بناء بعض ما أفسدته السيول من بيوت أخرى، ومن ذلك على سبيل المثال أنه بادر بالمساعدة لإحدى العوائل التي سقط بيتها الطيني جرّاء السيول في إحدى السنوات في إحدى مزارع غرب الشنّانة وقد حمل الشيخ لهم أغلى ما لديه، وهي خيام الحجاج التي يحتفظ بها في منزله لحملة الحج السنوية، ونصب لهم تلك الخيام لا يريد بذلك سوى الأجر والثواب من الله وخدمة مجتمعه وجيرانه وكل محتاج إلى خدمته.

ومن أعماله الخيرية أنه عمل بـ (الرقية الشرعية) وكان بمنهج شرعي متوازن لا مبالغة فيها -كما هو معروف عنه- فهي سبب من الأسباب الشرعية لعلاج بعض الحالات المرضية، وقدم تلك الخدمة احتساباً وطلباً للأجر من الله في وقت اشتُهر فيه كثير من القرّاء بالثراء والغنى من دخولات هذا العمل الذي حوّل بعض القرّاء -مع الأسف- إلى مهنة، لكن الشيخ كان يحتسب هذا العمل ويحمل همّ الشفقة على المرضى، وكان ينصح ويناصح الجميع أن يعالجوا أنفسهم بأنفسهم،

بأن يرقوا أنفسهم بأنفسهم بالمحافظة على الورد وقراءة القرآن والالتزام بشعائر الإسلام وترك المنكرات وذلك خير وقاية وعلاج من الأمراض النفسية، وكان همُّه الأكبر مع هؤلاء التوضيح لهم بأن الالتزام بما سبق هو رقية لهم من أنفسهم لأنفسهم وذلك خير من رقية الآخرين لهم، وكان ينصح العزاب المصابين ببعض الأمراض النفسية من الشباب والشابات أن علاجهم الأساسي يكون بالمبادرة بالزواج بعد طاعة الله، فالزواج المبكر بإذن الله وقاية وعلاج كما كان يقول ويردد بعد سؤاله للمريض عن حالته الاجتماعية، وكان مسجده ومنزله يكتظ بعض الأيام بزواره من طالبي الرقية رجالاً ونساءً، وصغاراً وكباراً من كل مكان.

وقد تبنى الشيخ (مشروع جمع التمور) وترتيبها وتغليفها وشحنها إلى بعض المحتاجين في مكة المكرمة، وقد تفاعل بعض المزارعين بالصدقة بمعظم تمور مزارعهم سنوياً ومن هؤلاء المطوّع محمد بن عبدالله العماري (الهندي) صاحب مزرعة هندية بالرس الذي أوكل إلى الشيخ العناية بمعظم نخيل مزرعته وجدادها (جني التمور بعد نضجها) لسنوات طويلة، وكان هذا العمل من الطرفين قناعة منهم بجدوى هذا المشروع الخيري الذي كان يصل إلى فقراء مكة المكرمة، وللمسجد الحرام ومساجد مكة، كما أن المطوّع السلومي لم ينسَ إخوانه المسلمين المحتاجين خارج بلاده فقد شحن أكثر من مرة إلى المحتاجين في السودان واليمن وبنغلاديش وأفغانستان، خاصة أيام حملات التبرعات الخارجية مثل: للسودان، وحملات دعم الجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي، وكل ذلك بالتعاون مع المحسنين والمحتسبين والعاملين في العمل التطوعي الفردي قبل تواجد أو توفر بعض المؤسسات الخيرية المعنية بمثل هذه الإغاثات.

ومن مشاريعه الخيرية مبادراته بتبني (زواج بعض الشباب والشابات) والمحتاجين للزواج وذلك فترة طويلة من الزمن، وكانت هذه القضية تتوافق مع رغبته النفسية والعاطفية القوية بشكل يفوق الوصف بأن لا يبقى أعزب أو عزباء، مع

احتسابه عواقب هذا المشروع الذي قد يترتب عليه متاعب ومسؤوليات اجتماعية من طرفي الزواج - كما هو معلوم - وقد لقي بعض المتاعب من ذلك، وكان هذا المشروع يَشْغُلُ باله بشقيه من الدلالة بين الأُسَر والتوفيق بينها، وكذلك تقديم المساعدة المادية وبعض تكاليف الزواج مما يجود به المحسنون لموضع ثقتهم من أمثال المطوِّع المتطوع، وقد نفع الله بمشروعه هذا خلقاً كثيراً، نسأل الله أن - لا يجرمه والمتعاونين معه أجر ذلك والثواب عليه -.

ومن أعماله الخيرية المشهورة تقديم خدمة (حبك المصاحف والكتب)^(١) لطلابه ومحبيه في زمن مبكر من عمره وذلك حينما كانت المصاحف والكتب العلمية شحيحة ومحدودة، حيث إن هذا العمل يحفظها من التلف، ولا سيما مع كثرة القراءة فيها، وهي مهنة جميلة تحفظ المصحف والكتب العلمية من التلف حيث ترثها الأجيال بعد الأجيال، فتجد المصحف يبقى مع صاحبه طيلة عمره كما كان يقول الشيخ السلومي، وإضافة إلى هذه الأعمال السابقة فإن المطوِّع يُقدم الخدمة لكل محتاج في القرية أو القرى المجاورة في توفير بعض ما يحتاجون إليه من إصلاح أدوات الحرث والزرع، وتقديم تلك الخدمات لكل من يطلب منه ذلك (نجارة أعمدة المسحاة، الكزمة، المخالب، الفأس، إصلاح الكر وهو المخصص لصعود النخل، تعليقة المطحن وهو إناء يُعمل من خوص النخيل مخصص لوضع خَرَافَ التمر فيه عند صعود النخل) الخ...، وما سبق ليس مهنة له لكن إصلاحها وعملها نابع من حبه للعمل والإنتاج، وتقديم المساعدة للآخرين.

ومن أعماله الخيرية والمشهورة عنه أنه أُشْتُهر (بحفر القبور) وتليين لبن الطين لها وتولى بنفسه المسؤولية الخيرية لمقبرة الشنانة المعروفة باسم (برزان) فترة من الزمن حوالي (٣٥) عاماً، فقد احتسب ذلك لوحده وبمنفسه حفر معظم أو كل

(١) ومن أقرانه في مهنة حباكة المصاحف والكتب صالح بن محمد الحسحوس الخليفة المولود معه بنفس اليوم .

قبور الموتى من أهل الشنانة أو الوافدين لها بدون أي مساعد له أو عامل معه، وكان يستغرق حفر القبر الواحد فترة يوم واحد فقط في الضحى، وذلك في أواخر الثلاثينات والأربعينات والخمسينات والستينات من عمره، وكان يضطجع بنفسه بالقبر أحد أولاده الصغار ليستأنس به أو يساعده أحياناً، وكان يضطجع بنفسه بالقبر بعد حفره للقياس، وكثيراً ما يمكث طويلاً ذاكراً لله مستشعراً الموت وحياة البرزخ ومذكراً نفسه بذلك، بل قد ينام أحياناً في القبر بعد الانتهاء منه لنقض التعب والإجهاد - كما قال عن نفسه -، كما كان يصنع ذلك مع ابنه المصاحب له حينما يحفر ويجهز قبور الصغار بغرض القياس، وهو بهذا العمل التطوعي محتسب الأجر من الله، وهذه الأعمال من أعمال (المتطوعين) كانت زمن قوة المجتمعات التعاونية التي تفوق أعمالها كثيراً من أعمال موظفي وعمال القطاع العام في السنوات المتأخرة ومسؤولياتهم، بل حدث مرة أن توفي أحد الأطفال في قرية البلاعية بالشنانة وتعفن جسده أكثر من ثلاثة أيام نتيجة احتفاظ أمه به حيث كانت مريضة نفسياً وتعيش لوحدها، فكان الشيخ جاهزاً لتولي هذه المهمة بنفسه من تغسيل وتكفين ودفن لتلك الجثة في الوقت الذي لم تستطيع عائلته القيام بهذا الدور الخدمي، وكل ذلك قبل أن يكون هذا الدور من أدوار البلديات ومهامها، حيث كان الواقع والحال يتطلب التطوع والاحتساب من أفراد المجتمع التعاوني آنذاك، وهذا العمل الخيري وأمثاله سمة أساسية للمجتمع المسلم فهي أعمال خيرية تعاونية كانت من السمات الطبيعية أو العادية في المجتمع المسلم.

ومن أبرز أعمال الشيخ والتي عُرف بها هي: (الإحسان إلى طلبة العلم) المحتاجين للمساعدات المادية والمعنوية فكان داعماً لكثير منهم، ومن مساعدته لهؤلاء تلقي (حج البدل) من قبل كثير من المحسنين لدعم المحتاجين ومساعدة فقراء طلاب العلم في هذا النوع من الحج، وقد التزم بهذا العمل عشرات السنين ونفع الله بذلك المانح والممنوح.

ومن الأمثلة المعروفة والمشهودة -كأنموذج- لتبني برامج الخير ودعم العلم والتعليم ما فعله الشيخ تجاه الشيخ المصري الأستاذ زكي إبراهيم القاري المُقَرَّر، والمُعَلِّم المجود والحافظ للقرآن حيث تبني مساعدته والوقوف معه في معظم شؤونه ليكون معلماً للقرآن بمدينة الرس قبل وجود جمعية تحفيظ القرآن، وقد نفع الله به كثيراً حينما تخرج على يديه العشرات أو المئات من الطلاب وذلك على مدى (عشرين عاماً) تقريباً، ثم شفاعته له مع مدير معهد الحرم آنذاك الشيخ صالح المقوشي وذلك بأن يكون أستاذاً في معهد الحرم المكي لعدد أخرى من السنوات.

أصحابه وأحابه من المشايخ وطلاب العلم وبعض محبيه:

كانت قهوة الشيخ منتدى مفتوحاً للجميع، ومن غير الممكن حصر روادها عدا عن زُوارها على مدى ستين عاماً تقريباً، كما أن من العسير حصر الذين استفادوا من الشيخ أو قهوته، حيث كانت القهوة بصاحبها منتدى مفتوحاً للجميع، ومرّت بأطوار متعددة من حيث نوعية الحضور ومستوياتهم الثقافية والعلمية والإدارية، ولذلك من الصعب حصر أصحابه من المشايخ وطلاب العلم والمحبين له ولعل من أبرزهم الأسماء التالية:

١- الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد -رحمه الله- توفي عام ١٤٠٢هـ، عضو في هيئة كبار العلماء، وكان الشيخ السلومي يزوره في منزله في مكة المكرمة خاصة أثناء رحلات الحج والعمرة، لاسيما مع وجود أواصر قوية تربط الشيخ ابن حميد بوالده سليمان بن ناصر السلومي.

٢- الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- توفي عام ١٤٢١هـ، وكان الشيخ السلومي يزوره بين حين وآخر في مسجده بعنيزة، وقد سمع واستمع لبعض دروسه في الجامع الكبير دون ملازمة، وكان الشيخ ابن عثيمين يُحبه ويُقدّر غيرته ويسمع لنصحه.

٣- الشيخ عبدالعزيز بن صالح العقل الواعظ والمرشد، والمشهور بصاحب

الجولات الدعوية على مستوى المملكة بشكل عام والقصيم بشكل خاص، وقد رتب له معظم جولاته الدعوية في الرس وضواحيها. (ورد التعريف به).

٤- الشيخ عبدالله بن سليمان الحميد - رحمه الله - من مشايخ بريدة^(١).

٥- الشيخ محمد المهنا (أبو مهنا) - رحمه الله - من بريدة.

٦- الشيخ علي بن حمد الصالحي - رحمه الله - (١٣٣٣هـ - ١٤١٥هـ) وهو من تلاميذ الشيخ ابن سعدي، ومن درس عليه فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين في بعض المسائل، وكان صاحباً للشيخ عبدالله السلومي فترة طويلة من الزمن في السفر والحضر، وهو جامع لكتاب (الضوء المنير على التفسير)، وقد بذل جهوداً كبيرة لجمع هذا التفسير القيم لابن القيم من بطون كتبه ومؤلفاته، وقد طُبِعَ في ستة مجلدات^(٢).

٧- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن اليحيى من مشايخ بريدة ودعاتها المحتسبين ورئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بريدة، ثم في رئاسة الهيئة نفسها بمنطقة نجران، ثم رئيساً لها كذلك في المنطقة الشرقية، وأخيراً تحول إلى وزارة الشؤون الإسلامية بوظيفة داعية متفرغ. (ورد التعريف به).

(١) هو العالم الجليل الورع الزاهد عبدالله بن سليمان بن عبدالله الحميد، ولد في بيت علم وتقى ودين عام ١٣١٨ هـ، درس على الشيخ عبدالله والشيخ عمر بن سليم والشيخ محمد بن كريدس عين في أحد الجوامع ببريده ١٣٣٨ هـ، تولى تدريس الفقه والفرائض سنة ١٣٤٥ هـ، وقد اشتغل بالقضاء والدعوة خاصة في جنوب المملكة، وكان داعماً رئيسياً للشيخ القرعاوي، وتوفي عام ١٤٠٤ هـ، وانظر عنه ترجمة مطبوعة بعنوان: (سيرة الشيخ عبدالله بن سليمان الحميد من علماء القصيم وآثاره العلمية والدعوية).

(٢) ومن مؤلفاته كتاب (التنبيهات حول المقام ومنى واقتراحات)، وكتاب (العطار والقاسم في الميزان)، وكتاب (نقد الاشتراكية) وكتاب (مجموع الصالحي في همى التوحيد) وكتاب (رسالة دعوة المسلمين إلى احترام شعائر الدين)، انظر: عن الشيخ على الصالحي وجهوده العلمية في موقعه الالكتروني:

٨- الشيخ الدكتور عبدالله بن حمد الجلالي الداعية المعروف بمنطقة القصيم (عنيزة). (ورد التعريف به).

٩- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن العقلا - رحمه الله - كان يعمل في رئاسة شؤون الحرمين بمكة المكرمة. (ورد التعريف به).

١٠- الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - (الرياض)، وهو الذي جمع فتاوى ابن تيمية بالتعاون مع والده، وكان يقيم في الرياض، وقد انضم إلى حملة الشيخ الخيرية التعاونية في الحج عدة سنوات في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة. (ورد التعريف به).

١١- الشيخ عبدالرحمن بن إبراهيم الخربوش - رحمه الله -، وكان من المحتسين ومن أصحابه ورفاقه، كما كان رفيقاً لوالده المطوع سليمان بن ناصر السلومي - رحمه الله -.

١٢- عبدالرحمن بن إبراهيم الطاسان - رحمه الله -، طالب علم، وكاتب ضبط بمحكمة الرس.

١٣- الشيخ محمد بن عبدالله الصغير - رحمه الله - قاضي محكمة الرس.

١٤- الشيخ صالح بن محمد المقوشي - رحمه الله - وكان مديراً لمعهد الحرم المكي بمكة المكرمة لسنوات طويلة، توفي عام ١٣٣٤ هـ.

١٥- الشيخ صالح بن عبدالله الزغبى - رحمه الله - من أهالي عنيزة وأستاذ سابق في إدارة التعليم بمكة المكرمة.

١٦- الشيخ سليمان بن محمد الجناحي - رحمه الله - من عنيزة.

١٧- الشيخ صالح بن إبراهيم الزامل من أهالي عنيزة، وهو من مُزارعي عنيزة، ثم أصبح من رجال الأعمال المشهورين في جدة، وهو (من المحبين)، وله مشاركات مكتوبة في هذه الترجمة^(١).

(١) ورد التعريف به في ثنايا الكتاب.

- ١٨ - الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي - رحمه الله - من بريدة^(١).
- ١٩ - الشيخ محمد بن صالح الزبيدي أستاذ متقاعد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو من أكثر الملازمين له ولقهوته. (ورد التعريف به).
- ٢٠ - الشيخ محمد بن ضيف الله الحزابي مدرس متقاعد.
- ٢١ - دخيل الله بن صالح المطيري - رحمه الله - عضو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرس. (ورد التعريف به).
- ٢٢ - الشيخ محمد المسلم - رحمه الله - قاضي متقاعد من محكمة التمييز بمكة المكرمة.
- ٢٣ - علي بن راشد الخشان الغفيلي - رحمه الله -، وكان من مساعدي تنظيم حملة الحج التعاونية الخيرية مع المعني بالترجمة.
- ٢٤ - صالح بن محمد الغفيلي - رحمه الله -، من مزارعي قرى المطيه، ومن أولاد الخالات للمعني بالترجمة.
- ٢٥ - بطاح بن محمد الخزّي - رحمه الله -، من المحبين والملازمين لقهوته فترات طويلة وتوفي في ١٣٩٥هـ.
- ٢٦ - سليمان بن عبدالله الرميح - رحمه الله -، من مواليد عام ١٣٥٠هـ، وتوفي في ١٤١٣هـ.
- ٢٧ - إبراهيم بن عبدالله الرميح - رحمه الله -، من مواليد عام ١٣٤١هـ، وتوفي في ١٤١٩هـ وكان إمام مسجد في الرس.

(١) هو الشيخ صالح بن إبراهيم بن محمد بن مانع البليهي، يرجع نسبه إلى الوداعين، من قبيلة الدواسر المشهورة، ولد الشيخ في بلدة الشامية بمنطقة القصيم سنة (١٣٣١ هـ - ١٤١٠ هـ)، وقد ألف في العقيدة، والفقه، وعلوم القرآن، والدعوة وقد جاءت مؤلفاته على النحو التالي: (السلسلة في معرفة الدليل)، (الهدى والبيان في أسماء القرآن)، (عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين)، (الإرشاد في توضيح مسائل الزاد)، (يا فتاة الإسلام اقربي حتى لا تخدعي)، (أربع كلمات مفيدة في الأحكام والعقيدة)، (الإسلام عقيدة وشريعة) المصدر على هذا الرابط:

٢٨- الشيخ صالح بن عيد الحربي (إمام جامع) في الرس ومن طلبة العلم ومن رواد قهوة أبي سليمان.

٢٩- الشيخ صالح بن عبدالله الفلاح مدرس متقاعد (من رواد قهوته).

٣٠- الشيخ صالح بن محمد الرميح (موظف متقاعد ورجل أعمال) (من رواد قهوته في المواسم).

٣١- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن علي السلامة من مواليد عام ١٣٧٨ هـ (رئيس كتابة عدل الرس) (من رواد قهوته).

٣٢- الشيخ عبدالله بن محمد الهندي - رحمه الله -، (محتسب وطالب علم) (من رواد قهوته) (سكن القرين معظم سنين عمره مطوّعاً ومعلماً).

٣٣- الشيخ الدكتور حمود غزاي الحربي (إمام وخطيب في الرس، وأستاذ في جامعة القصيم).

٣٤- الشيخ رشيد بن عبد المحسن الحربي (إمام وخطيب ورئيس هيئة الرس سابقاً).

٣٥- محمد بن راشد السعيد الخليفة من مواليد عام ١٣٤٠ هـ، وهو من جيرانه وأصحابه.

٣٦- محمد بن سليمان الحويش الخليفة - رحمه الله -، وتوفي في ١٤٠٨ هـ.

٣٧- الشيخ عبدالرحمن بن صالح الرشيد - رحمه الله -، رئيس هيئة الرس سابقاً وتوفي في ١٤٢٨ هـ.

٣٨- الشيخ محمد العماري الهندي - رحمه الله - صاحب مزرعة هندية بالرس.

علماً أن هذه الأسماء - كما سبق - ليست للحصر حيث لا يمكن استقصاء الأسماء.

تلاميذه والمحتسبون معه (الجيل الأول)^(١):

شَرَّفَ الله الشيخ بتعليم مجموعة من أقرانه في السن، وقد أجاد بعضهم على يديه حفظ القرآن أو بعضه، وبعضهم كان من الأميين الذين لم يكونوا يظنون أن لديهم

(١) يقصد بالجيل الأول: أقران الشيخ عبدالله السلومي في السن.

القدرة على تلاوة القرآن وتجويده عدا عن حفظ بعض أجزائه، لاسيما أنهم لا يقرأون ولا يكتبون، وقد حفظ الأكثرية منهم أجزاء من القرآن، وبعض هؤلاء التلاميذ في الوقت ذاته من أصحابه في الحسبة الذين ناصروه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فعلى مستوى (تعليم تلاميذه) من أقرانه، أقول ما شاهدته بنفسني: «رأيت بعض تلاميذ الحسبة في قهوته الطينية وعمري لا يتجاوز الثالثة عشرة ومن هؤلاء سليمان المحيميد الخليفة وصالح المجاهد الخليفة رحمهم الله، ورجل ثالث لا أذكره، وهم يتعلمون ويحفظون ويسمّعون على والدي من كتب التوحيد ومن أشهرها الأصول الثلاثة والقواعد الأربع وكشف الشبهات، كما يقرأ عليهم وعلى غيرهم والدنا وشيخنا في قهوته من مكتبته المتواضعة مثل كتاب (مفتاح دار السعادة) و(زاد المعاد) و(الطب النبوي) لابن القيم، وكتاب (التبصرة) لابن الجوزي، وشرح كتاب (التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو بهذا يدرك أهمية استثمار الوقت في العلم والتعليم مع زوار قهوته، بل وسمعت مشاوراته مع تلاميذه في أمور الحسبة، وهذا وذاك مما يقوي الإيمان عند الجميع، بل إن جلسات العلم والإيمان لا تقل في أثرها على الإنسان عن أثر الصلوات الخمس التي تُعد محطات تقوية للإيمان في الحياة الدنيا.

ومن أشهر هؤلاء التلاميذ الذين احتفظت الذاكرة بأسمائهم:

- ١- سليمان الصالح الفهد الخليفة - رحمه الله - (تلميذ ومحتسب).
- ٢- سليمان المحيميد الخليفة - رحمه الله - (تلميذ ومحتسب).
- ٣- صالح المجاهد الخليفة - رحمه الله - (تلميذ ومحتسب).
- ٤- محمد بن شلال الشيباني (تلميذ).
- ٥- صالح بن سليمان السلومي (أخو الشيخ عبد الله) (تلميذ).
- ٦- خليفة السليمان (الحويس) الخليفة - رحمه الله - (تلميذ ومحتسب).

- ٧- منيع بن محمد (المسبط) الخليفة - رحمه الله - (تلميذ).
- ٨- عبدالله (عبيد) السليمان (الحسحوس) الخليفة - رحمه الله - (تلميذ).
- ٩- عبدالله (عبيد) العبدالعزیز (الحسحوس) الخليفة - رحمه الله - (تلميذ ومحتسب) توفي عام ١٤٠٠هـ.
- ١٠- صالح العبدالعزیز (الحسحوس) الخليفة المشهور بكنية (أبو هضيان) - رحمه الله - (تلميذ) توفي عام ١٤١٦هـ.
- ١١- سليمان بن عبدالله العميري - رحمه الله - توفي عام ١٤٣٣هـ (تلميذ).
- ١٢- عبدالله (عبيد) بن خليفة الصالح الخليفة (تلميذ).
- وهذه الأسماء ليست للحصر وإنما هي ذكر لبعضها ممن لا زال في ذاكرة المؤلف.

تلاميذه من (الجيل الثاني)^(١):

كان الشيخ معلماً ومربياً، وقد تعلم مجموعة من أبناء القرية وبعض القرى المجاورة على يديه القرآن الكريم - كما سبق -، وكان حرص أولياء الأمور كبيراً على تعلم أبنائهم ودراستهم للقرآن، وكان ذلك بعد صلاة الظهر وبعد العصر بشكل خاص، وقد فاق هؤلاء التلاميذ أقرانهم بدرجات مادة القرآن بالمدارس الحكومية، كما تربوا - بحمد الله - على القرآن واستفادوا من الجلوس له، ول بعضهم ذكريات جميلة مع معلمهم القرآن فيقول أحدهم وهو محمد بن صالح (الحسحوس) الخليفة: «لن ننسى توزيعه علينا ريالاً وريالين في رمضان تشجيعاً على التلاوة والحفظ، ولن ننسى أننا تفوقنا على غيرنا بقراءة القرآن، وبعضنا حفظ كامل القرآن أو نصفه أو ثلثه أو ربعه، كما أنني لم ولن أنسى عطفه ومحبة لجميع طلابه بتأدينا تارة، وإهدائه بعض النقود تارة أخرى، كما أنني

(١) المقصود بالجيل الثاني هم الذين كانوا بمنزلة أبنائه من حيث السن، وهم الذين تعلموا في المدارس، لكن تعلموا القرآن تلاوة وتجويداً وحفظاً على يد الشيخ عبدالله السلمي في مسجده.

لم أنس توزيعه علينا الرطب في أول موسمها كحلوة محلية لها طعمها الخاص آنذاك حيث كُنَّا نستقبله قادماً من حيطان (الريدين) ومعه الخراف بالمخرف الخاص بالتمر».

ومن أبرز الأسماء الذين تعلموا تلاوة القرآن وحفظه من غير أبنائه الأسماء التالية: سليمان بن صالح السلومي، محمد بن صالح السلومي، عبدالله بن صالح السلومي، إبراهيم بن سليمان السلومي، عبدالعزيز بن سليمان السلومي، علي بن سليمان السلومي، خالد بن سليمان السلومي، سليمان بن عبدالرحمن بن سليمان السلومي، محمد بن عبدالرحمن بن سليمان السلومي، عبدالله بن عبدالرحمن بن سليمان السلومي، سليمان بن صالح بن سليمان (الحسحوس) الخليفة، محمد بن صالح السلويان (الحسحوس) الخليفة، خليفة بن صالح السلويان (الحسحوس) الخليفة، سليمان بن عبدالله (عبيد) السلويان (الحسحوس) الخليفة، خليفة بن صالح بن سليمان (الحسحوس) الخليفة، عبدالله بن سليمان (الحسحوس) الخليفة، محمد بن سليمان (الحسحوس) الخليفة، عبدالله المحمد السلويان (الحسحوس) الخليفة، محمد بن خليفة السلويان (الحويس) الخليفة - رحمه الله -، صالح بن خليفة السلويان (الحويس) الخليفة.

علي بن خليفة السلويان (الحويس) - رحمه الله -، حمود بن علي الحمود الفريدي، شلال بن محمد بن شلال الشيباني، خليفة بن صالح بن مجاهد الخليفة، عبدالله بن ناصر (الحوثل) الخليفة، محمد بن ناصر (الحوثل) الخليفة، عبدالعزيز بن ناصر (الحوثل) الخليفة، عبدالله بن محمد (الشرايده) الخليفة - رحمه الله -، سليمان المحمد (المسبط) الخليفة، محمد المجاهد الخليفة (مطلوب من يذكر أنهم كانوا معه في حلقة القرآن)، محمد بن سليمان المحميد الخالد الخليفة، وأخيه صالح السلويان المحميد الخالد الخليفة، وعبدالله السلويان المحميد الخليفة، وسليمان الصالح المحميد الخالد الخليفة، وصالح بن ضيف الله الظاهري.

وهذا الأسماء ليس فيها استقصاء لجميع تلاميذه ولكنها لأبرزهم مما

يذكره المؤلف.

السلومي في عيون محبيه^(١)

من شيوخ الإحسان والعطاء

يقول الأستاذ محمد الحزابي مكرراً بعض ما سبق القول فيه: «ما أصعب أن يكتب شخصٌ مثلي عن شيخ من شيوخ التوحيد والعقيدة شيوخ الصبر والمصابرة والدعوة شيوخ العلم والعمل شيوخ الصدق والإخلاص شيوخ التربية والتوجيه شيوخ الحب والخير، ما أصعب ذلك على متطفل على بابه وفضله وعلمه من أمثالي، لكن بعض الشعور بالواجب تجاه شيخنا أوجب عليّ ذلك، لاسيما حينما شرع أبناؤه في جمع معلومات عن أبيهم لتدوينها، ولكوني من المقرين عند والد الجميع، ومن أنا حتى أدوّن عن شيخ من شيوخ الفضل والإحسان والعطاء، فأقول مستعيناً بربي: إنه والدنا، بل شيخنا وحيبنا ومهجة قلوبنا ومعلمنا، ولي به معرفة قريبة منذ سنوات قليلة، أقصد معرفتي الملاصقة له، وإلا فقد كنت أسمع عنه وعن جهده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنا طالب في المعهد العلمي، أسمع من زملائي أهل الشناعة قال السلومي وفعل السلومي، فعرفته منهم أنه إمام للمسجد في الشناعة، قوي بربه لا تأخذه في الله لومة لائم، إذا سمع عن منكر أسرع لإنكاره ولو لوحده، حريص على بذل الخير والصلاح للناس، فكان يهتم بالشباب خاصة، ويتفقدتهم في المسجد، ومن تأخر عن أداء الفريضة مع الجماعة كان يُعَاتِبُه بل يُعَنِّفُ عليه بقوة».

(١) هذه بعض كلمات من المشاركات والمبادرات مما كتبه تلاميذه أو معاصروه من محبيه، وفي الغالب أنها تكملة لبعض الأقوال الواردة في ثنايا هذا الكتاب.

أبيات عن الماضي والحاضر^(١)

يقول الشيخ عبدالعزيز اليحيى: «أثناء زيارتي للصديق الأريب والشيخ الأديب الوفي التقي عزيزي عبدالله بن سليمان السلومي أمدّه الله بالصحة والعافية وذلك يوم السبت الموافق ١٤٣١/٧/٢٨هـ رأيته قد شاخ وثقلت خطاه تأثرت جداً وجادت القرحة بهذه الأبيات المعبرة عن ماضيه وحاضره، وكانت هذه الأبيات في اليوم التالي لزيارته:

زُرْتُ الصديقَ الذي في القلب سُكناهُ
أبا سليمان بالتقوى عرفناهُ
يمشي الهوينا فهاج القلب من شجنٍ
لَمَّا تدانت خطاه قلتُ أوَاهُ
أين النشاط الذي قد كنتُ أعهدُهُ
أمسى ضعيفاً بطيئاً عند ممشاهُ
نعم الصديق الذي كانت سجيتهُ
خوف المعاد وتعظيماً لمولاهُ
نشا على الخير في أحضان والده
على العقيدة والتحقيق ربّاهُ
شيخٌ وقورٌ حيي ذو مناصحةٍ
طَلَقَ المُحيّاً إذا ما الضيف وافاهُ
كريمٌ جاءه إذا وافاه طالبهُ
لا يَمْنَعُ الجاهَ مها طال مسعاهُ
فخرُ الشنانةِ إن عُدَّت مناقبهُ
نورُ العبادةِ يبدو في محياهُ

(١) ورد التعريف عنه سابقاً في مقدمة هذا الكتاب، وهذه جزء من مشاركته وبقيتها مبثوثة في مواضعها من هذا الكتاب.

من عام إحدى وتسعين حَبَشًا
 لقد سَعَدْتُ به في يوم لِقْيَاهُ
 وَخَلَّفَ الشَّهْمُ أَبْنَاءَ لَهُ نُجَبَا
 نالوا من العلمِ قسطاً زان مجناه
 يَحْفُ مَجْلِسُهُ إِخْوَانُهُ الشُّرَفَا
 أهل الديانة ساروا وفق مبداه
 هُم السَّلاَلِيمُ^(١) أنعم عند ذكرهمو
 يا رَبِّ وفقهمو للخير رَبَّاه
 ثم الصلاة على أَرْكَى الْوَرَى نَسْبًا
 خَتَمَ النَّبِيِّنَ مِنْ طَابَتْ سَجَايَاهُ

من ذُرَى الْأَزْدِ إِلَى رَبِّي نَجْد

أحد محبي عائلة السلومي من قبيلة بني شهر، من قرية صعبان في محافظة
 النماص، وهو الشيخ الأستاذ محمد بن عبدالله بن ناشع الشهري قال هذه
 الأبيات بعد رحلة تواصل قام بها الشهري إلى الشنانة، وذلك بعد وصوله إلى
 قريته صعبان.

تنوَّى من ذُرَى (صعبان) رَكْبُ
 إلى (ذوقان) في غرب القصيمِ
 تحزَّبَ جمعه ليلاً فلما
 بدا نجم الصباح المستقيمِ

(١) المقصود بالسلاليم: عائلة السلومي.

تقلقل من (سراة الحجر) فجراً
وأبقاني على طلّ النسيم
وودّعني فأودعني لهيباً
وخَلَّفني على مثل الجحيم
فلما بان عن (بانات) شرقاً
قضى فرض السلام على الحميم
أبو ناصر سليمان المسمى
على فهامة الحكم السليم
عليكم من محبكم سلام
يُكرر كل يوم في الرقيم
إليكم من رُبى صعبان تسعى
طُيُوف الود بالحب الصميم
على رُبْع الشنانة يا رفاقي
قُلُوا هذا سلام من سليم
سلمتم آل سلوم جميعاً
من النيران في الدار المقيم
لان الحب في ذات الإله
يُسبب عفوَذي العرش الكريم^(١)

(١) قالها في ليلة الثلاثاء الموافق ٢٨/٨/١٤١٧ هـ وقد طلبنا من قائل القصيدة شرح ما قد يكون غامضاً لبعض القراء فقال: إنه ألقى هذه القصيدة بعد زيارة آل السلومي في الشنانة، حيث خرج من قهوة ابن قيم الشنانة متسللاً آخر الليل، والنار موقدة فيها، وقال هذه القصيدة بعد فراق أحبائه، وكان هو ومن معه على حدود جبال (أبانات) غرب الرس مسافرين صوب المدينة لزيارتها، ثم السفر إلى جنوب المملكة (النواص) ويلحظ أن قائل القصيدة قد أجرى على بعض أبياتها تعديلات لكننا اكتفينا بالنص القديم، والعنوان الجديد المعدل، حيث كان القديم: (من صعبان محافظة النواص).

المحبوب والمحَبُّ

قال الشيخ فريح العقلا^(١):

«هناك أناس قريبون من النفس، محبوبون عند الخلق، خفيفو الظل والروح تأنس بمجالستهم وتستروح حديثهم وتشتاق إلى لقاءهم ومنهم الشيخ الفاضل أستاذ مدرسة الحياة وموسوعة كتب ابن القيم وابن تيمية أبو سليمان عبدالله بن سليمان السلومي النجدي القصيمي التميمي الذي نحبه في الله ونحب أبنائه الطيبين المباركين الذين تفرعوا من الشجرة الطيبة ﴿الْمَ تَرَكَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم: ٢٤)، وقد آتت أكلها والله الحمد، ذريةً مباركة وطلبةً علمٍ صالحين ودعاة أخيارا وشبابا صالحين أحسبهم كذلك والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحداً»، سمعت عن شيخنا أبي سليمان وعرفته منذ ٣٩ عاماً عندما زاملت بعض أبنائه الكرام في التعليم في المرحلة الثانوية والجامعية، واستمرت المعرفة والصداقة والمحبة إلى يومنا هذا، ولم تكن العلاقة تجارية أو مصالح خاصة، ولكن همَّ الدعوة والاهتمام بالمسلمين الذي كان الغالب على مجالس والدهم أبي سليمان حفظه الله في قهوته المشهورة في بلدة الشنانة العامرة فكان لهذا الحديث صداه في أبنائه وجلسائه وجيرانه وزائريه من داخل البلاد وخارجها. والشيخ على الرغم أنه من جيل آبائنا وأجدادنا إلا أنه يعيش عصره، ويعرف ما يدور حوله، ولديه الفكر المتجدد، فيما لا يمس الدين ولا ثوابته ويعرف مشكلات الشباب ويسعى إلى علاجها».

الأخيار والغيث

يقول الشيخ الدكتور علي مقبول الأهدل من اليمن السعيد في مشاركته بالعنوان السابق: «إن هذه الأمة الإسلامية لا تخلو من الأخيار في كل زمان

(١) هذه الكلمة جزء من مشاركة الشيخ فريح العقلاء وبقيتها في مواضعها من هذا الكتاب، وانظر التعريف بصاحب المشاركة في المبحث الثاني.

ومكان، وهؤلاء الأخيار هم كالغيث للأمة يستفيد منه المسلمون، وقد يخرجون من هذه الدنيا؛ دون أن يشعر بهم أحد، ولكن أجرهم عند الله لا يضيع.

ومن هؤلاء الأخيار الشيخ عبدالله بن سليمان السلومي وهو شيخ فاضل: تَعَوَّد معرفتي له أثناء دراستي في المعهد العلمي بالرس حيث تعرفت على أبناء أخيه عبدالرحمن، وعن طريق هؤلاء الفتية الذين كنت أقوم بزيارتهم تعرفتُ على عمهم وما أجملها من معرفة.. ثم تواصلت صلتني بأبي سليمان الشيخ عبدالله عن طريق الجلسة اليومية بعد صلاة الفجر حيث كان يعد لنا القهوة العربية الأصيلة مع الحليب الممزوج بالزنجبيل، وفي آخر الجلسة الإفطار الجميل، ويُقدَّم مع الإفطار اللبن البقري الطازج وكما قيل (من البقرة إلى المائدة مباشرة وليس من المزرعة).

ولقد خلف أبو سليمان أسرة غالبيتهم من حملة الشهادات العليا العالمية (الدكتوراه) ولهم أعمال جليلة لخدمة مجتمعاتهم ودينهم.

في آخر زيارة لي كانت لأبي سليمان في اليوم الأول من رمضان لعام (١٤٣١هـ) لكنه كان متعباً ولا يسمع إلا بصعوبة فعرفني إليه ابنه الدكتور (محمد السلومي) فرد قائلاً على عادته: (ابن اليمن) كيف حالك؟ وكيف حال الأهل؟ وكيف حال المسلمين في بلاد الإيمان؟ في هذه السن مازال يسأل عن أحوال المسلمين!!.

لقد تغيرت كثير من المفاهيم والقيم لدى الناس إلا أبا سليمان فهو لم يتغير رغم كبر سنه.

فتحية إجلال وإكبار وتقدير ومحبة من شخص غريب عاش مع أبي سليمان كأحد أبنائه.. أسأل الله أن يمدّه بالصحة والعافية وحسن الخاتمة.

قهوة لم تتغير

يقول الشيخ رشيد بن عبدالمحسن الحربي:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

«ففي يوم الخميس الموافق ١٤/١٠/١٤٣١هـ سألتني صاحبي سؤالاً يُلْزمني بالإجابة المحبوبة إلى نفسي في الكتابة عن أبي سليمان، حيث قال: كيف عرفته؟ وكان الحديث يدور حول الأخ الكبير والوالد العزيز القريب إلى النفس (عبدالله بن سليمان السلومي) صاحب النفس الطيبة الصريحة المحبة للآخرين صاحب قهوة أبي سليمان السلومي، تلك القهوة التي لم تتغير ولم تتبدل ثوابتها من عشرات السنين، إلا أن رياح التطور من (المتغيرات) نقلتها من قهوة الطين إلى قهوة المسلح، ولم يكن يوماً من الأيام في معزل عن عامة إخوانه فكان باذلاً نفسه وحياته مع الصغار والكبار والأرامل والضعفاء.

كان إماماً لمسجد الجُدَيْدَة بالشنّانة منذ ما يقارب خمسة وخمسين عاماً، ففي الخامسة من عمري كان والدي ممن يذهب كل ليلة من ليالي رمضان من قريتنا البعيدة ليصلي التراويح معه، وهو ممن يحبونه وذلك في حوالي عام ١٣٧٨هـ تقريباً، وكان مُؤدِّباً للصغار، فكان الخوف الممزوج بالتقدير يجعل الصغار يُصَلُّون في المسجد بأدب ولا يعبثون في ماء الزير^(١) خوفاً من أبي سليمان وتقديراً لقيمة المسجد التي ربّاهم عليها. كان أبو سليمان يعرف أهل الحاجة والفقير واحداً واحداً ويدل أهل الزكاة والصدقات عليهم، بل كان يعرف بعض أهل المعاصي ويرشد أولياء أمورهم لمعالجة أحوالهم، ولقد ذكر لي قصة مؤثرة في هذا الموضوع وذلك فيما انتهت إليه من نتيجة في نجاة أحد الفتيات من براثن الشر، ولم تكن معرفته وعلاقاته بين أهل بلده فقط، بل كانت له علاقات أخوة ومحبة في كثير من القرى والهجر وغيرها،

(١) الزير: آنية من الفخار تُستخدم لتبريد المياه قبل وجود الوسائل الحديثة للتبريد.

وله صلة واتصال بالمسؤولين صلة احتساب بأدب واحترام وفق ما ذكره لي من مواقف وأحداث وحسب علمي بحسبته».

تجربة يجب أن تُكرر^(١)

كتب تلميذه الشيخ محمد المجاهد الخليفة فقال:

«الله يتولى الصالحين، ويخلق ما يشاء ويختار، ويجعل المودة في قلوب عباده لعباده الصالحين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦).

هذه بعض الذكريات وبكلمات متواضعة في سيرة إمامنا الفاضل وشيخنا الجليل الملقب بـ(ابن قيم الشنانية) عبدالله بن سليمان بن ناصر السلومي - حفظه الله - فهو نعم الرجل يشهد بذلك القاضي والداني، رجل نذر حياته لله تعالى، همته وهمته دائماً في إعلاء كلمة الله، مهتماً دائماً بأحوال المسلمين في شتى بقاع الأرض.

أما علاقته بأهله فهو من أكرم الناس وخير الناس لأهله كما كان النبي ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله»^(٢) فهو مثال ناجح للزوج المعدد الذي يعرف قيمة النساء ويحترم النساء، احتراماً عظيماً، ويقوم بالواجب.

وهو - حفظه الله - منذ عرفته حتى الآن لم يترك الحج عاماً واحداً بل يحج كل عام، كثير التهجد والصلاة بالليل، دائم الذكر لله، وهو إنسان متواضع متواضعاً عجباً مع الصغير والكبير والذكر والأنثى، إذا جلس مع الشباب كأنه واحد منهم يمازحهم وينزل إلى مستواهم حتى لا تحس أنه كبير في السن.

(١) هذه المشاركة كانت من الشيخ محمد المجاهد الخليفة، ورد التعريف عنه سابقاً في هذا الكتاب. وهو محمد بن عبدالرحمن بن مجاهد الخليفة، وقد اقتبس من هذه المشاركة بعض الكلمات التي وضعت في مواضعها في ثنايا هذا الكتاب.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب/ باب فضل أزواج النبي ﷺ، ج ٥ / رقم (٣٨٩٥)، ص ٧٠٩.

هذا قليل من كثير عن فضائل شيخنا - حفظه الله وبارك في عمره، وهذا جهد مقل - فهو والله بحق يستحق أكثر مما قلت، ولا تكفيه هذه العجالة، لأنني لا أقول هذا الكلام من فراغ، فأنا أحد تلاميذه وعاشته أكثر من خمسين سنة، مجالسُه مدرسة تُربي الرجال على الإيمان والعقيدة الصحيحة وعلى مذهب أهل السنة والجماعة وبعيداً عن الإرهاب والتطرف والتكفير، فهو يُحذّر من ذلك أشد التحذير، ويحث على السمع والطاعة لولاة الأمور وعدم الخروج عليهم.

هذا بعض ما أعلمه عن شيخنا - حفظه الله وختم لنا وله بخير -، لكن لعلها إشارات توقف المقصّر والغافل لتكرار هذه التجربة الفريدة، والخير في هذه الأمة والله الحمد إلى قيام الساعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رجل يذكرني بالصحابة

كتب الشيخ صالح بن إبراهيم بن محمد الهديان الزامل^(١) كلمة عن الشيخ عبدالله السلومي بعنوان (رجل يذكرني بالصحابة) فقال: «أما الشيخ الكبير الوقور العزيز عبدالله السلومي فيسرنى أن أكتب القليل من ذكرياتي عنه، وأستبشر خيراً بأن أخط بيدي عنه ولو على عجل، ولن أوفيه حقه بأي حال، وأيضاً فإنني على استحياء لأنني لست المؤهل في أن أتكلم أو أكتب عنه، وهذه حقيقة لا مراء فيها، وأسجل هنا بكل فخر أنه ضمن الرجال الذين تأثرت بهم وتعلمت منهم وأحببتهم من كل قلبي ولهم في نفسي الشيء الكثير، وبعض الناس مدارس والرايح من استفاد من تلك المدارس، وإن قوة الإيمان في هذا الرجل ارتبطت وتوثقت بعزيمته وإخلاصه لله أولاً، ومن ثمَّ غيرته على دين

(١) سبق ترجمته في المبحث الثالث من هذا الكتاب، وهذه الكلمات المسطرة بقلمه جزء من مشاركته المبثوثة في ثنايا هذا الكتاب، وهي كلمات تنمي عن قوة العلاقة من (محبه وعزيزه وصديقه)، وقد كتبها بتاريخ: ١٤٣٢/١/٥هـ.

الله وأمانيه الكبيرة بأن يكون الناس جميعاً كما يحب الله ويرضى وكما هو يرغب ويتمنى.

إن الشيخ عبدالله -حفظه الله- هو من الموفقين والله الحمد وهو من الذين يسعد بهم من حولهم سواء كانوا من العابرين في صحبته، أو من أسرته الكريمة الموفقة والمربطين به بالزيارات اليومية حيث مجلسه العامر صباح مساء مفتوح للجميع في الشنانه (المعروفة تاريخياً) المحاذية لمدينة الرس بالقصيم.

في بداية معرفتي بهذا الرجل الفاضل بصحبة كثير من الأخيار كنا نذهب إليه تقريباً مرتين في الأسبوع قادمين من عنيزة، وقد تصورت من خلال مراجعتي وقراءتي لسيرة صحابة رسول الله ﷺ أن هذا الرجل بغيرته على الدين وزهده في آنٍ واحد يذكّرني بالصحابة الكرام بل يمثّل أمامي صفة أحد أصحاب النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، والسبب أنني رأيته ممن تنطبق عليه شيم وأخلاق ومبادئ وإيمان وتضحيات صحابة رسول الله ﷺ.

فإذا كان أمامي وسمعت ما يقوله عن الدعوة إلى الله وما يطبقه على نفسه وأهله ومن حوله تأكد الصدق من كلامه وفعله من خلال تأثر الناس به ومحبتهم مجالسته، وهنا يكون الدرس، وأسلوب معيشته الفطرية البسيطة والزهد الموزون الظاهر، أكّد لي مرة ثانية أن هذا الرجل يُطبّق بفطرته وبدون تكلف حياة صحابة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وبإخلاصه هذا رزقه الله هذه الكوكبة الطاهرة من الأبناء والبنات وكلهم والله الحمد من أهل العلم والفضل، وهذه من البشائر الربانية والدروس والعبر المستفادة لغيره من الناس.

وحقاً فهذا الرجل يعيش على الفطرة، وفي قرية شبه نائية تقريباً ورغم هذا الواقع فقد قام بدور تعليمي حينما كان التعليم قديماً محصوراً في المسجد وهو إمامه، وقد ربط كثيراً من أهالي قريته بالقرآن.

فقرأوا القرآن وهم لا يعرفون القراءة والكتابة حسب علمي، وهذا درس آخر.

هذا الرجل بمواقفه الدعوية وما لاقاه وعاناه - حفظه الله - استبسل ونجح - بحمد الله - رغم المعوقات الكثيرة مما هي معلومة عند كثير من الناس، والعبرة بأن هذا النجاح تحقق رغم معوقات وظروف الحياة.

ومهما كتبت وقلت عن هذا الرجل الإنسان فلن أوفيه حقه لأنني أشهد الله على حبه وحب أسرته، ولكنها مشاركة يسيرة أحببت أن أبدي ما في نفسي وهي خالصة من صميم قلبي عن هذا الرجل الكريم العالم الرباني أسأل الله العلي القدير أن يجعل كل ما عمل وما قدم خالصاً لوجهه الكريم وفي موازين حسناته».

رحلة طيبة^(١)

كتب الشيخ عبدالعزيز بن صالح العقل وهو من مشاهير الدعاة الواعظين في القصيم، وهو من الذين اشتهروا بالجولات الدعوية والوعظ والإرشاد بعنوان (رحلة طيبة) وقال فيها: «أما بعد: فهذه عجالة يسيرة مختصرة عن (رحلة طيبة) قضيتها مع أخ لي في الله تعالى أحببته كثيراً وأحبني كثيراً، ذلك هو الشيخ عبدالله بن سليمان السلومي في الشنانة بلدة تقع غربي محافظة الرس قريباً منها، تعرفت على هذا الأخ الفاضل قرابة عام ١٣٩٠هـ وسبب معرفتي به عن طريق الأخ المطوّع عبدالله المحمد الهندي إمام ومعلم مسجد بلدة القرين وقد زارني في بيتي ومعه بعض الإخوة الفضلاء من أهالي القرين، فوصفه لي وصفاً لم يترك شيئاً من الصفات الحميدة إلا ذكرها فيه، وقد وجدتها فيه بعد زيارته والتعرف عليه، وبعد أن حصل التعرف عليه صرت أزوره بين الفترة والأخرى وحبه في قلبي يتجدد، وكانت لي أيام نشاط وجولات في الدعوة إلى الله، ومن أخصها في الرس والشنانة، وكان يشير علي بالذهاب إلى بعض البلدان والهجر للدعوة إلى الله، وقد وافقتنا أيام اتسمت بالرغبة الكثيرة للخير وتعطش عند

(١) ورد التعريف عنه سابقاً في هذا الكتاب، وهذه الكلمة جزء من المشاركة التي كتبها عن رفيق دربه، وبقيتها موجودة في المبحث الخامس (قهوة أبا سليمان)، وقد كتبها بتاريخ السابع من شهر شوال ١٤٣١هـ.

الناس للدعوة، فقلَّ أن نأتي إلى مسجد في مدينة أو قرية أو هجرة إلا ويمتلئ بالمصلين، وكثيراً ما أترك المجال للشيخ عبدالله السلومي يتلو علينا شيئاً من القرآن وكان صوته لذيذ جداً - رغم خشونته - وينسجم معه السامعون، وكان هو أميرنا في الأسفار. ومن الدروس المستفادة أن الذي يُعطي من نفسه ووقته للأمة بإخلاص وصدق فإنه يرى النتائج الطيبة ظاهرة وواضحة على الناس باختلاف مستوياتهم، وكثيراً ما ذهبنا للدعوة لبلدة (المحلاّني)^(١) و(الخشبي)^(٢) و(الفوّارة)^(٣) وغيرها كثير، فلا تسأل عن حلاوة ولذة تلك الاجتماعات والجولات القائمة على كتاب الله وسنة نبيه، وكان بصحبتنا كثيرٌ من الإخوة كبار السن يحفظون القرآن أثناء الرحلات الدعوية ويُسَمِّعون حفظهم على الشيخ السلومي ولم يمنعهم كِبَر السن عن حفظ القرآن حفظاً عن ظهر قلب، وهذا من العبر.

ومن الخصال الكريمة التي تميز بها الشيخ عبدالله حبه الشديد للمعروف، وبذل الإحسان، فهو يُقرض هذا ويجمع لذاكو يساعد آخر، والعبرة فيما سبق أنه جمع بين صنائع المعروف مع قلة ذات اليد ففتح الله له أبواب الرزق، وجمع بين الصدع بالحق وإنكار المنكر وبين محبة الناس له، العامة والخاصة، الحاضرة والبادية، ومن العبرة في جولاتنا الدعوية أنها مبادرات مشتركة - وليست بتكليف رسمي - فكان التعاون الكبير بين عامة الناس وطلبة العلم وبين طلبة العلم أنفسهم، وكانت

(١) المحلاّني: تقع في منطقة القصيم، تابعة لمحافظة عقلة الصقور، انظر: الموسوعة الجغرافية للأماكن في المملكة العربية السعودية (CD) نقلاً عن محمد بن ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم.

(٢) الخشبي: تقع في منطقة القصيم، محافظة الرس، انظر: الموسوعة الجغرافية للأماكن في المملكة العربية السعودية (CD) نقلاً عن عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة - السعودية، الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ.

(٣) تقع الفوّارة في الشمال الغربي من منطقة القصيم، وتبعد عن بريدة، مقر إمارة منطقة القصيم حوالي ١٣٥ كم «بخط مستقيم»، أما طول الطريق المعبّد فهو ١٧٠ كم ويمر بها الطريق مابين منطقتي القصيم وحائل الذي يتجه شمالاً ماراً بمحافظة سميرا وتقع الفوّارة على ضفاف وادٍ كبير ينحدر من جبال الخرشاء والتين وهيفاء وهو أحد فروع وادي الجرير ويسمى باسمها. وتتبع الفوّارة ادارياً محافظة بريدة.

تلك الجولات الدعوية مباركة ومثمرة ولم يعترض سبيلها أحد، وأثرها كما قيل لنا مراراً ومرات ظاهر بين العباد وعلى البلاد، فالدعوة إلى إحياء آداب الإسلام وتعاليمه أمن وأمان للمجتمع والدولة، ولا شك أن نجاح هذه الجولات الدعوية للمطوعين والدعاة والوعاظ هو من ثمرات التعاون والتضحية بالأوقات في سبيل الله، والحب في الله، والغيرة على هذا البلد الطيب المبارك الذي قام على هذا الدين وحفظه الله بهذا، بل وأكسبه القوة والتوفيق، فلم تجمعنا مصالح أو مطامع دنيوية بقدر ما جمعنا - بحمد الله - حب الخير للمسلمين عامتهم وخاصتهم، وقد تسرت لنا كل الأمور ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٢-٣)، وقد رأينا ذلك التيسير بحمد الله بأم أعيننا.

وبكل حال فما مرَّ بي أحلى ولا ألد من مجالستي وصحبتى للشيخ السلومي وأحبابه وأصحابه، -أسأل الله العليّ القدير أن لا يجرمنا الاجتماع في الفردوس الأعلى-.

منتدى السلومي^(١)

كتب الشيخ الاستاذ محمد بن ناشع الشهري في كلمته الطويلة عن ما رأى في (القهوة) ودور صاحبها وزوارها قائلاً: «منتدى السلومي (القهوة) ينتظم الأمور التالية: هو لقاء يومي مفتوح في الصباح والمساء وفي الصيف والشتاء، وفيه يكون نقاش المواضيع، وذلك أشبه ما يكون بالطاولة الدائرية، ويُعدُّ المنتدى مدرسة لا منهجية تُدرس فيه الآداب ويُقوَّم فيه السلوك بأنواع الثقافة وكسب المعارف اليومية، وشيخ المنتدى يستحق الإنصات برغبة أكيدة من السامعين، كما يجيد الإنصات للمتحدث

(١) لطول هذا المقال وأهمية معلوماته عن القهوة كُتب في موضعين من هذا الكتاب في هذا المبحث، وفي المبحث الخامس المعني بالقهوة.

في مجلسه، فيشعر الجميع بالاحترام المتبادل وينطبق على ذلك قول الشاعر:

على ذا مضي عمري كذاك وعُمُرُهُ صفيين لا نجفو ولا نتعب^(١)

والزائر العابر للمنتدى يعقد العزم حال الوداع على تكرار الزيارة، بل إن بعضهم قد يجاور ويستمر في ملازمة حضور المنتدى رغبة في العلم والتعلم من الشيخ السلومي وأخذ دروس من الحياة، والسلومي في مسجده ومنتداه، ومشواره وجلوسه، وفي بيته وسوقه يعمل على تفعيل النصوص ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فهو دائم الذكر والتلاوة والتعليم بلا ملل ولا إطالة على السامع، وهو يتحدث - كما قلنا في موضع آخر - بما يتفق والقاعدة الأصولية: (لا افتئات على الإمام)، وفي المنتدى المذكور يتم إفشاء السلام، وإطعام الطعام، ولين الكلام، فهو كما أشرنا في موضع آخر يتنظم ما ينص عليه حديث الملاء الأعلى، والمنتدى منبر من منابر الدعوة إلى الله عز وجل على هدي رسوله ﷺ حيث يُذكر الله فيه كثيراً بالغدو والآصال، وزبائن المنتدى يحظون بما نصَّ عليه حديث المصطفى ﷺ: «بورك لأمتي في بكورها^(٢)».

من حواضن الدعوة^(٣)

كتب الشيخ الدكتور عبدالله بن صالح الحمود وكان ممن عرفه متأخراً وزاره في قهوته كثيراً فقال: «شخصية أبا سليمان السلومي شخصية كبيرة حظيت بقبول وإجلال كبيرين لدى فئات مختلفة من المجتمع وخاصة المحيطين به - عامة، وطلبة علم ومشائخ كبار - ومن يسمع عن شخصية هذا الفذ تستهويه بكرزيتها

(١) بيت الشعر للشاعر العثيمين في الشيخ العلامة عبدالله بن أحمد العجيري، المصدر متدييات صوت القرآن الكريم على هذا الرابط: <http://quran.maktoob.com/vb/quran30240>

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في التكبير في التجارة، رقم: (١٢١٢)، (٣/ ٣٣٦).

(٣) هو الشيخ الدكتور عبدالله بن صالح بن محمد الحمود، من مواليد ١٣٨٠ هـ إمام وخطيب جامع ابن سعدي بعنيزة تخرج من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حاصل على درجة الماجستير من قسم الثقافة الإسلامية فقه وأصوله بجامعة الملك سعود بعنوان (ضريبة الدخل وتطبيقاتها في المملكة) والدكتوراه من قسم الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية بعنوان (الفروق الفقهية في مسائل الإمام أحمد).

الجلذابه، وبساطتها وحبها للخير وأهله، كما أن الشيخ فوق ذلك كان معاصراً لأحداث كبيرة وضخمة، وتعامل معها وفق مقتضيات العلم والعقل والحكمة، ولعله يصدق فيه قول المتنبي في عجز أحد أبياته في ديوانه: ولا يُخَدِّمُ الدنيا وإيَّاه تَخَدِّمُ.

امتاز أبو سليمان بشخصية جادة، ومَرِحَة في نفس الوقت، والنكته عنده دائماً حاضرة، كما أن غيرته على الدين وأهله كبيرة، ومما ميز أبا سليمان تحليّه بأعلى درجات الاجتماعية مع كل فئات المجتمع المختلفة المقيمين والوافدين، وديوانيته، وأضيافه شاهد على ذلك.

وهو الرجل القامة الذي كان حاضناً من حواضن الدعوة إلى الله قبل الصحوة الإسلامية وبعدها، ولعلّه تأثر بها وأثر فيها من خلال علاقته برموزها وبأولاده ورفاقهم، وهم من كبار طلبة العلم.

رجل افتقدناه^(١)

كتب الشيخ عبدالرحمن بن علي جمعة الرثيع فكان مما قال: «ما رأيناه وما سمعناه عن شيخنا عبدالله السلومي هو كثرة احتقاره لنفسه في طاعة الله، وهذا ديدن الصالحين قبله، ولعل هذا من أسرار حب أهل الخير له وقبوله بين الناس.

لقد كان شخصية فذة في عبادته وذكره لله، لا يفتر لسانه عن ذكر الله. وإن مما أعجبني فيه ثباته على مبادئ هذا الدين العظيم، فلقد مرّت بنا خلال الأربعين عام الماضية تحولات مادية وفكرية واجتماعية تلاطمت أمواجها فناجٍ ومخدوشٍ وهالكٍ، وإنني أرى أبا سليمان غامر فوقّه الله، فلم يُذكر عنه الدخول في مكاسب

(١) هو الشيخ عبدالرحمن بن علي جمعة الرثيع، من مواليد عام ١٣٧٦هـ، وهو أستاذ تربوي سابق في التعليم بمحافظة الرس تخصص علوم اجتماعية من كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد عمل مديراً لجمعية تحفيظ القرآن الكريم بمحافظة الرس.

مادية مشبوهة، أو منافسة في وجاهة دنيوية، أو أنه اشترى بدينه شيئاً من الدنيا. إن رجلاً يستقبل الناس في بيته صباحاً ومساءً ما يزيد على الستين عاماً، يكرمهم ويقضي حوائجهم، ويشفع للمحتاج منهم، هو صاحب المبدأ الثابت الذي لا يتزعزع.

ومن عظم كرمه -رحمه الله- أنه يعرف رغبات المترددين عليه، فلا ينتظر أن تخبره بما ترغبه من مشروبات فقد أعدّ القهوة والشاي والحليب وأنواع أخرى فيعطيك ما يظن أنك تشتهي، فقد كان يتلذذ في إكرام ضيوفه ويبالغ في ذلك مما لم أره في أحد غيره إلا نادراً.

وإني لأعلم له أصحاباً كثيراً من أهل الغنى والجدّة يحبونه ويودون نفعه، ولو أراد الشراكة معهم بمشاريع مادية لكانت، ولكنه لم يدخل في شيء من ذلك، بل كان بعض زوّاره يتداولون هذه الأمور المادية في مجلسه فلا تحرك عنده ساكناً، بل كان همه السؤال عن أحوال المسلمين وعن العلماء والدعاة ومناصرة المظلومين والذبّ عن أعراضهم، وكان حكيماً متفضلاً في ذلك. فله دره من رجل فقيد... وبفقدانه فقدنا مجلسه العلمي».

مرضه ووفاته:

أصيب الشيخ في آخر عمره بداء السكري، وتضاعفت عليه آثار هذا الداء في السنوات الأخيرة من عمره، إضافةً إلى ضعف سمعه وبصره الذي يشكو منه سابقاً، وفي تاريخ: ١/٥/١٤٣٢ هـ توقف عن المشي وعن إمامة المصلين وذلك قبل وفاته بحوالي سنتين وأربعة أشهر، وقد ظل ملازماً لصلاة الجماعة مأموماً، كما أنه صام كامل رمضان عام ١٤٣٣ هـ، ومع مرضه الذي أقعده لم يفتر لسانه من ذكر الله والاستغفار في جميع أحواله، بل وتلاوة ما بقي من القرآن في ذاكرته. يقول ابنه عبد الحميد: «عندما اشتدّ على والذي ضعف سمعه وبصره في السنتين

الأخيرتين من رمضان (١٤٣٢-١٤٣٣هـ) حرص على مراجعة حفظه للقرآن بتلاوته وتسميعه عليّ يومياً للحصول على أجر التلاوة ومحاولة استذكار ما نسيه من القرآن، وكان حفظه جيداً فيما حفظه في صغره وضعيف فيما حفظه بعد ذلك». وأثناء مدة مرضه كان ملازماً للجلوس على الكرسي في مجلسه (قهوته) حتى أقعده المرض بتاريخ: ١/٣/١٤٣٤هـ وصحب ذلك فقدانه للذاكرة، وأصيبت قدمه اليسرى فيما بعد ذلك بداء السكري (الغرغرينا) وبقي حوالي أربعة أشهر بهذه الحالة الصحية، مما تطلب في نهاية الأمر قطع القدم مع الساق، وتوفي -رحمه الله- على إثر هذه العملية بعد أسبوع، وكانت الوفاة بتاريخ: ٢/٨/١٤٣٤هـ في مستشفى الرس العام وصُلِّيَ عليه بعد صلاة المغرب في مسجد الشايخ، ودُفِن في نفس اليوم في مقبرة الرس الجنوبية، وتسلَّم ذووه رقم القبر (٢٧) في عامود رقم (٢)، وكما قال الأستاذ علي بن صالح الزبيدي: «شَيَّعَهُ جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنْ أَهْلِي الرِّس وَطَلَبَةُ الْعِلْمِ مِنْ مَحَافِظَاتِ الْقَصِيمِ وَكَانَ مَشْهُدًا مَهِيئًا فِيهِ الْحُزَنُ بَادِيًا وَمُؤَثِّرًا عَلَى الْجَمِيعِ، بَلْ إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ كَانُوا يَعْزُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا فِي الشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-».

رثاؤه:

رثاه مجموعة كبيرة من العلماء وطلبة العلم من أنحاء المملكة بوسائل التواصل الاجتماعي الالكترونية وغيرها، ومن ذلك رثاء الشيخ الدكتور حمود بن غزاي الحربي وكان أول من رثاه في موقعه في تويتر، كما رثاه الشيخ الدكتور إبراهيم بن عبدالله الدويش، ورثاه الشيخ الدكتور محمد سعيد القحطاني ومما قال عنه: «الشيخ عبدالله السلومي -رحمه الله- ممن عرفته في الله والله، دون أي مصلحة دنيوية!

وهذه المعرفة تربو على ثلاثين سنة، فهو من الحُجَّاجِ والعَمَّارِ كل سنة حتى أقعده المرض، رجل لا يقيم للدنيا وزناً في حياته، زاهدٌ في متاعها وزخرفها إلا بمقدار

ما يقربه منها إلى ربه، حُبُّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجري في عروقه جريان الدم، والصدع بالحق أسمى أمانيه، قلبه يتقطع حسرة على أحوال الأمة في كل مكان، متبتلٌ عابدٌ له أثره الواضح على أبنائه وجماعته فهم يُجلُّونه ويعرفون له قدره، وهو مستشارهم الأمين في كل صغيرة وكبيرة، يفرح ويُسرُّ حين يسمع عن نبوغ طالب علم أو داعية، يعشق كتب ابن القيم وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، وكم سمعته أكثر من مرة يتغنى بنونية ابن القيم، عاش سمحاً كريماً مُبَجَّلاً مُتَحَفِّفَ من الدنيا وأثقالها وقد أنعم الله عليه بصلاح ذريته الذين أرجو من الله تعالى أن يجعلهم خير خلف لخير سلف.

ولو تحدثت عن ما بيني وبينه لاحتجت إلى صفحات طوال! أسأل الله الكريم الذي أكرمني بمعرفته فيه أن يجمعني به في الفردوس الأعلى من الجنة، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.. كتبه فقير عفوره ورحمته محمد بن سعيد القحطاني/ مكة المشرفة: ١٧ / ١ / ١٤٣٥ هـ).
ورثاه الشيخ الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل فقال: «عرفنا الرجل الصالح عبدالله السلومي بالكرم والورع وحب الخير والإحسان والزهد والعبادة رحمه الله».

وكان مما كتبه الأستاذ الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد^(١) في تعزيتة في الفقيه: «كل نفس ذائقة الموت، فأحسن الله عزاءكم في والد الجميع، الذي يشهد له من يعرفه بالخير، والصلاح، والأمة شهداء الله في أرضه كما قال النبي محمد صلى الله عليه، وأعظم الله أجركم وغفر لميتكم، ووفق لوصله وبره بعد موته.

والدكم -رحمه الله- ليس مجرد رقم، بل هو عنصر فاعل، إن حضر فعل، وإن غاب فُقد، وأتمنى أن تحتفظوا بما خطه لكم ورسومه، وأن تتعاونوا على حفظ

(١) أستاذ مشارك في اللغة العربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

اللُّحمة والترابط بين آل السلومي، المهم أن تفعلوا شيئاً مما يحقق رغبته، ويحفظ ما خلّفه فيكم، مع يقيني أنه لن يحلّ محله غيره، في حفظ تواصل الأسرة، والتأثير في الجميع، ولكن ما لا يدرك كلّ يمكن إدراك جلّه أو شيء منه، جُزيتم خيراً، ووفقكم لأعمال البرّ والرشاد والصلاح، وسيّرکم على طريقه (اللهم آمين)».

ورثاه موقع مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية بنشر ما كتبه عنه الدكتور مصطفى بكري السيد في تقديم هذا الكتاب بعنوان: (اقتضاء العلم العمل تطوع عبدالله السلومي أنموذجاً) حيث نشر هذا التقديم تعريفاً موجزاً عن الفقيد - رحمه الله -.

ووردت بعض التعليقات على هذا المقال المنشور عنه يوم وفاته، ومن ذلك تعليق الدكتور إبراهيم بن محمد قاسم الميمني^(١) الذي قال عنه: «مقال يفيض حباً ووفاءً لرجل يستحق كل ذلك وأكثر، وينقلنا هذا المقال إلى ذكريات عشناها مع فقيد الرس والشناة، بل فقيد القصيم بصحبة الوالد - رحمه الله -، ومناقبه ومآثره أشهر وأكبر من أن تُحتزل في بضع كلمات، لكن يكفيه أنه من بقية السلف الذين يُذكرُونك بالله، وبمجالستهم تزداد المجالس إيماناً، فاللهم ارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله ولوالدينا وجميع المسلمين».

ورثاه الأستاذ عبدالله القزلان في تغريدات منها قوله: «ترك إرثاً عظيماً من الأبناء الصالحين نحسبهم كذلك ومنهم د. سليمان، ود. ناصر، ود. محمد، ود. عبدالعزيز، وغيرهم من الرجال الأفاضل»... «ما سلّمت عليه إلا ويقبض بلحيتي ووجهه يشع ابتهاجا وفرحاً مكرراً بصوت مرتفع (ما شاء الله) وحكيته عند كثير وأخبروني أنه يفعلها معهم»... «كان والذي يحبه ويقدره كثيراً ولا يمر أسبوعاً إلا ويأتيه في مجلسه العامر المبارك وكان هو كذلك يقدر والذي رحمها الله جميعاً».

(١) وكيل شؤون المعاهد العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ورثاه الشيخ سليمان المهوس في تغريداته فقال: «توفي هذا اليوم رجل عظيم حكيم، تعلمت منه ما لم أتعلمه من العلماء، وهو من بقية السلف الصالح، حريص على السنة، قدّس الله روحه ورفع درجته في عليين ورحمه رحمة واسعة. وقال لي -رحمه الله-: أن حياة الروح سبب في بقاء صوت الإنسان بعد موته!!!، وحقاً فإن حياة العظماء لا تنتهي بموتهم».

كما رثاه وعزّى فيه محمد بن صالح بن ناصر الخليوي (البودل) رئيس وأعضاء مجلس إدارة مجموعة بودل للفنادق والمنتجعات بصفحة كاملة في صحيفة الجزيرة بتاريخ: ٣/٨/١٤٣٤هـ، مأجورين مشكورين.

ورثاه الشيخ محمد بن عائض القرني مدير المعهد العلمي بالطائف سابقاً بتاريخ: ٥/٨/١٤٣٤هـ بالقصيدة التالية:

نستودع الله من في الرس قد كانا	رمزاً وكان لأهل الخير عنوانا
عميد أسرة أختيار إذا ذكروا	أصغيت للفضل والإبداع آذانا
ما مات من كان أبقى بعده عَقِباً	كالأنجم الزُّهر توفيقاً وإيماناً
أبا سليمان قد غادرت في دَعَة	من بعد عمر مضى براً وإحساناً
جاورت ربك مصحوباً بما عَمِلْتَ	يداك من صالح الأعمال مزدانا
الله أكرم من يولي الجميل ومن	يعطي الجزيل تعالى الله رحمانا
من يفعل الخير يَلْقَ الخير مبتهجاً	في ساحة العرض تكريماً وغفرانا
أما الفقيد فلم أذكره ممتدحاً	حتى غدا لصنوف الفضل عنوانا
إن الثمانين مرّت وهي حافلة	ذكراً حميداً وإطراءً وعرفانا
يا رب رحماك واجعل قبره نُزْلاً	وروضة كُرمت نهراً وبستانا
وضاعف الأجر تعويضاً لفاقده	في جنة الخلد أبناءً وإخوانا

كما رثاه الشيخ الداعية عبدالعزيز بن عبدالرحمن اليحيى بقصيدة ألقاها على ذوي

الفقيد عند زيارتهم وتعزيتهم بتاريخ: ١٤٣٤هـ / ٨ / ٤، وكان من خيرة أحبابه وصحبه سنوات مضت من الدعوة والحسبة بين العلماء وطلبة العلم في منطقة القصيم.

ما راعني نقصُ دنيا أو زيادتها
بل راعني موت شيخ فاضل عَلمٍ
ألم ترَ الشيخَ عبدالله كيف مضى
بكيت والدمع يجري من محاجره
يا قاصداً مجلساً كُنَّا نُسرُّ به
واحمل هُديت من الأعماق تعزيةً
من الدعاة إلى نهج الهدى علناً
في مجلس زانه علمٌ وتذكرةٌ
إذا تلا الآي ما أحلى ترنمه
نهاره ينقضي في العلم ببذله
إن الشنانة تبكي غاب نيرها
مضى على منهج الأسلاف قدوتنا
في أربعين من الأعوام أُلْفَتْنَا
جزاه ربي عن الإسلام منزلةً
فالمت حق قضاه الله خالقنا
أرجوك رحماك يا حسبي ويا أُملي
فاجبر مصيبتنا واغفر لميتنا
ثم الصلاة على أزكى الورى نسباً
وآله والصحاب التابعين له

لم يرمِ قلبي بها رسمٌ ولا طللُ
رحيله عن ربانا فادح جلُّ
عليه نار الأسى في القلب تشتعلُ
لم يصغِ سمعي إلى العذال لو عذلوا
سِلْمٌ على مربع الأحباب إذ رحلوا
في جهنِّد بتقاه يُضرب المثلُ
بهم أنيرت لشرع المصطفى السبلُ
لم يثنه عنه لا مالٌ ولا خولُ
ينسيك دنياك لا همٌّ ولا مللُ
ومعظم الليل في المحراب يبتهلُ
أبو سليمان في إيمانه جبلُ
أئمة الحق لا ميل ولا جدلُ
لله نحسبها والشمْلُ مكتملُ
بجنة زانها الولدان والحللُ
وكل نفس لها في سيرها أجلُ
إليك يا واسع الإحسان نبتهلُ
واختم لنا ختم خير يوم نرتحلُ
بكل ما أحرم الحجاج أو رملوا
ومن على نصره الإسلام قد جُبلوا

▼

ما قبل الخاتمة والخاتمة

▼

قدمت قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات
(الشافعي)

ما قبل الخاتمة: (التاريخ بين الاجتماعي والسياسي)

بعد هذه الجولة المختصرة في ترجمة أحد رموز التطوع المبكر في بلادنا المباركة (بلاد الحرمين - السعودية) تأكد -لي شخصياً- من خلال هذا البحث أن تاريخ الأمم والشعوب هو (التاريخ الاجتماعي) بالدرجة الأولى وما يرتبط به من أمور الدين والثقافة والاقتصاد والتطوع والاحتساب، وهو في الوقت ذاته التاريخ الحقيقي للأمم والشعوب لاسيما أن تدوين التاريخ الاجتماعي مظنة المصادقية والأمانة العلمية، خلافاً للتاريخ السياسي للحكومات والدول الذي هو مظنة المبالغة والتمجيد والاستعلاء بل ومغالطة الحقائق أحياناً خاصة حينما يُدوّن في عصور حكم السياسيين أنفسهم وما يصحب ذلك من محاولات لقلب الحقائق التاريخية بحكم أن السياسة والسياسيين يمتلكون القوة ناسين أو متناسين أن حقائق التاريخ أكبر من القوة بل ومُقدّمةٌ عليها، والبقاء لحقائق التاريخ، ومن هنا تتأكد أهمية تدوين التاريخ الاجتماعي.

كما أكد لي هذا البحث -مرة أخرى- أهمية البحوث والدراسات الاجتماعية في حاضر أي وطن ومستقبله، وكشّف لي هذا البحث أن تقصير الباحثين وكُتّاب التاريخ أو المؤرخين والعلماء في تدوين حياة الأمة الاجتماعية العلمية والمعرفية والتطوعية والاحتسابية بمعزل عن التاريخ السياسي أسهم بشكل كبير في حرمان الأمة من الشراكة المجتمعية في السيادة والريادة والقيادة للأمة فيما بعد ذلك، بل إن عدم تدوين جهاد الشعوب في تأسيس الدول أو في طرد المستعمرين في بعض دول العالم الإسلامي وعدم نشر هذا التاريخ على نطاق واسع زاد من عمليات اختزال التاريخ العام بالتاريخ السياسي دون سواه.

إن عدم تدوين التاريخ الاجتماعي أسهم في اختطاف السياسي للتاريخ وتمدده في الفراغ الذي تكوّن من عدم تدوين التاريخ الاجتماعي وسهّل اختزال التاريخ ليصبح تاريخ الحاكم أو السياسي هو تاريخ الدولة، وتجاوز ذلك إلى أن يكون

الوطن بتاريخه الطويل والكبير هو شخص الحاكم والسياسي دون اعتبار للتاريخ الاجتماعي ومضامينه من تاريخ الأمة العلمي والمعرفي والثقافي والتطوعي والاحتسابي بمجتمعاتها ورموزها وبرجالها ونسائها.

وكل ما سبق أو بعضه عَزَزَ في العالم العربي -بشكل خاص- سيادة الحاكم والحكومة على حساب سيادة الشعوب والأمة، وهذا ما جعل كثيرًا من حكام العرب ينتقصون شعوبهم ويتنكرون لجهودهم العسكرية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتطوعية وغيرها، وبالتالي إبادةهم وسحقهم لكل مكتسبات الوطن عند أي حركة تقتضي التحرر من قبلته تلك الشعوب في البداية يختطف تاريخ الوطن وجهود أبنائه ليكون الحاكم أو السياسي -فيما بعد ذلك- هو وحده التاريخ وهو وحده المعجزة وهو الوطن برمته، فهو بتزوير التاريخ الذي أسهم فيه المنافقون والمطلبون أصبح لا يستوعب إلا أنه هو صانع التاريخ أو هو التاريخ، بل هو الوطن كله^(١)!!.

وهذا الواقع السابق ذكره بنتائجه وثمراته من تصغير للأحداث الكبيرة وتكبير للأحداث الصغيرة وما يرتبط بذلك من جحود لتاريخ الأفراد والمجتمعات وجهودها وجهادها هو ما رَسَمَ الاستبداد وشرعن التسلط، بل وأحياناً التشريع للحياة من دون الله.

وفي سياق التطوع فإن نجاح الأعمال التطوعية -في زمن عزَّ فيه وجود مؤسساته وجمعياته، كما عزَّت فيه الإمكانات الإدارية والمادية- يكشف بجلاء عن أهمية الإرادة التطوعية، وهي هنا الإرادة الأهلية بدوافعها الخيرية (الدينية) التي

(١) يلحظ هذا بوضوح في أحداث ما يُسمى بتاريخ الربيع العربي حيث ثورات بعض الشعوب ضد حكامها وحكوماتها وتعاطي السياسيين مع شعوبهم، ويتأكد ما ورد أعلاه ما فعله الحاكم الليبي (القذافي) بالشعب الليبي بسلاح الدولة وخطابه لهم بانتقاص بقوله: (من أنتم !!)، وما فعله الحاكم السوري (بشار الاسد) مع شعبه الثائر حيث التشريد والإبادة الممنهجة ضد الشعب السوري، مع تدمير لمعظم مكتسبات الدولة والوطن (ومعظم ذلك بسبب ما سبق).

تجاوزت معظم العوائق والتحديات مما يستلزم تدوين التجارب التطوعية عن الأفراد أو عن جهود المؤسسات القائمة على المبادرات الأهلية.

لقد قام كثير من المطوعين المتطوعين بأعمال جليلة في معظم مجالات احتياجات المجتمع التعليمية والإرشادية والدعوية والخدمية والإغاثية والاحتسابية وغير ذلك مما لا يسع المقام لتفصيله وذلك في أزمنة مبكرة قبل اكتمال قيام مؤسسات الدولة الخدمية، وقبل ميلاد المؤسسات والجمعيات الخيرية الأهلية، فلكل واحدٍ من رموز التطوع تاريخه وقصته مع التطوع، لا سيما أن التطوع في أزمنة شُحِّ الموارد الخاصة والعامة كان له احتياج وقيمة، وهذا ما يتطلب التضحيات الكبيرة بالنفس والوقت والمال، وتزداد تلك القصة طولاً حينما يُضاف إليها حجم العوائق ومصاعب تجاوز التحديات للأعمال الفردية المباركة.

وبعد ميلاد التطوع المؤسسي في الوطن السعودي حيث مؤسسات وجمعيات المجتمع الأهلي والخيري التي هي خير خلف لخير سلف، أدرك الناس مدى ما قدمه التطوع الفردي للمجتمعات فيما سبق من احتياجات وخدمات، فتلك المؤسسات والجمعيات الخيرية المباركة بأجمعها حلقة من حلقات التطوع، لأنها مبادرات أهلية تطوعية، وأحياناً كثيرة تقوم على أساس مبادرات فردية تتحول من البداية أو مع الزمن إلى عمل مؤسسي منظم وكبير، يستوعب طاقات أفراد المجتمع، ويوظفها معنوياً ومادياً، ليعم بذلك نفع تلك المؤسسات والجمعيات بالمملكة لكثير من المجتمعات في الداخل والخارج.

وفيما قدمه -السابق واللاحق- تتأكد المسؤولية التاريخية في أهمية تدوين الإنجازات والمنجزات بأبحاث علمية ودراسات أكاديمية عميقة تحفظ حقوق التاريخ الاجتماعي للأفراد والمؤسسات والجمعيات والأمم والشعوب، وهذه الأهمية السابقة تأتي بالرغم من عدم الرضا عن أعداد المؤسسات والجمعيات القائمة أو الحالية وحجمها لأنها لا تمثل طموح المواطن الصالح بشكل كامل،

ومع ذلك كله فإن لتدوين المبادرات الأهلية التطوعية في إنشاء المؤسسات والجمعيات والكتابة عن أهميتها التاريخية والعلمية وعن ميلادها ونشأتها وتطورها وتنوع برامجها وتزايد أعدادها وتوسع خدماتها مع الأخذ بعين الاعتبار تدوين التحديات الإدارية وحجم العوائق المالية المتنوعة كل ذلك أو بعضه مما يستوجب التدوين للتاريخ والدرس والعبرة.

فلو تأملنا إحصائيات نهاية عام ١٤٣٣هـ - كأنموذج مختصر - عن منجزات وأعمال جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في خدمة كتاب الله وخدمة المجتمع ونمو عددها الذي بلغ (١٦٥ جمعية)، ونظرنا في إحصائيات أخرى عن مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات والتي أسهمت في الحفاظ على الوحدة الفكرية في الوطن السعودي وبسّرت الاندماج الثقافي للوافدين، ووصل عددها بالمبادرات والجهود التطوعية الأهلية إلى أكثر من (٢١١ مكتب)، ثم بعد ذلك وقفنا قليلاً عند منجزات وأعمال وإحصائيات ما يتعلق بجمعيات الأسرة والزواج لوجدنا آثار صناعة التطوع الأهلي على الأسرة والمجتمع والدولة ودور ذلك في نمو أعداد تلك الجمعيات والتي بلغت (٢٠ جمعية)، ونظرة عامة في إحصائيات المستودعات الخيرية وحجم خدماتها مع نمو أعدادها التي بلغت (١٥ مستودعاً خيراً) فإن ذلك كافٍ لمعرفة حجم الخدمات المقدمة للمجتمع، وكذلك جمعيات البر التي بلغ عددها (٥٣٤)، وغيرها من الجمعيات التطوعية، وكل ذلك أو بعضه يكشف عن حجم الشراكة المجتمعية في سد نقص الخدمات الحكومية، وهذه الإحصائيات المختصرة تكشف مستوى الاضداد، فكما يقال: فبضدها تتميز الأشياء، فيكفي الراصد أو القارئ ملاحظة حجم القصور أو النقص في مستوى الخدمات التي يحتاج إليها المجتمع السعودي في حالة تصورها غياب تلك الجمعيات، بل وأثر هذا الغياب لو تخيلنا بلاد الحرمين من دونها!!.

إن المسؤولية التاريخية في التدوين تتعاضد حينما يتم الاطلاع على بعض التقارير السنوية لتلك الجمعيات والمؤسسات، أو على شيء يسير أو كثير من مخرجاتها

وثمراتها المجتمعية المباركة، فالتدوين عن ما سبق مسؤولية كبرى على المؤسسات المانحة، وعلى الجمعيات الممنوحة أيضاً، وهي من أوليات البحوث والدراسات في الجامعات والكليات ومراكز الأبحاث والدراسات، وكل أولئك مسؤولون عن التدوين العلمي لهذا النوع من المبادرات الأهلية التطوعية، وهي منجزات كبرى تُسجَّل أقل منها لدى معظم دول العالم الذي يعمل بسياسة ومفاهيم القطاع الثالث^(١)، كما أنها مصدر فخر واعتزاز لدى دولها، لأنها تضعها في مصاف الدول المتقدمة، حيث تمنح تلك المؤسسات بمنجزاتها وبأعدادها وحجمها الكبير دولها إمكانية الحصول على مؤشرات التصنيف العالمية العليا في السلم الحضاري، وبالتالي فالدول هي من يحصد الجوائز والشهادات، ويحصل على الأوسمة والمكافآت لأن العمل التطوعي أفراداً أو مؤسسات من أبرز منجزات التاريخ الاجتماعي للأمم والشعوب على مر العصور.

والتدوين الصحيح عنها في (بلاد الحرمين - السعودية-) أولى وأهم، وذلك حفظاً للحقوق الاعتبارية والاجتماعية والإنسانية لكل إنسان مُبادر متطوع. وإبراز المبادرات الأهلية والجهود التطوعية، فيه تعويض عن بعض جلد الذات باستخدام منهج تدوين الإيجابيات ومعالجة السلبيات، كما أن هذا التدوين يخدم التاريخ في حاضره ومستقبله، لأن ذلك يُعزِّز قيم الشراكة المجتمعية لدى الأجيال في الحاضر والمستقبل - كما سبق -، كما أنه يزرع حب الاقتداء وقوة الانتماء للتاريخ الشامل للوطن والمواطن.

(١) انظر عن حجم الاهتمام العالمي والقيمة الاعتبارية لمؤسسات التطوع عالمياً، كتاب القطاع الثالث والفرص السانحة - رؤية مستقبلية، محمد السلومي، والكتاب كما وُصف: مبادرة علمية إدارية، وهو إسهام في الإصلاح الاجتماعي والإداري والسياسي لدول العالم العربي كما وصفه المقترضون له، ومن ذلك ما كتبه الشيخ صالح الحصين عن الكتاب حيث قال: «المأمول أن يكون مثل هذا الكتاب جرس تنبيه عن الغفلة السائدة لدى الأمة...»، وما كتبه مركز مداد عن الكتاب: «إنه ليس كتاباً علمياً فحسب، بل هو خارطة طريق لمشروع القطاع الثالث».

وإذا كان ما سبق يكشف عن أهمية التاريخ الاجتماعي وتفوقه في كثير من الجوانب على التاريخ السياسي، فإن ذلك يُعدُّ من أبرز نتائج البحث في هذه الترجمة، والخاتمة التالية تتضمن بقية النتائج.



الخاتمة: (دروس وعبر)

أسهم هذا البحث في الدراسة والترجمة لهذه الشخصية برسالتها التطوعية بنتائج ودروس وعبر تاريخية عامة مهمة، ومن أبرز ذلك فتح نوافذ معرفية للأجيال، وما في هذا من فتح أبواب للأمل والعمل التطوعي، وليس بالضرورة استنساخ التجارب والوسائل ففي الأمل والعمل التطوعي يكون الإبداع، ولعل من أبرز النتائج والدروس والعبر من هذه الترجمة وما فيها من تجارب تطوعية مبكرة ما يلي:

أولاً / دراسة تراجع وسير المتطوعين تؤكد أن (التطوع قيمة كبرى) للشعوب والحكومات وللأفراد والمجتمعات وللمانح والممنوح بحكم أثرها وتأثيرها، والتطوع بهذه القيمة الكبيرة يتجاوز التحديات والعوائق، فوسائل التطوع وأدواته وبرامجه لا يحكمها زمان أو مكان، بل إن من سماته أنه لا يرتبط بالوفرة المادية أو عدمها ما دام أن المحرك له إرادة قوية بدوافع دينية، فالعلم بالسرعة والاستجابة للعواطف الدينية من أهم محفزات التطوع ونجاح برامجه، والتمويل خطوة تالية وأهمية لاحقة، والمناخ السليم لنمو التطوع ينشط في الغالب بغياب المؤسسات الحكومية الخدمية، أو مع الضعف الاقتصادي أو السياسي للدولة -أي دولة-، لاسيما في حالة غياب تطبيقات الإدارة الحديثة للدولة والتي من

أبرزها التعاطي مع التطوع ومؤسساته على أنها قطاع ثالث من قطاعات التنمية. ومن أخطر معوقات التطوع التعاطي الخاطئ لمفاهيم السيادة المقتصرة على سيادة الحكومة عند كثير من الدول، أو التطبيقات البيروقراطية للدولة الشمولية التي لا تؤمن بأهمية التكامل بين القطاعات الثلاثة للدولة.

ومن أمراض العصور المتأخرة عند بعض الحكومات أن أصبح الثراء المادي لها مشجعاً على الاستغناء -بزعمها- عن خدمات التطوع المجتمعي وقيمه التطوعية، جاهلة أو متجاهلة أن ذلك من أبرز حقوق الإنسان المانح والممنوح (خيرُ الناس أنفعهم للناس)^(١) بغض النظر عن ثراء الحكومات أو فقرها، إضافة إلى أن التطوع مظهر من المظاهر الحضارية للدول وما فيه من شراكة مجتمعية، والتكامل بين القطاعات الثلاثة للدولة عنوان من عناوين الدولة الراشدة.

والحقيقة أن السلوك السياسي السلبي تجاه البذل التطوعي من كثير من الحكومات الإسلامية يتنامى مع أجواء ضعف الاحتساب السياسي الذي هو صورة من صور التطوع، وهذا السلوك في الوقت ذاته يتنافى مع نظم الإدارة الحديثة للدولة الراشدة التي تتعاطى مع قيم التطوع والتبرع والشفافية والاحتساب بقطاع ثالث مستقل عن القطاع التجاري وعن القطاع الحكومي، فالثروات عند الحكومات أو احتكار حقوق السيادة لها ليستا مبرراً لانتهاك حقوق الفرد وحقوق الدولة بقطاعاتها الثلاثة وما فيها من تكامل في السيادة وهي: (الحكومي، والتجاري، والقطاع الأهلي الخيري وهو ما يسمى بالقطاع الثالث).

ثانياً/ (حرية قيم التطوع) قيمة أساسية في صناعة كثير من المنجزات للشعوب والحكومات، وما سبق في هذه الترجمة من عرض لبعض برامج التطوع أو وسائله إضافة إلى عشرات الآلاف من أمثاله من المتطوعين تؤكد الآثار المثلى لحرية التطوع.

(١) ورد تخريج الحديث في المبحث السادس.

إن مما يلفت نظر الدارس في الحياة الاجتماعية أن من يُسمَّون (المطوعة) إضافةً لوظيفتهم في الإمامة والإرشاد هم في الوقت ذاته في الغالب من أصحاب المشاريع العملاقة في الإصلاح المجتمعي من خلال مبادراتهم التطوعية، وذلك مما يؤكد أن تلك الحرية تستمد قوتها من تشريعات التطوع في الإسلام -كرامة وحقوقاً ودعوة وإغاثة وعلاقات أسرية ومجتمعية ودولية- وفي الوقت ذاته فإن هذه التشريعات لا تنافسها في شمولها وكمالها قيم الأرض بقوانينها وحقوقها، أو بلجانها الإنسانية ومجالسها العالمية ومنظماتها الدولية التي وُلدت كردود فعل للحروب والأزمات الدينية والسياسية التي اجتاحت الغرب بشكل خاص لا سيما في أوائل القرن العشرين، وإن التطوع بدوافعه الدينية في المجتمعات الإسلامية خاصة كافٍ عن الدوافع المدنية أو الإنسانية أو الدوافع السياسية، فَفَشَلُ التطوع أو ضعفه في معظم دول العالم العربي ناتج عن ضعف في تطبيق الشريعة سواء على مستوى الأفراد أو الدول، مع قصور في التطبيقات الإدارية السليمة لقيم الدولة الحديثة التي تولى التطوع أهمية كبرى، وضعف مقصود لدى الإرادة السياسية، بل إن النقص الواقع في تلبية الاحتياج والطلب العالمي المتزايد للتطوع في تشريعات الإسلام في هذه العصور المتأخرة، ناتج عن تقصير المسلمين أنفسهم في عرضها، والعمل بها، وتسويقها بما يتفق مع لغة العصر ومتطلباته، وتَحُلُّفُ المسلمين في هذا الشأن -كغيره- لم يكن ناتجاً عن الإسلام، ولكن لإخفاقهم في أن يَحْيُوا كما أمرهم الإسلام، كما أكد ذلك مفكرو الغرب ممن فهموا حقيقة الإسلام وتشريعاته، وعرفوا سر حضارته وقوته من تاريخه الحضاري القائم على حرية البذل التطوعي والأوقاف المستقلة.

ثالثاً/ من الحقائق التاريخية أن كل مسلم ومسلمة اتصفوا بالإيجابية وتحرروا من الأنانية بأن قدَّموا الخير والعلم للغير أصبحوا بما سبق ضمن (السياق التاريخي العام) للمجتمعات والدول، وهم بهذا جزء لا يتجزأ من التاريخ الاجتماعي أو السياسي أو كليهما.

بل إن تجاهل الظواهر الاجتماعية للأمم والشعوب بمضامينها ورموزها نقص في المنهجية العلمية لتدوين التاريخ، لاسيما أن الخيرية والشراكة المجتمعية في تأسيس هذا الوطن السعودي وبنائه -على سبيل المثال- واضحة وظاهرة لكل منصف من داخل الوطن وخارجه، فتعزيز (الأمن) الفكري والاجتماعي على حد سواء من قبل المطوعين (المطاوعة) زمن الملك عبدالعزيز -رحمه الله- أو المطاوعة المتطوعين فيما بعد ذلك حقيقة تاريخية، تسندها الروايات التاريخية، كما يسندها الواقع المشاهد، كما أن القناعة بدورهم في البر والإحسان وتقديم العون والمساعدة لكل إنسان في مجتمعه كان إسهاماً في تحقيق الأمن الاجتماعي، وبالأمن الفكري والاجتماعي تتعزز قيم الوطنية^(١) الصحيحة عند الناس، ويتحقق الأمن السياسي للدولة.

واستهداف الأعداء بمزاعم الإرهاب لهذه الخيرية دليل على وجودها وأثرها القوي، وتؤكد قيمتها أن الاستهداف صادر من متعصبي الخارج ومرضى الداخل الذين أصابهم مرض فقدان المناعة الفكرية داخل مجتمعات المسلمين.

رابعاً/ (الإصلاح) المجتمعي والبصمات الإيجابية متاح لكل إنسان على قدر علمه وطاقته، كما قال المصطفى ﷺ: (كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ)^(٢)، وليس الإصلاح مقتصرًا على أشخاص معينين كالساسة الكبار، أو العلماء من أهل الصلاح والوقار، أو رجال المال والإدارة فحسب، بل كل إنسان يمتلك عملاقاً في رأسه وكنزاً نفيساً بين جنبيه، ما عليه إلا أن يطلق هذا العملاق، فالإرادة السليمة القوية للإسهام في نفع المجتمع والأمة، تُعدُّ من المهام الجسيمة التي تستحق التقدير والاحترام، بل إن خير الناس أنفعهم للناس، والخيرية منزلة أعلى من الجاه والمال وما فيهما من مقاييس خادعة.

(١) المقصود بالوطنية هنا: الوطنية القائمة على القيم التاريخية للأمة بدينها وخصائصها الجغرافية وخصوصياتها التاريخية، وليست الوطنية المستوردة، انظر بحث (الوحدة الوطنية - السعودية حالة دراسية) تحت التأليف.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/٢.

فكل مسلم مطلوب منه الإصلاح حسب طاقته، وذلك بأن يضع لنفسه (مشروعاً خيراً) طويل الأجل لخدمة مجتمعه ودينه مهما كان المشروع صغيراً، ليسعى إلى تحقيق أهدافه في حياته وقد يمتد له بعد مماته، وليس بالضرورة استنساخ التجارب بكل جوانبها، فالمؤمنون والمؤمنات بقدر إخلاصهم في العبودية لله يكتب الله لهم النجاح، ويوفقون إلى أصلح الأعمال والمشاريع (واتقوا الله ويعلمكم الله) كما يكتب لهم في هذا العمل الحياة بعد الموت، وإسهامهم في تطبيع التطوع ينعكس إيجاباً على الأجيال بعدهم، حيث الاقتداء المشروع بالاستفادة من التجارب، فلئن بليت الأجساد التي لا قيمة لها بعد الموت - كما كان يُكرر المعنى بهذه الترجمة في هذا الكتاب - فإن السنن الحسنة والذكر الحسن والمآثر الطيبة، والمواقف الصادقة، والأعمال الصالحة تُحيي أصحابها بعد الممات كما قال المصطفى ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)^(١).

لقد سهّلت (التقنية الحديثة) خاصة في مجالات التواصل المجتمعي والاجتماعي والأسري أموراً شتى وأصبحت الوسائل الإلكترونية حجةً للمسلم وعليه، وأتاحت لكل مسلم ومسلمة فرصاً قوية للإصلاح، كما عززت فرص نجاح المشروعات التطوعية حينما اتسعت مجالات ووسائل وبرامج التطوع بالنفس والوقت، وأصبح بمقدور كل مسلم ومسلمة أن يكون لوحده، أو مع غيره، من مكتبته الخاص، أو من منزله، مؤسسة خيرية ذات عطاء أو إرشاد أو تعليم ودعوة، بل أتاحت التقنية لكل إنسان أن يكون إذاعةً أو قناة تلفزيونية أو صحيفةً إلكترونية يُسمَع لها أو يقرأ فيها الملايين من البشر، فالإنسان أصبح بمعطيات هذه التقنية رئيس التحرير، والمحرر، والناشر، في الوقت ذاته، بل هو صانع الخبر

(١) أخرجه مسلم - كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

ومُسَوِّقه وناقله، والمهم في هذا كله أن تكون الرؤية واضحة، والرسالة هادفة، والوسائل مشروعة، وأحسن الأعمال عند الله أدومها وأصوبها وإن قلَّ.

خامساً/ (الزهد) في الدنيا وزخرفها وزينتها مما يتلازم مع الاحتساب في الغالب، والزهد بما عند الناس يُعزِّز المصداقية ويُحبب الناس بعضهم لبعض، كما أنه يُقوِّي الاحتساب فقد كان الشيخ قوياً في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، والاحتساب القوي ثمرة من ثمرات الزهد في الدنيا ومتاعها، وغالباً تتلازم القوة في الحسبة مع الزهد حيث لا شيء يُرجى من الدنيا، ولا شيء يُخاف منه أو عليه كما هو حال صاحب هذه الترجمة.

فالشيخ عبدالله حسب ما سبق في هذه الترجمة كان صاحب احتساب ومبادرات قوية في مجتمعه، فمبادراته المتنوعة كانت دون تكلف أو تكليف من أي جهة، وقوته الاحتسابية كانت من ثمرات زهده فمبادراته في الاحتساب وتنظيم مجموعة احتسابية، ومبادرات فتح مجلسه (القهوة) طوال عمره وما يصحبها من برامج وأعمال، إضافةً إلى مبادرة حملات الحج، ومبادرة تحفيظ القرآن وتعليم العلوم الشرعية، ومبادرات أخرى في أعمال البر والإحسان، كل ذلك كان فيه جانب الزهد مؤثر إيجابي وفَعَّال.

كما أن (التطوع) بالنفس والوقت والتبرع ولو باليسير من المال مما يزيد من حالات السرور والسعادة، فقد كان الشيخ مستمتعاً بالحياة الدنيا ومتاعها الصالح، بل وبحجم في السعادة أكبر من سعادة المترفين وأرباب المال والجاه والسلطة، وهذا من أسرار ما كان يردده الشيخ عن إبراهيم بن أدهم: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن عليه لجالدونا عليه بالسلاح»^(١)، وذلك كناية عن السعادة ونعيم الدنيا التي يعيشها المؤمن المتطوع، والمسلم المتطوع لا يخسر شيئاً بل إنه بتطوعه يكسب الكثير في الدنيا والآخرة.

(١) انظر: ابن قيم الجوزية في كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، طبعة دار المعرفة، ص ٧٧.

سادساً/ تبديد (الوهم) النفسي، فالوهم من أكبر معوقات العمل، فسبل الإصلاح للأسر والمجتمعات كثيرة ولا مجال للضعف أو التقصير بزعم أن هناك أخطاء في المجتمع كبيرة، أو أن الفساد عام، والأناية ضاربة أطناها والناس لا يستجيبون، فالإخلاص في تقديم الخير، والنصح للناس مع المتابعة والعمل بسنة المصطفى ﷺ، وسائل فعّالة في تحقيق الأهداف مع احتساب الأجر بالعمل وليس بالتأجيل، فالخوف من الفشل وهم، والخوف من عدم قبول الناس وهم آخر، والخوف من الناس أو من أي سلطة كانت وهم قاتل للعمل والإبداع، ومكرّس للفساد بصورة المتنوعة، وبالتالي مضعف للتنمية والشراكة المجتمعية، ولا سيما أن الوهم يولد الخوف من البشر وهذا خطير على المعتقد كما كان يردد المعني بهذه الترجمة بقوله عن نبي هذه الأمة محمد ﷺ: «لو اجتمع أهل الأرض على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك^(١)» ومردفاً بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

سابعاً/ في الإسلام تعلق قيمة الإنسان بخيريته وتقواه ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَفْتَنَكُمُ إِنْ أَلَّهِ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠)، بل إن تشريعات التطوع (تصنع القيادات) والمسلم الحق من يحمل هموم مجتمعات المسلمين، وطموحات الأمة الإسلامية والعمل على إصلاح أحوالها، وذلك ما كان يردده ويعمل به فئة مباركة من أفراد المجتمع الذين عملوا بتوجيهات نبي الأمة محمد ﷺ: «مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، المجلد الرابع، حديث (٢٥١٦)، الناشر المكتبة الإسلامية، القاهرة، ص ٦٦٧.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه، وقال فيه الألباني: ضعيف جداً، انظر السلسلة الضعيفة ج ١ / ٤٨.

وحقاً إن هؤلاء الذين يتجاوزون ذواتهم عملة نادرة - كما يُقال - وكما كان يردد المعني بهذه الترجمة حيث يُذكرُ تلاميذه دائماً بقول نبي هذه الأمة محمد ﷺ: «إنما الناس كالإبل المائة، لا تجد فيها راحلة»^(١)، لافتناً النظر إلى شُحِّ القيادات قائلاً: «الفحول كثير والرجال قليل، والركب كثير والحاج قليل، والكتب كثيرة والمستفيد قليل، وعلم الرواية كثير وعلم (الدراية) قليل، ويصحب ذلك قلة العمل والعاملين، ولكن بركة أمة محمد وخيريتها ظاهرة للعيان».

وأخيراً أقول حمداً لله الذي أعانني على هذا (المشروع العلمي) الذي لم تكن حَجْمُ تحدياته الحقيقية معروفة قبل الشروع فيه، حيث أسهم عدم العلم بها - بحمدِ الله - في إنجازه وكماله، وحقاً إن الجهل بحجم التحديات كان خيراً، ومن المهم التذكير بأن من الدروس المهمة في إنجاز المشاريع العلمية أن يعطيها الباحث من أصول أوقاته، فمن أعطاها فضول الأوقات أعطته فضول النتائج، فهذا البحث بمتطلباته العلمية تجاوز البناء فيه أكثر من ست سنوات متصلة وهو يُصبح ويُمسي، بل ينام ويستيقظ مع المؤلف، وفي كل الأحوال أدركتُ أن لوالدي ووالده منزلة عند ربهم حينما سخرني الله لهذا المشروع وأعانني عليه بالرغم من أن ظروف الحياة ومعوقات المعاصرة لا تخدم ميلاده أو كمال إنجازه.

وفي هذا المقام من التدوين التاريخي ثبت لي بشكل عملي أن سنن الله وقوانين التاريخ تؤكد أن الحق لا يضيع، وأن الحقيقة لا تطمسها عوامل الزمن التاريخية، أو عوامل التعرية أو التجوية الجغرافية، وأدعو الله أن تكون كتابتي في هذه الترجمة والترجمة السابقة (سليمان بن ناصر السلومي - الشخصية والرسالة -

(١) انظر: علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، كتاب الأدب، باب تغير الناس، الجزء الثامن، سنة النشر: ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م، ص ٣٣٦٠، رواه أحمد، والشيخان، والترمذي، وابن ماجه.

دور المطوعين (المطوعة) في الوحدة الفكرية) وكذلك الكتاب المعني بوالدي (أمي مدرستي - نورة بنت عبدالله العضيبي) من الإسهامات المهمة في سن السنن الحسنة في الكتابة عن التاريخ الاجتماعي بصورة تحديثية (غير تقليدية)، وأن تكون هذه الكتابات التاريخية الاجتماعية إسهاماً في بواعث التجديد في تدوين التاريخ الاجتماعي ومحفزاته وما يرتبط به من الجوانب المتلازمة معه حفظاً لحقوق الأمة.

لقد كانت هذه الترجمة عن الشيخ عبدالله وعن والده سليمان في كتاب واحد، ثم اقتضى البحث العلمي إدخال مبحث عن المطوعة ودورهم التاريخي، إضافةً إلى مبحثين عن (الشناعة والرس) فأصبح التشعب بقدر ما هو مطلب علمي إلا أنه مؤثر سلبي على أهمية الموضوع الواحد والرسالة الواحدة لأي كتاب، وذلك ما أوجب فصل تلك التراجم والموضوعات كل على حدة لأن لكل واحد رسالة فكان ذلك بحمد الله وتيسيره، كما أن من الشناء على ربي أن أقول: إن النتائج التي خرجتُ بها من هذا البحث ودَوَّنْتُ أبرزها فيه كانت تفوق ما توقعته بكثير قبل البدء بهذا المشروع فأصبحت النتائج تُنسي التحديات^(١)، ولعل ذلك كله من بركات دعاء الوالد لولده، ودعوات أي والد لأولاده ولجميع ذريته حقيقة ظاهرة النتائج في الدنيا قبل الآخرة، لا حرمنّا الله وذريتنا وجميع إخواننا المسلمين قبول دعواتهم الصالحة إنه سميع مجيب.

(١) من التحديات النفسية تكرر السماع لقول كثير من الناس: (الناس لا يقرأون، والتقنية العلمية أصبحت بديلاً عن الكتاب)، وبالرغم من أن عدم القراءة للكتاب العلمي أصبحت حقيقة مؤلمة إلا أن أهمية تدوين التاريخ للأجيال حقيقة أكبر من القول السابق، وأهم من ذلك أن التدوين واجب على كل قادر دون النظر إلى النتائج، ثم هناك تساؤل مطروح مفاده: من يستطيع القول جازماً بأن هذه التقنية سوف تستمر إلى يوم الدين؟! والله علام الغيوب، ومع الأخذ بعين الاعتبار عدم القراءة للكتب فإن جهود أصحاب التقنية المتطوعين في أنحاء العالم الإسلامي وغيرهم تعتمد في غالب أحوالها على توظيف التقنية المعلوماتية بإزالة الكتب أو بعض محتوياتها، بل وتحويل معظم الكتب العلمية إلى كتب إلكترونية، وواقع المواقع الإلكترونية المتعددة على شبكة المعلومات خير شاهد على ذلك.

وختاماً فله الحمد والشكر وحده على أن هدانا للإيمان بكمال عدله وتشريعاته
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
ومن سار على منهجه إلى يوم الدين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

يمكن الحصول على هذا الكتاب كاملاً pdf أو ebook من الموقع التالي:
www.3rdsector.org





ملاحق الكتاب

الملحق رقم (١)

ترجمة عبدالملك السلومي - (حفيد المترجم عنه) - رحمهما الله -

هو: عبدالملك بن محمد بن عبدالله السلومي، ولد في: ٥ / ٥ / ١٤٠٥ هـ، ودرس في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم المرحلة الابتدائية، وأكمل المرحلة المتوسطة والثانوية في المعهد العلمي، ثم حصل على شهادة البكالوريوس من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى عام ١٤٢٥ هـ، وحصل على رخصة محاماة، وسُجِّل محامياً لدى قيد وزارة العدل برقم: ٢٦ / ٧٥ وتاريخ: ٢١ / ١٠ / ١٤٢٦ هـ، ثم التحق وظيفياً بهيئة التحقيق والادعاء العام بتاريخ: ٤ / ٧ / ١٤٢٨ هـ، كما حصل في أثناء عمله بالهيئة على الدبلوم العالي في برنامج الأنظمة الجزائية التابع لمعهد الإدارة العامة بالرياض لمدة سنة (من: ٢٦ / ٨ / ١٤٢٨ هـ، حتى: ٢٤ / ٩ / ١٤٢٩ هـ)، وكانت نهاية خدمته من الهيئة في: ٢٩ / ١١ / ١٤٣٠ هـ وهي بداية انتقاله إلى الجامعة الإسلامية لتحقيق طموحاته العلمية للالتحاق بالدراسات العليا، وابتعث في بداية عام ١٤٣١ هـ لإكمال دراسته تخصص قانون - حسب مشورة أبيه -، وحصل على شهادة الماجستير من جامعة (ايسن انجليا) ببريطانيا نهاية عام ١٤٣٣ هـ، متزوج وله ابنتين (مريم المولودة عام: ١٤٣٠ هـ) و (وفاء المولودة عام: ١٤٣٢ هـ) من زوجته الكريمة / غادة ابنة د. محمد بن علي العقلا.

صفاته:

كان من صفاته - رحمه الله - أنه ذو هممة عالية وجدية واضحة وطموح كبير، وإرادة قوية في تحقيق أهدافه وتطلعاته في أمور حياته العلمية والعملية، ومن صفاته التي عُرف بها الصبر والتحمل ولم يكن يحب الرتبة ونمط الحياة المعتاد، فقد كان صاحب عزيمة تتحدى العوائق والصعوبات، وكان يحب المغامرات وما فيها من تحديات،

ويتحمل بصبره نتائجها، كما عُرف بين زملائه ومحبيه بالكرم والجود والإحسان، ومما عُرف به ابتسامته وطلاقة وجهه مع الجميع وكتبها عنه معظم زملائه ومحبيه في رثائهم، ومن تغريداته التي تكشف عن بعض صفاته قوله: (عندما تتصدق على فقير، لا تظن أنك قد مثَّلت دور الكريم على المحتاج بل أنت مُحتاج يُعطي مُحتاج.. حاجته عندك.. وحاجتك عند الله). ومن صفاته أنه كان يرتاد جميع المجالس، ويحاور ويناقش الجميع لإيصال ما كان يؤمن به دون تنازلات عن مبادئه وقيمه، وهذا ما عُرف عنه وشهد له بذلك معظم زملائه من المشيعين والمعزين، والمتصلين فيما بعد ذلك على والديه وذويه. وفي إيراد بعض ما كُتب عنه من رثاء وتدوينه في هذا الملحق إثراء وإضافة لما عُرف عنه من صفات ومآثر حميدة.

وفاته:

توفي في مكة المكرمة وعمره قد تجاوز (٢٩) عاماً وثلاثة أشهر إثر حادث مروري مساء يوم الاثنين ٢٤ ذو القعدة ١٤٣٤هـ وصُلِّي عليه بعد صلاة المغرب في اليوم التالي بالحرم المكي حيث جموع غفيرة من الحجاج، ثم دُفن بمقبرة العدل رقم (٣) برقم القبر: ٣٢١ / ٧ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وعوَّض الله شبابه بالجنة، وجعل قبره روضة من رياضها. وكان قد غرَّد عن الإنسان بعد موته عند الآخرين فقال: «عندما نموت لا يهم موتنا الآخرين.. بعضهم يُغسل، بعضهم يُصلي، بعضهم يبكي، بعضهم يُواري، بعضهم يرثي، لكنهم كلهم يستعدون للنسيان».

رثاؤه:

نعاه كثير من محبيه وأقربائه وذويه بكلمات معبرة ومصبرة، وبأبيات شعرية، وكانت التعازي الإلكترونية فيه بوسم #عبدالملك_السلومي، وقد تم جمعها

برسالة مكتوبة بعنوان: (قالوا عن #عبدالملك_السلومي) على الرابط التالي:
<http://cutt.us/abGrP>، إضافة إلى كامل المقال الذي كتبه وشره والده عنه
 بعنوان: (#مما_علمني_ابني)، ثم ما كتبه والد زوجته الوفي د. محمد بن علي
 العقلا بعنوان (يرحمك الله يا عبدالملك)، ولعل إيراد بعض ما كُتب من رثاء
 يكشف كثيراً عن شخصيته ومكانته عند محبيه.

وكان مما قيل عنه ما كتبه والدته عنه:

«تعجز كلماتي -وأنا والدته- عن التعبير عن فجعية وفاة ابني لكني أقول: إنا لله
 وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله..
 رحل ولدي إلى دار السلام إن شاء الله، وما عند الله خير مما عندي له..
 عزائي: أنه كان يُعدُّ نفسه لهذا الرحيل حتى بتغريداته التي منها (أريد الجنة وفي
 الجنة سأتمنى ما أريد)..
 عزائي: أنه احتضن القرآن في قلبه..
 عزائي: أنه بارٌّ بالديه ويُدخل السرور علينا ويبحث عن كل ما يسعدنا بكلامه
 وحسن خلقه ويبدل كل غالي ونفيس من أجل إدخال السرور علينا..
 عزائي: أنه كان يرى السعادة في تفريج الكربات وإغاثة الملهوفين..
 عزائي: أنه كان يأمر بالمعروف ويستنكر المنكر في تغريداته ورسائله، ولا يخشى في
 الله لومة لائم..
 عزائي: أنه كان يحب العلم والعلماء وأهل القرآن ويحضر مجالسهم فقد كان خاتمة
 مساء وفاته في مجلس علمٍ وذكر حيث كانت مناقشة رسالة علمية لأحد أصدقائه
 وزملائه.

عزائي: أنه كان واصلٌ لرحمه وزائرٌ لأقاربه..
 عزائي: أن فلذة كبدي كانت أخلاقه عالية، وابتسامته المعروفة عنه لا تفارق حُجَّاه،
 وقلبه سليماً أيضاً..
 عزائي: أنه كان واصلٌ لرحمه وزائرٌ لأقاربه..
 عزائي: أن فلذة كبدي كانت أخلاقه عالية، وابتسامته المعروفة عنه لا تفارق حُجَّاه،
 وقلبه سليماً أيضاً..

عزائي: أنه كان دائم لسؤال ربه الجنة والفردوس الأعلى، وكان يطلب مني أن أدعوه بذلك ..

عزائي: أنه يدخل السرور على من يجلس معه.. وكان كريماً يحب العطاء.. عزائي: بأنه مات ولديه نية وإرادة في أفعال الخير.. وطموحاته وأحلامه تسبقه.. وهمته تعانق السماء وكان حسن الظن بالله تعالى.. كان معلماً للقرآن في الغربية.. وكان يتصل علي ويخبرني بإنجازاته.. وكان لديه أسلوب دعوي لبق كسب به أصدقاء وأحباب كثر..

عزائي: أنه في آخر أيام رمضان السابق من المتبرعين للمجاهدين والمحتاجين، وكان من المكثرين في أعمال الخير ..

عزائي: أنه في مثل هذه الأيام يحج بي إلى بيت الله الحرام وما يصحب ذلك من أعمال الخير المعروفة عنه..

وكان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله ورافعا سبابته ومبتسماً كما نُقل لي، وصلى عليه الآلاف من ضيوف الرحمن ..

فالحمد لله حمد الشاكرين الصابرين، وطلبي من الجميع أن يسامحوا ابني عبد الملك ويحلّوه عن كل ما بدر منه تجاه أي أحد، فإن هذه الدنيا دار ممر وليست دار مقر.. ولا تنسوه من دعائكم فإنه يؤانسه..

رحم الله ثمرة فؤادي وجعله مباركا في موته.. ليُبنى لنا بسببه بيت الحمد في الجنة». (والدة #عبد الملك).

وكان مما قال عنه والده بعنوان: (#مما علمني-ابني) بعد حمد الله والثناء عليه: «لقد أعطاني ربي عز وجل الكثير من الخير والبركات، ومن ذلك أن وهب لي ذرية -جعلها الله طيبة مباركة- علّمْتُهُمْ (وتعلّموا مني) كواجب شرعي -عند أي أسرة مسلمة-، نتعلم من الحياة فنصيب ونخطئ ونذنب ونستغفر بها فينا ابنتا

عبدالملك - غفر الله له ورحمه - وهي طبيعة البشر فلسنا بملائكة معصومين من الذنب والخطيئة.

ومن مسلمات الحياة في جميع المجتمعات أن الوالدين مربين وأساتذة لأبنائهم وبناتهم، فهم بيوت خبرة مشفقة لأولادهم - حسب أنماط بيئتهم - لكن أن يكون الابن أو البنت أستاذاً لأبيه أو لأمه في بعض الأمور فهذا ما لا يعرفه أو يدركه تمام الإدراك الكثير من الآباء والأمهات، وفي هذا المقام كتبت بعضاً من الذكريات العاطفية عن ابني فأقول وبالله التوفيق:

لقد علمني ابني # عبدالملك رحمه الله أو تعلمت منه.. أشياء كثيرة ومعاني حميدة. علّمني بعد وفاته معنى الإيمان بالقضاء والقدر في السراء والضراء، لا سيما بالشقّ الثاني (الضراء)، فقد تعلمت أكثر وأكثر أن لا راد لقضائه وقدره، تعلمت معاني ومشاعر إضافية، فعندما يُقبض ولدي وأفقد ثمرة فؤادي يجب أن أتذكر (الحمد والاسترجاع) ليعيش معي ثناء ربي وأعيش معه، لقد تعلمت - عملياً - في هذا الحدث حديث رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله للملائكة: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد»^(١). حقاً إن هذا هو العوض الحقيقي، وتلك هي مكربة التعويض من رب العالمين، فحمد الله على قضائه وقدره.

علّمني - رحمه الله - المعنى الحقيقي - العملي - لاحتساب المفقود والشكر للموجود حينما عشتُ الحزن بالفقدان، وفهمت لماذا تكرر كثيراً في القرآن نفي الحزن عن أهل الجنة وأن انتفائه من أساسيات نعيمها، كما أدركت - عملياً - معنى قول الله تعالى عن فقدان يعقوب لابنه يوسف: ﴿وَأَبْيَضَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف: ٨٤)، ومما أيقنت به بعد وفاته أن الابتلاء درجات

(١) رواه الترمذي (٣/ ٣٤١، رقم ١٠٢١) وقال: حسن غريب.

ومستويات، فالابتلاء من الله يتضاعف على ذوي الميت حينما يكون بموت الفجأة، ثم إن الابتلاء يزداد حينما يكون الفقدان متعلقاً بالابن حيث هو ثمرة الفؤاد، ويتضاعف الابتلاء كثيراً حينما يكون هذا الابن بارّاً بوالديه وقرة عين لهما، ثم يعظم الابتلاء حينما يكون الابن من سواعد والديه يُعدّنه علمياً وتربوياً ليكون معها في رسالة الحياة التي اختطها لنفسيهما، فتكون حرارة الفقدان لثمرة الفؤاد بالفؤاد ليست كغيرها، وكأن ابن الرومي يصف حالنا مع ابننا عبدالملك حينما قال:

على حين رُمْتُ الخيرَ من لمحاته وأنستُ من أفعاله آية الرُّشدِ
طواه الردى عني فأضحى مزاره بعيداً على قُربٍ قريباً على بُعدِ

وأدركت بوفاة ابني دوافع العالم شمس الدين محمد بن عبد الله الدمشقي الشافعي تأليف كتابه (برد الأكباد عند فقد الأولاد)^(١)، لكن هذا الحدث بمضاعفاته علمني أن الصبر حقاً لا يتحقق إلا بالمصابرة والتصبر، وأن عزائي في فقدانه يكون بإيماني بأنه سبقنا إلى رب غفور رحيم، ومما عزّاني ما قرأته لأبي مسلم الخولاني (ت ٦٢ هـ) رحمه الله في قوله: «لأن يولد لي مولود يحسن الله عز وجل نباته، حتى إذا استوى على شبابه، وكان أعجب ما يكون إليّ قبضه مني، أحبّ إليّ من أن يكون لي الدنيا وما فيها»^(٢). وعلى قدر قيمة المفقود (الولد) والتي لا تُقاس بثمن يكون الجزاء والثواب من الله (فعظم الجزاء من عظم البلاء)، وعلمني هذا الفقدان لابني معنى قول أبي مسلم الخولاني (حتى إذا استوى على شبابه) وأن ما صحب هذا الولد من جهد وجهاد وتعليم وتربية في مراحل العمرية لا يضيع عند الله مع الاحتساب حيث

(١) انظر رابط تحميل الكتاب

<http://www.mktaba.org/vb/showthread.php?t=16872>.

(٢) ذكره أبا نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ١٨٠٩.

أكرمني به وبغيره، فله الحمد والشكر عدد ما حمده الحامدون وأثنى عليه الشاكرون. ومما عزّاني فيه أن موته كشف لي حجم محبته عند غيري من أقربائه وذويه وأصدقائه ومحبيه، حتى شاطرنى في فقدانه والحزن عليه المئات بل الآلاف من أولئك، وما رأيته من الآخرين خير شاهد على ذلك، -فحمداً لله وشكراً له-.

وعلمني ابني.. بعد وفاته التي كانت بحادث مروري^(١)، حقيقة النفس البشرية وضعفها وأن الموت أقرب إلى الإنسان من شراك نعله، ومصادر تقوية هذه النفس الضعيفة، حيث القلب البشري يحزن والعين تدمع، ولكن القرآن يجبر المصاب والسنة النبوية تدفعه إلى تجاوز المحن والمصائب، فحمداً لله على دين لا يتجاهل الفطرة البشرية ولكن يُوجِّهها إلى ما به تسكن القلوب وتطمئن الجوارح ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦-١٥٧).

كما تعلّمت من ابني بعد وفاته.. أنه بكسبه الأعداد الكبيرة من الأصدقاء والأحباب والإخوة والأصحاب لم يكن نتاج نسب أو منصب أو جاه أو مال وإنما كان نتاج خلقه الحسن وتبسمه في وجوه الناس وحسن تعامله واستيعابه لكل الأطياف المتعددة في المجتمع وكرمه مع الجميع كما هو خُلُقُه، فأدركت أكثر وعرفت معاني أعظم لعبادة حسن الخلق، وأن حسن الخلق يبني من العلاقة مع الله ومع عباده كما تبني العبادات الخاصة مع النفس ومعبودها، فتذكرت بيقين راسخ حديث رسول الله ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»^(٢).

(١) يُتوقع -والله أعلم- أن أسباب الحادث كانت نتاج السرعة أو استخدام التلفون أو كليهما مع ملاحظة وجود سيارة نقل عام كانت أمامه غير مسرعة وفي المسار الأيسر من الطريق، وفي كل الأحوال فإنه وغيره من ضحايا غياب الثقافة المرورية المتكاملة).

(٢) رواه الترمذي في سننه (كتاب الصلة والبر) باب ما جاء في معالي الأخلاق/ حديث رقم: ٢٠١٨.

عَلِّمْنِي ابْنِي.. أن البرَّ أكبر من تلبية طلبات الوالدين، بل بتلمس احتياجاتهم وما يرضيهم، فعلمني كغيره من إخوته -بحمد الله- بأنه لا يدخل على والديه من سفر قريب أو بعيد إلا وأحضر معه ما يؤنس به أباه وأمه وإخوته من هدايا عينية تُدخل البهجة عليهم مطبقا المنهج النبوي (تهادوا تحابوا)، إضافة إلى أمور معنوية وأخبار تهم أباه فتدخل السرور عليه (بشروا ولا تنفروا)^(١) - فاللهم كما آتسنا في الدنيا فآنس وحشته واجبر غربته -.

وعَلِّمْنِي ابْنِي.. قائلاً لي: يا أبت لقد استطعت أن أنتصر على شُحِّ نفسي حينما اخترت لها صورة أخرى من صور العطاء، فلا أفاصل عامل صيانة لسيارتي أو بيتي في أجرته محتسباً ما طلبه مني بأن كل ما زاد عن حقه صدقة عليه دون إشعاره بذلك، ووجدت ذلك راحة في نفسي وبركة في رزقي -اللهم تقبل ذلك منه-.

عَلِّمْنِي ابْنِي.. عملياً أن الجدلية الدائمة في أعمالِي العلمية مُضْعِفة لصحتي ومُقَلِّلة من إنتاجيتي، حيث كان ينتزعني انتزاعاً من مكتبي وما فيه من بحوث ودراسات ومقالات ومسؤوليات إلى بعض أصدقائي وأحبابه في الاستراحات والرحلات، وكان يقنعني بذكر أسماء بأعيانهم يفوقونني فضلاً وعلماً وعملاً وقد وضعوا لأنفسهم من الترويح والاستراحات ما يتقوون به على حياتهم الجادة، وكنت أشكر له هذا الصنيع وأدعو له بقدر ما أشعر بذلك من راحة واستراحة محارب من بين الكتب والملفات، وقد ذكّرني عملياً بصنيعه هذا ما ورد من أثر (ولكن ساعة وساعة)^(٢).

وعَلِّمْنِي ابْنِي.. حينما ذكّرني بالقيمة الحقيقية للإنسان في حالات التعريف بشخصي، عندما أشار عليّ أكثر من مرة بأنه ينبغي عليّ عند تعريف الآخرين

(١) حديث (تهادوا تحابوا) رواه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم (٦٠٧)، وحديث (بشروا ولا تنفروا) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور، حديث رقم (٤٩٤٤).

بشخصي بالمطبوعات أو البرامج الإعلامية أن يكون الاقتصار في التعريف بباحث في شؤون القطاع الخيري أو التطوعي أو الثالث، فهو خير من كل منصب اعتباري قائلاً: العلم والبحث وسام يبقى وغيره يزول، والاستقواء بالعلم خير من غيره.

عَلَّمَنِي ابني.. حينما قمت بزيارته في مدينة (يورك) البريطانية في السنة الأولى من بعثته الدراسية أشياء كثيرة لكن ذاكرتي احتفظت بما استوقفتني حينما مررنا بجوار كنيسة يورك وقال لي: إن بلدية المدينة تمنع منعاً باتاً أي بناء أو مباني تعلو على تلك الكنيسة في أرجاء المدينة وكان لا يتجاوز ارتفاعها أربعة أدوار أو خمسة، فأدركت تقديس المقدس رغم علمانية الدولة التي تفصل بين الدين والحياة، وعلمني ابني بعض صنوف المعرفة حينما زرته قُبَيْل انتهاء دراسته للماجستير في مدينة (نورج) البريطانية بجامعة التي يدرس فيها (إيست انجاليا East Anglia) وأخذني إلى مكتبة الجامعة، وشرح لي عن بعض الوسائل المعرفية الحديثة في المكتبة، فأدركت الفارق العلمي الكبير في تطور العلم والمعرفة والفوارق فيها بيننا وبين الغرب - مع الأسف -، كما أدركت الفارق المعرفي الكبير بشكل واضح بين فترة دراستي السابقة في بريطانيا (١٤٠٩هـ - ١٤١٥هـ) ودراسة ابني عبد الملك (١٤٣١هـ - ١٤٣٣هـ)، فانعكس ما عَلَّمَنِي إياه ابني على مكتسباتي العلمية والمعرفية وثرائها - لا حرمه ربي أجر ما صنع -.

عَلَّمَنِي ابني.. أن استيعاب مفهوم القطاع الثالث وتطبيقاته الإدارية العملية ليس سهلاً بالقراءة النظرية فقط، وذلك حينما قال لي أثناء دراسته في بريطانيا: «حقاً لم أفهم كتابك يا أبي (القطاع الثالث والفرص السانحة - رؤية مستقبلية)^(١) بشكل كامل حينما كنت في وطني - السعودية -، لكنني فهمته عملياً في بريطانيا حينما رأيت

(١) انظر الكتاب على موقع مركز القطاع الثالث

وعشت بنفسني واقع قطاعات الدولة، وأن الحكومة في الإدارة الحديثة لا تعدو أن تكون قطاعاً من قطاعات الدولة بل هي أصغر قطاعاتها»، حيث عاش بنفسه مع بعض زملائه جوانب عملية من دور القطاع الثالث في الشراكة والمسؤولية المجتمعية. فقد قام -كأنموذج- مع بعض زملائه في فرز وتصنيف بعض الأثاث الذي في الغالب يتركه الطلبة السعوديون المبتعثون حينما يغادرون بريطانيا، ورأى ما لفت انتباهه عن المنظمات التطوعية ودورها في قوة الدولة واستقرارها، وكذلك عندما شارك بعض زملائه الأنشطة التطوعية المتعددة داخل الجامعة وخارجها، مما أسهم في فهمه عن مشروع القطاع الثالث وأنه برنامج إصلاحي كبير لدول العالم العربي والخليجي خاصة حينما تأخذ به، ولكن لا حياة لمن تنادي -كما قال-. وعلمني ابني.. أن الفساد الإداري والمالي لأي دولة منظومة وليست أشخاصاً، منبهاً لي أكثر من مرة بعدم نقد أشخاص محددین من المتنفذين الفاسدين بقدر أهمية معرفة أن الفساد: مجموعة من النظم الإدارية والأشخاص المترابطين فيما بينهم برباط الفساد والإفساد الذي يكون مبرمجاً في الغالب وليس عفويّاً.

كما علمني ابني.. في حياته نظرياً بحديثه أكثر من مرة عن غياب المنظومة المرورية المتكاملة، وأن الانتحار الجماعي المروري في السعودية كأعلى معدل في العالم نتيجة طبيعية لهذا الغياب، فليست السلامة في حزام الأمان لوحده، وليست في نظام ساهر فحسب، بل إن السلامة المرورية منظومة متكاملة من النظم والإجراءات تقودها إرادة سياسية قوية وتقوم على التعليم والتربية والتثقيف لتكون ثقافة مجتمعية متكاملة -كما هي في دول الغرب- تشترك في مسؤوليتها جهات متعددة، وأقول معلقاً على قول ابني: هذا الواقع الخاطيء يكشفه بشكل أوضح غياب أي مؤسسة خيرية أو جمعية أهلية معنية بهذا التخصص نتيجة غياب مفاهيم الدولة الحديثة القائمة على مؤسسات القطاع الثالث التي تُكْمَلُ نقص خدمات القطاع الحكومي وتعالج ثغراته.

عَلَّمَنِي ابْنِي.. أن أستفيد من جميع أبنائي في تصحيح مقالاتي وكتبي والملاحظة عليها، فقد كان ابني عبدالملك مصححاً لبعض فصول الكتب التي قمت بتأليفها عن والدي ووالدتي وجدي ولا سيما المقدمات وهو لا يزال في بريطانيا، وكذلك لمعظم مقالاتي ورسائلي بعد عودته من بعثته الدراسية، لقد علمني العمل ببعض أصول المقدمات والنتائج للكتب والمقالات مما أجهله في ذلك من جديد، وهو بذلك قد أسهم في رفع مستواها العلمي ووضوح رسالتها، فحقاً إنه عَلَّمَنِي.

ومما عَلَّمَنِي ابْنِي.. بعض آليات الاستفادة من برامج التقنية، فلا زلت أذكر كيف أعطاني درساً متكاملًا عن آليات عمل الهاشتاق (#) في (تويتر) والاستفادة منه، وقال لي: إن التغريدات إذا لم تكن رسالة موجّهة فالفائدة منها ضعيفة أو مضیعة للوقت، وقد رأيت ذلك جلياً في تغريداته المفيدة في حياته وقراءتي لها بعد مماته - رحمه الله-، والتي كان منها قبل وفاته بإحدى عشر شهراً تغريدة: (أريد الجنة.. وفي الجنة سأتمنى ما أريد) وبمراجعة تغريداته تشجعت على التعريف بها بعد مماته، ومحاولة إعادة التغريد بها من قبلي ومن غيري ليكون له من أجرها نصيب العلم المُنتَفَع به بعد الممات^(١).

عَلَّمَنِي ابْنِي.. أن لا أدع للتشاؤم موضعاً في أجواء الغلبة الظاهرة للباطل على الحق فيورث الإحباط ويؤثر على العمل، وكثيراً ما كان يقول لي: إن التفاؤل موضعه العسر وليس اليسر، حتى أن آخر تذكير منه لي بالتفاؤل أن أعاد عليّ ما سمعناه جميعاً من فضيلة الشيخ الدكتور ناصر العمر حينما زار خيمة عائلتنا بالقصيم في مناسبة عيد الفطر المبارك ١٤٣٤هـ، وتحدث فيها عن التفاؤل، وكان يذكرني

(١) انظر عنها وقد بلغت (1101) تغريدة، على صفحته في تويتر <https://twitter.com/abdulmalik3031> وأتمنى من القراء إعادة التغريد بها يحقق الفائدة منها، علماً بأنها مجهزة بملف إلكتروني كاملة لمن أراد تفعيلها بإعادة تغريدها، ويمكنه التواصل على البريد الإلكتروني: info@the3rdsector.org

بكلمات الشيخ التي تحدث فيها عن قمة تفاؤله حول أحداث الانقلاب في مصر بالرغم مما يحيط بها من صور التشاؤم حينما شرح للحضور أحداث الأحزاب المتحزبين ضد الحق من سورة الأحزاب، ووجوب التأمل والتدبر في هذه السورة التي تصنع الفأل والأمل عند كل مسلم ومسلمة في أوج انتفاش الباطل ﴿وَإِذْ رَأَعَتِ الْأَبْصُرُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (الأحزاب: ١٠)، فلن أنسى الفأل ممن تحدّث عنه، ولن أنسى لابني تذكيره لي بذلك مراتٍ عديدة. وتعلّمت من وفاة ابني أن مجتمعنا -بحمد الله- لا يزال على خير كبير، وأن أمة محمد ﷺ بخير عظيم، حينما رأيت حشود المشيعين وجموع المعزين وقوة العلاقات الأخوية والاجتماعية بين الناس، بالرغم من حملات التغريب ومحاولات تغيير القيم الدينية والاجتماعية وما أحدثته الأسواق الاستهلاكية وآليات التقنية الحديثة وأجهزة التواصل الاجتماعي من تعزيز قيم الليبرالية الفردية والأنانية الشخصية، مما يدل على عظمة قيم هذا الدين الذي يتجاوز التحديات ولا تطفئه الأفواه المغرضة وإن كُبرت، والألسن الكاذبة وإن طالت، ولا وسائل التقنية وإن انتشرت وضربت أطناب بيوت الوبر وأسوار منازل المدر في أرجاء المعمورة، فيالله ما أعظمك من دين!! يحفظ الأمة أكثر مما تحافظ عليه.

تعلّمت من وفاة ابني عبدالملك عملياً.. أن من حق الميت على ذويه تعبداً لله ووفاءً للميت المسارعة بتخصيص صدقة جارية له بعد مماته، وذلك بالعمل على (تأسيس مشروع خيري) خاص له ولعائلته، فكان بحمد الله بداية الترتيب لهذا المشروع من والديه وأسرته، وقد بادر بعض أصدقائه وأصحابه وأحبابه وزملائه -وهم كثير بحمد الله- وسبقوا بتنفيذ بعض الأعمال الخيرية صدقةً جارية ووفاءً لمن أحبوه في حياته وبعد مماته، مما جعلني أوقن أن له خبيئة فيما بينه وبين ربه، فانقطاعه عن العمل الصالح واستمرار عطاءهم من مؤشرات الخير ومبشرات،-تقبل الله من الجميع وفاءهم وشركتهم فيما يعود على الجميع بالخير في الدنيا والآخرة-.

وفي الختام .. علمني وعلمي ابني عبد الملك، وتعلمت منه الكثير والكثير، والذكريات الطيبة تتزاحم لكنني آثرت عدم الكتابة عنها، فالمقام لا يسع للذكريات ولا لكل ما تعلمت منه، ولو كان حياً ما فتنتهُ بالكتابة عنه بأنه علّمني وتعلّمتُ منه، لكن تشريعات سيدنا ونبينا محمد ﷺ التي قال فيها: «اذكروا محاسن موتاكم»^(١) فتحت لي هذا الأفق فكتبتُ هذه الخواطر والمشاعر العاطفية، ولعل تدوين معظم ما كتبه عنه، وما كتبه الآخرون عنه في هذا الملحق من هذا الكتاب يكشف شيئاً من شخصيته، ويكون سبباً في الترحم عليه والدعاء له، أسأل الله أن يتقبل هذه الكلمات وأن ينفع بها، وأن يتقبّله مع الصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقا». وكان مما قال عنه والد زوجته د. محمد بن علي العقلا ونُشر في صحيفتي (المدينة والرياض):

«كان عبد الملك -رحمه الله- رجلاً قوياً وشريفاً في المواقف، عاش حياته حميداً ودوداً، ومات مفقوداً.

وداعاً ابني الحبيب (عبد الملك)، فلقد كنتَ محبباً للخير، حريصاً على أداء الشعائر والعبادات في وقتها. رحمك الله، فقد كنت حنوناً، ذا قلب، وذا رأي وحكمة وأدب. وداعاً ابني (عبد الملك)، فلقد كنت لئيم الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة، تدوم بين الناس محبته، وتتأكد مع مرور الأيام مودته.

وإلى مهجتي القلب والفؤاد حفيدتي (مريم ووفاء) أقول لهما: أنتما في العين والقلب مني، ومن جميع المحيطين بكما، والله يتولاكما بعنايته ورحمته وفضله وجوده وإحسانه ولطفه وبركته؛ فلقد كان أبوكما -رحمه الله- رجلاً من أنبل الرجال؛ فحقكما الفخر والاعتزاز به -يرحمه الله-، كما خاطب ابنته زوجة عبد الملك بما يُعينها على الصبر والمصابرة. وفي ختامها دعاءً صادق من القلب: رحم الله الابن (عبد الملك)، حسن الذكر

(١) صححه السيوطي في الجامع الصغير عن عبد الله بن عمر مرفوعاً، ص ٩٠٥.

والسيرة بين الناس في محياه وبعد وفاته، وإن حُسن الذكر جائزة معجلة لمن أحبه الله عز وجل. «إنا لله وإنا إليه راجعون»^(١).

ومما قيل عن عبدالملك -رحمه الله- وهو كثير يصعب حصره أو كتابته بأكمله، لكن يمكن الرجوع إليه وفق بعض الروابط المذكورة في هذا الملحق. وكتب عنه أحد زملائه في العمل وهو أحمد بن علي بن إبراهيم الحذيفي بعنوان: (عبدالملك السلومي في الجنة بإذن الله لقاءنا) قائلاً:

«سلام عليك في قبرك، وحين تبعث حياً.

كم امتلاً قلبي لك محبة بعد فقدك، لا أدري ما سبب ذلك؟
لا أدري لم طيف ذكراك يمر بي عند كل منعطف في دار الحديث المكية؟
أقلب كل يوم أوراق الحضور اليومي -بعد موتك- لأرى هل سأرى توقيعك وتعود إلينا!!؟

لا؛ فإنها دار عمر لا دار مقر.
لا؛ فإن الله كتب أن من مات فلن يعود..
ما أزال أتذكر أول لقاء بك معي في (القنفذة) حينها اجتمعت بك في التحقيق والادعاء العام، وكأن الدنيا سوف تجعلنا نترافق في دار الحديث مرة أخرى كما ترافقنا سابقاً..

ما أزال أتذكر أول يوم انتقلنا فيه إلى مكة..
ما أزال أتذكر دعابتك لي وأنت ترى شدي على الطلاب..
ما أزال أتذكر آخر لقائي بك في صبيحة الاثنين (يوم فقدانك) وأسألك عن حالك فأثنت وحمدت الله..

(١) المقال بجريدة المدينة على الرابط التالي:

<http://www.al-madina.com/node/490727>

وفي جريدة الرياض على الرابط التالي:

<http://www.alriyadh.com/201317/11/article884620.html>

ما أزال أتذكر يدي وهي تصافح يدك مصافحة كنا نعتقدها مصافحة لقاء، ولكن كانت مصافحة وداع..

مصافحة وداع منك لمن أحبوك لا لدنيا فانية، ولا مصلحة زائلة، بل محبة في الله تمتد حتى الممات وبعده..

كلما أتذكر آخر يوم لي معك وأنا أصافحك أتذكر قول الشاعر:

كابد الأهوال في زورته * ما سلم حتى ودَّعا

ما أزال أتذكر آخر نظرة لي إليك وأنا أراك من خلف باب الفصل وأنت تجلس جلسة أخيرة مع طلابك لتلقي عليهم آخر درس في حياتك وكان فصلك بجوار فصلي..

هنيئاً لك أخي عبدالمملك على ما رأيته أثناء جنازتك من حضور كثيف من أهل الخير والفضل والاستقامة، وهم يزدهمون للصلاة عليك ودفنك والدعاء لك..

هنيئاً لك رضا والديك عنك، وثناؤهم عليك..

هنيئاً لك دعوات الناس لك ممن عرفك ولم يعرفك..

هنيئاً لك ما أودعته من محبة في قلوبنا لم تخالطها أي مصلحة دنيوية، بدليل أننا ما نزال نحبك حتى وأنت دفين تحت الأرض..

إن عزَّ في الدنيا اللقاء بكم * ففي مواطن الحشر نلتاكم ويكفينا

اللهم اغفر له، وارحمه، وتجاوز عنه، واجمعنا به في جنات ونهر في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر».

وكتب عنه صديقه الخاص ورفيق دربه المحامي / علي بن فريح العقلا وما قال عنه:

«لقد وفقني الله بأن شاركت في غُسل جنازته، ووالله إني رأيت البسمة على

محيَّاه وسبابته مرتفعة، وأحسبه والله حسيبه أنه محافظاً على صلاته، باراً بالديه،

يدافع عن الإسلام وأهله ودعائه في كل مقام استوجب ذلك، لقد صلينا عليه

صلاة الجنازة بعد صلاة المغرب في الحرم المكي، وصلى معنا عليه مئات الآلاف

من الحجاج، وتبع جنازته للمقبرة خلق كثير، وكنت قد وقفت مع أهله الذين يستقبلون المعزين لأنني أحسب نفسي من أهله، وقد رأيت في وجوه المعزين التأثر لوفاته وبعضهم يذكر محاسنه، فالناس شهود الله في أرضه».

وقال عنه في كلمة أخرى: «والله إني وجدت فيه كل ما ذكّرت والدته عنه -صبرها الله- من حسن الصفات. ولقد اختلفت معه في آخر حياته لأجل دنيا، فكنت أبتعد عنه لأنني أرى نفسي على حق وكان هو يقترب مني -رغم أنه يرى أنه على حق-. وأشهد الله على مسامحته، ووالله إن والدتي لازالت تعاني من فاجعة فراقه، ومازالت في خلوة مع نفسها، وكلما أذكر اسم الفقيد هلّت دموعها، فهي والدته أيضاً، عاصرت طفولته وصباه وشبابه ورجولته.

وإني أرجو من الله عز وجل أن يغفر له ويرحمه ويصبرنا على فاجعة فراقه، اللهم اغفر لعبدك عبدالمملك السلومي، واجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزق والديه وزوجته وإخوته الصبر والسلوان، واحفظ ابنتيه مريم ووفاء وأصلحهما واجعلهما من الولد الصالح الذي يبقى للمتوفي بعد وفاته. وإنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين».

وكتب صديقه وزميل دراسته في بريطانيا الأستاذ/ أحمد الخطيب

كان يقول لي دائماً: «احتسبه لوجه الله...» وذلك في كل أمر أرى فيه مشقة علي أو يحزنني.. كان يذكرني دائماً بالصلاة، وأن لا أسهى عنها مهما كثرت ذنوبي. فكان لي كهديّة من الله عز وجل ليذكرني بحبل الوصال مع الله في بلد تكثر فيه المعاصي والذنوب..

كان يسألني عن أحوال سورية في كل مرة يلقاني، فقد كان اهتمامه بأمور المسلمين كبيراً، وقلبه حزين لكل مأساة أو مصيبة يراها تحل بأهل سورية والمسلمين عموماً.. كان كلما ضاق صدري مما يجري في بلدي سوريا هَوَّنَ عَلَيَّ وواساني وذكّرني بحكمة الله والخير في قضاءه.. كان لا يتوقف عن سؤالني عن أهلي في كل لقاء، والاطمئنان عليهم، والدعاء لهم. فذلك من حسن أخلاقه

وحبه لأصدقائه.. رحمة الله عليه فلا يغيب مثله عن دعائنا له بالمغفرة والجنة.

وكتب الشيخ / خالد بن أحمد الشبتي بعنوان: (وبشر الصابرين)
«عبدُ الملك - رحمه الله - من بيت علمٍ ودينٍ، ومن أسرة مشهودٌ لها بالخير، كانت بعد توفيق الله سبباً في: برة بوالديه ورضاهم عنه، (رضا الله من رضا الوالدين)، ورحمته ورفقه بالطلاب، (ما جعل الرفق في شيء إلا زانه)، (الراحمون يرحمهم الرحمن)، وثناء الناس له بالخير، وذكره الطيّب، (عاجل بشرى المؤمن)، (أنتم شهداء الله في أرضه). وكون وفاته بحادث سير نرجو له أجر الشهيد، كما قاله سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، في «فتاوى نور على الدرب» (٣/ ١٤٢٦)».

وكتب الأستاذ/ عبد الرحمن بن صالح العقيل لوالده فقال:
«عزّاؤنا لكم أنه رحل وأنتم راضون عنه، وأنه مات على خير، فوالله ما ذُكر في مجلس إلا وعبارات الإطراء والثناء عليه، وهؤلاء هم شهود الله في أرضه».

كما كتب عنه عبدالسلام بن أحمد مدني من أمريكا برسالة قال فيها:
«يعلم الله كم فَجَعْنَا خبر وفاة عبد الملك، فهو نعم الإنسان صاحب الخلق والمروءة، متواضع يحب الخير وخدمة إخوانه، ولا أزال أتذكر موقفه حين شجعني على السفر للدراسة وكسب المعرفة، وقَدَّم لي نصائح جيدة بدت آثارها واضحة على مسيرتي الدراسية، أسأل الله أن تكون عاقبتها خيراً، وكان يعرض علي خدمته ومشورته في أي وقت. نِعَمَ الرجل بأخلاقه وابتسامته الوضيئة دائماً».

وكتب زميله ياسر بن تركي العقلا ومما قال فيها:
«كان نِعَمَ الأخ والصديق، وكان حقيقة شهماً ومحباً للخير، نغبطه وعائلته على

حب الناس له، ولكن بإذن الله سوف يلقي ثواب ذلك في آخرته فهي نعم الدار».

كما كتب أحد الجيران المحبين لعبد الملك وهو علي بن حسن الزهراني أبورعد فقال بعنوان (عزائي اليكم جميعاً):

«رحم الله عبد الملك السلومي لم أقابله يوماً غير مبتسم، كان محباً للناس ودوداً، كان يناقش ويتكلم بكل أدب وسماحة، حتى وإن اختلف معك في الرأي، يدخل إلى القلب بسهولة، يسأل عن الجيران وما هو الجديد في محيطنا، وكان دائم التفاؤل، وينصح بالصبر، وأن القادم سوف يكون أفضل بالرغم من حداثة عمره».

وكتب العقيد خالد بن رشيد الرشيد بعنوان: (ولا نقول إلا ما يرضي ربنا)
«لقد كان عبد الملك نعم الصديق ونعم الرفيق، فلا تكاد تجد صفة حسنة إلا وتجدها فيه، وقد كان من رواد بيت الله الحرام طيلة مكوثه في مكة، وكذلك حرصه على أداء العمرة باستمرار، أقول هذا بحكم قربي منه رحمه الله، وكذلك قرب عملي من المسجد الحرام، فلقد فقدت الصديق والقريب والحبيب والصاحب والأخ».

ويقول سعيد بن صالح الجوهرى.. مدرس التربية البدنية بدار الحديث المكية بعنوان: (رحمك الله يا عبد الملك)
«يعلم الله وأشهد علام الغيوب أنه كان - رحمه الله - صاحب خلق عالي وقلب نظيف لا يحمل حقداً على أحد، أحبه زملائه وطلابه. فأسأل الله له الجنة اللهم آمين».

يقول زيد بن فايز الحارثي بعنوان: (ماذا عساي أن أقول؟)
«ماذا عساي أن أقول!! لقد جالسته كغيري ممن عرفوه واستفدنا منه في أشياء كثيرة، في سلوكه، وخلقته، وتعامله، وطيب معشره، وتجاوزه لمن أخطأ بحقه...

كان محبوباً من الجميع، يجيد التعامل مع الجميع بصورة سهلة جداً من ذلك ابتساماته التي لا تكاد تغيب عن محيا وجهه... لم ألحظ عليه انفعالاً قط أو تغير في ملامح وجهه مهما حصل... حتى إننا في خلافنا مع الغير نطلب منه أن يحكم بيننا فيما يُطرح من خلافات، ويدهشنا ببراعة فهمه العميق أن يحتوي الموضوع ويُرضي الجميع بصورة مذهلة دون أن يميل مع طرف دون الآخر، حتى يظن كل منا أن له منزلة خاصة لدى عبدالملك لم يحظى بها غيره. نعم هكذا كان صاحب أدبٍ وخُلُقٍ وتعاملٍ حسن مع رفاقه - رحمه الله -.

يقول عبدالعزيز بن إبراهيم التويجري بعنوان: (كان جريئاً في الحق رحمه الله) «لقد تعلمت منه شيئاً أهم بكثير من كل الأشياء المعروفة عنه، خصوصاً أننا كنا دفعة واحدة في هيئة التحقيق، ففي أول اجتماع مع معالي الوزير فالشخص الوحيد الذي تكلم بجرأة وناقش الوزير بقوة هو عبدالملك السلومي، وبعد الاجتماع اتصلت به وشكرته نيابةً عن الدفعة التي التزمت الصمت، ومن بعدها صرت إنسان جريء في قول الحقيقة وما يهمني أحد».

كتب ابن عمه الأستاذ/ محمد بن عبدالرحمن السلومي:

«وداعاً يا بن عمي عبدالملك.. وداعاً يا صاحب الوجه البشوش.. وداعاً يا صاحب الابتسامة الجميلة والدعابة الحاضرة، لم أكن ألقاه إلا ويناولني ابتسامته المعهودة ودعابته الجاهزة..

كان رحمه الله يهتم بصلة رحمه وآخر لقاءاتي معه (قبل أسبوع من وفاته تقريباً) حينما زارني في بيتي بالرياض عندما جاء لإجراء العملية لعينه، تجاذبت معه أطراف الحديث، وكعاداته كان يحمل هم نصرة الدين ومتحمساً لنهضة الشعوب المسلمة، الحديث معه - رحمه الله - لا يمل، ليتني كنت أعرف أنه

آخر لقاء لأجلس معه الساعات تلو الساعات (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً)».

ونظم الشيخ/ محمد بن عائض القرني قصيدة عن تلميذه -سابقاً- في المعهد العلمي عبد الملك، وكان عبد الملك قد بادر أستاذه وشيخه في الحرم المكي بالسلام عليه، فقال عنه: «وكان قد رأي ولم أره، وبادرني خلافاً لبعض التلاميذ اللذين لا يبادرون أساتذتهم بالسلام»، وذلك قبل وفاته بأيام معدودة، والقصيدة بعنوان: (رثاء الشاب الودود عبد الملك السلومي -رحمه الله-).

الله ما يُعطي وما يَمْنَعُ
وفاز من بالصبر يَسْتَرْجِعُ
الموت حَقٌّ ماله دافع
وجنَّةُ المأوى هي المَطْمَعُ
والعمر محدودٌ فلا تَجْزَعَنَّ
وافزعْ إلى من عنده المَفْزَعُ
وإن يكن عبد المليك ارتقى
إلى جَنَانٍ شأنها الأَرْفَعُ
فقد مضى حتماً إلى رَبِّهِ
وجنة الخلد له مَرَبِعُ
قد كان بَرًّا صالحاً يَرْتَدِي
ثوبَ التَّقَى أخلاقه تَسْطَعُ
ما أنَسَ لما جاءني باسمًا
أمام بيت الله يَسْتَطْلِعُ
ألقي تحيات المحبِّ الذي
ألفاظُهُ كالشَهِدِ بَلْ أنْجَعُ

يسألني إن كان لي ماربٌ
أو مطلبٌ يقضيه أو مطمَعٌ^(١)
لكنني ودَّعته شاكرًا
وبابُ قلبي نحوه مُسرَّعٌ
ما كنتُ أدري أنَّ ميعاده
دانٍ وقد يغدو فلا يرجعُ
فرحمتهُ الله على قبره
ما غرَّد الطيرُ وما يسجعُ
واحشره ياربَّ مع المصطفى
يسقيه رياءً وله يشفعُ
وعوض الأحاب من بعده
يا خيرَ مَنْ يرجى ومن ينفعُ

ومما قيل عنه شعراً ما نظمه زميله (عوض بن هاشم الثقفي)^(٢):

وما الدنيا سوى دار المتاع وما نيلُ البقاء بمُسْتَطَاع
فصبراً يا أوصيحابي فإنَّا بُلينا عصرَ أمس بالتياع
فقدنا صاحباً شهماً كريماً عفيفَ النفسِ محمود الطباع
فما للعين إن لم تَبْكْ عذراً إذا حلَّ اسمه عند السماع
أبا مريم رحلت بلا وداع وجئنا عند قبرك للوداع
فليت الميت يسمعنا وتدري بأنَّا بعد موتك في انقطاع

(١) كان رحمه الله حينما قابلني في الحرم يُلحُّ عليَّ بطريقة غريبة يريد أن يُقدِّم لي أيَّ خدمة أطلبها، فهل هو الوداع!!؟

(٢) كتب هذه الأبيات زميله عوض الثقفي بعنوان: (مشاعر اجتاحتني).

كرهنا مجلساً قد كنت فيه ضحوكاً لا تُملُّ بالاجتماع
وإننا نسأل الرحمن عفواً دعاءً جاء من خير البقاع
بأن يُدخلك في جنات خلد وتعلو في المنازل بارتفاع

مختارات من التغريدات

تغريدات عبدالملك - رحمه الله - كثيرة، وكثير منها مفيد، وقد حرصت على تصنيف بعضها ولعل ذكرها هنا مما يخلد ذكر صاحبها، ويكون مدعاة للدعاء له، وإعادة تغريدها.

تغريداته بدعاء الله: (الحمد لله الذي لا يصرف عنا شيئاً إلا لحكمة ثم يعوضنا بالأجل)، (أنت المُسهِّل وأنت المُيسِّر وأنت على كل شيء قدير.. وكفى بالله وكيلاً)، (ربي ارزقني بما لا أعلم، كيف أطلبه منك فأنت بما تحتاجه نفسي أعلم)، (اللهم أتبع عليّ منك رزقا لا تجعله لأحد علي فيه منَّه برحمتك يا أرحم الراحمين)، (أثق بك ربي ... وأعلم أنك إذا حرمتني؛ حميتني).

تغريداته عن بر الوالدين: (لأن أُمِّي تبسم ولأن أبي بخير مازالت حياتي جنه)، (والله لو تطلبين عيوني يا أُمِّي لأقول إن العَمَى خير)، (يُجازيك الله.. يا أُمِّي.. لأنني، أنا لا أستطيع)، (أُمِّي.. هي رئة ثالثة.. دعواتها نجاة.. أقدامها جنة.. قسوتها إرشاد.. وجودها حياة.. من أكون بدونها؟ فيا رب لا تحرمني منها)، (لا شيء يوجع القلب ويحرقك ألماً بمثل رؤيتك لأُمك وهي تفتح كيس أدويتها.. صباحاً، ظهراً، ليلاً.. أُمِّي: دمتي لي عيداً لا أفقده)

تغريداته في التفاؤل: (لا يوجد شخص خالي من الهموم، لكن يوجد من يتذكر أنها «مجرد دنيا» فيبتسم)، (عندما يوزع الله الأقدار ولا يمنحك شيء تريده أدرك تماماً أن الله سيمنحك شيء أجمل مما تريد.. تفاءلوا فقط)، (شكراً.. لكل

من كَسَّر «مجاديفي» لقد تعلمت السباحة من هذا...! والاعتماد على النفس أكثر من السابق)، (النجاح هو القدرة على الانتقال من فشل إلى فشل دون أن تفقد حماسك)، (لا تدعهم يعرفون عنك سوى سعادتك، ولا يرون إلا ابتسامتك، وإن ضاقت عليك فالزم (الصمت))

تغريدات له فيها حِكم: (المال ضروري للحياة... وراحة البال ضرورية للسعادة)، (عرفنا كل شيء في الحياة إلا كيف نعيشها!!)، (قال الولد لأبيه: صاحب القمامة عند الباب. قال الأب: يا بني نحن أصحاب القمامة وهو صاحب النظافة، جاء ليساعدنا. كم هي جميلة تلك التربية)، (لم نُخْلَقْ لِنُرْضِي الْخَلْقَ)، (مهما كانت حاجة الإنسان للشمس فإنها تغيب ولا يبكي لغيابها أحد)، (نمتلك فن المواساة لغيرنا، ولا نملكها لأنفسنا)، (الضعيف هو من تكون سلطته أساس قوته)، (تُصبح الأقوال رمادًا حين لا يكون للأفعال أثرًا)، (عذراً إذا انكسر كأس الثقة.. فإنه غير قابل للإصلاح)، (كما تقول.. يُقال عنك شئت أم أبيت؛ صُنْ غيرك... يُصان حضورك وغيابك)، (الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غَمَّ ساعة.. فكيف بَغَمِّ العمر؟ (ابن القيم))، (يزيدُ سفاهةً وأزيدُ حِلْمًا // كعودٍ زادَهُ الإحراقُ طيباً)، (الأماني لا تتحقق إلا بالصبر والكفاح.. والطموح بحر لا نهاية له لمن أراد الإبحار فيه).

تغريدات فيها دروس من الحياة: (أمام كل شيء خسرت أشياء كثيرة فهمتها)، (شكراً لمواقف أيقظتني وصنعتني من جديد، وشكراً لعلاقاتي الجديدة التي توقعت منها القليل ووجدت منها الكثير، وعفواً للبقية في الحياة دروس)، (استوقفتني هذه العبارة البليغة (لو أمطرت السماء حرية لخرج العبيد بمظلاتهم)، لن تنهض أمة فيها هؤلاء العبيد)، (القرارات الصحيحة تأتي من الخبرة، والخبرة تأتي من القرارات الخاطئة)، (إذا خسرت شخص لأنك كنت صريح معه، فأنت الرابح لأن العقول الصغيرة هي التي لا تستقبل

الصراحة وتفضل المجاملة)، (حقيقةً.. صحيح أن المياه تعود لمجاريها في معظم الأحيان لكنها لا تعود دائماً «صالحة للشرب» بالمختصر: لا تجرح أحد وتقول: حصل خير)، (عندما يُظلم الناس باسم العدل، ويُشر الجهل باسم التعليم، وتتم الخيانة باسم الأمانة.. فاسأل الله السلامة)، (الناجح هو من يبنى طريق نجاحه بالأحجار التي رماها في وجهه الآخرون)، (واسطتك هي سِرُّ نجاحك)، (لا تخبر أحد بأنك تفتقده فيتمادي)، (نحتاج في بعض الأوقات لأن نرخي قبضتنا عن أشياء كثيرة فقد يرهقنا أكثر التمسك بها)، (لا تتعجب من عصفور يهرب وأنت تقترب منه وفي يدك طعام له، «فالطيور عكس البشر.. تؤمن بأن الحرية أغلى من الخبز!!..») (إبراهيم الفقي)، (الوحدة أفضل بكثير من التواجد مع منافقين)، (دروس الحياة تُفقد من يجتهد فيها.. ولن يتعلم منها الغير مبالي ولو بعد فترة)، (جهل المرء لعيوبه من أكبر العيوب.. والساقط لا يخاف السقوط)، (العين تُكذِّب نفسها إن أحبت.. والأذن تُصدِّق الغير إن كرهت)، (إذا قابلت الإساءة بالإساءة، فمتى تنتهي الإساءة؟)، (إذا رأيت إنسان قد عشق الوحدة، فاعلم أنه تحمل أكثر من اللازم)، (الذي لا يخشى أن يمسك الأشواك هو الذي سيقطف الورود)، (الوطن، ليس هو الأرض التي وُلِدْتَ فيها. فحيثما وُجِدْتَ الاحترام والتقدير والحياة الكريمة فثمة وطنك)، (ليس هناك أذكى من أن تكون غيباً في الوقت المناسب)، (صحيح أن الدنيا ممر، لكن على الأقل عاملها كأنها ترانزيت في مطار هيثرو، لا تعاملها كدورة مياه بإحدى محطات طرقتها السريعة).

ومن تغريداته عن القانون: (العدل قيمة عظيمة قامت عليه السموات والأرض، العدل ليس مبنى ولا وزارة ولا وزير)، (الكثير من دارسي الحقوق يبنهون بالقانون ويقفون تحت فقهاء القانون كالبهائم العجماء.. فتراهم يبنهون بمقولة

للسنهوري ويتضايقون لذكر آية قرآنية)، («قانون في بريطانيا يتيح لك رفع دعوى قضائية ضدّ من يُطيل النظر فيك» أعرف ديرة لو يطبقون عليهم ذا القانون كان يتجمّعون كلهم بالسجن)، (النظام القضائي في إنجلترا وويلز يقرر أن التغريد باستخدام تويتر في المحكمة مسموح ولا يؤثر على القضية، ويحقق مبدأ العلانية)، (من خصائص القانون «سلطة الجبر» على تطبيقه القانون الدولي «فعليا» تهمش به تلك السلطة.. ولذلك نفى بعض فقهاء القانون صفة القانون عنه).

تغريداته عن الظلم: (تجده ينتقد الطغاة في تعاملهم مع شعوبهم وهو يُعامل الخدم بوحشية!! كلّ يظلم حسب إمكانياته)، (من «الاستحمار» الحديث عن حقوق المرأة في الوقت الذي تغتصب فيه النساء بسوريا)، (دموع المظلومين، هي في أعينهم مجرد ماء ولكنها عند الله صواعق يضرب بها الظالم.. فاحذر أن تظلم أحد)، (إذا رأيت الظالم مستمراً في ظلمه، فاعرف أن نهايته محتومة، وإذا رأيت المظلوم مستمراً في مقاومته فاعرف أن انتصاره محتوم)، (من الظلم أن نلوم الآباء الصالحين على عدم صلاح أبنائهم.. فليس ذنب المطر أن الأرض التي نزل فيها تحولت إلى وحل ولم تتحول إلى غابة).

ومن تغريداته في الطرافة: (فراق البعض!! يحتاج إلى سجود شكر)، (من الحيل النفسية.. الجمال جمال الروح)، (من محاسن هذا البلد أنه يربطك بالله كثيراً، فعندما يضيع لك حق ليس أمامك سوى الدعاء، وعندما تحدث مصيبه ليس هناك تفسير سوى القضاء والقدر)، (كمية الكهرباء التي تسري داخل الجسد حين يضرب «كوعك» في طرف الطاولة كافية لتشغيل مخيم)، (أكَل كِبسته المفضلة.. وأتبعها كأس لبن.. ثم فرش كرشته على الكنب.. ثم ظهرت سُرّته كِبتر نفط عظيم)، (سألها: لماذا خلقتكم جيلات وناقصات عقل؟؟!! فأجابت: جيلات لتحبونا، وناقصات عقل لنحبكم!)، (للتخلص من النمل، اخلط قطع

رخام صغيره مع فلفل أسود وسكر، يأتي النمل ليأكل السكر فيعطس من رائحة الفلفل فيرتطم رأسه بالرخام فيموت)، (عالم أمريكي مسلم كتب تعريفا للهيئة أي هيئة الأمر بالمعروف قال: إنهم مجموعة رجال هدفهم التأكد من أن الشعب السعودي كله سيدخل الجنة!!!)، (بريطاني يسأل سعودي: لماذا لا تصافحون النساء في السعودية؟ فردَّ عليه: هل يستطيع أي شخص يسلم على ملكتكم؟ قال: نعم، قال السعودي: بس ما عندكم نفط).

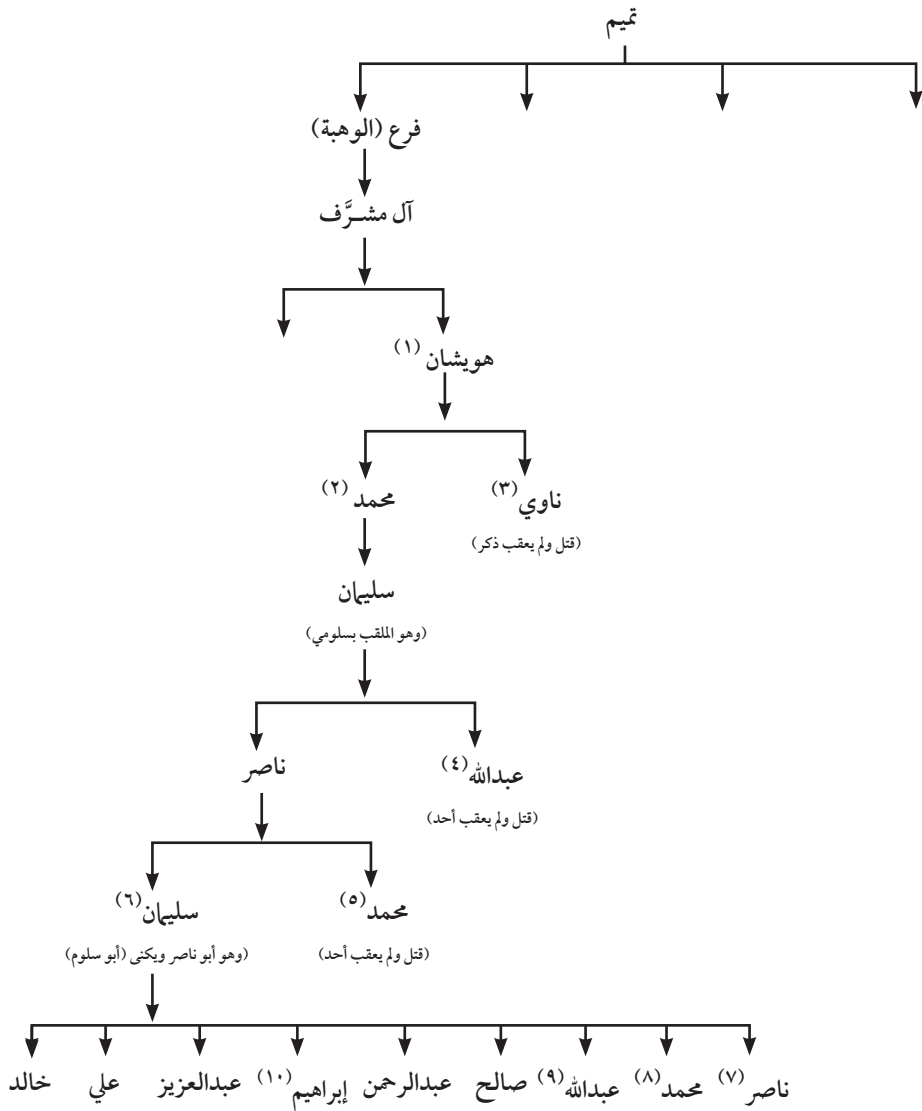
ومن تغريداته في المجالات الإدارية والسياسة: (لو أن الثورة في سوريا انتصرت منذ البداية لكان مناع رئيسا لسوريا، ونصر الله ما زال بطلا، وإيران مجاهدة، يُؤخَّر النصر ليميز الله الخبيث من الطيب)، (سُجن محمود شاعر أيام عبد الناصر فحققوا معه بتهمة «قلب نظام الحكم».. فقال: يُفترض أن تكون التهمة «تعديل نظام الحكم» لأن الحكم أساساً مقلوب)، (مكافحة الإرهاب فكرة خدمت أمريكا كثيراً في مطاعمها الخارجية، وخدمت (غيرها) أكثر في شؤونها الداخلية. أصبحت تهمة معلبة لمن طالب بحق أو إخراج معتقل)، (مجلس شورى تم اختياره بدون شورى... عجبني!!)، (نظراً للتهديد الإيراني الداهم فقد قررت دول الخليج أن تتخذ المزيد من الإجراءات القمعية ضد شعوبها حتى تقوِّي الجبهة الداخلية! خليجنا واحد)، (هل أصبح تحقيق الأمن للشعب مِنَّة من الحكومات على شعوبها؟! هذا أهم واجب عليهم مقابل قبول الناس بحكمهم)، (يستطيع الرئيس الأمريكي إبادة دول وشعوب بأكملها، لكنه في المقابل لا يستطيع صفع مواطن أمريكي كف واحد، لأن سر عظمة الدول هو عظمة قدر مواطنيها)، (كان من الأفضل أن يتفرغ الرئيس المصري الجديد لمشاكل مصر التي لا تُعد ولا تُحصى بدل الدخول في معارك سياسية مع خصومه منذ الأيام الأولى)، (سؤال يؤرقني: رأينا جميع الجمعيات الخيرية (الدينية) ومواقفها من الثورة السورية. أين جمعيات النفع

العام (الليبرالية) من الحدث؟؟؟)، (ينهالون على مرسي بالسب والانتقاد على حضوره قمة عدم الانحياز، ربما تناسوا دعوتهم نجاد لحضور قمة مكة.. عجبني على من يكيل بمكيالين!!)، (كفرت بالديموقراطية المزعومة، وزاد اليقين عندي يقيناً بأن الليبراليون والعلمانيون ومن معهم لا يبحثون عن حرية أو انفتاح، بل عن مصالحهم فقط)، (من مصلحة أي دولة تصارع من أجل البقاء أن توقظ الفتنة الطائفية، ثم توهم الشعب أنها تقف موقف المحايد الذي يحمي كل طائفة من الأخرى)، (اسرق كما تشاء، تجاوز كما تشاء، انهب كما تشاء، اقتل كما تشاء، فأنت وطني طالما أنت لست معارضاً!!)، (إذا رأيت بيئة عمل أو مجتمع ليس فيه رأي آخر أو معترض فأعلم أنه يسوقهم مستبد ديكتاتوري).

ومن منوعات التغريدات له: (قال للمصلين: استووا.. تراصوا.. لا تدعوا فُرُجَاتٍ للشيطان! ما يفعل الشيطان بالفُرُجَات وقد أُخْلِى له المنبر؟)، (يقول المثل الإيطالي: «كم رجل يهدد ويتوعد وهو يرتعد خوفاً؟!»، (لدينا حرية يفتقدها الغرب، مثل: الضجيج في منازلنا دون الخوف من أن يشتكي الجيران، ركن السيارة في أي مكان، و ضرب أطفالنا بحرية في مكان عام)، (لن ينتصر التطرف مهما علا صوته، فوسطية رسول الله ﷺ (اذهبوا فأنتم الطلقاء) انتصرت على تطرف قريش بمكرهم به ليقتلوه)، (عندما ترى امرأة محترمة تقف مع فاسدة: توصف المحترمة أنها فسدت!! ولا توصف الفاسدة أنها أصبحت محترمة!! متى سنرتقي ونحسن الظن بالآخرين)، (يسرق المال العام في الصباح والمساء، ثم يسأل الشيخ عن حكم الودائع في بنوك سويسرا، وفي رمضان يجتُم القرآن ويكي بالتراويح، وفي العيد فوق هام السحب)، (لو عرفنا كم يُصرف على حيوانات المترفين في العالم أمام الجوعى لعرفنا أن الحيوان له القيمة العليا على الإنسان!!!)، (في مكة قديماً كان الرجل إذا وجد لوح عليه عجين غير مخبوز

عند باب بيت يأخذه للمخبز ثم يعيده فهذا يعني أن رجل البيت غائب، هذا هو المجتمع الإيماني).

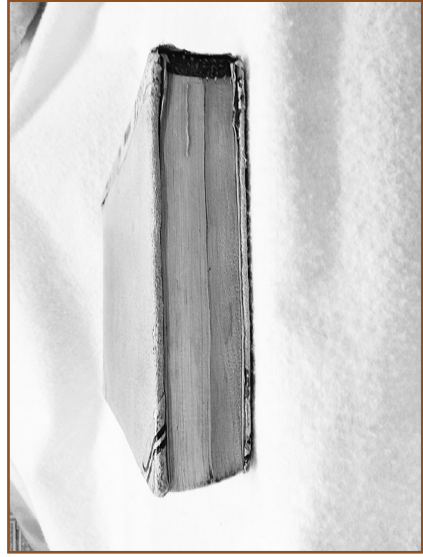
رحم الله الفقيد عبدالملك رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، والله ولي التوفيق.



هوامش الرسم البياني لنسب الاسرة

- (١) (هويشان) هو الذي قَدِمَ إلى الشنانة من أشيقر بعد الحرب التي حدثت بين المشارفة.
- (٢) (محمد) له بنتان (شَمًا) و(ميثاء) واشتهرت شَمًا بلقب الجبعا، وبها سُمِّيت إحدى مجاري سيول الشنانة القديمة، أما ميثاء عَقَّبَت (شقراء) و(عيلة).
- (٣) (ناوي) لم يعقب أحد من الذكور. وقُتِلَ زمن الدولة العثمانية على يد عسكر الغزاة الذين حاصروا الشنانة القديمة بقيادة (أحمد طوسون باشا بمكان أسموه حزم النظام عام ١٢٣٠هـ)، وقد قُتِلَ (ناوي) خارج سور الشنانة ودُفِنَ بقبر معروف بقبر (ناوي) ويعرفه أبناء (أبو سلوم) الكبار. وله بنت اسمها مريم، وهي زوجة خليفة بن عبدالله بن خليفة بن منيع الملقب (حسحوس) فهي جدة كل عائلة (الحسحوس) وعلى هذا فعائلة السلومي تُعد أحوال لعائلة الحسحوس من الخليفة.
- (٤) (عبدالله) ويُلقَّب (معدان) قُتِلَ زمن الدولة العثمانية.
- (٥) (محمد) قُتِلَ قرب قصر بن عقيل على يد راعي من رعاة الإبل من البدارين من قبيلة حرب.
- (٦) (المطوع سليمان بن ناصر بن سليمان (السلومي) له ترجمة سابقة بعنوان: سليمان بن ناصر بن سليمان السلومي - الشخصية والرسالة (دور المطوعين - المطاوعة - في الوحدة الفكرية)، وقد عُرِفَت الأسرة به فيما بعد ذلك فهو عميدها، كما أن ظهور ونمو أسرة (السلومي) بدأ بوجوده أكثر من ذي قبل.
- (٧) ناصر بن سليمان كانت وفاته عام ١٤٠٣هـ.
- (٨) محمد بن سليمان بن ناصر السلومي ووالدته هي سارة بنت منيع البليهد مات بسبب الغوص في بئر بالمدينة عام ١٣٦١هـ تقريباً.
- (٩) هو الشيخ عبدالله بن سليمان بن ناصر السلومي هو صاحب هذه الترجمة، وهو شيخ أسرته.
- (١٠) إبراهيم بن سليمان، كانت وفاته عام ١٤٣٢هـ.

الملحق رقم (٣) فن جباكة المصاحف



الملحق رقم (٤)

كتابه بخط يده تحريراً في ١ / ٥ / ١٤٠٠ هـ وصية عبدالله (عبيد) بن عبدالعزيز
الحسحوس الخليفة بثلاث ماله على أعمال البر.

بسم الله
 حضر له يا عبيد بن عبدالعزيز بن الحسحوس
 في صفة من عقده و هو ان تصرفه و قدر
 وعرف بان له في اخرج تلك ماله
 له في اعمال بر ولو كبل على ذلك ابيه
 على العهد و نقاشه الجريح ليعود و سراد
 و انظر على ذلك فيه الى المصطفى الخليفة
 ربياه الصالح الفخر الخليفة
 و كانه شاهد به عبيد بن ربياه الدار
 سر في الحسحوس

الملحق رقم (٥)

كتابة بخط يده تحريراً في ١/٥/١٤٠٠ هـ وصية صالح محمد الغفيلي
(ساكن المطية) بثلاث ماله على أعمال البر.

بسم الله الرحمن الرحيم

هضر له في صالح المهر الغفيلي في صحة من عقله
وهو من نصرة دافعة وعنفوانه اضرع ثلاث
ماله له في اعمال بر ولو كبل على
ذال من تقضيه اعلى الشرعية
من ذرينه هاكذا ملاه المذكر
واحمد على ذال على صالح الخليفة
دكانه شاهد به عليه ليا له الميسور
هر في ١/٥/١٤٠٠

الملحق رقم (٦)

توكيل عبدالرحمن الناصر البلاع وتفويضه للمطوّع عبدالله السلومي في تأجير مكانه في
بلد البلاعية بالشنانة، وبيع ما فيه من الأخشاب والأثل، وذلك بتاريخ ١٣٧٤ / ٧ / ٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله اما بعد فيعلم الناظر فيه عازي انا يا عبد الرحمن الناصر البلاع قد وكلت واقتمت مع
نفسى وغوضاً المكنم عبد الله بن سليمان السلومي على المكان المعروف لنا في بلد البلاعية
وكيل مفوضاً فيما يصلح بأجر المكان لمن طلبه صبره وله التصرف في قطع الأثل
وبيعه كثبت له هذه العكالة لعدم معارضته وكتب عن امر عبد الرحمن المذكور
وشهد محمد عبد الرحمن الطوع وشهد ايضاً سليمان عبد العزيز البليهد وشهد
علي محمد والي وشمس محمد بن محمد
صحي الشكّل
عبد الرحمن الناصر البلاع

الملحق رقم (٧)

إيصال حقوق بين الدائنين وتدوين ورقة مكتوبة بذلك بتاريخ ١٣٨٩/٨/٣ هـ،
بين صالح المحمد البطي ومحمد الرميح للعم صالح المنصور الضلعان.

بسم الله الرحمن الرحيم
 أنا الموصى اسمي أدناه صالح محمد البطي
 أكتبت من رزق عملي لعملي (لصاحب السهم)
 مبلغ خمسمائة ريال فقط وذلك من المبلغ
 الذي تم من رزقي للعم صالح المنصور الضلعان
 وأطلبه من عملي المبلغ هذه المبلغ
 وعليه أوقع بالبرهان
 ١٣٨٩/٨/٣
 لعملي
 محمد الرميح

الملحق رقم (٨)

تدوين دّين للتاجر علي الناصر الخليوي الكائن في ذمة عبدالله العوفي وأبيه صالح وأخيه محمد، وهي الوثيقة المدونة بتاريخ ٢٥ / ٥ / ١٣٨٤هـ.

[illegible]

الملحق رقم (٩)

تدوينه ورقة طلاق جبر بن عبدالله الجبر من زوجته هيا بنت عبدالله السعيد

بتاريخ ٥/٥/١٤٠٠هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلاة وسلام على من لا نبي بعده أما بعد
فقد حضر لدي جبر بن عبدالله الجبر وأمره وعرفني بأنه
قد طلق زوجته هيا بنت عبدالله السعيد الشحمة
السعيدة طلاقاً واحداً قائماً بالأفلا فاقراً بتجديده
ومرته عبدالله الكنج عيسى ابنه محمد الجبراني

ومحمد بن عبد الرحمن
الحاضر الخاتمة وكان له شاهد به
أبي سبيح السدي

بر في شهر جمادى الأولى ١٤٠٠هـ

الملحق رقم (١١)

تحرير مبايعة بتاريخ ١/٢/١٤٠٢هـ، وذلك عن أرض زراعية في عشيرة بين عبدالعزيز
الخليفة وكيلاً عن إخوته إلى جديّد بن معاضد المطيري متضمنةً حدود المزرعة
وتفاصيل أخرى.

بسم الرحمن الرحيم
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
لقد تم الاتفاق بين كلاً من الطرفين الأول عبد العزيز
الخليفة وكلاً من أهله: الطرف الثاني صديق ابن
معاذ المطيري، على أن يبيع عبد العزيز ببيع
الأرض الزراعية التابعة له ويؤخره مبلغ
عدد خمسة وأربعين ألف ريال فقطاً ومثل
الأرض المبيعة في المساحة أعلاه حسب
الشروط أدناه أولاً السهل إلى الطرف
الثاني على المطالب بما زياده أو نقصانه
حيث يأخذ الطرف الأول حاجته ثم ياتي
مع حجة الحال: الشرط الثاني ليس أرضه
المزرعة المبيعة منقذ من الحياة الفسيدة والجنون
والسالم: يحكمه لأرضه أقرب بلاد البائع
والشمال بلاد العواصم ومن الجنوب أرض الطلاء
ومن الشرق بلاد عوض: وعبر طابعه أن يكون
خاضعاً للجهات الرسمية
وليس له شئ من مطالبة البائع بأي شئ
تخضعه الدولة لو كان ذلك مؤكداً استغنى
الجيب وأشبهه علماً بذلك صديق العبد العزيز الخليفة
معاذ بن معاذ بن عبد العزيز بن جديّد
صديق الخليفة

الملحق رقم (١٢)

يُلاحظ نظام وزارة الداخلية في الإعفاء من التصوير، وقد كانت حفيظة النفوس الخاصة به لا تحمل صورةً فوتوغرافية، واستفاد - مثل غيره - من هذا النظام.

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
المرتبعة العامة للأحوال المدنية
بمدينة
حفيظة النفوس

عدد ٢٢٩
٩٠١٣
١٧/٤/٥٣ تاريخ الإصدار
حفيظة النفوس
القيمة ريال واحد

١٣٩٦

الاسم والشهرة: محمد بن علي بن علي
الاسم الأب: محمد بن علي بن علي
تاريخ الميلاد: ١٢٢٧ هـ
تاريخ التسجيل: ١٢٢٧ هـ

مدير الأمن: محمد بن علي بن علي
مدير الأمن: محمد بن علي بن علي

عدد { متزوج } نعم
{ ولاد ولد } نعم

معفى من الصورة الشمسية
الصورة الشمسية

محمد بن علي بن علي

مدير الأمن: محمد بن علي بن علي

محمد بن علي بن علي

الملحق رقم (١٣) (أ)

الخطاب الصادر من رئيس هيئات الرس إلى المطوع نفسه بتاريخ ١٠/١/١٣٩٥ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة هيئات الامر بالمعروف
بنجد - والمنطقة الشرقية - وخط الانابيب

رقم ٩
تاريخ ٩٥/٧
مرفقات

الحمد لله الذي جعلنا منكم أئمة الدين
والعلم عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد
تاريخ ٩٥/٧/٩ هـ والذين علمتم فيه عدم شهود
الحاكم عبد الرحمن المحمد
والحملة والحجوة من قبله وانهم قد اعلموا امرهم
لأنهم تمسكوا بالشرع منهم ليعلموا انهم لم يرس
لما يقع لكم من نصرة الرئيس لكم بالامر والرس
والرس من صدرهم محروا انكم الطيبة في الرس والرس
والصبر لرئيس انما انتم من صدر طائفة ورثة
عبد الرحمن
عبد الرحمن

الملحق رقم (١٣) (ب)

الخطاب الصادر إلى رئيس محكمة الرس بتاريخ ١٠/١/١٣٩٦ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الملك عبدالعزيز بن عبد الله آل سعود

هيئة الامر بالمعروف في الرس

الرقم ٨

التاريخ ١٠/١/١٣٩٦

المشروعات

فضيلة رئيس محكمة الرس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، اني لفضيلتكم عن دارم لنا عبد الله
 السليم السليم السليم السليم السليم السليم السليم السليم السليم السليم
 في ايام الجاهلية عبد الله السليم السليم السليم السليم السليم السليم
 اسماهم اذناه، خليفة السليم السليم السليم السليم السليم السليم
 بانه لا يسجد لله سجدة الا لله وحده ولا اله الا هو ولا اله الا هو ولا اله الا هو
 نعم ضا صحتهم اياهم من ارضهم وارضهم وارضهم وارضهم وارضهم وارضهم
 على عدم سجدتهم له، الذي كله اذبح لنا الرضخ بهم لفضيلتكم
 الامركم بما ترونه لازما صياهم حفظكم

رئيس هيئة الامر بالمعروف في الرس

عبد الله السليم

الملحق رقم (١٥)

خطاب موجه من فضيلة الشيخ صالح ابن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم في
عام ٢٥ / شعبان / ١٣٨٢ هـ إلى من يراه من المسلمين وفيه التذكير بحلول شهر رمضان
والتنبيه بوجوب تجنب المنكرات وفعل الخيرات.

بسم الله الرحمن الرحيم

ن صالح بن أحمد الخريصي إلى من يراه من اخواننا المسلمين وقد تبي الله وأياهم للقيام بواجبات الدين وعضني
أيامهم من طرق المشغوب عليهم والمضالين آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد قال الله في كتابه المبين
ذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين وقال تعالى انه إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجاءه ليس بالتي احسن
ن ربك هو اعلم بين من سبيله وهو اعلم بالمستدين ولحلول هذه الشهر المبارك احببنا تبيينكم على اشياء
للبال لتواب الله عز وجل في بذل النصيحة وغوفا على الجميع من اسباب الخزي والفضيحة فتصلون رحمكم الله
ن هذا الشهر المبارك احد اركان الاسلام ومبانيه وان الله عز وجل فرض قيامه في محكم كتابه ومن رسول الله
عليه صلى الله عليه وسلم قيامه وروى في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما
قدم من ذنبه فهو موسم عظيم وموسم مبارك كريم وينبغي تلقيه بالتوبة والالتزام وحفظ اوقاته بتلاوة القرآن وذكر الله
عز وجل واقتناء مضاعفة الثواب فيه بكثرة الصدقة وكثرة ذكر الله عز وجل فان الحسنة فيه بالصدقة والحسنة فيه
بالركعة واحد رواه رحمكم الله مما يرجح الصوم من الاعمال السيئة كالخفية والنميمة والفحش وقول الزور وغير ذلك
من المحرمات التي يتأكد تحريمها في هذا الشهر وايام وجالس الشخصية التي هي كهيئة بالخفية والحرمان
المكوف على الراديو واستماع الاصوات الفاجرة والحطبات الماجنة ومجالس القهقهة والاجتماع على شرب الخمر
واللعب بالشطرنج وكذا وما يقطع الانسان عن سيرة إلى الله تعالى والالتزام بالآخرة كالنظر في العجالات والصحف
التي لو كان فيها فائدة ففي كتاب الله وسنة رسوله وتبانيف اساطين الاسلام واقوال الائمة الاعلم غنية عن ذلك
بما يناسب ذكره والتنبيه عليه وجوب الزكاة والعلم بانها احد اركان الاسلام وانها فريضة الصلاة في كتاب الله
مع ذلك فانها تزكي المال وتنميه كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حصوا اموالكم بالزكاة وداوا مرضاكم
بالصدقة واستقبلوا امواج اليلاء بالدعاء والتضرع وقال ما هلك مال في بئر ولا يجر الا بخير الزكاة وقال صلى الله
عليه وسلم ان تمام الاسلام ان تودوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم اقيموا الصلاة واتوا الزكاة وحجوا واعتصموا
واستقيموا يستقم لكم والا حاديت في قضيائكم والوحيد المشد يد والذبي الاكيد في مناصب كثيرة جدا يأتي بعضها
بالمطلوب غوا خراجها على الزكاة الشرعي المرضي الذي تبرا به الدمة ويسقط به الواجب ويرجو العبد به ثواب
الله عز وجل بعد ان يحاسب الانسان نفسه محاسبة الشريك الشحيح لشريكه ويقوم ويشن كل ما اعده للتجارة
بما يماز في الوقت الحاضر لا فيما اشتره به ثم يخرجها طيبة بها نفسه متشرا بذلك صدره لقول النبي صلى
الله عليه وسلم ان اولياء الله المتصلون إلى ان قال ويؤتي الزكاة طيبة بها نفسه إلى ان قال في الحديث ويقوم
الصلاة ويؤتي الزكاة الا رافق محمد صلى الله عليه وسلم في بيحونة جنة ايوا بها ماصارج الذهب وام من كرمها
او كره شيئا مما امر الله به ووجبه وصار في نفسه حرج او خزانة فيه لا داخل في قديم قوله تعالى ذلك بانهم

كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ولو عمل هذا العمل مكرهاً لله ولا مكرهاً
 الشديد في كتابه وستة رسوله فأكثر من أن يحصر وأشهر من أن يذكر قال اللعز وجل والذي ينكرون الدين
 والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرهم بهذا الجحيم يحصى عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
 وظهورهم هذا ما كنتم لا تفكرم فذوقوا ما كنتم تكفرون قال بن مسعود رضي الله عنه لا يكون رجل يكثر قيمته
 درهم درهم ولا دينار ديناراً ولكن يوسع يجلده حتى يوضح كل دينار على حذبه وقال تعالى ولا يحسبن
 الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيططون ما بخلوا به يوم القيامة وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يودي زكاة فإلهه إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع فيكوى به جبينه وجبينه
 وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس وإنما خص هذه الأعفاء لأن الجزء من جنس
 العمل قال فقير أخوك بينك وبينه الرابطة الدينية لا شقة إلا سلامة فإذا رايته عيست وبهتكم قاله الله أقساماً
 وافترق ولكن له الحكمة البالغة والحجة الدالة ليظهر صبره وشكره وقال النبي صلى الله عليه وسلم فرض الله على
 أقنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراًهم ولن يجهل الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أقنياءهم
 إلا وأن الله سبحانه حساباً شديداً ويصدقهم عذاباً اليماً وقال صلى الله عليه وسلم ويل للأقنياء من الفقراء
 يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم في قول الله عز وجل وعزني وتلا في لا تبتغوا ولا باعدوا
 ولا باعدتكم ثم تلى صلى الله عليه وسلم والذي في أموالهم حق المساكين والحرم وفي حديث السراء الطويل أنه صلى
 الله عليه وسلم مر على قوم يسرحون كما تسرح الأنعام إلى البحرين والزرقم فقال من هؤلاء يا جبريل فقال الذين
 لا يردون صدقات أموالهم ولا ظلموا الله ولا الله يظلم للمسيكين وقال صلى الله عليه وسلم ما فتح قوم الزكاة إلا
 ابتلاهم الله بالمستعين فالخذر الحذر أن الناقض يضرهم وما ينبغي التنبيه عليه مما أوجبه اللعز جل أحصاء
 إلا ناساً ما له كله عند تمام الحول حاضره وفاته قليله وكثيره إذا بلغ نصاباً نقوده وعروضه مدا أعد للتجارة ثم
 يركب الجميع ولكن يجب على الإنسان أن يعلم أن هذا حق واجب لا يجوز له أن يتصرف فيه إلا بما أمر الله به
 من صرفه إلى الأصناف الثمانية فيكون هذا لما أمر به به لا لما يهواه ويريد ويريد فلا يحاسب بها ولا يدفع
 بها مذهباً ولا يقبض بها ما له ولا يستخدم بها ولا يجوز صرفها في سائر القربات كبناء المساجد وأجراء الأنبار
 وتكفين الموتى وتعمير المقابر لأن الله سبحانه وتعالى تولى قسمها بنفسه على الأصناف المذكورة في قوله تعالى
 أنا الصدقات للفقراء والمساكين إلى آخر الآية وإنما أدها حصر ولم يكل ذلك لمالك بقرب ولا لنبي مرسل
 فادعها رحيم الله إلى أخواتكم وأوسوم بها وأخذوا من ناخيرها وألما طلة بها فإن لاوى الصدقة وهو المأطل
 بها ملحق على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خالطت الصدقة
 أو قال الزكاة ما إلا أفسدت وهذا يحتمل مشيئين أحدهما أن الصدقة ما تركت في مال ولم تخرج منها إلا ملككم

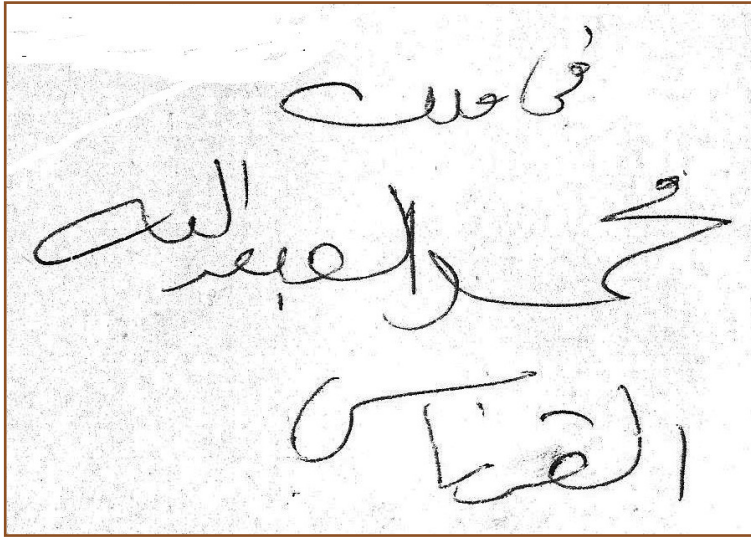
والثاني ان الرجل قد يأخذ الصدقة وهو غني غنياً فيضربها في ماله فتملكه ويبدأ فسرهُ الإمام أحمد رضي الله عنه ويضرب الناس ربما أنه يأخذ الصدقة في حال حاجته فإذا اغناه الله استمر على الأخذ واستمر الدافع على اعطائه وهذا لا يجوز لان الدافع يجب عليه أن لا يدفع الزكاة الا على من غلب على ظنه أنه فقير والخشي لا يجوز له اخذها حتى ولو قال في نفسه آخذها واعطيها غيره فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب فتعليقكم عليه الله تقوى الله سبحانه بجميعا فان الغني مسئول والفقر مسئول ومن غنى عليه شيء من ذلك وجب عليه سؤال المسلماء لقوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كتبكم لا تسلمون بالنبيات والزير ولان من تمام الواجب وما لا يتم الواجب به لا يندرج واجب هذا وما تذكركم به المقام العظيم الذي يستجلب به النعم ويستدفع به حلول النقم وهو مقام الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان النجاة المشهورة عند نزول العقوبات وحلول المثلث لاهل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينجون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم وفي الحديث ما ترك قوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا لم ترفع اعدائهم ولم يسمع دعاؤهم وفي الحديث ما ينال من بالمعروف ولنهي عن المنكر اولى سلطان الله عليكم شراكم فيسويونكم سوء العذاب ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم كما من بالمعروف ولتنهي عن المنكر او ليعيثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم وتسلمون رحيمكم اللذان لا عذر لاحد في ترك هذا الواجب العظيم وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان كلا راع ومسئول عن رعيته فعلى صاحب البيت تفقد احوال اهل بيته من نساء واولاد وخدم وان يكون عليهم بالمرصاد عن تبرج من النساء واظهار زينته وكف الاولاد عن الخروج والتجول في مواضع التبرج واخذ على ايديهم لما يصلحهم وان لا يرفع عنهم عصاه اذ با كما قال صلى الله عليه وسلم في الاهل والاولاد ولا ترفع عصاك عنهم اذ با واخفهم في الله عز وجل وقال ما نحل والد والد افضل من ادب حسن فالادب الحسن ينفع الاب والولد في حياتهما ويخدق فائهما فالحد والحدرا ان ياتيكم امر الله وانتم فانظروا وان ياتيكم عذابه وانتم في ثياب الخلفة وانظروا ولا تداخنوا في دين الله فان الداهن في دينه المعسر عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان كان من ازمه الناس واعيدهم شر من اهل الكيابة ولا تامنوا مكر الله فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون واحذروا الفضائل يوم تبلى السرائر وتظهر مخيئات الصدور والضمائر وانتذروا يوم ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون هذا واسأل الله الكريم رب السموات العظيم ان ينصر دينه ويعلي كلمته وان يمن على الجميع بالهداية والتوفيق الى احسن منبج واقم طريق انه جواد كريم وصلى الله على محمد وآله وصحبه

وسلم تسليماً كثيراً حرره في ٢٥ من شعبان ١٢٨٢ هـ

قام بطبعها الفقير الى الله تعالى محمد حسان بلبـ

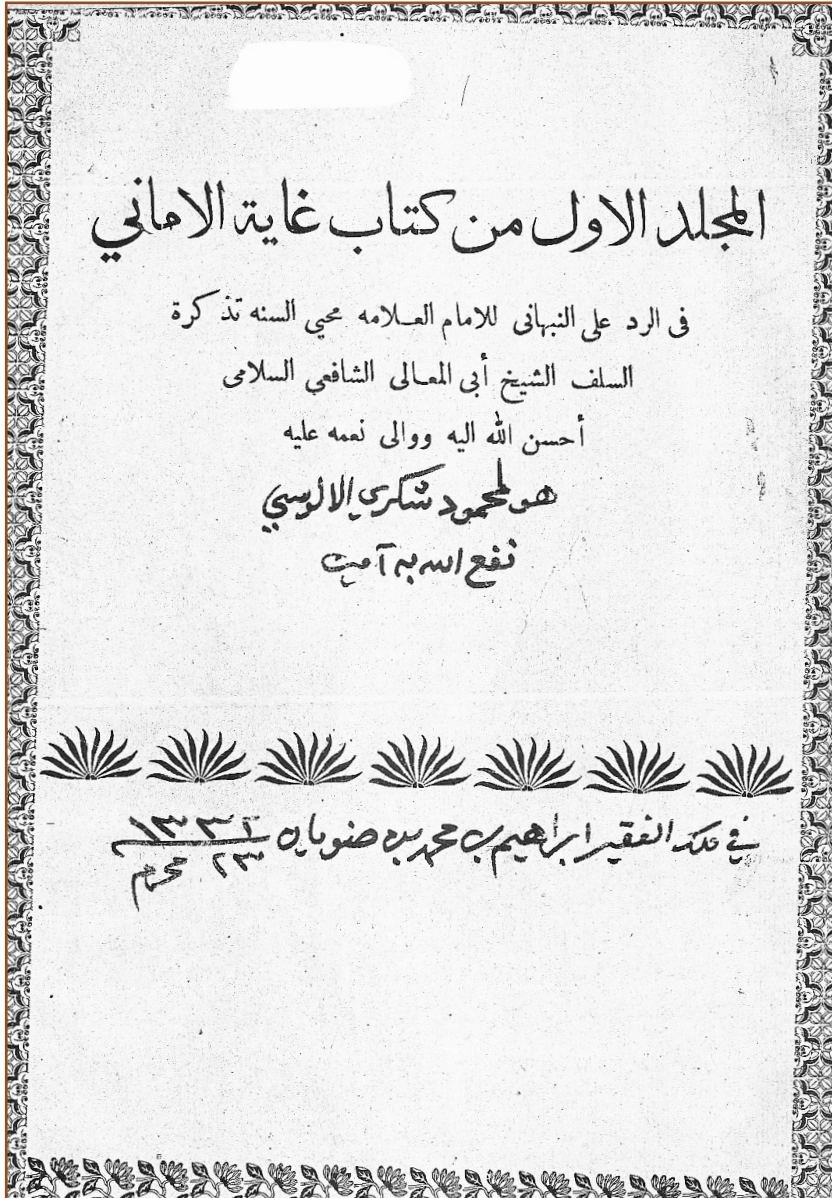
الملحق رقم (١٧)

كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن بن ناصر
السعدي وفي غلافه الداخلي كتب بخط الشيخ عبدالله السلومي عبارة: في ملك
محمد عبدالله القرناس.



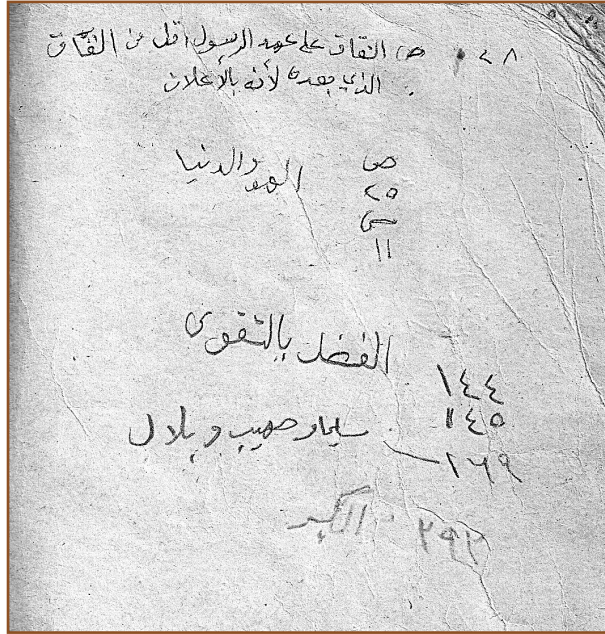
الملحق رقم (١٨)

غلاف هذا الكتاب بجزئيه كتب عليه بخط الشيخ عبدالله السلومي أو خط مشابه له وفيه (في ملك الفقير إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٣ / محرم / ١٣٣٢ هـ).



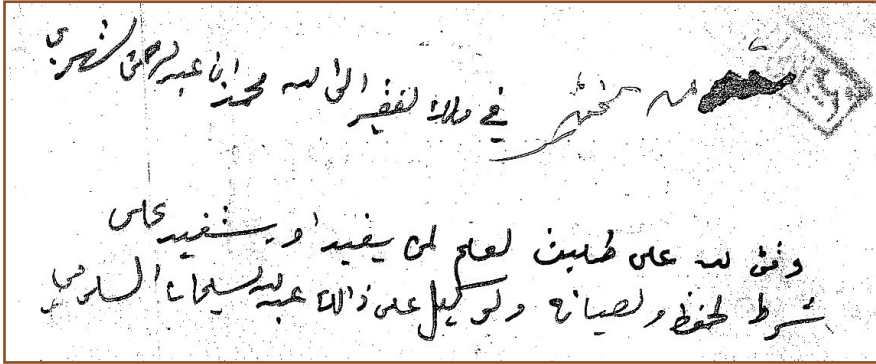
الملحق رقم (١٩)

تدوين الفوائد العلمية في الغلاف الداخلي للكتاب مما يعكس اهتمام المعني بالترجمة ببعض الموضوعات) ومن ذلك: النفاق في عهد الرسول أقل من النفاق الذي بعده لأنه بالإعلان مع كتابة رقم الصفحة (٢٨)، وكذلك: الفضل بالتقوى ورقم الصفحة (١٤٤)، وكذلك: سلمان وصهيب وبلال ورقم الصفحة (١٦٩)، وكذلك عبارة: حجة الرافضة الباطلة، الرافضة أبعد الناس عن التوحيد والصدق صفحة (٣٩١) كذلك كلمة الكبر (٣٩٣).



الملحق رقم (٢٠)

كما وجدتُ في مكتبته كتاب: (مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة) الجزء الأول وهو يزيد عن ٤٦٠ صفحة، ومطبوع في المطبعة السلفية ومكتبتها بمكة المكرمة عام ١٣٤٨هـ، وقد كُتب في الصفحة البيضاء الأولى من الكتاب بخط الشيخ محمد بن عبدالرحمن الشهري أو خط عبدالله السلومي العبارة التالية: في ملك الفقير إلى الله محمد بن عبدالرحمن الشهري، وقف لله على طلبة العلم لمن يفيد أو يستفيد على شرط الحفظ والصيانة، والوكيل على ذلك عبدالله السليمان السلومي.



المصادر والمراجع

أ/ مصادر كتب السنة النبوية :

- ١/ ابن حنبل، أبا عبدالله الإمام أحمد بن محمد الشيباني. مسند الإمام أحمد، الناشر مؤسسة الرسالة.
- ٢/ ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد. كتاب اختيار الأولى في شرح اختصار الملأ الأعلى.
- ٣/ ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله. سنن ابن ماجه، الناشر: دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي).
- ٤/ أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني. سنن أبي داود، الناشر: دار الرسالة العالمية.
- ٥/ الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف الرياض.
- ٦/ الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح الجامع الصغير وزياداته، الجزء الأول، الناشر: المكتب الإسلامي.
- ٧/ البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

- ٨/ البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل. الأدب المفرد.
- ٩/ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. السنن الكبرى، الناشر: دار الكتب العلمية.
- ١٠/ الترمذي، الإمام محمد بن عيسى. جامع الصحيح، الناشر المكتبة الإسلامية.
- ١١/ الحاكم، أبا عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري. المستدرک على الصحيحين، المجلد الأول، الناشر: دار الحرمين.
- ١٢/ الطبراني، الإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد. معجم الطبراني الأوسط، دار الحرمين - القاهرة ١٤١٥هـ.
- ١٣/ العجلوني، الإمام إسماعيل بن محمد الجراحى الشافعى. كشف الخفاء ومزيل الإلباس.
- ١٤/ القاري، علي بن السلطان محمد الهروي. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- ١٥/ مسلم، الإمام محمد بن الحجاج. صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

ب/ المصادر العامة:

- ١٦/ آل الشيخ، إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن. الدرر السنية في الكتب النجدية.
- ١٧/ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني. حلية الأولياء.
- ١٨/ أبو زيد، بكر بن عبد الله بن محمد. المداخل لآثار ابن تيمية.
- ١٩/ ابن أبي شيبه، عبد الله بن محمد. المصنّف، طبعة دار الفكر.
- ٢٠/ ابن الأثير، أبي الحسن الجزري. كتاب جامع الأصول.
- ٢١/ ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم. مقدمة الفتوى الحموية الكبرى،

دراسة وتحقيق حمد بن عبدالمحسن التويجري، طباعة دار الصميعي، الطبعة الأولى عام ١٤١٩هـ.

٢٢/ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

٢٣/ ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر. كتاب القواعد الفقهية، وكتاب شرح زاد المستقنع.

٢٤/ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب. كتاب الفوائد.
٢٥/ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. كتاب الداء والدواء، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت (١٠٩).

٢٦/ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب. شرح القصيدة الميمية (الرحلة إلى بلاد الأشواق).

٢٧/ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب. الوابل الصيب.
٢٨/ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة جزء ٢، طبعة مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة.
٢٩/ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب. مدارج السالكين، طبعة مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة.

٣٠/ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب. كتاب كشف الظنون، مكتبة التابعين، القاهرة عين شمس.

٣١/ ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية، مكتبة المعارف-بيروت، الطبعة الثالثة عام ١٩٨٠م.

٣٢/ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب، طبعة دار المعارف.

٣٣/ البلادي، عاتق بن غيث. معجم معالم الحجاز.

٣٤/ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي. مناقب الشافعي.

- ٣٥ / التبريزي، يحيى بن علي بن محمد. شرح ديوان أبي تمام.
- ٣٦ / الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. كتاب (اللطائف والظرائف في الأضداد).
- ٣٧ / الجرّاوي، أحمد. كتاب مختصر صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب.
- ٣٨ / الحريقي، حمد بن إبراهيم. كتاب (علماء من الرس)، الطبعة الأولى، عام ١٤١٢ هـ.
- ٣٩ / الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء.
- ٤٠ / السلومي، محمد بن عبدالله. القطاع الثالث والفرص السانحة (رؤية مستقبلية).
- ٤١ / السلومي، محمد بن عبدالله. كتاب (سليمان بن ناصر السلومي - الشخصية والرسالة - دور المطوعين في الوحدة الفكرية).
- ٤٢ / السلومي، محمد بن عبدالله. ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب.
- ٤٣ / شيخو، محمد أمين. كشف خفايا علوم السحرة.
- ٤٤ / الصويّان، عبدالرحمن بن عبدالعزيز. صفحات مطوية من تاريخنا الشعبي.
- ٤٥ / العمري، صالح بن سليمان. كتاب (آل سليم وتلامذتهم).
- ٤٦ / العبودي، محمد ناصر. معجم بلاد القصيم، الطبعة الثانية، عام ١٤١٠ هـ.
- ٤٧ / العثيمين، العلامة محمد بن صالح. القول المفيد على كتاب التوحيد، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة الثانية، عام ١٤٢٤ هـ.
- ٤٨ / القحطاني، أبا محمد عبدالله بن محمد الأندلسي. (نونية القحطاني) تصحيح وتعليق محمد بن أحمد سيد احمد مكتبة السوادني، جده الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩ هـ.
- ٤٩ / المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح. الآداب الشرعية والمنح المرعية، دار عالم الكتب.
- ٥٠ / المناوي، محمد عبد الرؤوف. فيض القدير شرح الجامع الصغير.
- ٥١ / النووي، الإمام محيي الدين يحيى بن شرف. مختصر رياض الصالحين، طبعة مؤسسة الوقف.
- ٥٢ / هرّاس، محمد خليل. شرح القصيدة النونية (نونية ابن القيم الجوزية).

ج/ المصادر المترجمة :

- ٥٣ / بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمه إلى العربية نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت عام ١٩٧٣ م.
- ٥٤ / فيليبي، هاري سانت جون. بعثة إلى نجد، ترجمة د. عبد الله العثيمين ط ١. الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٨ / ١٩٩٧ م.
- ٥٥ / الباحثان جوناثان بنثال وزميله جيرم بيليون، كتاب الهلال الخيري.

د/ المصادر الالكترونية وغيرها:

- 1- <http://www.ahlalhdeeth.com>
- 2- <http://www.albwady.com/vb/showthread.php?t=4401>
- 3- <http://www.gufeeri.com/vb/t3464.html>
- 4- <http://4i.ae/EGod>
- ٥- محمد السلومي، أمي مدرستي على الرابط التالي :
<http://3rdsector.org/catplay.php?catsmktba=602>
- ٦- صحيفة عكاظ الالكترونية:
<http://www.okaz.com.sa/new/Issues/20130520/Con20130520602563.htm>
- 7- <http://3rdsector.org/Letters/Letter17.pdf>
- 8- <http://ar.wikipedia.org/wiki/>
- 9- alqaoud.net/read.php?id=2193
- 10- <https://www.facebook.com/HAZEMOONparty/posts/556654354388101>
- ١١ - مقال مجلة البيان اللندنية في عددها العاشر عام ١٤٠٨ هـ شهر جمادي الآخر.

١٢- ورقة الشيخ صالح الحصين المشورة في موقع مركز القطاع الثالث:

<http://3rdsector.org/play.php?catsmktba=112>

13- <http://albayan.co.uk/text.aspx?id=2814>

14- <http://saaid.net/book/open.php?cat=89&book=1599>

15- <http://www.islamselect.net/mat/91595>

16- <http://www.islamselect.net/mat/27844>

17- <http://www.islamselect.net/mat/4425>

18- WWW.assalehi.com

19- <http://libback.uqu.edu.sa/hipres/MAGZ/31000164-.pdf>.

20- <http://quran.maktoob.com/vb/quran30240/>

21- <http://4i.ae/qI2s>

٢٢- الموسوعة الجغرافية للأماكن في المملكة العربية السعودية (CD).

٢٣- المرويات الشفهية (مجموعة من أقوال المعاصرين له من أصحابه وتلاميذه وماشأبها).

خاتمة الخاتمة

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٠)

(التوبة: ١٢٠)

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿

(الأحقاف: ١٥، ١٦)

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (٢١)

(الطور: ٢١)





كتب للمؤلف

أ/ كتب صدرت للمؤلف (بفضل الله تعالى وتوفيقه)

- ١/ كتاب: القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب (الناشر: مجلة البيان).
- ٢/ كتاب: ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب (الناشر: مجلة البيان).
- ٣/ كتاب: ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب (اللغة الانجليزية) (الناشر: أوثر هاوس - أمريكا).
- ٤/ كتاب: ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب (ثمان لغات) (فرنسي، ألماني، روسي، هولندي، اندونيسي، ألباني، بوسني، أوردو) (الناشر: مركز القطاع الثالث مع دور نشر أجنبية أخرى)
- ٥/ كتاب: القطاع الثالث والفرص السانحة - رؤية مستقبلية (الناشر: العبيكان ومركز قطاع).
- ٦/ كتاب: أمني مدرستي (الناشر: مركز قطاع).
- ٧/ كتاب سليمان بن ناصر بن سليمان السلومي (رحمه الله) - الشخصية والرسالة (الناشر: مركز القطاع الثالث).

يمكنكم الحصول على هذه الكتب مجاناً (نسخاً إلكترونية) بصيغة (PDF) و (Ebook) من خلال موقع مركز القطاع الثالث:

www.3rdsector.org

ولمعرفة مواقع تواجد بيع الكتاب يمكنكم زيارة الموقع أعلاه

ب/ كتب تحت التأليف:

- ١/ كتاب: الوحدة الوطنية (السعودية حالة دراسية).
 - ٢/ كتاب: بحوث في تنمية مؤسسات القطاع التطوعي والخيري.
 - ٣/ كتاب: رسالة خاصة لرجال المال والأعمال.
 - ٤/ كتاب: المسؤولية الاجتماعية والوطنية.
 - ٥/ كتاب: الإسلام والغرب منافسة أم صراع؟ (رؤية عامة في العلاقة والحوار مع الآخر)
 - ٦/ كتاب: المنافسون الجدد.
 - ٧/ كتاب: سادة الارهاب.
 - ٨/ كتاب: السيادة الوطنية.
 - ٩/ دور (المطاوعة) المطوعين في ملحمة التأسيس والتوحيد للمملكة العربية السعودية.
 - ١٠/ كتاب: الرس والشنانة ودورهما التاريخي.
- ويمكنكم الحصول على بعض البحوث والدراسات الاجتماعية والخيرية من خلال موقع مركز القطاع الثالث:

www.3rdsector.org



هذا الكتاب

يأمل المؤلف فيه أن يكون محاولةً (غير تقليدية) في الترجمة، وفي الإسهام في الكتابة عن التاريخ الاجتماعي والتطوعي في وطن التطوع قديماً وحديثاً، فقد كشف هذا البحث وما يمثله للمؤلف:

• أن تقصير الباحثين وكُتّاب التاريخ أو المؤرخين والعلماء في تدوين حياة الأمة الاجتماعية العلمية والمعرفية والتطوعية والاحتسابية بصفة مستقلة عن كتابة التاريخ السياسي أسهم بشكل كبير في حرمان الأمة من الشراكة المجتمعية في السيادة والريادة والقيادة للأمة فيما بعد ذلك، بل إن عدم تدوين جهاد الشعوب في تأسيس الدول أو في طرد المستعمرين في بعض دول العالم الإسلامي وعدم نشر هذا التاريخ الاجتماعي والتطوعي والجهادي للأمة على نطاق واسع زاد من إمكانية محاولات اختزال التاريخ العام بالتاريخ السياسي دون سواه.

• كما كشف عن تجارب تطوعية مبكرة لشخصية تطوعية متواضعة، قد تفتح آفاقاً في وسائل العمل التطوعي ومجالاته، حيث شخصية الشيخ عبدالله بن سليمان السلومي -رحمه الله- "نحسبه ولا نرُكِّي على الله أحداً- لم يَسْعَ لأي مطلب شخصي أو مكسب مادي أو تجمع حزبياً حَزَبَه المسلمون أنَّى كانوا وأين حلُّوا مشروعه الإنسان الذي يطمع أن يبلغه كلمة التوحيد".

• قال عنه الشيخ صالح الحصين -رحمه الله-: إنه شخصيةٌ لديه "تجربة فريدة من الخسارة أن تُنسى، وأن لا تبقى للأجيال، فهو ليس شخصاً عادياً من ناحية هِمَّتِه ومن ناحية فكره ومن ناحية خبرته وتجربته في الحياة".

مركز القطاع الثالث للاستشارات والدراسات الاجتماعية (قطاع)

ص.ب ٣٦٦ الطائف: ٢١٩٤٤

هاتف: ٠١٢٧٣٧٣٥٥٧

فاكس: ٠١٢٧٣٣٠٠٩٨

الموقع الإلكتروني: www.3rdsector.org

البريد الإلكتروني: info@the3rdsector.org